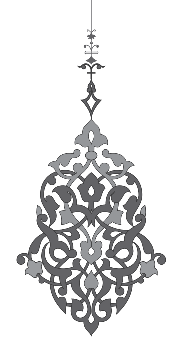


مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الأول



حسن بن موسى الصفار

مسارات
في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الأول

الطبعة الأولى: 1435هـ-2014م

أول المسار

لن تتحقق التنمية في مجتمع يفتقد الإرادة والرغبة في إنجازها، ولن ينجز التنمية مجتمع ينحسر فيه الاهتمام بالوعي والمعرفة.

وإذا كان للحكومات دور أساس في رسم خطط التنمية، وتوظيف الإمكانات لإنجازها، فإن استعداد الشعوب وتفاعلها مع البرنامج والخطط التنموية، هو ضمانة التنفيذ والنجاح.

من هنا تقاس جدّية خطط التنمية في البلدان بمدى توجهها لإعداد الإنسان للمشاركة في المشروع التنموي.

إن تحفيز الناس نحو التنمية والفاعلية، ودفعهم باتجاه تفجير قدراتهم ، وتطوير إمكاناتهم ، وتعزيز الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والوطنية في نفوسهم، هي أرضية الانطلاق، وقاعدة النهوض، لكل أمة من الأمم.

والتنمية الإنسانية مفهوم شامل، يستوعب كل جوانب حياة الناس، حيث عرفها الخبراء ـ كما جاء في تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ـ أنها عبارة عن عملية توسيع نطاق الخيارات المتاحة للناس، وخاصة في المجالات الضرورية لحياتهم،

كالتمتع بحياة صحية وطويلة، واكتساب المعرفة، وتحصيل الموارد اللازمة لتحقيق العيش الكريم.

ولأن مجتمعاتنا تعاني من تخلف التنمية في مختلف المجالات والأبعاد، السياسية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية، فهي بحاجة للتحفيز نحو النهوض على جميع هذه الصعد.

والدعوة الدينية بما تمتلك من قدرة على التأثير في أعماق نفوس الناس، يمكنها أن تكون أفضل رافعة، وخير محرك لعجلة التنمية والتقدم الاجتماعي.

غير أن قسمًا من العلماء والدعاة، لا يزالون يرون أن مهمتهم في التوجيه الديني، تنحصر في تبيين العقيدة الصحيحة، وأحكام العبادات، أما شؤون الحياة والتنمية في أبعادها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فلا ينبغي أن يكون لهم دخل فيها.

وقد نتفهم ابتعاد بعضهم عن الخوض في القضايا السياسية، لما يسبب ذلك من تداعيات وأخطار، خاصة في ظل الأنظمة القمعية، لكن قضايا التنمية والإصلاح لا تنحصر في الجانب السياسي، وإن كان هو الجانب الأهم والأساس فيها.

إنه يمكن لعالم الدين أن يستثمر نفوذه وتأثير خطابه في تحفيز الناس نحو العلم والمعرفة، بتشجيع الاهتمام بالتعليم، وخاصة التعليم العالي، وتنشيط الحركة الثقافية، والإبداع الفني.

ويمكنه الحثّ على الكدح والعمل، لرفع مستوى الإنتاجية، وزيادة الدخل الاقتصادي، وحسن التدبير والتصريف في الموارد المالية.

ويستطيع دفع الناس نحو التماسك والتضامن الاجتماعي، لتقوية كيان الأسرة، وقيام المؤسسات الأهلية، والتبشير بثقافة التسامح والتعايش، وإقرار نهج الحوار

وإصلاح ذات البين بين القوى والجهات المختلفة.

فالدين دعوة للحياة في جميع أبعادها وآفاقها، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

والدين منهج للحياة الراقية الطيبة، التي يَعد الله تعالى بها من التزم بدينه، يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وعلى دعاة الدين أن يشجعوا الناس على التفاعل مع الحياة، والاستمتاع بخيراتها، وأن يحفّزوهم لتنمية طاقاتهم وقدراتهم في مختلف المجالات، وأن يحثّوهم على بناء القوة الاجتماعية المتماسكة، وكل ذلك من صميم الدين.

في هذا السياق أقدم لإخوتي الدعاة والمبلغين، تجربتي المتواضعة، في إنتاج خطاب ديني يُعنى بقضايا التنمية في أبعادها المختلفة، ويتبنى هم الإصلاح السياسي والاجتماعي والثقافي.

وكنت قد بدأت قبل سنوات في توثيق هذه التجربة، وتقديمها لإخوتي وزملائي الخطباء والدعاة، بجمع حصاد كل سنة من المحاضرات والحوارات والمشاركات المختلفة في كتاب واحد، تحت عنوان (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) صدر منه عشر مجلدات تغطي السنوات من ١٤٢٠هـ حتى ١٤٢٩هـ.

وقد اقترح بعض الإخوة أن يكون للمجلدات العشر الثانية عنوان جديد، لأسباب فنية ترتبط بالنشر والتوزيع، لذا أقدّم للقراء الكرام هذا الجزء الأول تحت عنوان: (مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح) وهو توثيق لحصاد سنة ١٤٣٠هـ.

راجيًا من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا الجهد القليل في خدمة دينه وعباده، وأن يوفقني للاستمرار في السير على هذا الطريق، كما أتقدم بوافر الشكر

والامتنان للإخوة الأعزاء العاملين معي، والذين لولا دعمهم ومساعدتهم، بعد توفيق الله تعالى، لما تحقق هذا الانجاز.

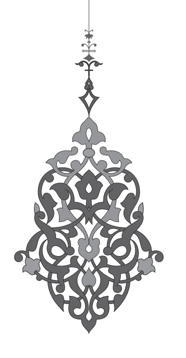
وأخص بالذكر الأساتذة: حسين الشيخ، مبارك الطيب، علي الأصيل، عبد الباري الدخيل، أديب أبو المكارم، جزاهم الله خير الجزاء، ووفقني وإياهم للمزيد من الإنتاج والعطاء.

والحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

25 شعبان 1434هـ

4 يوليو2013 م



خُطَبُ الجُمُعَة



الخطبة الأولى

تطوير المنبر الحسيني

ورد في رواية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، قيل: «وكيف يُحْيي أمركم؟»، قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[1].

من بركات دماء سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام هذا الموسم الولائي، الذي يتكرّر ويتجدّد علينا كل عام، إنه إحدى ثمرات وبركات تلك التضحيات العظيمة التي قدّمها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء، حيث ببركة تلك الدماء الزاكية صار هذا الإحياء وذلك بتأكيد من أئمة أهل البيت عليهم السلام وبالتزام من المؤمنين عبر الأجيال والعصور، أضحت بداية العام الهجري، العشرة الأولى من شهر محرم، موسمًا ولائيًّا دينيًّا ثقافيًّا، يستفيد منه المؤمنون في كلّ مكان، إنها نعمة كبيرة ينبغي أن نشكر الله تعالى عليها، ونحافظ عليها، ونسعى لتطويرها، واستثمارها بالشكل المناسب.

لعلّ أبرز معلم من معالم هذا الإحياء في هذا الموسم هو « المنبر الحسيني»، حيث يجتمع الناس لاستماع المحاضرات، والتوجيه الديني، وسيرة الحسين، وسيرة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. ومن ألطاف الله علينا، في مناطقنا وفي مختلف مناطق العالم، حيثما يكون هناك أحد من المؤمنين، قلة أو كثرة، تنعقد هذه المجالس، لا يوجد الآن قارة من القارات، ولا بلد من البلدان، كما يبدو، إلا وفيه ذكر لأبي عبدالله

(١) عيون أخبار الرضا. ج٢، ص٢٧٥.

الحسين ﷷ ومجالس تقام بهذه المناسبة.

هذه المجالس ـ لعلها في منطقتنا (القطيف والأحساء) حسب بعض الإحصائيات التقريبية ـ تزيد على ألفي مجلس، وكل إنسان في مدينته أو قريته يعرف عشرات المجالس التي تنعقد في كل يوم من أيام عاشوراء، مما يعني أنه موسم ثقافي إرشادي، ينبغي أن نجد أثره في مجتمعنا، ونرى فائدته على الناس.

مهمّات المجالس الحسينية:

إن المجالس الحسينية في البداية كانت مهمتها محدودة:

- ترسيخ الولاء لأهل البيت ﷺ: عبر ذكر مصائبهم وسيرتهم.
- الإرشاد والتوجيه الديني: مع مرور الزمن، أضيفت للمنبر، وللمجالس الحسينية، مهمة أخرى، هي مهمة الإرشاد والتوجيه، ونشر المعارف الدينية، فأصبحت هذه المجالس يستفاد منها، فإلى جانب ذكر سيرة أهل البيت ﷺ ومصائبهم تطرح المعارف الإسلامية، من تفسير آية، أو شرح حديث أو رواية، أو تبيين حكم شرعي، أو وعظ وإرشاد أخلاقي

و في هذا العصر هناك مهمة ثالثة، تضاف إلى هذه المجالس، وهي:

- رسم صورة مدرسة أهل البيت ﷺ أمام العالم: هذا الموسم الآن لا تقتصر مهمته أو وظيفته على المهمتين السابقتين، ليس فقط أن نذكر فضائل أهل البيت ﷺ ومصائبهم، وليس فقط أن ننشر المعارف الدينية من خلال هذه المجالس، وهما مهمتان رئيستان، لكن هناك مهمة أخرى أضيفت إليهما وهي إبراز صورة المذهب، ووجه الطائفة، أمام الرأي العام (المحلي والخارجي).

قد يبدو غريبًا إضافة هذه المهمة والتأكيد عليها، لكن لا بُدَّ أن نعرف أنه في الماضي كانت مجالسنا ومآتمنا داخلية في قُرانا، وفي أزقة مناطقنا، بين جمهورنا، حيث تقتصر

علينا أما الآن، فقد أصبحت على الهواء، في الفضاء العام، كلّ العالم يسمع ويرى ويشاهد، مما يفرض علينا أن نتحمل مسؤولية رسم صورتنا، وتقديم أنفسنا.

كنا نشكو في الماضي بأن مذهبنا يتعرض لحملات من التشويه، وأن طائفتنا تعاني من التعتيم على واقعها وأخبارها وتوجّهاتها، وكان معنا الحقّ في هذا الادّعاء؛ لأنه لم تكن لنا إمكانات أو وسائل إعلامية، فكنا نعتب على الآخرين، لماذا لا يقدمون مدرسة أهل البيت ﷺ على حقيقتها؟ الآن ثبتت علينا الحجة، وما بقي لنا عذر، الوسائل أصبحت متوفرة ومتاحة لكي نقدم نحن الصورة التي نريدها لأنفسنا.

العبور من المظلومية إلى المسؤولية:

كيف نريد أن يرانا الآخرون؟ ما هي الفكرة التي نريد أن نوصلها للآخرين؟

المجال أمامنا مفتوح، في الماضي كنا نقول ليست عندنا وسائل إعلام، والوسائل الإعلامية أصبحت تبحث عنا، وكالات الأنباء والفضائيات، في كثير منها هناك تغطيات لبرامج الشيعة في مختلف أنحاء العالم، وفي بلادنا البرامج مفتوحة، في الهواء الطلق، مجالسنا واجتماعاتنا، ليست مخفية، وكلّ يرى ويسمع ويشاهد، وتسجل بعضها وتبث في الفضائيات.

إذن نستطيع من خلال هذا الموسم، بالإضافة إلى ترسيخ الولاء لأهل البيت ﷺ وهو المهمة الاولى، مع التطوير في الطرح وفي الأسلوب، وبالإضافة إلى الإرشاد ونشر المعارف وهي المهمة الثانية، أيضا مع التطوير والتجديد بما يتلاءم مع هذا العصر، بالإضافة إلى هاتين المهمتين، نعمل على تفعيل المهمة الثالثة، وهي تقديم صورة المذهب، وصورة الطائفة أمام الآخرين، أمام الرأي العام العالمي الداخلي والخارجي، حيث بعض الناس لا يفكر كثيرًا في هذا الأمر، يريد إحياء المناسبة بالمألوف والمتوارث، وبالطريقة التي ترضي مشاعره وعواطفه وأحاسيسه.

ولكن ينبغي ألا نتوقف عند هذا، فليس صحيحًا ألا نهتم للرأي العام، أو لا نحسب

حسابًا لآراء الآخرين، خاصّة وأن هناك من يتصيّدون ويترصّدون ويبحثون عن الثغرات، وعن الأخطاء، لتضخيمها وترويجها، البعض من الناس يقول هذه شعائرنا وهذه معتقداتنا. لكن نحن نتقيد بالنص، فيما كان منصوصًا عليه، واجبًا كان في مجال الواجب، ومستحبًّا في مجال المستحب، أمّا ما يدخل في باب التقاليد والعادات والأساليب، يكون لنا الحق في تطويره، ربّ وسيلة كانت مناسبة في وقت ما، لكنها غير مناسبة في هذا الوقت، ولعل الكثير من الناس لو قارنوا بين واقع المنبر الآن، وواقع المنبر قبل عشرين سنة، لرأوا أن هناك فروقات، وكذلك واقع إحياء المناسبة الآن، وواقع إحيائها قبل عشرات السنين.

مسؤولية التطوير والتجديد:

يبدو أن هذه الفروقات، يمكننا استيعابها من خلال استطلاع الكيفية التي كان الخطيب يخطب بها في الماضي، وكيف كان يؤدي دوره، حينما كان يذكر المصرع أو المصيبة، من تكسير أعلام وما أشبه ذلك. هذا في الماضي كان مناسبًا، لكنه الآن مع مرور الزمن، أدرك الخطباء والغالبية من الناس، أنه لم يعد مناسبًا، وهو أسلوب من الأساليب ليس منصوصًا عليه، حتى لو أن خطيبًا أراد أن يمارس نفس الأسلوب الذي كان يمارسه في الماضي، لانتقده الناس، ولما قبلوا منه ذلك، اذن لا بُدَّ من التطوير، وأن نحسب حسابًا للرأي العام، ونفقه أن الكلام في أنه لا يهمنا رأي الآخرين في الثوابت وفي الأمور المنصوصة، والأشياء الواردة، هذا صحيح، أما فيما يرتبط في جانب الوسائل والأساليب والتقاليد والأعراف فهي قابلة للتغيير، من زمن إلى زمن ومن عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى بيئة. مثلًا: أسلوب الخطاب كيف تتحدث؟ كيف تخاطب الناس؟ ماذا تختار للطرح على الناس؟

لا مناص أن الجميع يعترف بالقاعدة العقلائية: لكلّ مقام مقال، والآية الكريمة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[سورة النحل، الآية:١٢٥]، حيث

الحكمة وضع الشيء في موضعه، وفي موقعه، الشيء المناسب في المكان المناسب، هذه قواعد شرعية وعقلية، لذلك ينبغي أن نحرص ونحن نحيي هذه المناسبة أن نقدم من خلالها صورة عن مجتمعنا، ومذهبنا وعن المدرسة العظيمة مدرسة أهل البيت ﷺ التي ننتمي وننتسب إليها، عن طريق الخطاب المنبري، وعن طريق الأساليب والبرامج الجديدة في إظهار هذه الصورة المشرقة.

نماذج من التطوير الإحيائي:

- التبرع بالدم وهي سنة حسنة، بدأت في منطقتنا قبل سنوات والحمد لله مستمرة إلى الآن، فلتكن أيام عاشوراء مناسبة للتبرع بالدم، لأن الإنسان يتبرع بالدم من أجل المرضى المحتاجين، من بني أمته ووطنه ومجتمعه، هذا برنامج هام ينبغي أن نحرص عليه.
- العطاء المالي، عندنا مساجد في طور التشييد، وجمعيات تحتاج إلى دعم، وفقراء محتاجون، عندنا الكثير من الحاجات ونحن نستمع إلى تضحيات أبي عبد الله الحسين ﷺ وقد بذل الغالي والرخيص، علينا أن ننتفع من خلال ذلك للعطاء للحاجات القائمة في مجتمعنا.
- أن ندعو الآخرين حتى يحضروا هذه المجالس، أي إنسان لديه أصدقاء وزملاء من بني وطنه، من أتباع المذاهب الأخرى المختلفة، فليأتوا وليشاركونا في إحياء هذه المناسبة، حتى يروا الأمور على الطبيعة، لا من خلال ما قد يتناقل أو يشاع.

الخطبة الثانية

الحسين يختار عزّ الشهادة ويرفض المذلة

ورد عن أبي عبد الله الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) أنه قال في خطبته يوم عاشوراء: «ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر»[1].

في الصراع تكون هناك مراحل وبرامج، والحرب هي آخر مرحلة من مراحل الصراع، عادة ما يسعى المتصارعون إلى تأجيلها وتأخيرها، حينما يكون هناك شيء من التفكير والواقعية، يكون هناك سعي لتأجيل حسم المعركة؛ لأن الدخول في المرحلة النهائية هي مغامرة لطرفي الصراع أو على الأقل لأحدهما، ولذلك يسعى لتأجيلها، إذا كان الطرف المقابل لديه استعداد للتأجيل، يستمر الصراع ولا ينتهي، ولكن يدار بالوسائل المختلفة، كلّ طرف يحاول أن ينمي قوته أكثر، يراهن على ضعف الطرف الآخر، يراهن على الزمن لمعالجة المشكلة التي يصارع عليها أو يختلف فيها، يراهن على عوامل تأتي مفاجئة فتغير المعادلة، في هذا السياق تذكر قصة قد تكون أسطورة:

يقال إن سلطانًا طلب من حكيم من الحكماء،

(١) بحار الأنوار. ج٤٥، ص٨٣.

قال له: أريد منك أن تنطق هذا الحمار وإلا ضربت عنقك،

الحكيم قال: على الرحب والسعة، ولكن أمهلني خمس سنوات حتى أعلِّمه وحتى أحقق لك ما تريد.

قال السلطان: خمس سنوات وتستطيع أن تنطق الحمار، وتتعهّد بذلك؟

قال له الحكيم: نعم، أمهلني خمس سنوات، وأتعهد.

بعد ذلك عاتبه البعض: كيف تَعَهَّدْتَ وقبلت أنك بعد خمس سنوات ستنطق الحمار، ماذا ستعمل؟

قال لهم: من الآن إلى خمس سنوات، إما أن يموت السلطان، أو أموت أنا، أو يموت الحمار، سنراهن على الزمن من أجل أن تُحَلَّ المُشْكِلةُ، أما إذا رفضت الآن يضرب عنقي، لماذا أحسم الموقف الآن؟ سأراهن على المستقبل.

وعادة ما يسعى كلا الطرفين أو أحدهما في هذا الاتجاه، بحيث لا يُحسم الصراع ويعطي كلٌّ منهما فرصة للآخر، وهو ما يعني أن يكون هناك نوعٌ من المرونة التي لا تعني إنهاء الصراع، وإنما استمراريته بالوسائل المختلفة.

الصراع بين أهل البيت عليهم السلام والطغيان:

كان الصراع بين أهل البيت عليهم السلام وبين بقية الحكام الأمويين والعباسيين قائمًا وموجودًا، وذلك بدءًا من عهد معاوية بن أبي سفيان، حيث كان أهل البيت يعرفون أنفسهم بأنهم في خط آخر يواجه معاوية وكذلك بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث كان الصراع يدار غالبًا ليس بطريقة الحسم، لكن بالوسائل المختلفة، وأهل البيت عليهم السلام لهم طرقهم وأساليبهم، وأولئك المتسلطون لهم أساليبهم.

في واقعة كربلاء أراد الإمام الحسين عليه السلام ألا يظن الناس أن المسألة في مستوى الحسم والاندفاع للقتال من جهته، ولذلك تكرر منه القول للجيش الأموي: أنتم

كتبتم لي رسائل وطلبتم مني القدوم إليكم ـ إن تغير رأيكم ـ إن كنتم لمقدمي كارهين فدعوني أنصرف من حيث أتيت.

الإمام الحسين ﷺ ما بدأ القوم بقتال، بل أكثر من ذلك حصلت محادثات بينه وبين عمر بن سعد، وأوشكت أن تصل إلى اتفاق، جلس مع عمر بن سعد،

عمر بن سعد سأله: يا أبا عبد الله، لماذا قدمت؟

قال له الإمام الحسين ﷺ: «إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن أقدم إلينا فليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجعلنا بك على الهدى، فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم وإن لم تفعلوا أو كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه»[1].

عمر بن سعد تقبل الفكرة، كان لا يريد أن يتورط في هذه المعركة القذرة، فكتب لابن زياد، وهذا موثق في التاريخ، أنا جلست مع الحسين، والحسين مستعد أن يرجع، لا يدخل العراق ولا الكوفة، وسعى في رسالته إلى إقناع ابن زياد، ولما قرأ ابن زياد الرسالة تحمّس لها في البداية، لكن شمر ابن ذي الجوشن دخل على الخط وقال لابن زياد: يا ابن زياد، الآن وقد حلّ الحسين بساحتك تتركه، فَلَئِن ابتعد ورجع ليذهبن إلى أماكن أخرى ويحشد له أنصارًا ويقاتلكم فلا يكون لكم قبل به. وإنما احْسُمِ المعركة معه الآن، وأقنع ابن زياد ألا يقبل هذا الطرح، وكما يتحدث التاريخ كتب ابن زياد إلى ابن سعد رسالة أنه لم نرسلك للحسين حتى تسالمه وتهادنه وإنما اعْرِضْ عليه أن يبايع يزيد بن معاوية وإلا ناجزه القتال، ليس هناك أي حلّ آخر، وإن لم تشأ أن تتحمل هذه المسؤولية، فَابْتَعِدْ عن قيادة الجيش، وشمر ابن ذي الجوشن يقود الجيش بدلًا عنك. كان هناك تنافس بين عمر بن سعد وشمر، كلاهما يريد القيادة، وابن سعد أيضًا خاف على موقعه، والجوائز التي كان ينتظرها، وكان مترددًا في داخل نفسه، حيث قال:

(١) الكامل في التاريخ. ابن الأثير، ج ٤، ص٤٧.

فوالله لا أدري وإنني لحائر أفكـر فـي أمـري، علـى خطرين
أأترك ملك الرّي والرّي منيتي أو أرجـع مأثومًـا بقتلـي حسـين

هذا الوضع دفع ابن سعد للحسم في خياره، باتجاه الخيار السيئ، خيار الشقاء، وحصلت المعركة، الإمام الحسين عليه السلام لم يجد مجالًا، إما الحسم وإما الإذلال، وما كان ممكنًا من أبي عبد الله الحسين عليه السلام أن يقبل موقف الذلة، ولذلك قرر أن يضحي بنفسه، التضحية كانت صعبة وخطيرة، ما أصاب الإمام الحسين عليه السلام وما أصاب عائلته لم يكن بالأمر الهيِّن، لكن لم يكن هناك خيار آخر، رأى الحسين عليه السلام أن هذا الخيار هو الأفضل للانتصار للدين والقيم.

وإننا نرى بوضوح أنَّه لو لم يكن من تلك الشهادة ومن تلك التضحيات، سوى أنها شقت الطريق أمام الأحرار على طول التاريخ. إنَّ الأحرارَ والثائرين في كل عصر وزمان يجدون في أبي عبد الله الحسين عليه السلام قدوة لهم.

فلسطين والزحف نحو الحسم:

هؤلاء إخواننا المقاومون في فلسطين وهم في هذه الأيام، يواجهون العدوان الظالم[1] البشع، يجدون في ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وفي موقفه، أفضل مصدر إلهام للثبات والصمود، الفلسطينيون في غزة ما كانوا يريدون حسم المعركة الآن، المسألة ليست مسألة رغبة في حسم المعركة، يدار الصراع ولكن بالوسائل المختلفة، وضمن الصراع المحدود الذي كان سائدًا، لكن العدو المتغطرس أراد الاستفادة مما تبقى من ولاية الإدارة الأمريكية المتعجرفة المتغطرسة، فالعدو الصهيوني لم يقبل ولم يعط أي مجال، إما السلة أو الذلة، خيّر الفلسطينيين في غزة بين هذين الخيارين، إما أن يقبلوا بالتخلي عن حقهم في الجهاد والمقاومة، وإلا فالحصار والتجويع والقصف الذي لم يوفر مسجدًا، ولا جامعة، ولا منزلًا، طيلة هذه الأيام الخمسة، أكثر

---

(١) الحرب على غزة في ديسمبر ٢٠٠٨م.

من أربعمئة وعشرين شهيدًا وأغلبهم من النساء والأطفال والمدنيين الأبرياء، وأكثر من ألفين ومئة جريح، قصف كل شيء يتحرك في غزة، وبالأمس قتل أحد القادة، نزار ريان، هذا الشهيد الجديد الذي قتل أمس (يحمل شهادة دكتوراه في علوم الحديث، وأستاذ في الجامعة، وإمام وخطيب مسجد، ومجاهد طوال حياته)، قصف منزله بالأمس هو وتسعة من أسرته، وفي كل يوم على مرأى ومشهد من العالم تحصل هذه الفضائح والفوادح.

نقول لإخواننا الصامدين المقاومين في غزة: أمامكم ثورة أبي عبد الله الحسين ﵇ أمامكم سجل كربلاء، ملحمة تستلهمون منها روح التضحية والفداء، وتأخذون موقف أبي عبد الله الحسين ﵇ الذي رفض الذلة، قائلًا: هيهات منّا الذلة، وتحمّل كل ما يجري عليه وعلى أسرته، وكانت النتيجة إن لم يكن في العاجل ففي الآجل لأبي عبد الله الحسين ﵇، وكما كتب لبني هاشم «من لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح» حيث يعتبر شهادته فتحًا، وهي فتح مبين في الواقع.

إننا نسأل الله سبحانه وتعالى لإخواننا في فلسطين الثبات والصمود، نسأل الله أن يرحم شهداءهم، وأن يعافي جرحاهم، وأن يلهمهم الصبر والسلوان، ونسأل الله تعالى أن يعطف قلوب القادة والحكام العرب حتى يتحملوا مسؤوليتهم تجاه هذا الشعب المظلوم المحاصر، منذ شهور وهم يعيشون الحصار والآن تقذف عليهم حمم الموت في كلّ يوم، وفي كلّ ساعة، إن نصرتهم والوقوف معهم هو أقل الواجبات على كلّ إنسان مسلم، وخاصة على الحكام، الذين بيدهم السلطة، وبيدهم القوة والإمكانات، لو أنهم يفتحون المجال أمام هؤلاء المقاومين، ويكسرون الحصار عليهم، ويمدونهم بشيء من السلاح والعتاد لتغيرت المعادلة في وقت أسرع، ولكن ما نقول والواقع الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية واقع مؤسف مزرٍ.

الخطبة الأولى

لا للسكوت على الظلم

﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[سورة النساء، الآية:١٤٨]

كربلاء ملحمة انتصار الدم على السيف، خُطّت بدم الحسين عليه السلام الذي قال: «موت في عزّ خير من حياة في ذلّ»[1]، إنها باقية في قلوب المؤمنين ما بقي الدهر، فهي كتاب عظيم لا يزال يتلى كلّ حين. هذا الكتاب القيم يتكون من جزأين:

الجزء الأول: ينتهي ظهر يوم العاشر من المحرم. الوقت الذي كتب الله فيه الشهادة لأبي عبدالله الحسين عليه السلام ومن معه ممن نال شرف الشهادة. فهو جزء كتبه صمود وتضحيات سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، يشاركه فيه الشهداء الذين حلّوا بفنائه. وأبرز عناوينه رفض الظلم والطغيان والخنوع، وإعلان المواجهة والمقاومة.

والجزء الثاني: يبدأ بعد ظهر العاشر من المحرم، أي بعد شهادة أبي عبدالله الحسين عليه السلام والذي كَتَبَتْ فصوله سيدة نساء عصرها عقيلة الطالبيين زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام يشاركها فيه من كان معها من النساء والأطفال، وعليل كربلاء زين العابدين عليه السلام. وكان أبرز عناوينه هو الإعلام لنهضة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وإيصال

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص١٩٢.

صوتها للرأي العام، ومقارعة الظالمين وفضحهم.

ولا يقلّ الجزء الثاني أهمية عن الجزء الأول، فهو المكمل له، لأن الجانب الإعلامي فيه كان المبّين لأهداف النهضة الحسينية أمام الرأي العام، وعبره أوصل صوت الحسين عليه السلام لتلك الجماهير التي كانت تعاني من التعتيم والتضليل. فالظالمون لا يريدون لظلمهم أن يكون محسوسًا من قبل بقية الناس، حتى يستمروا في ظلمهم وطغيانهم. وهذا ما خطّط له سيد الشهداء عليه السلام منذ عزمه وتخطيطه لنهضته المباركة، وهو السبب الرئيس لأخذه نِسَاءَهُ وعائلته معه إلى كربلاء.

لقد قامت السيدة زينب عليها السلام بدور عظيم في هذا الجانب، يتمثل ذلك في خطبها في الكوفة والشام والمنازل التي نزلتها بينهما، واستمرت حتى عودتها إلى المدينة المنورة. لقد قارعت الظالمين في عقر دارهم، وأوصلت صوت الحسين عليه السلام إلى أوساطٍ ما كان الأمويون يريدون أن تصل إليها.

إعلان المظلومية

وفي هذا درس عظيم، يجب أن نتعلمه من هذه النهضة المباركة، وأن نقرأه بتمعّن في كتابها القيِّم. إن إعلان الظلامة وإيصالها للرأي العام، ولجماهير الأمة، أمر في غاية الضرورة. لا ينبغي لمظلوم أن يسكت على ظلامته؛ لأن الظالم إذا وُوجه بالسكوت ازداد في ظلمه وغيّه، وفسح المجال لغيره ليسلك نفس المسلك، أما إذا ووجه بالردع والمقاومة والفضيحة، فإن ذلك يجعله ومن يريد السير على منهاجه أن يعيدوا النظر في تقييم حساباتهم وما يسعون إليه.

من هنا فإن الله عزّ وجلّ، وهو الذي يكره الجهر بالسوء، إلا أنه يستثني من يتعرّض للظلامة ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾. إنه حضٌّ لكلّ إنسان يتعرّض للظلامة ألا يسكت عن حقّه، وأن يجهر بما وقع عليه من ظلم. والأمر يتأكد أكثر على الحال الجمعي. فالمجتمع الذي يتعرّض للظلامة عليه ألا يسكت عن

حقّه، وأن يعلن ظلامته للملأ، وأن يقاوم ويناضل لاسترداد حقّه. إضافة إلى أن عليه أن يفتح إلى أبنائه قنوات للإعلان عمّا يتعرّضون له من ظلامات من قبل بعضهم بعضًا، أو من قبل الجهات الرسمية التي تدير شؤون البلاد. إن هذا هو ديدن المجتمعات المتقدمة التي تفتح وسائل الإعلام لكل صاحب ظلامة وشكوى، ولهذا يصعب ـ في الغالب ـ على أيّ مسؤول أو جهة هناك أن تمارس الظلم والتعدّي على الحقوق. حيث إن الإعلام أصبح سلطة رادعة، وسلاحًا بيد الناس يشهرونه أمام من يعتدي على حقوقهم، وهذا ما يحقّق الانضباط القانوني في تلك المجتمعات، إن كلّ مسؤول هناك يحسب حساباته للفضيحة، وليس هناك شخص سويّ يحب الفضيحة والعار، إضافة إلى وجود مؤسّسات قانونية تنتصف للإنسان المظلوم متى ما أوصل صوته إليها، وللرأي العام. ولا يقتصر الأمر عندهم على المستوى المحلي، بل هناك محاكم ومؤسّسات عالمية دولية، من شأنها النظر في أيّ قضية يكون فيها تجاوز للحدود.

سلاح الإعلام

ما أحوج المجتمعات النامية إلى أن تسلك هذا الطريق، وتفتح وسائل الإعلام على مصراعيها ليتحدث الناس بكلّ صراحة وشفافية عمّا يعانونه، وعمّا يتعرّضون إليه، فهذا الأمر هو خطوة أولى لتطبيق الحقّ بين الناس، ومن ثم إيصال الحقوق إلى أصحابها؛ لأن المظلوم إذا لم يجد أمامه فرصة يعبّر فيها للرأي العام عن ظلامته، فكيف يأمل في فرصة الوصول إلى حقّه؟

إضافة إلى وسائل الإعلام الحرّة، فإن مجتمعاتنا بحاجة إلى مؤسّسات قضائية نزيهة، يطمئنّ الناس إلى وقوفها في صفّهم، وانتصافها للمظلوم.

أمر آخر لا بُدّ من التنبه إليه وهو سعي الناس في هذا الطريق لانتزاع حقوقهم، وألا يضعوا العقبات أمامهم بأنفسهم. إن مشكلة كثير من الناس هو السكوت على ما يتعرضون إليه من ظلامات، إما لوجود رهبة من ردود الفعل خشية أن تحصل لهم

ظلامة أخرى، جرّاء تحركهم وشكواهم، أو تشكيكهم في جدوى السعي من أجل الدفاع عن الحقوق، وهذه مع الأسف صفات التخلف والضعف، خلاف ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المؤمن، الذي يتحلى باليقظة والقوة والعزّة، ولا يرضى لنفسه الخنوع والخوف. مهما كان الخصم فعلى الإنسان أن يواجهه، وأن يتخذ الأسلوب الأمثل في مقارعة الظلم والمطالبة بحقّه، والوسائل شتى، ولا ينبغي الاستهانة بأيّ وسيلة كانت، وإن ضعفت، ما دام يمكن من خلالها إيصال الصوت بطريقة مشروعة.

ينقل التاريخ قصة جميلة نستفيد منها درسًا في هذا الجانب، مفادها أن أعرابيًا تعرّض له شخص وهدّده بالسلاح حتى يقتله وينهب ماله. ولأن الأعرابي لم يكن ذا قوة، انتصر عليه خصمه وجاء ليذبحه، حينها طلب منه طلبًا.

قال الأعرابي: امنحني لحظة أخاطب بها طير القطا الذي يرفّ فوق رأسي، وأشهده على ظلامتي. ضحك الرجل منه، ولكن الأعرابي مضى في تحقيق ما أراد وخاطب الطير: أيها الطير، اشهد عليّ أني أقتل مظلومًا في هذه الصحراء. وبعد أيام حضر هذا الرجل المعتدي وليمة غذاء وشاهد على المائدة طائر القطا، فتبسم. فسئل عن ذلك فحكى لهم قصة الأعرابي. فقال أحد الحاضرين: سبحان الله! لقد أدى الطائر شهادته. لو لا التفات هذا الرجل ومخاطبته الطائر لما عرف الناس ما فعلت أنت بالرجل.

بهذا المقدار أيضًا فإن الأمر يفيد وله أثر.

لهذا على الإنسان ألا يسكت عن ظلامته، وأن يوصلها للإعلام وللمؤسسات الحقوقية، فإنه إن لم يحصل على حقّه، سيساعد غيره للحصول على حقه، فتراكم الدعاوى تشكل ضغطًا، ويحدث نتيجة، إن لم يكن اليوم فغدًا. هذا ما تأمر به تعاليم الدين وما يوحي به العقل.

ولنا في سيرة السيدة زينب الحوراء عليها السلام أسوة حسنة. زينب عليها السلام كانت تعلم أن حديثها في مجلس يزيد ومجلس ابن زياد والمواقف التي مرت بها، قد لا يكون لها نتائج

فورية، لكنها تعلم أن هذا الحديث جزء من مسؤوليتها الشرعية التي ينبغي لها أن تتحمّلها تجاه الدين، وقد أثبت التاريخ نتائج تلك الخطب والإعلام الذي قامت به عقيلة الطالبيين زينب عليها السلام والأسرة الهاشمية، حيث كان لها دور كبير في إلهاب المشاعر وتحريك النفوس، وهي التي كانت الشرارة لانطلاق الثورات كثورة سليمان بن صرد الخزاعي، والمختار الثقفي، وبقية الثورات فيما بعد. إننا حين نحيي هذه الأيام ذكرى عاشوراء ونبكي لما تعرضت له هذه المرأة العظيمة، لا ينبغي أن نكتفي بهذا الجانب فحسب، بل علينا أن نأخذها قدوة ومنهاجًا، وأن نتعلم منها عدم السكوت على أيّ ظلامة، وأن نطالب بأيّ حقٍّ يُصادر منّا.

الخطبة الثانية

شرف الدفاع عن الكرامة

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين».[1]

الشعور بكرامة النفس مسألة فطرية أودعها الله تعالى في نفس الإنسان. وحين تتعرّض هذه الكرامة للتعدي بالذلّ والإهانة، فإن الإنسان السّوي ينتفض مدافعًا عن هذا الجانب العزيز في شخصيته. وحتى لو كان المعتدي قويًّا جبارًا، فإن تحمّل الخصم قد يكون في حدود معينة، وإلى أمد معين، فإذا ما طفح به الكيل يجد نفسه مخيّرًا بين رفض الذلّ والهوان، وبين الاستمرار في حياة الذلّ. وهنا يكون الاختيار عند الشرفاء والأحرار اختيارًا صعبًا، ما يلبث أن يحسموه باختيار موقف الكرامة والعزّ، ورفض الذلّ والهوان.

لهذا يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه: بأنكم إذا خفتم مواجهة الأعداء، ولم تكونوا مستعدين لاستقبال الموت، فذلك يعني أن تقبلوا بحياة الذلّ والقهر، التي هي في واقعها الحقيقي موت مرير، على الخلاف من مقاومتكم للظلم والعدوان، وإن كلفكم حياتكم، فإن موتكم بعزّكم، يعني حياة سعيدة. هذا ما نفهمه من قوله عليه السلام في خطابه لأصحابه في صفين، حينما سيطر جيش معاوية على الماء، ومنعوه وأصحابه من وروده قال عليه السلام: «الموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين». وهذا ما نفهمه من قول الإمام الحسين عليه السلام: موت في عزّ خير من حياة في ذلّ.

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ٥١.

الفلسطينيون والخيار الصعب

الفلسطينيون في غزة هذه الأيام يواجهون هذا الخيار الصعب مع الإسرائيليين المعتدين: إما قبول الذل والهوان، والخضوع لإرادة الإسرائيليين وهيمنتهم، أو المقاومة والخوض في معركة ضد عدوٍّ له من العتاد والقوة والوحشية ما لا مزيد عليه.

إسرائيل تريد إلغاء كيان الشعب الفلسطيني، ومقولتهم منذ الأساس: أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض. لأنهم يرون أنفسهم شعبًا بلا أرض والفلسطينيين شعبًا عنده أرض لا يستحقها، ويرون بأنهم أولى بها منهم. فهم يريدون أخذ الأرض من الفلسطينيين غصبًا، وإذا ما أراد الفلسطينيون القبول بهذا الأمر، فعليهم أن يعيشوا تحت هيمنتهم ولخدمتهم أبد الدهر.

ولا شك أن الشعب الفلسطيني لا يرضى بذلك. وإذا كان الخيار محصورًا بين القبول بالذلّ والقهر أو الموت، فإننا نجد أن القوى الواعية الثائرة في فلسطين اختاروا ما اختاره أبو عبدالله الحسين عليه السلام فسلكوا الطريق الذي دشّنته ملحمة كربلاء، اختاروا موقف العزّ والكرامة، ولا يخافون حينها أوقع الموت عليهم أم وقعوا عليه.

مدة طويلة من الزمن والفلسطينيون يتجرعون عبث الإسرائيليين في أراضيهم، واحتلالها، وفي كل يوم يزداد بطشهم وعدوانهم عليهم، وهذه الأيام شاهدة على وحشيتهم، فقد شنّوا هجومًا غاشمًا من البر والبحر والجوّ، وبكلّ بشاعة ووحشية، نتج عنه ما جاوز السبعمائة شهيد، وقارب عدد الجرحى الأربعة آلاف جريحٍ، وهدّمت المنازل على ساكنيها. وقد رأيتم تلك المرأة الفلسطينية التي تحدثت في وسائل الإعلام عن فقدها ٢٥ شخصًا من أقاربها، ولم يبق من عائلتها إلا طفلة رضيعة ابنة عشرين يومًا.

لقد أصبحت غزة خرابًا، فلا المنازل سلمت من القصف، ولا المستشفيات، ولا المساجد، ولا المدارس، ناهيك عن الضحايا البشرية، والعالم كله يسمع ويرى، ولا

يحرّك ساكنًا! وكأن العالم يسير على شريعة الغاب، القوي يأكل الضعيف، وأقصى ما فعله مجلس الأمن هو إصدار قرار بوقف إطلاق النار، دون تحديد لآلية، أو وقت، ودون إلزام إسرائيل بذلك، ليبقى القرار كذرّ الرماد في العيون. والعجب كلّ العجب من النهج السياسي في الدول العربية والإسلامية، فكيف لهم أن يقبلوا بما يحصل في غزة؟ ولماذا يسكتون وكأن الأمر لا يعنيهم؟ وكأن الضعف عشّش في نفوسهم؟

فنزويلا بلد غير عربي وغير إسلامي، ترفض ما يحصل في غزة، وتطرد سفير إسرائيل، بعض دولنا لا تزال أعلام إسرائيل ترفرف في عواصمها، وتستقبل السفير الصهيوني في بلادها! والأدهى من سكوتهم وفعلهم هذا، أنهم يساهمون في حصار أهل غزة، ويمنعون عنهم الشريان الذي يمكن أن يمدّهم بأسباب الصمود أمام هذه الحرب الشرسة.

لقد أثبت النظام السياسي العربي عجزه وفشله، وأنه ليس في مستوى تطلعات الشعوب العربية. ولا يستطيع الشعب الفلسطيني أن يعوّل على نظام متخاذل كهذا، ولا يستطيع أن يستمرّ في عيش الذلّ والهوان. فكان خيار المقاومة هو خياره الوحيد والأنسب الذي يعيد لهم كرامتهم ومكانتهم. هذا ما أدركه اللبنانيون الشرفاء، والفلسطينيون الآن سائرون على نفس النهج.

إن من الواجب على الجميع إعلان التعاطف والدعم المالي. لقد كان للمنطقة دور جميل في دعم المقاومة في لبنان إبان حرب تموز، التي شنّها ضدهم الكيان الصهيوني الغاشم، وقد بادر المؤمنون في كلّ مكان ببذل مالهم لنصرة الشعب اللبناني الشريف، وما يحدث الآن في غزة ينبغي أن نقف معه نفس الموقف، إن المقاومين في غزة يصمدون ويقوون بتشجيعنا ودعمنا. لذا أرجو من المؤمنين ألا يقصروا في هذا الأمر.

نسأل الله أن يمنّ على الشهداء بالرحمة، وعلى الجرحى بالشفاء، وعلى المقاومين المناضلين بالثبات والنصر. والنصر.

الخطبة الأولى

المطفّفون والكيل بمكيالين

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[سورة المطففين، الآيات: ١-٦]

يودّ كل إنسان في هذه الحياة أن يتمتع بحقوقه كاملة، وألا يُظلم أو يُعتدى على شيء من حقوقه، أو تُجرح أحاسيسه ومشاعره، وهذا أمر طبيعي، إلا أنه في المقابل ينبغي أن يتعامل مع الناس على هذا الأساس؛ لأن الإنسان لا يعيش وحده، وإنما هو فرد في مجتمع مكون من أفراد، وكما أنه يرفض أن يُعتدى عليه وتُجرح مشاعره فللآخرين أيضا كرامة ومشاعر.

للبعض في حياتهم ميزانان، ففيما يرتبط بهم يأخذون حقّهم دون نقص، ويطالبون الآخرين بمعاملتهم على أحسن ما يجب، إلا أنهم لا يلتزمون إعطاء الحقوق إلى أهلها، ولا يراعون مشاعر الآخرين وأحاسيسهم.

إن من يتصف بهذه الخصلة السيئة، والحالة المنحرفة، يُطلق عليه القرآن الكريم مصطلح (التطفيف) و(المطففين)، إشارة إلى من يريد أن يأخذ حقوقه كاملة، في مقابل إنقاصه من حقوق الآخرين.

في القرآن الكريم سورةٌ بهذا العنوان، تتحدث عن هذه الصفة، وتبدأ السورة بإعلان التهديد لهم بالهلاك والعذاب ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، وكلمة المطففين جاءت من التطفيف، وأصلها من الطفّ، وهو جوانب الشيء وأطرافه، ولذلك سُمّيت كربلاء وادي الطف لوقوعها على ساحل نهر الفرات.

والطفيف في اللغة: الشيء النزر اليسير، واصطلاحًا: البخس في الكيل والوزن ونقص المكيال، وهو أن لا تملأه إلى نهايته.

قيل إن سبب نزول السورة قيام بعض تجار المدينة بالتطفيف في تجارتهم، حيث كان لبعضهم مكيالان: مكيال للشراء يكون أكبر، ومكيال للبيع يكون أصغر من ذلك.

وروى العلاّمة الطبرسي في مجمع البيان: إنّ رجلًا كان في المدينة يقال له: (أبو جهينة) كان له صاعان، يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فنزلت هذه الآيات.

ثم إن الله سبحانه وتعالى يهدّد هؤلاء المطففين، ويتوعّدهم بعذاب عظيم، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَـٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؟ والظن في الآية الكريمة يأتي إما بمعنى اليقين، حيث ورد في القرآن استعمال لفظة الظن بهذا المعنى، يقول تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٤٩]، أي إنهم متيقّنون بلقاء الله، إلا أن المعنى المصطلح للظن هو الترجيح، وقد ذهب بعض المفسرين إليه في هذه الآية الكريمة.

والنتيجة: إن مجرّد الاحتمال للقاء الله تعالى، كفيلٌ بأن يجعل الإنسان يحذر من العذاب، ويتعامل مع الآخرين بإنصاف، فضلًا عن اليقين بذلك، الذي يفترض تحققه لدى المؤمنين.

الكيل بمكيالين

والتطفيف (الكيل بمكيالين) لا يقتصر على جهة أو مجال، بل له مجالات مختلفة،

نقتصر على ثلاثة منها:

أولًا: المجال الاقتصادي، وهو المجال الذي عرضته السورة الكريمة، بأن يقوم الإنسان بإنقاص الوزن في حال البيع، بينما يأخذ حقه كاملًا حال الشراء. وهو لا ينحصر في الكيل والوزن فقط، فأيّ معاملة بينك وبين الآخرين، فإن إنقاص حقوق الآخرين يُطلق عليه (تطفيف).

ومما يتفرع عن المجال الاقتصادي تعاطي الإنسان مع عمله الوظيفي، فقد يكون متسيّبًا في عمله، بينما يتعامل مع موظفيه بتشدّد، ويحاسبهم على الثانية، فهذا من مصاديق التطفيف، وهو كيلٌ بمكيالين، ومشمولٌ بالتهديد الإلهي.

ثانيًا: مجال العلاقات الاجتماعية، حيث يتوقع الإنسان من الآخرين أن يحترموه ويُقدروه، ويُراعوا مقامه وحقوقه، بينما هو في المقابل لا يؤدي للآخرين حقوقهم في هذه الجوانب.

وهذا يشمل مختلف العلاقات الاجتماعية سواءً مع الأسرة، أو الجيران، وسائر العلاقات مع الناس، فتجده يتأذّى من سماع كلمة خشنة تجاهه، لكنه إذا تحدث عن أحد فإنه يختار من الكلمات أسوأها وأخشنها، أو تجده يغضب إذا سمع أن فلانًا اغتابه، ولا يمنع نفسه من استغابة الآخرين، هذا تطفيف، وكيلٌ بمكيالين في العلاقات الاجتماعية.

ثالثًا: مجال التقويم والأحكام، حينما تحكم على فعل أو تصرف بمكيالين، حيث يُقوّم البعض الأمور التي ترتبط بهم تقويمًا عاليًا ويغضّون الطرف عن سلبياتها، بينما فيما يرتبط بالآخرين فإنهم يبخسون الناس حقوقهم، وهو خلاف الإنصاف الذي يدعو له القرآن الكريم ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[سورة الشعراء، الآية: ١٨٣]. وهذا لونٌ آخر من ألوان التطفيف.

البعض إذا حدث شيء من جهته فإنه يدافع عنه، ويدعو للإنصاف، وعدم تضخيم

الموضوع، لكن مثل ذلك التصرف لو صدر من جهة أخرى، فإنه هو الذي يأخذ الراية في التضخيم والتهويل.

وفي تجربة لقياس العدالة في التقويم والأحكام، اقتبس أحدهم مقطعًا من كتاب لكاتب معروف، ونسبه إلى عالم من العلماء ونشره عبر إحدى وسائل النشر، فاستقبله مؤيدو ذلك العالم بالثناء ووصفوا المقال بأنه من أروع ما كتب، وأنه يستحق الكتابة بماء الذهب.

ثم كشف الغطاء عن صاحب الكتابة الحقيقي، ولأصحاب ذلك العالم موقف مسبق منه، فأخذوا يشتمون الكاتب، ويصفون ما كتبه بالضعف والركاكة.

ومثله الذي يتناقض موقفه تجاه تكاليف الزواج عندما يزوج أبنائه أو بناته، فبعض الناس يفرضون على المتقدّم للزواج من بناتهم من الشروط ما يجعلهم يستغيثون، لكنهم في الوقت نفسه، إذا خطبوا لأبنائهم، فإنهم يستنكرون وجود شروط وطلبات عند أسرة الزوجة.

أو أنه يغفر لولده أن يسيء التعامل مع زوجته، بأن يشتمها، أو يجرح مشاعرها، بينما هو يرفض أن يخطئ زوج ابنته مع ابنته، بل لعله يقيم الدنيا ولا يقعدها بسبب اشتباه أو خطأ لعلّه غير مقصود، هناك يتكلم عن احترام الزوج، وهنا يتكلم عن حقوق المرأة، وأهمية احترامها.

ينبغي للإنسان أن تكون القيم والمعايير التي يُطبّقها على الآخرين، هي ذاتها التي يُطبّقها على نفسه، وإلا فهو يُمارس التطفيف، الذي يتوعّد الله تعالى أصحابه بالويل والهلاك والعذاب.

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَ لَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَ اسْتَقْبِحْ

مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَ ارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ»[١].

التطفيف في السياسة الدولية

وكما أن التطفيف يتحقّق على المستوى الفردي، فإن له مظاهر على المستوى الاجتماعي والدولي، فعلى المستوى الاجتماعي قد تجد جماعة يستنكرون على الآخرين حينما يتحدثون عنهم أو ضدّهم، بينما يُعطون لأنفسهم الحقّ في الحديث عن الآخرين وبيان نقاط ضعفهم، إذا كنت لا تقبل بأن يُطال رمزك بأي كلمة، فلماذا تسمح لجماعتك أن تتطاول على رموز الآخرين؟.. هذا أيضًا تطفيف.

وعلى المستوى الدولي، هناك مأساة كبرى تعيشها البشرية، حيث إن الدول الكبرى تكيل بمكيالين، فعندما تكون لها مصالح ومطامع في مكانٍ مّا، فإنها ترفع شعارات حقوق الإنسان، والالتزام بقرارات مجلس الأمن، والأمم المتحدة، والمواثيق الدولية، أما عندما تكون لها محاباة لجهةٍ أخرى فإنها تتغاضى عن كلّ ذلك.

وهذا ما نراه جليًّا من الفظائع والمآسي التي تحصل في غزة، من قصفٍ للمستشفيات، والمنازل، ومؤسسات تابعة للأمم المتحدة، وتستخدم قنابل فسفورية محرمة دوليًّا، وكلّ ذلك على مسمعٍ ومرأى من الدول المستكبرة، حيث لم يحصل في تاريخ البشرية فظاعات وجرائم بحجم هذه الجرائم والفظائع.

ومع ذلك كلّه، فلا عينٌ تطرف للإدارة الأمريكية ولا البريطانية، ويعتبرون أن إسرائيل تُدافع عن نفسها، وتقاوم الإرهاب، ويُصرّون على أن الحرب لا تقف إلا إذا رفع المظلومون راية الاستسلام.

أين صوت المؤسّسات الدولية والدول المستكبرة التي تتغنّى بالمواثيق الدولية، وشعارات حقوق الإنسان؟ لماذا تغضّ الطرف عمّا يجري في غزّة من فظاعات مؤلمة،

---

(١) نهج البلاغة. كتاب ٣١.

وكأن الضمير الإنساني قد مات في نفوس هؤلاء الحاكمين والمستكبرين؟.

وما يزيد الألم أن العرب قد أعانوا على أنفسهم بتخاذلهم، فتجد أن رؤساءهم لم يتفقوا حتى على عقد قمة للنظر في هذا الأمر (العدوان على غزّة)، وكأن هذه الدماء التي تسيل لا تستحقّ أن يجتمعوا من أجلها، ولا تستحقّ أن يتخذوا من أجلها قرارات حازمة.

والأسوأ من ذلك أن بعض الدول العربية لا تزال تحتضن سفارات إسرائيل، والعلم الإسرائيلي يرفرف في عواصمها، بينما دولٌ أخرى كفنزويلا تُبادر إلى قطع علاقاتها مع إسرائيل، وطرد السفير الصهيوني.

كيف تتوقع مِنْ أمة لا تحترم نفسها بأن يحترمها العالم؟

الناس الذين لا يعطفون على بعضهم بعضًا، كيف يستجدون الرقة والعطف من الآخرين؟

إن ما يبعث في النفس الأمل والاطمئنان هو الصمود والبسالة التي تتحلّى بها المقاومة الإسلامية في غزّة، وصمود الأهالي رغم ما يعيشونه من عذاب، ومن جحيم وتنكيل لم يعرف التاريخ له مثيلًا.

الوقاية من عذاب الله

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[سورة البقرة، الآية:١٧٥]

يعمل الإنسان جاهدًا في هذه الحياة أن يقي نفسه من العناء والآلام، وإذا أصيب بأيّ ألم في جسمه، فإنه يسارع للاستشفاء؛ لأن الألم يفقد الإنسان راحته، وسعادته، لذلك يسعى لإبعاد الألم عن جسمه.

الله سبحانه يذكر الإنسان بأن حياته لا تقتصر على هذه الدنيا، وأن هناك دارًا أخرى سينتقل إليها، وهي الأطول، فكما يهتم بأن يدفع الألم عن نفسه في هذه الدنيا، عليه أن يكون حريصًا وحذرًا ألا يقع في آلام الآخرة.

آلام الآخرة لا يقاس بها أيّ ألم يتعرّض له الإنسان في الدنيا؛ لأن آلام الدنيا يستطيع الإنسان أن يتلافاها، وأن يتقي بعضها، ويجد الدواء الذي يتشافى به، أو يبحث عن مختلف السبل للهرب منها، وهي آلام مؤقتة محدودة.

أما آلام الآخرة، وهي العذاب في نار جهنم ـ والعياذ بالله ـ فإنه ألم لا مجال للفرار منه، وإلى أين يفر الإنسان من نار جهنم إذا كتب الله عليه ذلك؟

وكيف يتعالج؟ أم كيف يتقي ذلك الآلم؟

لذلك من الأهمية بمكان أن يتذكّر الإنسان الآخرة، وما فيها من أهوال، وعذابات تنتظر العصاة.

كثير من الآيات القرآنية تحذّر الإنسان من ارتكاب المعاصي، والتساهل في مراعاة حقوق الناس، وأن ما ينتظر الإنسان من أهوال يوم القيامة تصفه الآيات الكريمة بما لا يستطيع الإنسان تصوّره؛ لأنه فوق الوصف، كقوله تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾.

لماذا هذا الوصف الفظيع؟ ذلك لكي يتجنب الإنسان أن يقع فيه، ولكي يحمي نفسه من أهواله وشدائده.

نحن مطالبون بمراعاة حقّ الله على العباد، وذلك بالطاعة والالتزام بأوامره ونواهيه سبحانه.

ومطالبون باحترام حقوق الآخرين، فالتفريط فيها يوقف الإنسان يوم القيامة للمساءلة والمجازاة والمحاسبة.

إن ظلم الناس في هذه الدنيا وإيقاع الألم بهم، هو من أهمّ الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الإنسان في أذى العذاب في الآخرة.

كثير من الناس تشغلهم الدنيا عن التفكير في الآخرة، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[سورة الروم، الآية:٧] فهم كالجنين الذي في بطن أمه لا يعلم ما يستقبله.

هل يدرك الجنين وهو في بطن أمه، ما هي معادلات الحياة التي تنتظره في هذه الدنيا؟ كذلك نحن لا ندرك ما يواجهنا يوم القيامة. لهذا فإن التصوير القرآني في جانبي النعيم والعذاب، جاء ليقرّب الصورة عمّا يحدث في الآخرة، وذلك بمقدار ما تستوعبه عقولنا.

الآية الكريمة كأنها تثير استفهامًا للتعجب ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، أيها الإنسان، هل لك صبر على حرّ النار؟ وهل تعلم ماذا يعني عذاب نار جهنم؟ حتى توطن نفسك على الصبر عليه؟

وما دام الإنسان لا يمتلك العلم والإدراك بما في ذلك العالم، فعليه أن يأخذ العلم من ربّ ذلك العالم وخالقه سبحانه وتعالى.

جهنم عذاب أبديّ

الله سبحانه وتعالى يحذّرنا بأن العذاب في نار جهنم عذاب أبديّ، فإذا أصيب الإنسان في هذه الدنيا بحرق فإن الإحساس بالألم يخفّ بعد أن يتيبّس موضع الاحتراق من الجلد، قد يتكيف الإنسان مع الألم في الدنيا لمحدودية موضعه ومدته، أما في الآخرة، فالألم يتجدّد، يقول تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[سورة النساء، الآية ٥٦] وهي دلالة على استمرار العذاب.

روي أن ابن أبي العوجاء سأل الإمام الصادق عليه السلام: ما تقول في هذه الآية ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، هَبْ هذه الجلود عصت فعُذّبت، فما بال الغيرية؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويحك! هي هي، وهي غيرها.

قال: أعقلني هذا القول. فقال له: أرأيت لو أن رجلًا عمد إلى لبنة فكسرها، ثم صبّ عليها الماء وجبلها (دَعَكها)، ثم ردّها إلى هيأتها الأولى، ألم تكن هي هي، وهي غيرها؟

فقال: بلى، أمتع الله بك[1].

فهذه جلودهم تتجدّد ليذوقوا العذاب الأليم، وفي آية أخرى يبيّن الله سبحانه صفة هذا العذاب: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[سورة الزخرف، الآيات: ٧٤-٧٦] إنه أبديّ لا يتوقف، والمعذّب فيه يصاب باليأس من تخفيف العذاب، وهذا نتاج ما قدمت أيديهم في هذه الدنيا، وحاشا لله أن يظلم عباده.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق، ص٥٨١.

وفي آية أخرى، يتمنى أهل النار الموت على ما يرونه من عذاب ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَاكِثُونَ﴾[سورة الزخرف، الآية: ٧٧]، إنهم من شدة العذاب، وأهوال جهنم، يبحثون عن الموت.

هل يعقل أن يسلّم الإنسان ذاته وجسمه الذي يرفّهه في الدنيا إلى نار الحريق من أجل شهوة عابرة؟ أو بسبب حقٍّ لأحد يسلبه منه؟ أو اعتداء بظلم على ضعيف ليس له معين؟ أومخالفة أوامر الله سبحانه؟

على الإنسان أن يفكّر في ذلك مليًّا، ولا يعيش في الغفلة، فكثير ممن يقع ضحية الإجرام والانحراف، إنما يكون ذلك بسبب الغفلة عن الآخرة، وعن عذابها المهول، والانشغال بالدنيا ولذاتها الزائلة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا أَ فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَ الْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ وَ الرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَجِيعَ حَجَرٍ وَ قَرِينَ شَيْطَانٍ أَ عَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِغَضَبِهِ وَ إِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ؟»[1].

على الإنسان كما يقي نفسه آلام الدنيا، أن يفكّر في آخرته وكيف يقي نفسه آلامها، وألا يجعل الدنيا شغله الذي يشغله عنها، فهو ضعيف عن بلاء الدنيا، فكيف له تحمل عذاب الآخرة.

ينبغي لنا أن نلجأ إلى الله، وأن نستغفره ونتوب إليه، لعلّنا ننجوا بأنفسنا من أهوال القيامة، ونحظى بلطف الله، ورحمته.

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٨٣.

الخطبة الأولى

منهج الأئمة في التغيير

جاء في رواية عن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا نعم الأخ أنت لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير، قد أعطاك الله عز وجل مثلما ما سألت له وأثنى عليك مثلما أثنيت عليه ولك الفضل عليه»[1].

محبة الآخرين والدعاء لهم

في الحضارة المادية الحديثة أصبحت هناك ثقافة تدعو إلى الأخلاق وفن التعامل مع الناس، لكنها في الغالب تركز في أطروحاتها على التعامل الظاهر بين الناس، كيف تقنع الآخر؟ كيف تستقطب الآخر؟ كيف تسوّق بضاعتك؟ غالبًا ما تركز على الآليات والأساليب الظاهرية في العلاقة بين الناس.

ولاشك أن هذا أمر جيّد؛ لأن حسن العلاقة بين الناس، وإتقان فنّ التعامل أمر طيب، لكن نجد في الدين تركيزًا على ما هو أعمق من التعامل الظاهري بين الناس، وهو زرع المحبة الحقيقية والاحترام في داخل النفوس والقلوب، قبل التعامل الظاهري.

ربما يكون سهلًا على الإنسان أن يظهر الودّ للآخرين، ويمتدحهم، ويثني عليهم،

---

(١) الكافي. ج٢، ص٥٠٨.

لكن هذا قد يكون حالة شكلية ظاهرية، وكل إنسان يجدها في نفسه، عندما تقف أمام إنسان، أنت مضطر للتعامل معه ومجاملته ولكنك في داخلك قد تلعنه..

وقد يتعوّد الإنسان على الكلمة الطيبة الحسنة مع كل الناس، وهذا أمر جيّد، لكن الدين يركّز على شيء أعمق، وهو أن تعيش في أعماق قلبك حبّ الآخرين واحترامهم، وهناك روايات كثيرة للدعاء للآخرين في ظهر الغيب، وتعني أن تطلب من الله سبحانه وتعالى الخير لشخص آخر وهو لا يعلم، وهذا هو الخلق الإيماني السليم الذي يجب أن يكون في نفس الإنسان تجاه الآخرين، يدعو لهم بالخير ويحب لهم الخير.

وهذه حالة راقية أن يكون الإنسان في حالة عبادته مع الله أن يخطر في باله إخوانه ويدعو لهم.

وهناك رواية عن علي بن إبراهيم، عن أبيه قال: رأيت عبد الله بن جندب في الموقف فلم أر موقفًا كان أحسن من موقفه، ما زال مادًّا يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض فلما صدر الناس، قلت له: يا أبا محمد، ما رأيت موقفًا قط أحسن من موقفك، قال: والله ما دعوت إلا لإخواني، وذلك أن أبا الحسن موسى عليه السلام أخبرني أن من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولك مائة ألف ضعف، فكرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحدة لا أدري تستجاب أم لا[1].

الإنسان الذي يذكر الناس بخير فإن الله والملائكة يذكرونه بخير، ويوفّق الله الآخرين ليذكروه بخير.

دور الإمام السجاد عليه السلام بعد واقعة كربلاء

مرت علينا بالأمس ذكرى وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام الذي عاش عمرًا فيه الكثير من الصعوبات، ومرت به أقسى حادثة، وأعظم مصيبة يمكن أن تمر بإنسان، وهي

(١) المصدر نفسه.

واقعة كربلاء، إذ عاصر أحداثها وعايش مراراتها، فها نحن بعد أربعة عشر قرنًا يعتصر الألم قلوبنا حينما نسمع عن تلكم الأحداث، فكيف بالإمام الذي عاش تلك الواقعة ورافق أحداثها.

حياته بعد واقعة كربلاء تُعَدُّ مثالًا للصبر والصمود، وتحمّل المسؤولية، في الظروف القاسية؛ لأن واقعة كربلاء صدمة للأمة والجماهير المسلمة، ذلك أنَّ أكثر النفوس دخلها الرعب والخوف من تلك السلطة التي لم يسلم منها الحسين عليه السلام، ولم تعمل حسابًا له ولأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، لقد كانت صدمةً أصابت الناس فأفرزت ثلاثة خطوط:

١. خط اتجه نحو الرهبنة والعبادة والابتعاد عن قضايا الأمة، ما دام الحكم بيد الأمويين، بما فيه من ظلم وفساد وانحراف، فنشأت حالات الرهبنة والتصوف والعزلة، فَابْتَعَدَ هذا الخط عن السياسة وأهل السياسة؛ لأن الحياة ملوثة فاسدة، والوضع منحرف، وقَرَّرَ أن يتجه للعبادة.

٢. الخط الآخر هو خط المواجهة والعنف. حيث نشأت بعض المجاميع والتوجهات، التي رأت أن هذا الاستبداد والظلم الأموي لا يجدي معه إلا السيف والمقاومة، فتفجرت ثورات عدة، كانت بدايتها ثورة التوابين، وثورة المدينة، ثم حركة المختار الثقفي، وبعدها عدد من الثورات المتلاحقة، منها ثورة زيد بن علي، وثورات الخوارج الذين كان توجّههم بهذا الاتجاه.

هذا خط يؤمن أن المواجهة ينبغي أن تكون بالعنف والسيف.

٣. خط أئمة أهل البيت وفي مقدمتهم الإمام زين العابدين، حيث كان متوقعًا أن يأخذ أحد هذين المنحيين، إما الاعتزال؛ لأنه عاش الفاجعة، ورأى بأم عينيه أحداثها، فكان يفترض أن تؤثر في نفسه فتدفعه إلى الانسحاب والانعزال، ولعلّ البعض من الناس يتصور أن الإمام قد سلك هذا الطريق، ويستدلّون

على ذلك بعدم وجود مواقف سياسية بارزة للإمام، وبصدور الأدعية الروحية الكثيرة عن الإمام، وهي قراءة سطحية لحياة الإمام بأنه ترك السياسة وانعزل، واتجه نحو الدعاء والعبادة.

والمنحى الآخر الذي كان متوقعًا من الإمام هو أن يتجه للانتقام من بني أمية، الذين قتلوا أباه، وقتلوا إخوته، وسبوا نسوته، وعاملوه بطريقة قاسية بشعة، فلماذا لا ينتصر لنفسه ولعرضه ولأهله؟ لماذا لا يطلب بثأره؟ هل كانت تنقصه الشجاعة؟ هل كان يخاف من الموت والقتل؟ وهو صاحب المقولة المشهورة التي تنقل عنه: (القتل لنا عادة وكرامتنا على الله الشهادة)، كما أننا نجد أن بعض أبنائه كزيد بن علي قام بالثورة، فهل كان موقف زيد البطولي بعيدًا عن التأثر بتربية أبيه وتوجيهه؟

كان المتوقع من الإمام زين العابدين أن ينتقم ويواجه، ويأخذ بحقه من بني أمية، لكن الإمام لم يسلك هذا الطريق، فلا هو انعزل وانسحب من الحياة، ولا هو حاول أن يأخذ بالثأر وينتقم لدماء أهل بيته، إنما سلك طريقًا آخر، هذا الطريق هو خط أئمة أهل البيت، وهم أصحاب رسالة، ولم يكونوا حزبًا يتحركون من أجل السلطة، إنما كانوا حملة رسالة، لذلك كانت المهمة الأولى التي يشعر بها ويقوم بها أئمة أهل البيت عليهم السلام هو تبليغ هذه الرسالة التي يحملونها، وتبليغ قيم الدين.

وثانيًا: فضح الاستبداد والانحراف، ونزع غطاء الشرعية عنه؛ لأن السلطة الأموية كانت تستعين بالإغواء والترهيب والترغيب، من أجل أن تقنع الناس بأنها تمثل الدين، وبأنها الأمر الواقع الذي لا يمكن تغييره وتجاوزه، لكن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا للأمويين ولسلطات الاستبداد من بعدهم بالمرصاد، حيث كانوا يفضحون الظلم ويعرّونه وينزعون الشرعية عنه.

الثالث: تربية الكفاءات والقيادات الرسالية الواعية والمجاميع الإيمانية، حيث كان الأئمة يربّون مجاميع من الناس على هدي الإسلام، وبسيرتهم الزاكية النقية، والإمام

زين العابدين سلك هذه الطريق، ونرى أن أدعيته في الصحيفة السجادية لم تكن تأخذ الإنسان عن ساحة الحياة، وتقذف به في كهوف الرهبنة والعزلة، إنما تدفع الإنسان للتفاعل مع الحياة، وتشرح له الطرق الصحيحة للقيام بواجباته، وكذلك سائر كلمات الإمام زين العابدين. فالإمام لم يعتزل، بل اتخذ الدعاء وسيلة لتعميق القيم، ولإيصال المفاهيم إلى الناس عبر منهج الدعاء، ولتربية الناس على تعاليم الإسلام وقيمه، وسيرته عليه السلام كانت بهذا الاتجاه، الأئمة كانوا يفرزون بين الثائرين، فالثائر المخلص الواعي يمتحدونه ويشيدون به، بينما الحركات والثورات الانتهازية المصلحية ما كانوا يعارضونها، ولا يؤيدونها، إنما يبينون الثغرات الموجودة فيها.

هذا نهج أهل البيت ونهج الإمام زين العابدين عليه السلام، بعدما عاش تلك الواقعة المؤلمة. ونحن نعيش ذكرى وفاة الإمام عليه السلام علينا أن نعود إلى تراثه الثري، وسيرته العطرة، أن نقرأها ونتأمل فيها، أن نستفيد منها وننشرها ونوصلها إلى أبناء الأمة، في الماضي كانت هناك بعض الصعوبات تحول بيننا وبين أن نوصل فكر أهل البيت للعالم، لكن تذلّلت الصعاب، وسائل الإعلام متوفرة، والفرص متاحة، يمكن نشر الكتب، ويمكن الاستفادة من القنوات الفضائية، ومن مختلف الوسائل، لكننا نشعر بالتقصير تجاه هذه المدرسة الثرية، كل واحد يجب أن يطالب نفسه أن ينشر تراث أهل البيت، ويجب أن نفكر في إيصاله إلى مساحة أوسع.

الخطبة الثانية

٧

انتخاب أوباما وتحدّي العنصرية

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: الآية ١١]

من أحداث هذا الأسبوع حدثان مهمّان:

انتهاء العدوان والصمود الفلسطيني

الأول: توقّف العدوان المدمر على إخواننا الفلسطينيين في غزّة.

هذا التوقف لم يكن ليحصل لو لا صمودهم وبسالتهم، وتعاون الأحرار معهم من مختلف أنحاء العالم.

أصبح واضحًا أمام العالم أن هناك إرادة صلبة داخل فلسطين، وأن هناك مقاومة لا بدّ من الاعتراف بها، ومن المؤسف جدًّا أن العرب والمسلمين لم يقرروا بعد الاعتراف بهذه المقاومة والقوة، ولا زالوا يتجاهلونها؛ لأن النظام السياسي العربي لا يريد أن يعترف بقوة لا تسير في فلكه، ولا تخضع لمعادلته، يريدون أن يعترفوا بسلطة فلسطينية تخضع لهم، أما مقاومة حقيقية تمثل الشعب، وإرادة المقاومة، لا تخضع لأوامر أمريكا وتهديدات إسرائيل لا يعترف حكام العرب بها؛ لأن ذلك يفرض عليهم مسؤوليات أمام شعوبهم والتاريخ. يهمهم المحافظة على مناصبهم، ويعتقدون أن رضا أمريكا وإسرائيل يضمن ويحمي لهم ذلك، وهم مخطئون.

خرجت المقاومة مرفوعة الرأس، لم تستسلم للأعداء، يريدون ابتزازها الآن بموضوع الإعمار، برصد مبالغ من المال، لا تعطى لهم إلا بشروط، لكن المقاومة لم ترفع الراية البيضاء، ولم تخضع لهذا الابتزاز المالي، سيغنيهم الله عن هذه المساعدات المشروطة، من أراد أن يساعدهم مع الاعتراف بحقّهم في المقاومة واتخاذ القرارات التي يرونها مناسبة لقضيتهم فقد كسب الخير، وأدى بعض ما عليه من الواجب.

سيغنيهم الله كما أغنى المقاومين في لبنان، فهم لم يخضعوا لهذا الابتزاز، وتحركوا بمساعدة المخلصين من الأمة، فقاموا بإعمار ما يريدون إعماره من مناطقهم المهدمة.

وكلنا ثقة وأمل في الله تعالى ألّا تضيع دماء الشهداء والمظلومين في فلسطين؛ لأن دماءهم سفكت بغير حقّ، دماء الأطفال والنساء والأبرياء والمقاومين الذين كانوا يدافعون عن حقوقهم المشروعة، إن شاء الله لن تضيع دماؤهم هدرًا.

الشعب الأمريكي يتجاوز العنصرية

الحدث الآخر: انتخاب رئيس جديد لأمريكا، وهو من الأقلية السوداء، بالرغم من أنها تعيش عنصرية من الأغلبية البيضاء. من ذوي الأصول الأوربية. هذا الرجل من أقلية الأقلية؛ لأن أباه ليس أمريكيًا، بل مجرد لاجئ لأمريكا من كينيا. ولكن العالم كله عاش مع الشعب الأمريكي لحظة وصول هذا الرجل إلى الرئاسة.

هل يعني هذا أن تغييرًا سيحدث في واقع البشرية باتجاه تجاوز التفرقة العنصرية الموجودة في بلدان عديدة، وبألوان مختلفة؟

بعض البلدان تعيش تفرقة عنصرية عرقية، وبعضها تعيش هناك تفرقة طائفية، جماعة من أبناء الوطن؛ لأن لهم مذهبًا آخر يعيشون تمييزًا طائفيًا يحرمون بسببه من المناصب والمواقع المهمّة في البلد، لا لأنهم تنقصهم الكفاءة بل لأنهم من مذهب معيّن، هذا لون من ألوان التفرقة والتمييز العنصري، والظلم الذي يهدم الأوطان والمستقبل.

لقد تجاوز الأمريكيون التفرقة العنصرية بمستوى متقدم، ذلك أن الشعب بغالبيته انتخب الرئيس أوباما ولم يكن ذلك بسبب انتمائه إلى السود، فهم يُعَدّون أقلية لو أعطت أصواتها جميعًا إلى الرئيس أوباما دون بقية البيض، ما وصل أوباما إلى هذا المنصب.

هذا يجب أن يكون رسالة لكل البلدان والأنظمة السياسية، أن تتجاوز حالات التفرقة.

متى كان الناس في العراق يتوقعون أن يكون رجل كردي رئيس الدولة في العراق؟ هذا لم يحصل إلا بعد أن مرّ على العراق دمار كبير، وبعد أن جاء الاحتلال الأمريكي، كان الأمل أن تحصل مثل هذه الأمور بشكل طبيعي في البلاد العربية والإسلامية.

ماذا يحدث لو أن كرديًا أصبح رئيسًا في بلد عربي إذا كان الأكراد جزءًا من ذلك البلد؟

ماذا يحدث لو أن شيعيًا أصبح رئيسًا أو ذا منصب كبير في دولة من دول الخليج ما دام هو جزء من البلد؟

المانع هو التمييز الطائفي، والتفرقة العنصرية، التي تعيشها هذه المجتمعات.

العنصرية في المجتمعات العربية

هذه التفرقة لها بعدان:

البعد الأول: سياسي، لوجود أنظمة تكرسها.

والآخر: اجتماعي؛ لأن هناك ثقافة بين الناس تربيهم على هذا النمط.

مع الأسف، نرى آثار هذه الثقافة في بلادنا التي من المفترض أن تكون أنموذجًا للإسلام ولثقافته التي ترفض التفرقة بين الناس، على أساس أن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا أبيض على أسود، إلا بالتقوى، لكن هناك ثقافة تعبئة طائفية بغيضة، حتى إن مجرد التواصل بين الناس يثير ضجّة، ورأينا أيام

عاشوراء، حين جاءتنا بعض الشخصيات من الرجال والنساء من جدة والرياض، وزاروا منطقتنا، وحضروا مراسم عاشوراء، حتى يروا مدى صدق تلك الدعايات والإشاعات التي تثار على هذا المجتمع، صارت عليهم ضجة كبيرة على مواقع الإنترنت، وبين الأوساط المختلفة. لأنهم ذهبوا إلى جزء من الوطن، واجتمعوا مع ناس من أبناء شعبهم ووطنهم ودينهم، لماذا هذه الثقافة العنصرية، ونشر الكراهة والبغضاء بين أبناء البلد الواحد والشعب الواحد؟

وقبل شهور أحد العلماء يصدر فتوى بحرمة بيع الأراضي للشيعة في بعض المناطق. هل هذا أمر منطقي وينسجم مع تعاليم الإسلام؟ ومع ما وصلت إليه الإنسانية اليوم؟ ونحن نرى ما وصلت إليه أمريكا ألا نخجل من أنفسنا؟

التغلب على هذا الأمر يحتاج إلى إجراءات من الجانب السياسي والاجتماعي، فالأمريكيون لم يتغلبوا على العنصرية بين عشية وضحاها، كانت مسيرة نضال وتراكمات من كل الأطراف، إلى أن وصلوا إلى هذه النتيجة، ونأمل أن تسير شعوبنا ومجتمعاتنا في هذا الطريق، ويأتي يوم نتخلص فيه من هذه التفرقة والتمييز، بحيث يعيش الناس في أوطانهم وبلدانهم، يشعرون بالكرامة والمساواة، وتكون الكفاءة والعطاء للوطن هي المقياس، وليس الانتماء لهذا المذهب، أو تلك القبيلة، أو تلك المنطقة.

هذا ما نأمل أن يتحقّق إن شاء الله، ويحتاج إلى أن يتعاون الجميع، ويبذل الجميع جهودهم في هذا الطريق، وبالرجوع إلى تعاليم ديننا التي تنهى عن الظلم وتحرمه، وتمنع الحيف على الناس، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ سواء كان من دينك أو من مذهبك أو من غيره، والإسلام يدعو إلى الوحدة، نرجو أن تعود مجتمعاتنا وحكامنا إلى تعاليم الإسلام، ونتمسك بها لنثبت للعالم أننا نملك أفضل دين، وإلا فمن حقهم أن يفتخروا علينا بحضارتهم؛ لأن حضارتهم تحقق من القيم الإنسانية ما لا نحققه نحن في واقعنا، علينا أن نثبت بواقعنا وحياتنا وسلوكنا أحقية وكمال ديننا.



الخطبة الأولى

البشاشة رسالة حبّ وتقدير

قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر»[1].

الإنسان يستقبل الناس بوجهه، فهم لا يرون قلبه، ولا يعلمون ما بداخله، إنما يتعرفون إلى الإنسان من خلال قسمات وتعابير وجهه، التي يستقبلهم بها.

لذا فإن النصوص الدينية تؤكد على ضرورة أن يتحلى الإنسان بصفة البشر، وطلاقة الوجه؛ لأن وجه الإنسان هو المرآة التي تعكس مشاعره وأحاسيسه الداخلية، فكيف هي الصورة التي تُريد أن ترتسم عنك في نفوس الناس؟ بإمكانك تحقيقها من خلال ملامح وجهك حين تلقاهم. وحتى لو نطق الإنسان بكلمات الودّ، وكانت تعابير وجهه مخالفة لما يقول، فإن الناس لن يستقبلوا تلك الكلمات برحابة صدر.

إن البعض قد لا يُعير لهذا الجانب أهمية كبيرة، ولا يستفيد من هذه الخصلة للنفوذ إلى قلوب الناس، بل إن بعضًا من الناس يُقابل الآخرين بوجهٍ عابس مكفهر، ليكشف لمن يُقابلهم عن وجود مشكلة نفسية يعيشها، أو أنه لا يحمل مشاعر الودّ والمحبة للآخرين.

لكن الإنسان الواعي، والعاقل المؤمن، الذي يأخذ تعاليم الدين باهتمام، يُدرك أهمية هذا الجانب، فتراه يحرص على أن تكون مقابلته للناس بوجهٍ طلقٍ مبتسم، لكي

---

(١) الكافي. ج٢، ص١٠٣.

يُعطي انطباعًا إيجابيًّا عن نفسه، ويمتلك قلوب الآخرين باستفادته من هذه الخصلة المهمة.

من ناحيةٍ أخرى، فإن الإنسان عندما يُقابل الناس بوجهٍ طَلِقٍ، فإنه لا يبذل جهدًا، بل إنه يبعث في نفسه الراحة، وفي الوقت نفسه يكسب مودة الآخرين، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا بني عبد المطلب، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحُسن البشر».

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «البشاشة فخُّ المودة»[١]، وقال عليه السلام: «البشر إسداء الصنيعة بغير مؤنة»[٢]، والصنيعة تعني: المعروف، فتارة يقدّم الإنسان المعروف للآخرين بالمال أو الجاه، وتارةً أخرى يكون ذلك من خلال استقبالهم بالبشر، وهذا الجانب لا يحتاج من الإنسان مؤونة.

ويُعطي رسول الله ﷺ معنى آخر حين يقول: «تبسّمك في وجه أخيك صدقة»[٣].

إن الابتسامة بحدّ ذاتها مريحة للإنسان؛ لأنها تبعث مشاعر إيجابية في أعماق النفس، وإن كانت مصطنعة.

ولا يعني هذا أن حياة الإنسان تخلو من الأحزان والآلام، إلا أن النصوص تُربّي الإنسان المؤمن على أن ينطويَ على حزنه في داخل قلبه، يقول الإمام علي عليه السلام: «إن بشر المؤمن في وجهه، وقوّته في دينه، وحزنه في قلبه»[٤].

البشاشة كرم وعطاء

البشاشة تدلّ على كرم الإنسان، والعبوس إنما يُعبّر عن تأصّل حالة البخل في

---

(١) تحف العقول، ص٢٠٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٣) كنز العمال. ج٦، ص٤١٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.

نفسه، يقول الإمام علي ﷺ: «بشرك يدلّ على كرم نفسك»(١). وعن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «أتى رسول الله ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله، أوصني. فكان فيما أوصاه أن قال ﷺ: إلقَ أخاك بوجهٍ منبسط»(٢)، وعنه ﷺ: «إن الله يُبغض المعبّس في وجه إخوانه»(٣). وعن الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال: «ثلاثٌ من أتى الله بواحدةٍ منهنّ أوجب الله له الجنة: الإنفاق من إقتار، والبشر لجميع العالم، والإنصاف من نفسه»(٤).

وكما ينبغي للإنسان أن يقابل الناس بوجهٍ منبسط، فإن المحيط القريب منه: أسرته، وأقرباؤه، وجيرانه، وزملاؤه، هم الأولى بأن يلقاهم بطلاقة الوجه، وبحُسن البشر، وعلى الإنسان أن يجعل ذلك عادةً له، فالخير عادة والشر عادة. وذلك يشقّ له طريق النجاح في الحياة؛ لأنه بحاجة لأن تكون علاقته مع الآخرين علاقة إيجابية.

كما أن استقبال الناس بالبشر قد يزيح عنهم آلامًا في نفوسهم، وأحزانًا في قلوبهم.

وحين يكون الإنسان في موقع حاجة الآخرين كالموظف، الذي يتقاضى راتبًا للقيام بعمله، عليه أن يحسن استقبال المراجعين، لكن البعض من الموظفين يتعامل مع الناس بتعالٍ، وكأنه يُحسن إليهم ويتفضّل عليهم، وبعضهم يسعى لإرهاب مُراجعيه، وهذا يدلّ على لؤمٍ في النفس؛ لأن كريم النفس يتسامى عن مثل هذه الأساليب القبيحة. ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة، فهو مع مكانته وعظمته، كان أكثر الناس تبسّمًا في وجوه أصحابه، يُكرم كلّ مقبلٍ عليه، وإن كان غير مسلم، وكان يلتفت إلى أصحابه حين يأتي بعض زعماء القبائل والعشائر، ويقول لهم: «إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرموه»(٥).

وعلى المدرسين أن يأخذوا هذه الصفة منهجًا في أداء وظيفتهم التعليمية،

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٢) الكافي. ج٢، ص١٠٣.
(٣) مستدرك الوسائل، ج٨، ص٣١٢.
(٤) الكافي. ج٢، ص١٠٣.
(٥) كنز العمال. ج٩، ص١٥٣.

فيستقبلون طلابهم بطلاقة وجه، وهكذا في مختلف المواقع والمجالات.

وفوق كل تلك المكاسب، فإن البشاشة، وطلاقة الوجه، وحسن البشر مع الناس من موجبات الثواب، وعلى الإنسان أن يستزيد من ثواب الله تعالى عبر مختلف السبل والوسائل.

لا لليأس والقنوط

﴿لا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾[سورة فصلت، الآية:٤٩]

يتمنّى الإنسان أن تكون حياته قطعة من السرور والنجاح، وألا تواجهه العراقيل والصعوبات، لكن هذه أمنية وهمية زائفة، فطبيعة الحياة منطوية على وجود المشاكل والتحديات، وذلك من حكمة الله تعالى، وهي اختبار الإنسان في هذه الحياة، لصقل شخصيته، وإظهار ما في داخله من كفاءات وقدرات، وليكتشف قوته وطاقته ومؤهلاته التي منحه الله تعالى إيّاها.

لذا على الإنسان حين يواجه الصعوبات والمشاكل، أن يعرف أن ذلك من طبيعة الحياة، وعليه أن يتحدّى هذه الصعوبات لينجح في الامتحان.

البعض من الناس بسبب الغفلة وعدم الوعي، تسودّ الدنيا في عيونهم حين يواجهون صعوبة ما. وحين يتّجه الإنسان إلى عقله، ويُفكّر تفكيرًا سليمًا، فإنه سيدرك أن هذه التحديات من أجل أن تُظهر إنسانيته، وما يختزنه من كفاءات وقدرات. وعليه أن يوجّه لذاته نداءً صارخًا، بألا يسمح للهزيمة واليأس أن يدخلا إلى أعماق نفسه، لأن ذلك هو غاية الشيطان، بينما يُريد الله سبحانه للإنسان أن ينفتح على آفاق الأمل، وفضاءات الرجاء، وأن يتحلى بالتفاؤل، مهما كانت العقبات والصعوبات. فالإنسان أكبر من المشاكل التي تواجهه، وأعظم من التحدّيات التي تقف في وجهه، ولتحقيق

ذلك على الإنسان أن يعرف نفسه، وهنا تكمن المشكلة فإنه غالبًا ما يجهل نفسه، لذا ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من عرف نفسه فقد عرف ربّه)[١].

والقرآن الكريم يُشير إلى هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾، فمن طبيعة الإنسان أنه يتمنى لنفسه الخير دائمًا، وألا يرى مكروهًا في حياته أبدًا، ورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: (الراحة لم تخلق في الدنيا ولا لأهل الدنيا إنما خلقت الراحة في الجنة لأهل الجنة)[٢].

فعلى الإنسان ألا يسمح لثقافة اليأس والإحباط أن تُسيطر على نفسه وأجوائه؛ لأن ثقافة اليأس والقنوط تمنع الإنسان من أن يتوجّه إلى ذاته، لتفجير طاقاته وكفاءاته. وذلك حين يرى أن لا مجال لمعالجة التحدّيات التي يواجهها، بينما المعالجة موجودة، وكلّ ما يحتاج إليه هو التفكير والسعي، لكن اليأس والإحباط يمنع الإنسان من التفكير، كما يمنعه من السعي. والقرآن الكريم يؤكد أن اليأس ضربٌ من ضروب الكفر، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. فمن يؤمن بالله الرؤوف، الرحيم، القدير، فإن اليأس لا يُسيطر على قلبه أبدًا.

ومن يقدمون على الانتحار، أو يُصابون بالعقد النفسية، إنما ذلك لسيطرة اليأس والقنوط على نفوسهم. وكذلك من يعيشون الضعف والهوان؛ لأنهم فقدوا ثقتهم بأنفسهم على مواجهة الظروف التي يعيشونها. وهذا الواقع ترفضه التعاليم الدينية للإنسان المؤمن، وخصوصًا تلك الأجواء السلبية التي تبعث على السأم واليأس، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يبعث الله المقنطين يوم القيامة مغلبة وجوههم، يعني غلبة السواد على البياض، فيقال لهم: هؤلاء: المقنطون من رحمة الله)[٣].

---

(١) ابن أبي جمهور الأحسائي. عوالي اللئالي، ج ٤، ص١٠٢.
(٢) الخصال للشيخ الصدوق، ص٦٤.
(٣) بحار الأنوار. ج٢، ص٥٥.

نشر ثقافة الأمل

وينبغي للمجتمع أن يأخذ الحذر والحيطة من أن تنتشر ثقافة اليأس والقنوط في جيل الشباب، لأن الشاب يعيش بالأمل والتطلّع، وإشعاره بالإحباط يجعل الأبواب مؤصدة أمامه، وقسم كبير من المشاكل التي تواجه الشباب اليوم إنما هي نتيجة لحالة الإحباط.

علينا أن نحمل رسالة الأمل للناس، فحين نرى إنسانًا يواجه تحدّيًا كبيرًا، أو مرضًا عصيبًا، فإنه يتوجّب علينا أن نرفده بالأمل؛ لأن القنوط يُهلك الإنسان، يقول الإمام علي ﵇: (قتل القنوط صاحبه)[١]. وعلى العكس من ذلك فإن الأمل يبعث على النجاح، يقول الإمام علي ﵇: (تفأل بالخير تنجح)[٢].

والتفاؤل والأمل لا يعني الخمول والكسل، وإنما يعني الدافعية للعمل، والسعي من أجل النجاح.

والله تعالى إنما خلقنا في هذه الحياة ليرحمنا، يقول تعالى: ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، أما الصعوبات والتحدّيات فهي تصقل شخصية الإنسان، وتُظهر الطاقات والكفاءات الكامنة في نفسه، وبمجرد تجاوز هذه العقبات يجد الإنسان نفسه أمام تساؤل خطير، وهو: كيف تجاوزت هذه المِحن وقد كنت حينها أقترب من اليأس؟

وأخيرًا، فإن التحدّيات قد تفتح طريق الخير والسعادة للإنسان، لذا فإننا نجد أولياء الله حين نزول البلاء يزداد تفاؤلهم، وهذا سيد الشهداء الحسين بن علي ﵇، وعند أحلك اللحظات يُناجي الله تعالى قائلًا: (رضًا بقضاك، لا معبود سواك)، هكذا هي قلوب المؤمنين الصالحين تكون عامرةً بالثقة بالله، والأمل في رحمته.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.



الخطبة الأولى

صلة الرحم فوق الاختلافات الدينية

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[سورة النساء، الآية:١]

القرآن الكريم وضع صلة الرحم في رتبة تقوى الله، فكما أن الإنسان ملزم بتقوى الله التي فيها نجاته في الدنيا والآخرة، كذلك هو ملزم بصلة الرحم؛ لما لها من انعكاسات في الدنيا والآخرة، بل هي تجسيد ومظهر لتقوى الله سبحانه، يقول الإمام الصادق في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ هي أرحام الناس، إن الله عزّ وجلّ أمر بصلتها وعظمها، ألا ترى أنه جعلها منه[1].

صلة الرحم تواصل دائم

والمتتبع للآيات والروايات التي تحثّ على صلة الأرحام يجدها تتحدّث عن عناوين ثلاثة:

١. الحثّ على صلة الرحم والتواصل مع الأقرباء، كقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[سورة النساء، الآية: ٦٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾[سورة الرعد، الآية:١٢].

٢. وهناك أحاديث وروايات تحذّر من قطع الرحم، حتى ولو كان بينك وبينه

(١) الكافي. ج٢، ص١٥٠.

اختلاف في الدين أو المذهب أو التوجه، عن أبي حمزة الثمالي أن أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام قال: «أعوذ بالله من الذنوب التي تعجّل الفناء، فقام إليه عبد الله بن الكواء اليشكري، فقال: يا أمير المؤمنين!.. أوَ يكون ذنوبٌ تعجّل الفناء؟.. فقال: نعم، ويلك، قطيعة الرحم، إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله، وإن أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضًا فيحرمهم الله وهم أتقياء»[1]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أقبح المعاصي قطيعة الرحم والعقوق»[2].

ودليل على أن الرحم لا يقطعه شيء، قول الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أبو بصير عن الرجل يصرم ذوي قرابته ممن لا يعرف الحقّ؟ قال: لا ينبغي له أن يصرمه[3].

ويروي صفوان عن الجهم بن حميد قال: قلت لأبي عبد الله: «تكون لي القرابة على غير أمري، ألهم عليَّ حقّ؟ قال: نعم، حقّ الرحم لا يقطعه شيء وإذا كانوا على أمرك كان لهم حقّان: حقّ الرحم وحقّ الإسلام»[4].

ونرى البعض يجعل من قطيعة الآخر له عذرًا في القطيعة، لكن النصوص ترفض ذلك وتحثّ على الصلة حتى مع القاطعين، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقطع رحمك وإن قطعتك»[5].

وصلة الرحم ليست مطلوبة فقط مع من هم بالقرب من الإنسان، بل حتى مع من بعد مكانه، جاء عن رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله: «سِرْ سنة صِلْ رحمك»[6]، وعنه صلى الله عليه وآله: «أوصي

(١) الكافي. ج٢، ص٣٤٨.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٣) الكافي. ج٢، ص٣٤٤.
(٤) الكافي. ج٢، ص ١٥٧.
(٥) الكافي. ج٢، ص ٣٤٧.
(٦) بحار الأنوار. ج٧١، ص٢١.

الشاهد من أمتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإن ذلك من الدين»[١].

٣. وهناك روايات دالة على آثار صلة الرحم، ومنها قول رسول الله ﷺ: «اتقوا الله وصلوا الأرحام فإنه أبقى لكم في الدنيا وخير لكم في الآخرة»[٢]. وعنه ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر»[٣]، وعنه ﷺ أيضًا: «أعجل الخير ثوابًا صلة الرحم»[٤].

كيف نتواصل؟

ولعلّ سائلًا يسأل عن الطريقة المثلى للتواصل مع الأقرباء في عصر تعدّدت فيه انشغالات الإنسان؟

إننا ندرك مدى انشغال إنسان هذا العصر، لكن هذا ليس مبرّرًا للابتعاد عن الأهل والأقرباء، بل هناك من الوسائل المعاصرة ما يساعد الإنسان على هذه المهمة العظيمة، فالمطلوب من الإنسان تجاه أرحامه في البداية التواصل العاطفي، وتبادل المشاعر الطيبة، وهذا مصداق قوله ﷺ: «صلوا أرحامكم ولو بالسلام»[٥]، وهذا قد يكون برسالة جوال، أو رسالة بريد إلكتروني، ترسلها بمناسبة من المناسبات مما يمثل الحدّ الأدنى من التواصل، الذي لا ينبغي الاكتفاء به، حين تسمح الظروف للإنسان بمستوى أعلى من التواصل مع أرحامه.

---

(١) الكافي. ج٢، ص١٥١.
(٢) كنز العمال. ج٣، ص٣٥٦.
(٣) بحار الأنوار. ج٧١، ص١٠٣.
(٤) كنز العمال. ج٣، ص٣٦٣.
(٥) تحف العقول. ص٥٧.

التركيز على صلة الرحم

هناك أمران مهمّان قد نستظهرهما من هذا الكمّ الكبير من الأحاديث والروايات الحاثّة على صلة الرحم، توضح سبب هذا التركيز:

الأول: مؤشر الإنسانية، فالإنسان الذي يصل رحمه، يتجاوز مسألة الأنانية والاهتمام بالذات، بينما الذي يقاطعهم لا ننتظر منه أن يحسن للآخرين الأبعدين، وهذا ما أثبتته التجارب والأبحاث التربوية، حيث أثبتت أن الإنسان السّوي الذي يعيش في جوٍّ من الألفة، تسوده علاقات جيدة وتواصل، تنشأ لديه مشاعر مفعمة بالإنسانية، وبالعكس نجد أن الإنسان الذي يعيش القطيعة مع أرحامه، يعاني من العقد والبغضاء، وهو مؤهل للعدوانية.

الثاني: امتصاص حالات الاحتكاك، فالإنسان إنما يبتعد عن الآخرين لوجود حساسيات بينه وبينهم؛ ولأن الأرحام هم أقرب الناس لبعضهم، لهذا قد تكون الاحتكاكات والحساسيات أكثر تكرارًا، وهي مدعاة للقطيعة، والإنسان الذي يمتصّ هذه الحساسيات، ويتغلّب عليها، مع أهله وأقربائه، يتغلب عليها عندما تحدث مع الآخرين.

برامج لصلة الرحم

كما أن علينا أن نمارس أساليب حديثة لتطوير صلة الرحم، لتكون مناسبة لعصرنا، وعدم الاكتفاء بالمناسبات، كالأفراح والأتراح للتواصل، بل لا بُدّ من خلق فرص منتظمة للتواصل واللقاء.

مثل أن يكون لكلّ أسرة مجلس عبره يتواصل أفرادها، ويتعرفون مشاكلهم، ويسعون لحلها، عبر لجان منتخبة، وهذه تجربة بدأت في بعض المناطق، فنجحت نجاحًا باهرًا، لذا على المهتمين بصلة أرحامهم أن يطبقوا هذه التجربة، لتكون عونهم في الدنيا والآخرة.

بناء القوة لمواجهة العدوان

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[سورة الأنفال، الآية:٦٠]

لأن في البشر من ينزع للشر، وتمتلكه إرادة العدوان، لذلك لا بُدّ وأن يواجه بالردع، أما إذا ترك له المجال فإنه سيستمرّ في غيّه وعدوانه، وستتسع دائرة ظلمه، ورقعة ممارسته للشرّ، لذلك فإن الله سبحانه فطر الإنسان، بل كلّ المخلوقات الحيّة، على مواجهة الخطر، وحفظ الذات، فلكلّ كائن حيّ وسائله التي يدافع بها عن ذاته، ومنح الله الإنسان عقلًا يفكر به، لحفظ ذاته كفرد، وكمجتمع وأمة، كما منحه الله سبحانه إرادة نفسية، يستطيع أن يصمد بها أمام العدوان.

بل إن الله سبحانه أنزل الشرائع التي تجيز للإنسان أن يدافع عن نفسه، وقد تفرض عليه ذلك، فالمعتدي لا بُدّ من الردِّ عليه، وذلك مفاد قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[سورة البقرة، الآية:١٩٤]؛ لأن ترك المعتدين دون عقاب ينشر الفساد في الأرض، يقول تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾.

العدو يسعى لهزيمتنا نفسيًّا

العدو يسعى للهجوم على الأمة وعلى المقاومين بالخصوص، وذلك لأمرين:

الأول: سلب إرادة المواجهة والمقاومة ممن يعتدي عليهم، وذلك بهزيمتهم نفسيًّا، وإقناعهم بأن المواجهة ليست في مصلحتهم، وأنها ستكلّفهم الكثير، لذا فالأفضل لهم الاستسلام، وللأسف الشديد، بعض العرب صدّق هذه الأكذوبة، ووضع يده في يد العدو الإسرائيلي، لكنه لم يأخذ منه إلا ما يأخذه الهواء من الحجارة الملساء.

إن العرب الذين راهنوا على السلام أصابتهم خيبة الأمل، فالعدو لا يريد السلام، بل يريد من الأمة أن تركع وتستسلم، ليكون هو المتفرد في الهيمنة على هذه المنطقة.

الثاني: منع الوصول إلى امتلاك القوة: وهذا ما رأيناه يُمارس بكلّ وقاحة من قبل الصهاينة، ومن خلفهم القوى الظالمة المتكبرة، فهم يمنعون المسلمين من امتلاك القوة، وينشرون أن إسرائيل قوة لا تقهر.

لذا على المؤمنين أن يمتلكوا الثقة في ربّهم أولًا، وفي أنفسهم ثانيًا، ثم يسعون لامتلاك القوة والأدوات التي تمكنهم من مواجهة العدو.

إعداد القوة

يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾ والإعداد للقوة في الآية الكريمة لم يؤطّر بإطار، بل هو مفتوح، أعدِّوا كلّ ما تتمكنون من إعداده، والقوة هنا ليست محصورة بشيء معين، بل هي شاملة لكلّ ما يمكن إعداده، من قوة اقتصادية وسياسية وثقافية وتكنولوجيا، وإرهاب العدّو ليس بانتظار أن يهجم ثم يواجه، بل بما يعرف اليوم بقوة الردع، فالمؤمنون مطالبون كما هو صريح الآية الكريمة، أن يبنوا قوتهم، لتكون رادعًا للعدو أن يفكِّر في الهجوم عليهم.

إن امتلاك فئة قليلة من المقاومين في لبنان، أو في غزّة، القوة النفسية للوقوف أمام

هذه الغطرسة، وامتلاك السلاح للدفاع ضدّ العدوان الإسرائيلي يأتي في قمة الانتصار، وإن اعتبره البعض جريمة، تقوم الدنيا له ولا تقعد، وتعقد من أجله المؤتمرات والاتفاقيات.

إنهم يحاصرون المقاومين، فيمنعون عنهم الغذاء والدواء، ثم يدكونهم بالصواريخ والقنابل صبح مساء، كلّ ذلك من أجل إركاعهم، لكنهم يثبتون في وجه هذه الحملة الشعواء البربرية، ولسان حالهم يقول: إسرائيل نمر من ورق، ولم تعد قوة لا تقهر، ففئة مؤمنة استطاعت تحطيم هذا الغول، الذي صنعته الأمة في ذهنها، حيث استطاع الإعلام العالمي أن يصنع كذبة صدّقها البعض: إن إسرائيل القوة التي لا تقهر، لكن ثبات وقوة إيمان المقاومة أفشلت هذه الكذبة، وأثبتت أن ثقافة الهزيمة والاستسلام لا محلّ لها في الأمة اليوم.

إن اهتمام المقاومة في لبنان وفلسطين، بتطوير قدراتها العسكرية، رغم الحصار المفروض عليها، لشيء يثلج الصدر، ويرفع الرأس، ويستحق الإشادة، كما نشيد بالإنجاز الجديد الذي حققته الجمهورية الإسلامية بإطلاقها قمرًا صناعيًّا، وما الضجّة المثارة حول ذلك، إلا دليل على قلق إسرائيل والقوى الاستكبارية، من امتلاك المواجهين لأطماعهم أيّ مستوى من القوة.

إن من أسباب انتصار الرسول ﷺ والمسلمين الأوائل، هو امتلاكهم للمعنويات الرفيعة، رغم قلة العدد، يقول تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[سورة البقرة، الآية:٢٤٩].

ثقافة الخنوع

ومؤسف ما يبثّه بعض الكتّاب العرب من ثقافة تغذّي الخنوع، وتزرع في نفوس الناس اليأس من المقاومة، بحجة أن المقاومة سببت قتلًا ودمارًا في لبنان وغزّة، وهل تكون المقاومة بدون دفع ثمن؟

وهل تريدون أن تبقى الأمة راكعة أمام الاستعلاء الإسرائيلي إلى الأبد؟ لا بُدّ للأمة أن تقاوم، وإلا ستبقى إسرائيل في هذا الموقع العدواني، وستبقى أمتنا في موقع الخنوع والاستلام.

إن ما يجري اليوم هو صراع بين ثقافة الهزيمة والاستسلام، وثقافة الإيمان والتوكّل على الله سبحانه وتعالى، ثقافة المواجهة والمقاومة والانتصار، وإننا واثقون من نصر الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين.

الخطبة الأولى

الإمام الرضا في مواجهة الغلو وتحريف السنة

عن إبراهيم ابن أبي محمود أن الإمام الرضا عليه السلام قال له ضمن حديث طويل: «إن مخالفينا وضعوا أخبارًا في فضائلنا، وجعلوها على ثلاثة أقسام، أحدها: الغلوّ، وثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا. فإذا سمع الناس الغلوّ، كفّروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعو التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم، ثلبونا بأسمائنا. وقد قال الله عزّ وجل: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}. يا ابن أبي محمود، إذا أخذ الناس يمينًا وشمالًا، فالزم طريقتنا. فإن من لزمَنا لزِمْناه، ومن فارقَنا فارقْناه»[1].

ظاهرة الوضع في الحديث

تمثّل الرواية أعلاه إحدى الوصايا والإرشادات التي يوجّه فيها أئمة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم نحو التعامل الصحيح مع التراث الإسلامي. ذلك أن الأحاديث والروايات الواردة عنهم عليهم السلام، يتّجه قسم منها نحو تصحيح الأفكار والمفاهيم، ونشر الوعي القائم على أساسٍ من القيم والمبادئ الإسلامية، فيما يتجه قسم آخر نحو مسائل

(١) عيون أخبار الرضا. ج٢، ص٢٧٢.

الفقه العبادية والمعاملاتية، كما لا تغفل الكثير من الأحاديث التوجيهات الروحية والمعنوية، وتعميق العلاقة الإنسانية مع الخالق جلّ وعلا، وتصفية النفس من شوائب الأهواء واتباع خطوات شياطين الجنّ والإنس.

ولا نعدم أن نجد اهتمامًا ملحوظًا بالأحاديث والروايات ذات العلاقة بالمسائل الفقهية، من قبل العلماء والفقهاء، الذين يصرفون جهدًا كبيرًا في تمحيصها وتنقيحها، وصولًا إلى قبولها أو ردّها معنًى أو سندًا؛ وذلك من أجل استنباط الأحكام الشرعية من نصوصها الصحيحة والمعتبرة. وهي جهود تساهم في تنمية وتطوير الفقه، كما تساعد على تلبية التشريع الإسلامي بمتطلّبات كلّ عصر.

لكنّ نصوص السنة الشريفة لا تنحصر في المادّة الفقهية، حيث تتوجه نسبة كبيرة منها نحو معالجة المسائل العقائدية، من خلال بيان الفاسد والصحيح، من تلكم الأفكار المطروحة في السّاحة في حينه. كما أن دور الأئمة ﷺ يشمل العديد من الجوانب التربوية والتوجيهية. ومع ثقل هذه التركة الحديثية، هناك الكثير ممن تلاعب بهذه النصوص، فدسّ فيها ما ليس منها، وبتر وحذف الكثير من الأحاديث الأخرى، ولم تكن هذه الظاهرة في وقتٍ متأخّر، وإنما حدث ذلك وقتَ صدور النص الشرعي، كما هو مفاد الرواية، إذ ظهر الوضّاعون والمندسون المخرّبون في المجتمع الإسلامي مبكرًا.

بل تحدّث رسول الله ﷺ محذّرًا من الافتراء والكذب عليه، حيث روت الأحاديث عنه قوله ﷺ: (أيها الناس قد كثرت عليَّ الكذابة فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار)[1].

وعلاجًا لهذه المشكلة، تُبذل جهود كبيرة في تمحيص وتنقية الأحاديث والروايات، لفرز الصحيحة منها والموضوعة والضعيفة. ولكنّ ما يؤخذ على هذه الجهود أنها

---

(١) الكافي. ج ١، ص٦٢

تتركّز على ما يعرف بروايات الأحكام. وهي جهود كبيرة جدًّا ومقدّرة، إذ حفظت الفقه الإسلامي ـ بنسبة كبيرة ـ من دخول النصوص غير المعتبرة، وهو ما يمثّل جانبًا مشرقًا في تاريخ التشريع الإسلامي.

إن بقاء الروايات والأحاديث الأخرى مبثوثة في الكتب والمصادر، يأخذ منها المسلمون دون تمحيص أو تدقيق، يسبب انتشار أفكار ومفاهيم غير صحيحة، يُعدّ خللًا على مستوى علوم الحديث، ذلك أن المسائل الفقهية تمثّل ـ حسب الاصطلاح العلمي ـ فروع الدين، فيما تمثّل مسائل العقيدة والفكر الإسلامي أصول الدين وأسسه الأولى، وكان يجب أن تُولى أحاديث العقيدة والفكر الاهتمام ذاته، لأنها تمثّل جانبًا مهمًّا من وظائف القيِّمين على الدين. فقد كان الأئمة يقفون أمام التحريف الفكري والعقدي، جنبًا إلى جنب أمام أيّ انحراف عملي في مسائل الفقه.

إذا علم كلّ مسلم أحكام الصلاة والصوم بصورة سليمة، وأدّى هذه العبادات بصورة صحيحة، فيما بقي أساسه الفكري والعقدي معرّضًا للآراء الفاسدة المنحرفة، فما قيمة تلكم الصلاة وذلكم الصوم اللذين يؤديهما مع خلفية منافية للمفاهيم والمبادئ الإسلامية؟.

البدايات المبكرة

إن محاولات الوضع في التراث الحديثي ظاهرة عانى منها المسلمون بصورة عامّة، من السنة والشيعة، وهذا ما يعترف به الجميع. وبسببٍ من شيوعها، أُلِّفت العديد من المؤلّفات لمعالجتها، وصيانة تراث السنة وحفظه للأجيال الإسلامية اللاحقة. فنشأ علما الرجال والحديث، يعالج الأول منهما مشكلة رواة الحديث غير الموثوقين، فيدرس أسانيد الحديث، ويضع القواعد العامّة التي تمكّن دارسه من معالجة سند كلّ حديث، لإخراج الضعيف من الصحيح، والحسن، والمقبول، وغيرها من التصنيفات الحديثية. فيما يعالج الآخر نصّ الحديث ذاته، إذ يدرس مضمونه وفق قواعد علمية

يقارَن فيها الحديث مع بقية الأحاديث الأخرى الثابت صحتها، وكذلك مع الآيات القرآنية، بالإضافة إلى بعض القواعد العلمية، فما لم يتعارض نصّ الحديث مع هذه جميعها يقبل، وإلاّ فإنه يرد لمخالة نصّه مع صريح آية أو سنة متواترة، أو بديهة عقلية أو ما شابه.

وعُرفت المؤلّفات التي تعالج الرواة غير الموثوقين بكتب علم الرجال أو كتب الرواية، فيما عرفت المؤلّفات التي تدرس نصّ الحديث بكتب الحديث أو الدراية. وهناك العديد من المصطلحات الخاصّة بهذين العلمين.

ولإلقاء نظرة على حجم التحريف والوضع في السنة النبوية، نجد أن عدد الأحاديث في صحيح البخاري في جميع الأقسام هي ٧٥٦٣ حديثًا، وبعد حذف المكرّر منها يصل العدد إلى ٢٧٦١ حديثًا، وهذه الأحاديث كان البخاري قد اختارها من ٦٠٠,٠٠٠ (ستمئة ألف) حديث، وعند المقارنة نجد أن نسبة الأحاديث الصحيحة ضمن معايير البخاري قليلة جدًّا. وفي مثال آخر يذكر أبو داوود أن عدد الأحاديث في سننه ٤٨٠٠ حديث، كان قد اختارها، كما يشير في مقدّمة السنن، من ٥٠٠,٠٠٠ (نصف مليون) حديث، وسائر كتب الحديث الأخرى على هذه الشاكلة.

وحينما شرح الشيخ محمد باقر المجلسي، جامع كتاب بحار الأنوار، أحاديث الكافي في كتابه: (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ) كان ما ثبت صحته من أحاديث الكافي عند العلاّمة المجلسي لم يتجاوز ثلث الكتاب.

وعند مطالعة بقية كتب ومصادر الحديث الأخرى لن تختلف النتيجة كثيرًا عمّا ورد أعلاه. ولذلك لا يُستغرَب ما يشير إليه الإمام الرضا عليه السلام في حديثه عن ظاهرة الوضع في الأحاديث، إذ كانت من المستوى بحيث تكون نسبة الأحاديث الموضوعة نسبة عالية فيما يروى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

مواجهة الانحراف الفكري

كان للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، دور بارز، في الوقوف أمام الانحرافات الفكرية، وهذا ما يجب أن يكون درسًا للنخبة من مفكري الأمة في كلّ عصر. إذ لا تنحصر وظيفة العالم في إخبار الناس بالفتاوى العملية والمسائل الفقهية الفرعية، من قبيل أحكام الغسل والوضوء والصلاة والصوم، وهي وظيفة مطلوبة، ومن أساسيات عمل عالم الدين. ولكن لا يجب أن يُكتَفى بها، إذ من مهمّات عالم الدين أن يدعو الناس إلى الأفكار العقدية السليمة، والمفاهيم التي توجّه عقولهم وسلوكهم بالاتجاه الصحيح، وألّا يترك عقول الجمهور عرضة للأفكار والآراء المنحرفة، بسبب الأحاديث والروايات الموضوعة، بحيث تتكون لديهم مجموعة من الأفكار والمفاهيم المنافية لحقائق الدين. فهذه من أوائل مهمّات العلماء، كما كانت من مهمّات الأئمة عليهم السلام.

لقد كان للإمام الرضا عليه السلام دور كبير في مواجهة الأفكار المنحرفة، ومنها أفكار الغلوّ والتطرّف والتشدّد؛ ذلك لأن تراث أهل البيت عليهم السلام تعرّض لاعتداءات داخلية وأخرى خارجية. فمن الخارج كان أعداء أهل البيت عليهم السلام يضعون ويدسّون بعض الأحاديث من أجل أن يشوِّهوا صورتهم عليهم السلام. فيما كان الجهلة والمغرضون والمصلحيون من أتباعهم، من الداخل، يُدخلون بعض الأحاديث المفتراة وينسبونها لأهل البيت عليهم السلام، وذلك زيادة في ترغيب الناس لاتّباع منهج أهل البيت عليهم السلام بهذه الطريقة المنحرفة. وكان الإمام الرضا وبقية الأئمة عليهم السلام يحاربون هذا التوجّه داخل أتباعهم.

الوضع بين الأثرين الخارجي والداخلي

تختلف أسباب الوضع باختلاف انتماء الواضع، فقد يكون الداعي هي العداوة، وذلك لتشويه صورة أهل البيت عليهم السلام في أذهان المسلمين، وهو ما أشار إليه الإمام عليه السلام من استغلال الأعداء لأحاديث الغلوّ أو التقصير، وذلك لحرف الناس عن اتّباع أهل البيت، إما بتصويرهم بأنهم يدعون الربوبية، أو من خلال نسبة الأوصاف السيئة إليهم.

وقد فصّل الإمام الرضا عليه السلام في أسلوب أداء المخالفين لهم في وضع الأحاديث، حيث قسّم ما وضعوه من أحاديث إلى ثلاثة، هي:

١. أحاديث الغلوّ، والغلوّ هنا هو: إعطاء الإمام أو النبي صفة من صفات الألوهية والربوبية، يقول عليه السلام: «فإذا سمع الناس الغلوّ فينا، كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا». وهو ما يحدث اليوم بالفعل، فكثير مما يثار على أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام هي من هذه الأحاديث المكذوبة التي يُتّهم الشيعة فيها بالغلوّ، إذ أصبحت أداةً بيد المتربصين الذين يتحيّنون الفرص والزلاّت على المخالفين لهم.

٢. أحاديث التقصير، وهي الأحاديث التي تنتقص من مكانة أهل البيت عليهم السلام وتشيع حولهم الأكاذيب والضلالات، وهي من آثار الوضع الذي كان يمارَس بدوافع سياسية بغرض إبعاد الناس عن اتباع أهل البيت عليهم السلام.

٣. أحاديث ذمّ المخالف، حيث يشير عليه السلام إلى أن هناك من يشيع عنهم عليهم السلام أحاديث في ذكر مثالب أعدائهم بأسمائهم، فـ «إذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم، ثلبونا بأسمائنا». وهو ما يعني أن أهل البيت ليست من طبيعتهم الحديث عن مثالب أعدائهم بالأسماء والأشخاص، وإنما هم غالبًا ما يذكرون صفاتهم وأعمالهم، دون التركيز على الإشارة إلى أشخاصٍ بعينهم.

وقد يكون الواضع من داخل البيئة الإمامية. وما يدفعه إلى وضع الحديث هو ترغيب الناس إلى اتّباع مذهب أهل البيت من خلال اختلاق أحداث وصفات بطولية وهمية تدفع الناس وبخاصّة البسطاء منهم، إلى حمل صورة غير واقعية عن أهل البيت.

وهذا يشبه ما وضع من أحاديث حول فضل سور القرآن الكريم وبعض الأعمال، كما ذكر القرطبي في تفسيره: لا التفات لما وضعه الواضعون واختلقه المختلقون

من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال، وقد ارتكبها جماعة كثيرة، اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها.

ومنهم جماعة وضعوا الحديث حِسْبَةً كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال. كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، ومحمد بن عكاشة الكرماني، وأحمد بن عبد الله الجويباري، وغيرهم. قيل لأبي عصمة: (من أين لك من عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورةً سورةً؟)، فقال: (إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبةً)[١].

وقد ذكر الحاكم وغيره من شيوخ المحدثين أن رجلًا من الزهّاد انتدب في وضع الأحاديث في فضل القرآن وسوره، فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: رأيت الناس زهدوا في القرآن، فأحببت أن أرغّبهم فيه، فقيل: فإن النبي ﷺ قال: من كذب عليَّ متعمّدًا فليتبوأ مقعده من النار، فقال: أنا ما كذبت عليه، وإنما كذبت له)»[٢].

محاربة الأئمة للغلو

ولاهتمام الإمام الرضا عليه السلام بهذا الموضوع وردت عنه روايات كثيرة، منها: قوله عليه السلام: «الغلاة كفار، والمفوّضة مشركون»[٣]. إن الإمام في هذا الحديث، يعظّم أمر وخطر الغلاة ويخرجهم من دائرة الإسلام.

وورد عنه عليه السلام أنه قال: «لعن الله الغلاة، ألا كانوا مجوسًا، ألا كانوا نصارى[٤]، ألا كانوا قدرية، ألا كانوا مرجئة، ألا كانوا حرورية، ثم قال عليه السلام: لا تقاعدوهم ولا

---

(١) تفسير القرطبي. ج ١ ص ٥٦.
(٢) مستدرك الوسائل. ج ١ ص ١٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٢٥/ ٣٢٨.
(٤) بهامشه: في المصدر: ألا كانوا يهودًا، ألا كانوا مجوسًا.

تصادقوهم وابرأوا منهم، برئ الله منهم»[١].

وعن ياسر الخادم، قال: «قلتُ للإمام الرضا عليه السلام: (ما تقول في التفويض؟)، فقال: (إن الله تبارك وتعالى فوّض لنبيه أمر دينه، فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[سورة الحشر، الآية: ٧.]، وأما الخلق والرزق فلا). ثم قال: (إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[سورة الروم، الآية: ٤٠])»[٢].

ويروي الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا ترفعوني فوق حقّي، فإن الله تعالى اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًّا»[٣]. إنه إرشاد نبوي هادٍ يحذّر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله من مغبّة المبالغة في تصوير الحالة النبوية، ورفعها إلى منزلة الألوهية، حيث يؤكّد فيها على أن الإنسان مهما بلغ من منزلة عظيمة، ولا منزلة أعلى من منزلة النبوة، يظلّ عبدًا لله تعالى قبل أيّ صفة أخرى. وهو المعنى الذي تؤكّده العبارة التي يردّدها المسلمون في صلواتهم اليومية، إذ يقول الجميع في التشهّد: «أشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله»، حيث تقدّمت العبودية على الرسالة.

واتّباعًا للهدي النبوي، ينبّه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أصحابه من المغالاة في وصفه، إذ ورد عنه قوله: «هلك فيَّ اثنان، محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ»[٤]، فلا المفرط في حبّ الإمام علي عليه السلام إلى درجة الغلوّ فيه، ولا المبغض الذي وصل به الحدّ إلى الجحود والجفاء مع أمير المؤمنين ينجوان يوم القيامة.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «احذروا على شبابكم الغلاة، لا يفسدوهم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٥/ ٢٧٣.

(٢) عيون أخبار الرضا. ج١/ ٢١٩.

(٣) بحار الأنوار، ج٢٥/ ٢٦٥.

(٤) نهج البلاغة. حكمة ٤٦٩.

فإن الغلاة شرّ خلق الله. يصغّرون عظمة الله، ويدّعون الربوبية لعباد الله»[١]. إن الإمام يحذّر أصحابه من أن يقع شبابهم ضحية هؤلاء الذين يضعون أحاديث في الغلوّ فيفسدون عقيدتهم وفكرهم الصافي.

وفي رواية أخرى عن أبي بصير، يقول: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: إنهم يقولون ويقولون [يشير إلى الغلاة]، قال عليه السلام: (وما يقولون؟)، قلت: يقولون: إن الإمام يعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر، ووزن ما في البحر، وعدد التراب. فرفع الإمام الصادق يده إلى السماء، وقال: سبحان الله، سبحان الله، لا والله، ما يعلم هذا إلا الله»[٢]. وهذا يثبت كيف كان الأئمة حريصين على تصحيح الاعتقادات ورفض الغلوّ، وذلك بما كانوا يحرصون عليه من تصحيح ما ينسب إليهم، وتنبيه أصحابهم من تلكم الأحاديث المدسوسة.

وفي مورد آخر عن الإمام الصادق عليه السلام حيث كان في عهده جماعة من أتباع أبي الخطّاب من المغالين، وكانوا قد أمروا الناس أن يلبّوا باسم جعفر الصادق عليه السلام، فيقولون في التلبية: لبيك يا جعفر بن محمد لبيك. ولما سمع الإمام عن ذلك، خرّ ساجدًا، وألصق صدره بالأرض وهو يبكي ويقول: «بل عبدٌ لله، قِنٌّ داخر» مرارًا كثيرة، ثمّ التفت قائلًا: «إن عيسى لو سكت عمّا قالت النصارى فيه لكان حقًّا على الله أن يصمّ سمعه ويعمي بصره، ولو سكتُّ عمّا قال أبو الخطّاب لكان حقًّا على الله أن يصمّ سمعي ويعمي بصري»[٣].

لقد كان الأئمة يواجهون هذه الانحرافات العقدية ويأمرون أتباعهم بالحذر من ظاهرة الغلوّ والغلاة. وكانوا يرشدونهم إلى الحذر من القبول بأيٍّ حديث أو خبر ينسب إليهم، وأن يتوثقوا مما يروى عنهم عليهم السلام.

---

(١) بحار الأنوار. ج٢٥، ص٢٦٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٥/ ٢٩٤.
(٣) بحار الأنوار، ج٢٥/ ٢٩٣.

إن سيرة أهل البيت ﷺ واستقامتهم وتجسيدهم لقيم الحقّ والعدل فيها من الصورة المشرقة والدروس والعبر والمواعظ ما يجعل المنصف منبهرًا بها. وهم ليسوا بحاجة إلى أيّ مظهر من مظاهر الغلوّ أو المبالغة في وصف سيرتهم وسرد أحداثها. كما أنهم ليسوا بحاجة إلى هذه الخرافات والأحاديث المفتراة والمكذوبة عليهم.

لذلك عندما يرشد الأئمة ﷺ إلى إحياء أمرهم، يضعون ميزانًا لطبيعة الإحياء، إذ ورد «عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت أبا الحسن الرضا ﷺ يقول: (رحم الله عبدًا أحيا أمرنا). فقلت له: (فكيف يحيي أمركم؟)، قال: (يتعلّم علومنا، ويعلّمها الناس. فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا)»[1].

إن ما يريده أهل البيت ﷺ ويشجّعون عليه، هو بثّ ونشر علومهم الدينية الحقّة، وليسوا بحاجة إلى أكثر من هذا. وعلى العكس من ذلك، يحذرون من نشر الشائعات والأقوال المغالية في حقّهم، فذلك لا يساهم في نشر فكرهم، وتعريف الناس بحقيقة مذهبهم. إن الحاجة ماسّة أكثر مما مضى، لنشر روائع نهج البلاغة، والصحيفة السجّادية، ورسالة الحقوق، وسائر كلمات وروايات أهل البيت المعتبرة، وهذا يكفي، ومن شأنه أن يذيع مذهب وفكر أهل البيت ﷺ. أما تلكم الزيادات والإضافات إنما تشوّه صورة أهل البيت ﷺ، ويتحمّل كل من يبثّها المسؤولية الشرعية في نقلها عنهم.

---

(١) الصدوق: علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، معاني الأخبار، تحقيق: الشيخ علي أكبر الغفاري، قم، ط٢، ١٣٧٩هـ. ش، ص ١٨٠.

الشباب مرحلة العطاء الاجتماعي

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[سورة الروم، الآية: ٥٤].

يمرّ الإنسان في حياته بمراحل وأطوار، ولا سيطرة له على هذه المراحل، فليس بمقدوره أن يوقف نفسه في مرحلة معينة من تلكم المراحل، بحيث لا يتجاوزها ويبقى فيها، كما أنه لا يستطيع أن يقفز على هذه المراحل أو يحرقها. إن قرار المجيء إلى الدنيا أو البقاء فيها أو الرحيل عنها، ومعها التنقّل من مرحلة عمرية إلى أخرى، كلّ ذلك بيد الله تعالى، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[سورة الحج، الآية: ٥].

تستمرّ الحياة الإنسانية في مراحل تطوّرها ابتداءً من النطفة، بإرادة وتدبير الله تعالى، والإنسان ـ في ذلك كلّه ـ خاضع للسنة الكونية في الحياة. وفي تحليل لطبيعة الحياة الإنسانية، يبدأ الإنسان حياته بمرحلة الضعف الأولى في طفولته، لينتهي ـ بعد ذلك ـ بمرحلة الضعف الأخرى في شيخوخته، وبينهما يتمتّع بمرحلة القوّة والنشاط والحيوية، وهو ما تفيده الآية القرآنية الكريمة: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ

مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.

يشعر الإنسان بحالة القوّة والنشاط في مرحلة الشباب، وهي المرحلة التي يتمنّى كلّ فرد أن يبقى متمتّعًا بها فلا يفارقها، ولا يشوبه ضعفٌ في مرحلة الشيخوخة لاحقًا، لكن ذلك لا يكون لأحد. فهذه المرحلة هي فرصة زمنية يعطيها الله لكلّ إنسان ليبذل فيها طاقته، ويستفرغ وسعه، فيحاسب على أدائه ووفائه لمستحقّاتها عليه، فهي كسائر النعم التي ينعم الله بها علينا، ومن ثمّ يحاسبنا على أدائنا تجاهها.

المجتمع واستثمار ثرواته البشرية الشابّة

إن مسؤولية استثمار مرحلة الشباب الاستثمار الأمثل، هي مسؤولية الفرد والمجتمع، فقد يكون الفرد ضحية إهمال المجتمع، وتوجيهه الوجهة الخطأ، كما أن الفرد غير معذور في إهدار ما وهبه الله من طاقة شبابية، كان يفترض به أن يوجهها الوجهة الصحيحة. ففي مرحلة الشباب يعيش الإنسان توهُّجًا جسميًّا وعاطفيًّا، وإرادة للعمل، وطموحًا نحو أهداف كبيرة، وتطلّعات مستقبلية واعدة. ويفترض بالمجتمعات المسلمة أن تتوجّه نحو هذه الشريحة، لاستثمار هذه الروحية المعطاءة والوقّادة، بحيث تحتضنها مؤسّساتها، وتعمل على استثمار طاقاتها، فيما يخدم المجتمع، ويرفع من شأنه، وشأن هذه الشريحة. يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لله ملكًا ينزل في كل ليلة ويقول: يا أبناء العشرين فما فوق، جِدُّوا واجتهدوا»[١]. إنه نداء خاص للفئة الشابة، يحرّضهم على استثمار هذه المرحلة، قبل أن تصيب الإنسان الحسرات على فواتها، فهي مرحلة العمل والعطاء، ولا يمكن للإنسان أن يعوّضها، فيما لو ذهبت به الأيام والسنوات دون أن يجدّ فيها. والنصوص الشرعية تشجّع الإنسان على هذا المعنى، إذ ورد عن نبينا الكريم محمد ﷺ أنه قال: «يا أبا ذرّ،

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ج١٢/ ١٥٧.

اغتنم خمسًا قبل خمس:.. وشبابك قبل هرمك»[١].

إن المجتمعات المتقدّمة تفتح المجال أمام شبابها، من أجل أن يستثمروا هذه المرحلة من أعمارهم، وأن يقدّموا لأوطانهم وشعوبهم ما يستطيعون من خدمات، ترقى بتلكم المجتمعات خطوات أكثر إلى الأمام، وبخلافها المجتمعات المتخلّفة التي تتجاهل هذه الطبقة، فلا تفسح أمام شبابها وشابّاتها، أن يتحمّلوا المسؤوليات التي يستطيعون الخدمة فيها، ولا يمنحونهم الثقة التي يستطيعون من خلالها القيام بدورهم الفاعل. والنعمة التي لا تستثمر بالطريقة الصحيحة، قد تصبح وبالًا، وذلك من قبيل الأمطار التي هي من النعم الكبيرة على الإنسان، لكنّ هذه النعمة ـ في حال لم تستثمر الاستثمار الصحيح ـ تصبح سيولًا ومستنقعات تجلب الأمراض، وتسبب الأضرار للكثير من المنازل.

إن مرحلة الشباب بمقدار ما هي خصبة بالإيجابيات، قد تنمو فيها بوادر الانحراف والسلوكيات السلبية غير المقبولة، ما يساهم لاحقًا في تدمير شريحة شبابية كبيرة ضمن مشاريع إجرامية.

لذلك فإن المجتمع أمام خيارين، إما أن يحتضن هذه الفئة، بما يمكّنها من خدمته والنهوض بالأعباء الملقاة عليهم، بحيث يمثّل المجتمع تلكم الحديقة التي تزدهر بأزهارها اليانعة، وتعطي ذلكم الرونق والمنظر الجميل الخلاّب، وإما أن يحاصر هذه الشريحة بمجموعة من الضغوط، بحيث لا يمكّنها من تفجير طاقاتها الإيجابية، أو أن يعزل نفسه عنها فيتجاهلها، لتكون وبالًا عليه لاحقًا، ويظلّ هذا المجتمع يعاني من ويلات الانفلات غير المنضبط من بعض فئات هذه الشريحة.

المجتمع يتحمّل مسؤولية كبيرة، في فسح المجال أمام الشباب والشابّات، وفي تشجيعهم على تحمّل المسؤوليات، تجاه أوطانهم ومجتمعاتهم ودينهم، وأن يعطيهم

(١) وسائل الشيعة، ج١/ ١١٤.

الثقة الكافية، حتى يستفيد من هذه الطاقات الكامنة لدى كل فردٍ منهم.

إذا كانت الفاعليات والأنشطة الاجتماعية لا تزال قليلة، ومحدودة الاهتمامات، بحيث لا تستطيع أن تستوعب هذه الشريحة الواسعة، فإنه لا يصحّ أن يتخلّى الشباب أنفسهم عن تحمّل المسؤولية، وذلك من خلال مبادرات جماعية، يقومون من خلالها بأنشطة يسهمون فيها في إنماء بعض الجوانب الاجتماعية غير الملتفت إليها. والمجتمعات المتقدّمة مليئة بالمبادرات الفردية والجماعية من قبل شرائح الشباب، ويجب أن تبعث لمزيد من العطاء في مجتمعاتنا.

وقد نشرت الصحف المحلية في الأيام القليلة الماضية حول مجموعة من الشباب في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية، قاموا بتأسيس مجموعة أطلقوا على أنفسهم اسم: أولاد الدمام، تضمّ ما يقرب من ٨٠ شابًّا، ومجموعة أخرى من الفتيات تتكون من ٧٠ فتاة، أطلقن على أنفسهنّ اسم: بنات الدمام، حيث يعقدون اجتماعات دورية يناقشون فيها ما يمكن أن يساهموا به من أجل النهوض بمجتمعهم من قضايا البيئة والصحّة العامّة، وبعض المسائل الاجتماعية، مثل مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصّة، والمرضى وغيرها.

كما شهدنا في الأسابيع الماضية حملة أطلقتها مجموعات شبابية باسم: القطيف طاهرة، تقوم هذه المجموعة باستهداف بعض حالات الفساد التي بدأت تظهر في المجتمع، وبخاصّة في بعض الأسواق الشعبية، حيث يقوم البعض علنًا ببيع الأقراص الممغنطة ذات المحتويات الهابطة، ويسوّقونها بصورة واسعة في هذه الأسواق. وغيرةً من هذه المجموعات الشبابية على تديّن وأخلاقية المجتمع، ومحافظةً على قيمه وسلوكياته الملتزمة، قاموا بحملة لمواجهة هذه الظاهرة.

كما قامت مجموعة من أبناء المنطقة من ذوي الاهتمامات والاختصاصات الطبّية بتأسيس لجنة أهلية تهتمّ بالتوعية الصحية، وبمساعدة المرضى، ومراقبة الأداء

الصحي في المستشفيات والمراكز الصحية العاملة في القطيف، وهو توجّه ينبغي أن يشجّع ويتطوّر، وإلى جانبها العديد من المبادرات التي نرجو أن تنمو وتتنوّع، فذلك من شأنه إشغال شبابنا بما ينفعهم وينفع مجتمعاتهم، ويحفظ مجموعة كبيرة منهم عن الاتجاهات السلبية المنحرفة.

ولو تفرّغت من كلّ بلدة في المنطقة مجموعة شبابية، من أجل معالجة بعض المشكلات الاجتماعية، لرفعنا الكثير من المعاناة، وحالات العجز والعوز، التي تعاني منها العديد من الأسر، فما أكثرها في كلّ بلدة، وما أحوجنا إلى تعدد المشاريع والمؤسّسات من أجل النهوض بواقعنا إلى ما هو أفضل.

نداء إلى كل شاب وشابة

وهي مناسبة أتوجّه فيها إلى كلّ شابّ وشابة من أبناء هذا المجتمع المعطاء، فهذا المجتمع هو مجتمعكم، وهذا وطنكم، وكما تتحملون المسؤولية تجاه أنفسكم، فهناك مسؤوليات تجاه محيطكم الذي هو بحاجة ماسّة إليكم اليوم. وما يجري في المجتمع يعنيكم، فينبغي أن تدفعكم الحمية لأن تتصدّوا لمعالجة ما تستطيعون المشاركة فيه، فقيادة المجتمع وحلّ مشكلاته ليست حكرًا على كبير أو وجيه أو عالم أو متنفّذ، إنها مسؤولية الجميع بلا استثناء، وعليكم أن تأخذوا مجالكم في هذا الاتجاه، أسوة بالمجتمعات المتقدّمة.

إنكم عندما تنكفئون عن العمل الاجتماعي يفقد المجتمع بأسره طاقاتكم. إننا بحاجة إليكم في كلّ المواقع والساحات، فالمجتمع تنقصه الطاقات في شتّى المجالات والخدمات، فلو أن كلّ مجموعة تبنّت مشروعًا من المشروعات الاجتماعية، فإن ذلك من شأنه أن يغطي ذلكم العجز والنقص، فلا تبخلوا على مجتمعكم بمبادراتكم الطيبة. إنكم ستلمسون بأنفسكم ما تزرعه أيديكم حاضرًا، ويبقى رصيدًا لكم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

مسؤولية المؤسّسات الرسمية

وعلى الجهات الرسمية أن تفسح المجال للمبادرات الاجتماعية، ذلك أن الكثير من دول العالم الإسلامي لا تزال القوانين والأنظمة الرسمية فيها تقف حائلًا أمام طموحات الشباب وتطلّعاتهم، فلا تعطي الفرصة لتنامي الحالة التطوعية في المجتمع، وفي بعض الأحيان تكون العوائق من القيمين على تطبيق الأنظمة، فلا تزال العقلية المتحفّظة على أيّ مبادرة هي المسيطرة، ومن الصعب أن تجد الكثير من المشروعات طريقها إلى النور، بسبب تعقيداتٍ وروتينٍ وظيفيٍّ قاتل، قد يكون الخللُ فيه بسبب ذلكم الموظّف أو ذلكم المسؤول.

في مثل هذه المرحلة التي تعيشها الأمة، لا يجب أن تسبقنا التقنيات والوسائل الحديثة بما تملكه من جاذبية إلى عقول وقلوب أبنائنا وبناتنا، علينا أن نبادر باحتضانهم، ودمجهم في العديد من المشروعات والمبادرات الاجتماعية، التي تجعل منهم عناصر فاعلة، وفي الوقت نفسه يبقون على تواصل مع قضايا وشؤون مجتمعهم، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كلّ خير»[١].

(١) الريشهري: محمد، أهل البيت في الكتاب والسنة، ص ٣٦١.

الخطبة الأولى

وعي التعددية في القرآن الكريم

﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[سورة الرعد، الآية:٣١]

مشكلة الخلافات والصراعات الفكرية، مشكلة قديمة عميقة في تاريخ البشر، فطالما تعدّدت الآراء، واختلفت الأفكار بين الناس، وسعى كلّ صاحب فكرة أو عقيدة لفرض رأيه على الآخرين، مما أوجد في تاريخ البشرية صراعات بسبب الاختلاف في المعتقدات، والخلاف في الآراء والأفكار، وقد تعرّض القرآن الكريم لهذه المشكلة؛ لأنها تواجه الأنبياء والرسل، والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، فالأنبياء يأتون برسالة أو دعوة يعرضونها على الناس، هناك من يقبل فكرتهم، ويؤمن بدعوتهم، وهناك من يرفض أو يعارض.

ماذا يصنع الأنبياء؟

إنهم يريدون أن يقدّموا أنموذجًا للبشرية: كيف يتعاملون عندما تختلف الآراء والمعتقدات؟

لهذا تتحدّث آيات كثيرة في القرآن الكريم حول هذا الموضوع، وكان يجب على المسلمين أن يأخذوا من هذه الآيات درسًا في طريقة تعاملهم مع اختلاف الآراء والمعتقدات فيما بينهم كمسلمين وفيما بينهم وبين غيرهم، في داخلهم حينما تتعدّد المذاهب وتتنوع الآراء والمعتقدات، ولكن بدل أن يأخذ المسلمون الموقف

من الخلافات الفكرية والعقدية من هدي القرآن، فإنهم أخذوه من بيئة الاستبداد التي عاشوها؛ لأن المسلمين في أغلب عصورهم، كانوا يعيشون في ظلّ الاستبداد السياسي والفكري، فتشبعوا بهذه الحالة، فما عاد الموقف من الاختلاف العقدي أو الفكري، نابعًا من هدي القرآن، وإنما هو من وحي ما عاشوه وتشرّبوه، من حالة استبدادية في حياتهم.

حينما نعود إلى آيات القرآن الكريم وهي تتحدّث عن هذه المشكلة، على ضوء دعوات الأنبياء، ورسالات الرسل، فإننا نجد أن هناك معالم ومنظومة كاملة من الهدي، ينبغي أن نتفهمها ونستوعبها.

من حقّ الإنسان أن يبشّر بالرأي الذي يؤمن به؛ لأن الانسان حينما يؤمن بفكرة، قد يكون عميق الإخلاص لتلك الفكرة، فيندفع للتبشير بها، يريد أن ينشر الفكرة التي يعتقد أنها الفكرة الصائبة؛ لأنه شديد الإخلاص لها في بعض الحالات، وفي حالات أخرى تصبح جزءًا من الذّات، فنشر الفكرة هو نوع من الانتصار للذّات.

لأن أتباع الدين يشعرون بانتمائهم القوي لدينهم. فإذا انتشر دينهم، يشعرون بالقوة والانتصار الذاتي. فهناك جانب ذاتي في المسألة، هذا من جانب.

من جانب آخر، فإن حالات التحدّي والصراع على المصالح، بين المجتمعات البشرية، تجعل الرأي أو المعتقد نوعًا من المظلة، ومن الهوية، وبالتالي فإن الإنسان حينما يبشّر بدينه وبرأيه، إنما هو يخدم ويعزّز هويته، ويقوي المظلة التي يستظلّ بها.

و لكن ماذا حين يخالف الآخرون رأيك؟ ماذا يكون الموقف؟

القرآن الكريم يتحدّث حديثًا مسهبًا حول هذا الموضوع:

التركيز على الواقعية في التفكير

ينبغي أن تكون واقعيًّا، مهما آمنت بحقّانية دينك وفكرتك أنها الحقّ والصواب،

فإنّ عليك أن تعلم أن الآخرين لهم أديانهم وآراؤهم، وهم كما أنت، يرون أن رأيهم هو الأصحّ والأصوب، فعليك أن تنظر للأمور بواقعية، أنت لا تستطيع أن تغير آراء كلّ الناس، هناك من سيقبل فكرتك وهناك من يرفض، عليك أن تكون واقعيًّا. لا تعش في الخيال، وتتصوّر أن الناس بمجرد أن تعرض عليهم رأيك، فإنهم يقبلونه، مهما كانت أدلتك وبراهينك؛ لأن المسألة ليست مسألة معرفية محضة، المسألة فيها عوامل أخرى: بيئية، وتربوية، ومصلحية، وهناك تفاوت في الوعي والإدراك عند الناس.

فعليك أن تكون واقعيًّا، ولهذا فإن الله تبارك وتعالى يخاطب أنبياءه: أيها النبي، إن الدين الذي تبشّر بِهِ هو الحقّ وما عند الناس باطل، والأدلة التي عندك صادقة، معجزات وبراهين منطقية، لكن عليك أيها النبي أن تعلم أن ذلك غير كافٍ في أن يقبل كلّ الناس دعوتك وكلامك، هناك من لا يقبل مهما كانت أدلتك مقنعة.

يخاطب الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٤٥]، قد تصل الحالة إلى مستوى من التمسّك والتعصب الذي يتجاوز الأدلة والبراهين، هذا يجب أن يكون واضحًا عند الإنسان.

في آية أخرى، يخاطب الله تعالى نبيه ﷺ بأنك مهما عملت، ولو صعدت للسماء أو نزلت إلى أعماق الأرض، لا تستطيع أن تغير كلّ عقول الناس وأفكارهم، سيكون هناك ناسٌ لهم رأي آخر:

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[سورة الأنعام، الآية:٣٥].

إنَّ قوله تعالى في ختام الآية: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، أي من الذين يجهلون هذه المعادلات والحقائق في حياة البشر، خطاب قويٌّ شديد.

الحذر من الانفعال والتأزّم النفسي

حينما يكون للإنسان رأي يعتقد بصحته وصوابه، ويعرضه على من حوله، وله أدلته وبراهينه، لكنه قد يُفَاجَأ بأنهم لا يقبلون منه، هنا قد تحصل حالة من التأزم والتشنج النفسي عند الإنسان...

لماذا لا يقبل هؤلاء الناس؟!!، هل أنا مقصّر في عملي وطرحي؟ هل أنا مخطئ في طريقي ونهجي؟

الآيات الكريمة تريد أن تعالج هذه المشكلة، المسألة ليست أنك على خطأ، وليست أنك مقصر، لكنها واقع يعيشه البشر، فعليك أن لا تتأزم نفسيًّا.

في رحاب الرسول الأعظم

رسول الله ﷺ كان يبذل كلّ جهده من أجل هداية أولئك الكافرين المشركين، وما كان يقصّر في الدعوة والتبيين، وهم يعيشون في الضّلال والشّقاء، ويريد إنقاذهم، فما كانوا يقبلون منه، وكان يتألم ويتمزّق نفسيًّا، حسب تعبيرنا، مثل إنسان عطشان ويوشك أن يموت من العطش، وأنت توفر له الماء البارد، لكنه يعاند ولا يشرب الماء، مريض يوشك أن يموت بمرضه، وأنت توفر له الدواء والعلاج، فيرفض، أنت تتألم وتتساءل: ماذا به؟ لماذا لا يقبل لمصلحته؟

النبي ﷺ كان يعيش هذه الحالة في بعض الأحيان، فيأتيه التوجيه من الله سبحانه وتعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[سورة الشعراء، الآيتان: ٣-٤].

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ بخع النفس يعني هلاك النفس من شدّة الغمّ، لا يحقّ لك أن تتعامل مع نفسك بهذه الطريقة.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ

نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [سورة فاطر، الآية:٨] أنت قم بواجبك والمسألة ترتبط بهم ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٢].

التزام النهج الصحيح في الدعوة

في بعض الأحيان يتأذّى الإنسان من موقف المخالفين أو المعارضين، مما قد يدفعه للممارسة الخطأ، قال أحد العلماء، ذهبت إلى قرية من القرى، وجدت عالمًا يخطب في جماعته، يصبّ عليهم جام الغضب، يسبّهم ويشتمهم، وسألته: ما هذا الخطاب؟ فقال آذوني وكلّ يوم أنصحهم فلا يستجيبون، فقلت له: وهل الحلّ لذلك أن تسبهم أو أن تضربهم بالعصا؟! أنت عليك أن تلتزم النهج السليم في الدعوة والطرح، الله تعالى يخاطب نبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة النحل، الآية: ١٢٥].

رسول الله ﷺ مع كلّ ما عمله معه المشركون من مخالفة وعناد، حين جاءه الملائكة، يا رسول الله ادعُ عليهم، كما ورد في بعض الروايات، رفع يديه ثم قال: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[١]... أنت تريد أن تدلّهم على الطريق الصحيح، فإذا لم يقبلوا، ينبغي أن تحافظ على أعصابك وتلتزم بالنهج السليم في الدعوة.

من وحي السيرة النبوية:

بعض الأصحاب حول الرسول ﷺ كانوا ينفعلون تجاه بعض المشركين، فيقولون كلامًا قاسيًا، فكان الرسول ﷺ ينهاهم: «لم أبعث طعّانًا ولا لعّانًا ولكن بعثت داعيًا ورحمة»[٢]، على الإنسان أن يهتدي بهذا الهدي القرآني، وفي القرآن الكريم يتحدث الله تعالى عن نبي الله صالح ﴿ﷺ﴾:﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ بعد نقاش وكلام طويل عريض مع

(١) بحار الأنوار.ج ٣٥، ص١٧٧.
(٢) تفسير السمرقندي. أبو الليث السمرقندي، ج ١، ص٢٧٦.

جماعته، رآهم مصرين على الانحراف والكفر: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[سورة الأعراف، الاية: ٧٩]، ويقول تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[سورة آل عمران، الآية: ٢٠].

ليتنا نتأدّب بهذا الأدب القرآني، هذا إذا كان في أصل الدين، ومن شخص قاطع بصحة كلامه، يأتيه الوحي، أما أنا وأنت حين تكون عندنا بعض الأفكار، هي اجتهادات شخصية، يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة، النبي القاطع بصحة كلامه مع ذلك يتعامل بهذا النهج: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، أما أنا وأنت إذا صارت عندنا فكرة معينة، حول قضية عقدية، أو فقهية أو سياسية، وفي بعض الأحيان قضايا جانبية حول موضوع تاريخي، حصلت هذه الحادثة أو لم تحصل، حدث هذا الموضوع أو لم يحدث، هذا العمل مناسب أو غير مناسب، أنا أطرح رأيي وأنت تطرح رأيك، قد نتفق وقد نختلف، يقول الشاعر:

نَحنُ بِما عِندَنا وَأَنتَ بِما عِنـدَكَ راضٍ وَالـرَأيُ مُختَلِـفُ

لك رأيك ولي رأيي، لماذا نتعادى؟ هذا خلاف التوجيه القرآني، نجد المجتمعات الأخرى المتقدمة، ليس عندهم مشكلة في اختلاف الآراء والأفكار، كل واحد يبشِّر بديانته، يمارس دينه ومذهبه...

رأيت بعض المبشرين في أمريكا، يأتي ويطرق الباب، ويقول لك: أنا من الديانة الفلانية، أحب أن أطرح عليك ديانتي ورأيي هل تسمح لي؟ هل تحبّ أن تسمع مني؟ إذا قلت له: لا، يقول لك: شكرًا ويذهب الى منزل آخر.

في المطارات، في الحدائق والأماكن العامة، كلّ واحد عنده فكرة يطرح فكرته، والناس أحرار يقبلون أو يرفضون، المجتمع وصل إلى مستوى رفيع من النضج. فأصبحوا يؤمنون بحقوق الإنسان، وحرية المعتقد، وحرية التعبير عن الرأي...

هذا نضج في تلك المجتمعات، لكن مجتمعاتنا لا يزال أبناؤها يتحاربون ويتقاتلون على اختلاف في المذهب أو الرأي، مع أن قرآننا يطرح لنا هذا الهدي، وخلاصته أن على الإنسان أن يقبل التعددية، وأن يقبل وجود الرأي الآخر، الله سبحانه وتعالى أراد لهذه الدنيا أن تكون دار امتحان.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية: ٩٩]، إرادة الله هكذا.

والآية الكريمة تقول: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة الرعد، الاية:٣١].

هناك تعددية في حياة البشر، هناك آراء أخرى عليك أن تتكيف مع هذه الحقيقة، وتتعامل مع الآخرين بالحسنى، وإن اختلفوا معك في الدين أو الرأي. ما أحوجنا إلى هذا الهدي القرآني، حتى نستطيع إدارة خلافاتنا الفكرية والعقدية، عند اختلاف الآراء والمذاهب، وعندما نختلف مع الآخرين في الآراء السياسية، علينا أن نهتدي بهذا الهدي.

الخطبة الثانية

وعي المسؤولية في الحياة

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[سورة ق، الآيات: ١٦-١٨].

حتى يعيش الإنسان واقع المسؤولية تجاه أعماله وأقواله، يجب أن يشعر أن كلّ عمل من أعماله، وكل قول من أقواله، لن يذهب عبثًا واعتباطًا، وإنما هناك رصد ومتابعة لما يصدر عنه؛ لأن الإنسان إذا لم يشعر بالرقابة والمتابعة، قد يتساهل حتى فيما يعلم أنه من مصلحته، نحن نجد مثلًا أنَّ أنظمة المرور قَدْ صيغت لمصلحة الإنسان، لكن الكثيرين من الناس إن لم تكن هناك رقابة أو جزاء عن المخالفة، فإنهم يتساهلون في تجاوز الأنظمة المرورية، الشوارع التي تكون عليها كاميرات للمراقبة تجد السائقين يحرصون على التزام النظام، فإذا ما تجاوزوا ذلك الشارع إلى شارع آخر، يعلمون أن لا رقابة فيه، يزيدون السرعة، ويأخذ الواحد منهم حريته، وهو يعلم أن هذا في مضرته وليس في مصلحته.

تجد بعض الناس حين يسافرون إلى الخارج، إلى بلدان فيها انضباط مروري فإنهم يتقيّدون بالأنظمة، ولكنهم حينما يرجعون إلى بلدانهم الأمّ، حيث لا تُراعَى الأنظمة المرورية بدقة، ينساقون مع البقية، فلا يتقيدون بالأنظمة.

ولأن الله تعالى يريد للإنسان،أن يكون صالحًا، وأن يتقيّد بما ينفعه في الدنيا والآخرة، لذلك فإن الله تعالى يسجّل على الإنسان كلّ أفعاله وتصرفاته وأقواله.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ والوسوسة تعني الخواطر التي تمر على قلب الإنسان، والله سبحانه وتعالى لا يحاسب على الخواطر القلبية ما لم تتحول إلى أعمال، لكنك يجب أن تعرف بأنك مراقب حتى على هذا المستوى، الله تعالى يعلم بما يدور في داخل نفسك، ولذلك فإن الصالحين الأولياء يراقبون حتى خواطر أنفسهم، أي خاطرة خطأ يطردونها فورًا.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ حبل الوريد تلك الشرايين، التي تنقل الدم من القلب إلى بقية أجزاء جسم الإنسان، الله سبحانه وتعالى أقرب لك من شرايينك، تعبير عن إحاطة الله تعالى بك، وبأوضاعك وتصرفاتك.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ الروايات تشير إلى أن الله تعالى قد كلّف ملكين بالإنسان، من حين تكليفه، ملك عن يمينه يكتب الخير، والأعمال الصالحة، وملك عن شماله يكتب الأعمال السيئة، ويرافقان الإنسان طيلة حياته، بلا سأم ولا ملل، ملكان موكّلان من قبل الله تعالى، هل هذا على نحو الحقيقة؟ أو أنه تعبير لإحاطة الله بالإنسان؟ الروايات تشير إلى أن ذلك على نحو الحقيقة، وإن صاحب اليمين موكّل بتسجيل الحسنات وهو مشرف على الملك الآخر على اليسار الذي يكتب السيئات، فإذا عمل الإنسان حسنة، سارع الملك الذي على اليمين لكتابتها له بعشر، أما إذا عمل الإنسان سيئة وأراد الملك الذي يكتب السيئات أن يكتبها، التفت إليه الملك الذي على اليمين قائلًا: اصبر، لا تكتب السيئة عليه، أمهله ساعات لعله يتوب إلى ربه. فإن تاب واستغفر لا يكتبها الملك عليه، وإن لم يتب ويستغفر الله تعالى ثبتت السيئة بواحدة عليه.

وورد في الروايات أن هذين الملكين إذا كان الإنسان المؤمن يقوم بأعمال صالحة

ويواظب عليها، فأصابه مرض أو عذر أقعده عن القيام بذلك العمل الصالح، فإن الله تعالى يأمر الملك الذي يكتب الحسنات أن يستمر في كتابة عمل الخير له، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا مرض العبد قال الله للكرام الكاتبين: اكتبوا لعبدي مثل الذي كان يعمله حتى أقبضه أو أعافيه»[1]، وهذا من لطف الله وكرمه.

لذلك على الإنسان أن يعوّد نفسه على أعمال الخير، تعوّد أن تصلي صلاة الليل، أن تقرأ شيئًا من القرآن كلّ يوم، أن تدفع صدقة كلّ يوم،، عوّد نفسك على أمثالها من الأعمال الصالحة فإنها تكتب لك، حتى لو تركتها لعذر.

أيّها الأحبّة، انظروا إلى رحمة الله بكم ولطفه عليكم، الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: «إذا قبض الله روح المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا: يا رب، عبدك ونعم العبد، كان سريعًا إلى طاعتك، بطيئًا عن معصيتك، وقد قبضته إليك، فما تأمرنا من بعده؟ فيقول الجليل الجبار: اهبطا إلى الدنيا وكونا عند قبر عبدي ومجّداني وسبّحاني وهلّلاني وكبّراني واكتبا ذلك لعبدي حتى أبعثه من قبره»[2]. ما أعظمك يا ربي وما أرحمك.

أيها الأحبة، عن أيّ شيء يبحث الإنسان؟ فنعم الرّب رّبنا، هذا الرّب، الذي يتعامل معنا بهذه الطريقة، كيف نتعامل نحن معه؟؟

تقول الآية: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، كلّ كلمة تقولها فإنها محسوبة عليك، فعليك أن تحسب الحساب لكلامك، وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عزّ وجلّ ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عزّ وجلّ له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة»[3]،

---

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٣، ص١١٩.

(٢) بحار الأنوار. ج٦، ص١٥٢.

(٣) مسند أحمد. الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣، ص٤٦٩.

الخطبة الأولى

التلاحم الداخلي قوة أمام العدو

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[سورة الفتح، الآية:٢٩]

هناك علاقة وثيقة بين التلاحم الداخلي في أيّ مجتمع، وبين قدرته على الصمود والمقاومة لأعدائه الخارجيين، فكلّما كانت حالة التلاحم الداخلي أكثر تماسكًا وقوّة، استطاع المجتمع مواجهة العدوان الخارجي بقوّة وبسالة. أما إذا كان المجتمع يُعاني من خللٍ في علاقاته الداخلية، وضعفٍ في تماسكه، فإن هذا يُغري الأعداء بالترصّد للمجتمع، بُغية السيطرة عليه، وعلى ثرواته، وهذا ما حصل في كثير من البلاد العربية والإسلامية، مع الأسف الشديد.

لذلك نجد في آيات القرآن الكريم، توافقًا بين الحديث عن الحالة الداخلية في المجتمع، وعن موقف المجتمع تجاه أعدائه، يقول تعالى متحدثًا عن حال المسلمين الأوائل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[سورة الفتح، الآية:٢٩]، وكأن الشدّة على الكفار لا تتحقق إلا بوجود التراحم الداخلي، والآية الكريمة تُشير إلى الكفار المعادين المحاربين. وفي آية أخرى يصف الله تعالى حال المؤمنين بقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[سورة المائدة، الآية:٥٤].

فوجود الذلّة، أي التنازلات المتبادلة بين المؤمنين، من شأنها أن تخلق العزّة أمام المعتدين، وهذا أمرٌ طبيعي؛ لأن انشغال المجتمع بالعداوات والصراعات الداخلية،

يستهلك طاقته وجهده، ويبعده عن مواجهة الأعداء الخارجيين.

وقد يحصل عند الإنسان خطأ في الرؤية والتوجّه، فبدل أن يُسخّر طاقته وجهده في مواجهة الأعداء الحقيقيين، تراه يختلق أعداءً وهميين. كما هي الحال عند بعض الفئات في الأمة، تعتبر أن المخالفين لها في المذهب والرأي أشدّ من خطر اليهود والنصارى.

من جانب آخر، فإن المجتمع غير المتلاحم لا يشعر بالضّرر الذي يُصيب بعض جهاته وأطرفه. لأن كلّ جهة لا تشعر إلا بذاتها، ولا تُفكّر إلا بمصالحها، فلو أصاب أحد الأطراف عدوان وظلم، فبقية الأطراف لا تشعر بألمها وهمّها. لهذا أكد الإسلام على مسألة التلاحم والتراحم داخل المجتمع الإسلامي، حتى يكون قادرًا على مواجهة العدو، وإلا فإن العدو سينفذ عن طريق ثغرات الخلاف الداخلي.

وقد جاءت النصوص التي تؤكد على الرابطة الداخلية بين المؤمنين، كالحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: « مَثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مَثلُ الجسدِ، إذا اشتكَى منه عضوٌ، تداعَى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى»[١]. ويقول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»[٢].

كيف نصنع التلاحم

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف يتحقّق التراحم داخل المجتمع؟

أولًا: تأكيد رابطة الانتماء المشترك، فالمسلمون جميعًا ينتمون إلى دينٍ واحد، وهذا يكفي ليكون قاسمًا مشتركًا يجتمع عليه الجميع، ويتآزرون ويتناصرون في ظلّه وتحت رايته.

---

(١) صحيح مسلم، ص١٣٩٦، حديث ٢٥٨٦.

(٢) صحيح مسلم، ص١٣٩٤، حديث ٢٥٨٠.

ثانيًا: تنمية النوازع الإنسانية في النفوس، حتى تنظر كلّ جهةٍ إلى الأخرى بعين المودّة والرحمة.

ثالثًا: إزالة أرضية العداء والتخاصم، المتمثّلة في سوء الظنّ والأحقاد والضغائن والشّحناء.

رابعًا: تجريم أيّ نوع من أنواع إثارة الضغائن والعداوات بين الناس. فالمجتمع المسلم، ينبغي أن يكون حاسمًا وصارمًا، أمام من يُريد زرع العداوات والضغائن، بين أفراد وفئات المجتمع.

نقرأ في السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ حينما سمع عن ظهور بعض النعرات التعصبية بين المسلمين، وقف موقفًا حازمًا، وقال ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**»[1].

وعلى ذلك النهج القويم سار المسلمون الأوائل، فكانت سيرتهم مبنية على مبدأ الإيثار والتراحم فيما بينهم، وحين نتأمل هذه السيرة تبدو لنا وكأنها صورة مثالية، لا يُمكن أن تتحقق بين البشر.

تلك القيم السامية كان ينبغي أن تتعمق في المجتمعات المسلمة، ولكن مع الأسف الشديد، فإن الواقع الذي تعيشه مجتمعاتنا العربية والإسلامية على العكس من ذلك تمامًا، فمختلف شعوب الدنيا تعيش الاستقرار، والاحترام المتبادل في أوطانها، أما المسلمون، ففي أكثر بلدانهم يعيشون النزاعات والصراعات.

وعلى الشعوب التي لم تتفجر فيها الصراعات أن تكون حذرة؛ لأن الصراعات عادةً ما تبدأ صغيرة، ثم ما تلبث أن تتصاعد لتصل لمستوى لا يُمكن مواجهته.

علينا في بلادنا أن نكون حذرين، فالأعداء الخارجيون يتربّصون بنا الدوائر، وفي داخلنا من لديهم من الجهل والتعصب والحماقة، ما يدفعهم لكي يزجّوا ببلادنا في أتون الصراعات.

---

(١) صحيح مسلم، ص١٣٩٥ حديث٢٥٨٤.

حادثة البقيع المؤسفة

وما حصل في المدينة المنورة، في باحة المسجد النبوي الشريف، وبالقرب من المرقد الطاهر لرسول الله ﷺ، وعلى أبواب تلك البقعة المقدّسة، البقيع الغرقد، بتاريخ ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٩ يكشف عن وجود جذور لأحقادٍ ترسّخت في النفوس، وتعبئة صنعت احتقانًا عميقًا في القلوب، وما جرى هناك كان سببًا في ثوران هذا الاحتقان.

إنه مؤشرٌ خطير، إذ كيف يصل الحال بأن يحصل لمواطنين وفي ذلك المكان المقدّس المبارك مثل هذه الاعتداءات الآثمة، طعنٌ بالسكاكين، وضربٌ بالآلات الحادة، وكلّ ذلك بلا مبرر. وما حصل للشيخ جواد الحضري (من الأحساء أصيب بطعنات وأدخل المستشفى لأيام)، يُمثّل مؤشرًا خطيرًا ينبغي الوقوف عنده.

ولنا أن نتساءل: أين دور أجهزة الدولة في منع مثل هذه الاعتداءات؟ فالسّكوت عن مثل هذه الاعتداءات يفسح المجال لتكرّرها في مناطق مختلفة، وهذا يُسبب الانفلات والنزاعات، ويُشوّه سمعة البلد، ويُعطي الفرصة للأعداء.

إن على العقلاء من مختلف الأطراف أن يتداركوا هذه الأمور. وعلينا أن نُلملم آثار ما حدث، وأن نعمل لإزالة الأسباب، التي أدّت إلى حصولها.

ومن أهم تلك الأسباب الوضع الاستفزازي القائم في البقيع تجاه الزائرين المختلفين في التوجّه والنهج، فليس الشيعة وحدهم يرون شرعية التبرّك والتوسّل بمقامات الأولياء، وزيارة مراقدهم، بل معظم المسلمين يرون ذلك، إلا مدرسة (هي المدرسة السّلفية) من بين جمهور المسلمين يرون خلاف ذلك، وهم أحرارٌ في رأيهم، ولكن لا يصحّ أبدًا أن يُمارسوا حريّتهم في التعبير عن معتقداتهم بهذا الأسلوب الاستفزازي العدواني، ينبغي أن يوضع حدٌّ لهذا الأسلوب، فالمدينة المنوّرة منطقة مقدّسة، وينبغي أن تسودها أجواء روحانية ومودّة ورحمة ومحبّة، ولا يصحّ أن تكون مجالًا لتكفير الناس واتهامهم في أديانهم.

وندعو المؤمنين إلى ضبط أعصابهم، وألّا يقعوا في فخّ الاستفزاز، إلا أن تكرار حالة الاستفزاز قد تفقد الحليم حلمه، كما أن الناس متفاوتون في ضبط أعصابهم.

وعلى الدولة أن تجعل في تلك البقاع الطاهرة جهات مهمّتها مراقبة الأمور، وترى ماذا يحصل للناس.

من جانب آخر، فإن على العقلاء أن يتواصلوا من مختلف الطوائف، فبعض الناس قد يأخذ من هذه الأحداث نتيجة سيئة، وأن التواصل مع الآخر لا جدوى منه، وهذا خطأ كبير، إذ على العكس تمامًا، فما حدث يدعو إلى مزيدٍ من التواصل، فالعاقل لا يُريد أن يصبّ زيتًا على نار الفتنة، وإنما يُريد أن يُحاصر الفتنة، وأن يُقلل من دعاة الفتنة، وأن يزيد من ساحة المعتدلين في مختلف المواقع.

بالتأكيد فإنه ليس كلّ الآخر موافقًا على ما حصل، ولا يصحّ تحميل الكلّ تصرفات جهة معينة، علينا أن نكون أكثر موضوعية، كما أن علينا أن ننشر ثقافة التعامل مع مثل هذه المواقف بالحكمة، حيث يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥].

الانحراف عذاب في الدنيا والآخرة

7

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾
[سورة الرعد، الآية: ٣٤]

حين ينحرف الإنسان عن منهج الله تعالى فإنه سيُحيط به الضرر في الدنيا، ثمّ يواجه العذاب والعقاب في الآخرة. وهذا أمرٌ طبيعي، فالمنهج الإلهي وُضع لمصلحة الإنسان، وليس لمصلحة الربّ؛ لأن الله غنيٌّ عن العالمين، ومخالفته خسارة للإنسان نفسه. ومثال ذلك أوامر الوالدين التربوية لأطفالهم، إذ إن مخالفة الأطفال لأوامر الوالدين تضرّهم، حتى وإن لم يستشعروا خطورة المخالفة، وكذلك الحال بالنسبة لأوامر الطبيب للمريض.

فإذا اعتقد الإنسان بمنهج الله تعالى وأحكامه، وأن الله تعالى عدلٌ حكيم، فيجب عليه أن يعتقد بأن مخالفته لمنهج الله فيها ضررٌ كبيرٌ عليه، إلا إذا كان يشكّ في ربّه ودينه. لذا على الإنسان تجاه أيّ حكمٍ شرعي أن يستحضر هذه الحقيقة، فيتساءل: لماذا حرّم الله تعالى عليّ هذا العمل؟ ولماذا أوجب عليّ ذلك العمل؟ حينها سيكون محصّنًا من الوقوع في المعصية والمخالفة.

وفي القرآن الكريم آياتٌ صريحة تتوعّد من يُخالف منهج الله تعالى بالعذاب في الدنيا والآخرة، وأن عذاب الآخرة أشدّ وأعظم، كما أنه لا عاصم ولا ملجأ للإنسان من عذاب الله سبحانه، يقول تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا

لَهُم مِّنَ اللهِ مِن وَاقٍ﴾[سورة الرعد، الآية:٣٤].

فعليك أيها الإنسان أن تكون يقظًا منتبهًا، لا تُسيطر عليك الأهواء والشهوات.

عذاب الانحراف في الدنيا

ومن مظاهر العذاب في الدنيا لمن ينحرف عن المنهج القويم:

أولًا: أن يكون الإنسان عرضةً للقلق والاكتئاب والأمراض النفسية المختلفة. لأن الانحرافات تُبعد الإنسان عن دائرة الإيمان، والمؤمن تكون نفسه مطمئنةً بالله تعالى، راضٍ بما قسم الله له: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، وفي دعاء كميل نقرأ: (واجعلني بقسمك راضيًا قانعًا).

وهذا لا يعني أن يعزف الإنسان عن السعي للتطوير من واقعه، وإنما حين يبذل جهده، ويكون أمام واقعٍ لا اختيار له فيه، فإن إيمانه يدفعه للرضا بما كتبه الله تعالى له. ومخالفة هذه الحقيقة وهي عدم السعي للتغيير لا يعني الرضا بالقضاء والقدر، وإنما ذلك من مظاهر الكسل والخمول، والله تعالى لا يرضى لعباده ذلك.

من هنا فإن الإنسان المؤمن يفترض أن تكون نفسه محصّنة من الأمراض النفسية المختلفة، أما الإنسان الغارق في الأهواء والشهوات، فإنه سرعان ما ينهار أمام التحديات التي تواجهه في الحياة؛ لأن نفسه بعيدةٌ عن منهج الله تعالى.

ومن واقع التجربة يؤكد العديد من الأطباء: أن المرضى الذين يُصابون بمرض خطير، كالإيدز أو السرطان، يكونون على نوعين، منهم من ينهار أمام المرض، فيُعجّل لنفسه الموت، ومنهم من يُقاوم المرض، فيعيش فترة أطول، وذلك عائدٌ إلى درجة اطمئنان الإنسان ومعنوياته التي يُواجه بها مرضه.

يقول الشاعر:

روّح النفس بالسلوّ لديها لا تكن جالب الهموم إليها

وإذا مسّها الزمان بضرٍّ لا تكن أنت والزمان عليها

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (إن أعلم الناس بالله، أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ)[١]، وورد عنه عليه السلام أنه قال: (فيما أوحى الله إلى نبيه موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى، ما خلقت خلقًا أحبّ إليَّ من عبدي المؤمن، وإني إنما ابتليته لما هو خير له، وأعافيه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عبدي عليه، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرضَ بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري)[٢].

وسيرة أهل البيت عليهم السلام تقدّم لنا أجلى الدروس في هذا الجانب، حيث إنهم واجهوا البلايا والمصائب، بنفوس عظيمة، إذ إن نفوسهم مطمئنة بالله سبحانه وتعالى. ولذا نقرأ في السيرة الحسينية أن الإمام الحسين عليه السلام قال في خطبته في مكة المكرّمة: (رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين)[٣]، وفي يوم عاشوراء كان يقول عليه السلام: (يا إلهي صبرًا على قضائك ولا معبود سواك)[٤].

فالإنسان المؤمن يتّقي الكثير من مشاكل وتحدّيات الدنيا، ومن أهمّها المشاكل النفسية.

ثانيًا: تأنيب الضمير، فمن يُخالف منهج الله تعالى يقع في تأنيب الضمير، بينما المؤمن الملتزم بأوامر الله تعالى ينجو من تأنيب الضمير.

ثالثًا: الآثار المادية للانحرافات، على الشخص نفسه وفي البيئة الاجتماعية بشكلٍ عام.

فعلى الإنسان المؤمن أن يلتزم منهج الله تعالى، وأن يسير وفق أحكامه وشرائعه، فذلك خيرٌ له، ويمنحه البركة في الدنيا والآخرة.

---

(١) الكافي. ج٢، ص٦٠.
(٢) بحار الأنوار. ج ١٣، ص٣٤٨.
(٣) أعيان الشيعة، ج١، ص٥٩٣.
(٤) ينابيع المودة. ج٣، ص٨٢.

الخطبة الأولى

النزاعات فرصة للنفوذ الخارجي

ورد عن الامام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «صلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك.اتقوا الله، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلّ مودّة، وادفعوا عنّا كل قبيح»[1].

إن الظروف التي عاش فيها الإمام الحسن العسكري عليه السلام كانت بالغة الصعوبة، فبعد سنتين من ولادته، جاء الأمر من المتوكّل العباسي بإشخاص أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام من المدينة إلى سامرّاء، وقد كانت عاصمة الخلافة العباسية.

وقد شقّ على الإمام الهادي عليه السلام ذلك، كما أن الأمر كان صعبًا على الناس الذين أَلِفُوا وجود الإمام، والإفادة من نمير علمه الزاخر، لذا تقول الروايات أنه حينما أمر المتوكل يحيى بن هرثمة لكي يقوم بإشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء، اضطربت المدينة، وضجّ أهلها، فاضطر يحيى بن هرثمة أن يُطَمْئِنَ الناس، وقال لهم: إنه لم يؤمر تجاه الإمام بسوء، ولن يُصبه مكروه، وأنه سيكون في ضيافة الخليفة. وقد عمدوا إلى تفتيش بيت الإمام، وعن ذلك يقول يحيى بن هرثمة: لقد فتّشت منزله، فلم أجد إلا

(١) تحف العقول. ص٤٨٧.

مصاحف وأدعية، وكتب علم، فعظم في عيني.

وخرج الإمام العسكري عليه السلام مع أبيه، وهو بعد طفل صغير، لم يتجاوز الثانية من عمره، وعاش طوال حياته هناك، التي لم تتجاوز (٢٨) سنة. وكان تحت الإقامة الجبرية، ورغم ذلك لم يسلم بيته عليه السلام من التفتيش بين آونة وأخرى، كما أنه قد تعرّض للسجن عدّة مرات، وكان في كل مرّة يأسر قلوب ساجنيه، فينقلب السحر على الساحر، حيث يتحوّل هؤلاء من سجّانين إلى أتباع مخلصين له. وهذا ما حصل مع (صالح بن وصيف) وكذلك (علي بن أوتامش)، وكانت وفاة الإمام العسكري عليه السلام يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ بينما كانت ولادته سنة ٢٣٢هـ في الثامن من شهر ربيع الآخر في المدينة المنورة.

ولقد خسرت الأمة برحيله الكثير، وذلك بسبب أولئك الحكام المستبدين، الذين لا يُريدون للأمة أن تعرف حقيقة دينها، حتى تبقى خاضعةً خانعةً لهم، فحرموا الأمة من منفعةٍ عظيمة. ومع ذلك فإن الإمام بذل كلّ جهده للتواصل مع الناس، ولإيصال رسائله، وللقاء بهم بشكلٍ أو بآخر.

ومما يُلفت النظر أن كتب السير والتاريخ قد تحدثت عن عددٍ كبيرٍ ممن صحب الإمام وروى عنه، رغم الظروف الصعبة التي عاشها، والمدة القصيرة لحياته الشريفة، ففي كتاب (الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد) للسيد محمد كاظم القزويني، قام بتوثيق كلّ أصحاب الإمام، ومن روى عنه، فبلغ عددهم: ٢٤٢ شخصًا. وهؤلاء ليسوا مجرّد رواة، فبعضهم أساتذة الدين والثقافة في المجتمع الإسلامي.

ومن الوصايا الخالدة للإمام الحسن العسكري عليه السلام، هذه الوصية التي يبعثها الإمام بروح الإيمان إلى كلّ الشيعة في كل زمانٍ ومكان، ليتمثّلوا بها، ويأخذوا بما جاء فيها، يقول عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم،

فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسّن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي، فيسرني ذلك.

اتقوا الله وكونوا زينًا ولا تكونوا شينًا، جرّوا إلينا كلّ مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حقّ في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلا كذاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات. احفظوا ما وصّيتكم به وأستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»[١].

وفي هذه الوصية العظيمة نلحظ أن الإمام عليه السلام يؤكد على مسألتين:

الأولى: اندماج الشيعة في الأمة.

فالإمام عليه السلام وكذلك بقية الأئمة ما كانوا يُريدون لشيعتهم أن يكونوا معزولين عن الأمة؛ لأن ذلك هو هدف الطغاة، بل كان الأئمة يدفعون شيعتهم للتواصل مع بقية شرائح الأمة، وإن اختلفت مذاهبهم وتوجّهاتهم.

الثانية: نموذجية الواقع الشيعي.

حيث يفترض أن التزام الشيعة بمنهج أهل البيت وسيرتهم الطاهرة النقيّة، يصنع منهم كيانًا نموذجيًّا، ومجتمعًا مثاليًّا، يكونون دعاةً للآخرين بواقعهم المشرق، وهذا مفاد وصايا الأئمة عليهم السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»[٢]. وبكلّ تأكيد، فإن هذا الطريق يخدم خطّ أهل البيت وشيعتهم على حدٍّ سواء، في كلّ العصور والأزمنة.

لذلك جاء تأكيد الأئمة على ضرورة الابتعاد عن الخصومات، وعن مسبّباتها بدرجة أولى، وتأتي الخصومات ذات الطابع المذهبي الطائفي على رأس قائمة الخصومات التي ينبذها أهل البيت.

(١) تحف العقول. ص٤٨٧.

(٢) الكافي. ج٢، ص٧٨.

المنشأ السياسي للصراعات

أغلب المشاكل والخصومات قد تكون في أصلها ذات طابع سياسي، فينبغي أن تبقى في ذات الإطار وتُعالج سياسيًّا، لا أن تتحول إلى صراعٍ طائفي مذهبي. فالأعداء يُريدون لنا ـ كمسلمين وكشيعة ـ أن نتورّط في الصراعات المذهبية، وهذا ليس من منهج أئمتنا الذين ما كانوا يريدون لشيعتهم أن ينخرطوا في صراعاتٍ ذات طابعٍ مذهبي.

وقد رأينا مع كلّ المحاولات في العراق، وبمختلف الطرق، ليجرّوا الشيعة إلى صراعٍ مذهبي، لكن المرجعية الشيعية أفشلت تلك المحاولات، وأصرّت على أن المسألة ترتبط بعوامل سياسية، وأن السنة إخوانٌ للشيعة. بل أكثر من ذلك، إذ خاطب المرجع السيد السيستاني قيادات الشيعة ضمن اجتماعٍ جمعه بهم، قال لهم: «لا تقولوا السنة إخوانكم، بل هم أنفسكم». ومع كلّ ما حصل في العراق تجاه الشيعة، فقد كانت المرجعية تؤكد هذا النهج، وكل بيانات المرجعية تؤكد ذلك.

صحيح أن بعض الحكومات تُريد أن تُعطي للصراع طابعًا طائفيًّا، وهذا فخٌّ ينبغي لنا أن نتجنّب الوقوع فيه، وهناك جهات مغرضة تُثير التشنّج والتشدد، تحقيقًا لأغراض سياسية، وعلينا أن نحصر هذه الجهة في بعدها السياسي لكي لا نقع في فخِّ النزاع المذهبي. فنحن نعيش في وطنٍ واحد، ونتداخل في أكثر من منطقة وأكثر من بلد، ولا نريد أن تنتشر أجواء الحقد والعداوة بين أبناء الوطن الواحد، والأمة الواحدة، وهذا يحتاج لدورٍ فاعلٍ من قبل العقلاء، وألا تُسيطر العواطف والانفعالات. فرغم أننا نُدين التعصب والاستفزازات والإهانات، إلا أنه يتوجب علينا أن نُحددها في حدودٍ معينة وألّا نُعمّمها، فيتحول الواقع إلى معركة مفتوحة مع شركائنا في الوطن.

توجيه المرجعية الدينية

وأنقل هنا بعضًا من إجابات المراجع حول أسئلة وجّهت لهم ضمن سياق الصراع

المذهبي، ورغم أن هؤلاء المراجع لا يتصدّون للشأن السياسي، إلا أنهم يؤكدون على منهج الاعتدال، وعدم الانجرار في فخّ الصراعات المذهبية الطائفية:

سئل سماحة المرجع الديني السيد صادق الشيرازي:

س/ ما رأي المرجعية الدينية من التقارب مع أهل العامة، مع اختلاف مصادر التلقي لكلا الطرفين، وأين نقاط الالتقاء؟

وكان جواب سماحته:

«نقاط الالتقاء والاشتراك كثيرة، بدءًا من التوحيد وإلى المعاد. ومن الصلاة إلى الدّيات. فالعقل السليم يدعو الجميع إلى التوافق فيما اتفقوا عليه، ومعالجة نقاط الاختلاف بالحوار الحرّ البنّاء، الخالي من التعصّب الأعمى والعناد»[1].

وسئل سماحة المرجع الديني الشيخ الوحيد الخراساني:

س/ نحن مجموعة من الشيعة الإمامية، نقطن في محيط غالبيته من أبناء السنة، الذين يعتبروننا كفّارًا، ويقولون ويعتقدون بكفر الشيعة، فهل نعاملهم بالمثل ونعتبرهم كفّارًا، ونتعامل معهم ككفّار؟ راجين من سماحتكم أن تُبيّنوا لنا الموقف الشرعي الذي ينبغي أن نلتزمه وفق الظروف التي بيّنّاها أعلاه.

وكان جواب سماحته:

«كل من يشهد بوحدانية الله تبارك وتعالى، ويشهد برسالة خاتم الأنبياء، فهو مسلم، ونفسه وعرضه وماله كنفس ومال وعرض أتباع المذهب الجعفري مصون ومحترم ومحقون.

وواجبكم الشرعي أن تُعاشروا كل من يتشهد بالشهادتين، ولو اعتبروكم كفارًا، بالمعروف. وتتعاملوا معهم بالتي هي أحسن. وإذا فُرض أن يتعاملو معكم بالباطل،

---

(1) http: / /www.s-alshirazi.com /masael /subject /aghaed /letter59.htm

فلا بُدّ أن تلتزموا أخلاق أئمتنا ولا تزيغوا عن طريق الحقّ والعدل الذي ألزمونا باتباعه.

ولو مرض منهم أحد فلا بُدّ من عيادته وزيارته، ولو مات منهم ميّت حضرتم جنازته، وشيعتموه، ولو قصدكم بحاجة لبيتم وقضيتم حاجته، ولا بُدّ أن تُسلّموا الحكم الله تعالى الذي يقول: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾. وأن تعملوا بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾»[١].

فهذا كلام المراجع، يأتي متوافقًا مع هدي الأئمة ﷺ، فقد روي عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: إن عليًّا ﷺ لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكنه كان يقول: «هم إخواننا بغوا علينا»[٢]. وقد سئل الإمام علي ﷺ عن بعض من حاربه: أمشركون هم؟ قال: «لا، بل من الشرك فَرُّوا»، قيل: فمنافقون؟ قال: «لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا»، قيل: فما هم؟ قال: «إخواننا بغوا علينا فنصرنا عليهم»[٣].

لذا ينبغي ألا يكون الفرد منا أسير الحماسة والانفعال، فيعتبر التواصل مع الآخر عبثًا لا جدوى منه، فهذه رؤيةٌ تحتاج إلى إعادة نظر. والحمد لله، فإن هذه النظرة ليست عامّة، فالأكثرية من أبناء المجتمع والوطن متعقّلون، وحديثنا حولها للذكرى، ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) جريدة الوسط البحرينية. العدد ٢٢٨٣ بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ٦ ديسمبر٢٠٠٨م.
(٢) وسائل الشيعة. ج١٥، ص٨٣.
(٣) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص٦٨

تجنّب الصراعات

﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[سورة الأنفال، الآية: ٤٦]

مع تأكيد الإسلام على وحدة الأمة، ودعوته المؤكدة لنبذ حالة الصراع والخصومة في آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال الأئمة وعلماء الأمة، إلا أن الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر ـ ومع الأسف الشديد ـ تُعتبر من أكثر الأمم في نزاعاتها الداخلية.

في حين أن أغلب الأمم الأخرى قد تجاوزت حالة الصراع والخصومة، ووصلت إلى مرحلة التعايش والاستقرار السياسي والاجتماعي. إنهم يختلفون، ولكنهم يُعالجون اختلافاتهم عبر الوسائل السياسية، ووفق الأنظمة والقوانين، ومن خلال الإعلام الحرّ، ومؤتمرات الحوار.

في مقابل ذلك، نجد المسلمين في أكثر بلدانهم لا يزالون يعيشون حالة الصراع والنزاع بمختلف أشكالها وألوانها، ففي مكان نجد الصراعات العرقية والقومية، وفي آخر نجد الصراعات الدينية والمذهبية، ونرى الصراعات السياسية في مكانٍ ثالث، والقبلية في مكان رابع.

وقبل أيام قرأت في إحدى صحفنا المحلية عن زيادة النزعات القبلية في المملكة،

وأنه يوجد ٣٦٠٠ موقع قَبَلي على شبكة الإنترنت(١).

إن الأمم تجاوزت مثل هذه الصراعات، وما بقي منها قنّنوه ضمن ضوابط وأطر، بينما لا يزال المسلمون يقبعون في متاهات هذه الصراعات، بما لها من تداعيات وأضرار كبيرة على واقع الأمة، ومن أبرز تلك الأضرار:

١. أن هذه النزاعات والصراعات هي سبب ضعف المسلمين، والسبب الأساس الذي يُغري الأعداء بهم.

٢. بسبب النزاعات والصراعات تنشغل الأمة عن التنمية.

٣. كما أن النزاعات والصراعات سبب رئيس لإضعاف جماعات الأمة بعضهم لبعض.

٤. وتمثّل النزاعات والصراعات بوابة الأعداء للتدخل في الشؤون الداخلية للأمة، وفرض هيمنتهم.

ومن مظاهر ذلك أنك تجد الآن العالم العربي مشغولًا بالقرار الذي أصدرته محكمة الجنايات الدولية حول الرئيس السوداني، وحين نتأمل نجد أن جذر هذه المشكلة هو صراعٌ في منطقةٍ من مناطق السودان (دارفور)، يقطنها ٤ ملايين مسلم، ضمن مذهبٍ واحد، إلا أن المشكلة هي في الأصل العرقي، فبعضهم من أصول أفريقية، والبعض الآخر من أصول عربية، مما أوجد صراعًا بينهم كان له الدور الأساس في تدخل الأعداء.

لذا علينا في كلّ أوطاننا أن نتجنب الصراع والنزاع، فقد يبدو في بداياته سهلًا، وقد يتصور أحد أطراف النزاع أن بإمكانه حسم المعركة لصالحه؛ لأنهم أكثرية، أو بيدهم القوة والسلطة، لكنه قد ثبت عمليًّا أن المسألة هي أعقد من هذا التفكير الساذج، فما

---

(١) http://twasul.info/index.php/local/item/3191-?device=iphone#.Ub2F-OfKFi8

عادت الصراعات اليوم ضمن الإطار المحلي فقط، إذ إنه بمجرد أن يتفجر صراع، فإن هناك جهاتٍ كثيرةٍ في العالم تجده سوقًا لأطماعها ومصالحها. فلا يُمكن التحكم في الصراعات الداخلية طويلًا؛ لأن العالم أصبح مفتوحًا على بعضه بعضًا، وهناك جهات دولية ومنظمات عالمية تُراقب الأوضاع، وتوظّف الصراعات لمصالحها.

فعلى العقلاء من حكّام ومحكومين في أيّ وطنٍ من الأوطان، ألا يُتيحوا الفرصة لظهور النزاعات والصراعات.

ومعلومٌ أن الصراعات في أغلب البلدان العربية والإسلامية لها أصلان:

الأول: سياسي، يتمثل في حالات التمييز بين المواطنين على أساس عرقي أو ديني طائفي، فالتمييز يصنع أرضيةً للصراع والنزاع.

الثاني: ثقافي، يتمثل في حالات التعصب الديني أو المذهبي أو العرقي، مما يبعث الكراهية والبغضاء في النفوس.

ومع الأسف الشديد، فإن هذين السببين، كلاهما أو أحدهما، تُعاني منهما أغلب بلداننا العربية والإسلامية، مما يجعل المجال مفتوحًا أمام النزاعات والصراعات الداخلية، ويُعطي الفرصة للأعداء، إضافةً لما يُسببه من تعويقٍ للتنمية، وللبناء في الوطن.

لذا يجب أن يحرص الجميع على تلافي النزاعات والخصومات، وأن يتحرك العقلاء من كلّ الأطراف. ومن هذا المنطلق جاء تحرك وفدٍ من رجالات الشيعة وعلمائهم من الأحساء والقطيف والمدينة والمنورة، في أعقاب ما حصل من حوادث مؤسفة في المدينة المنورة أمام البقيع الغرقد.

وفيما أفهمه أن هذا الوفد لم يذهب للقاء المسؤولين في الرياض دفاعًا عن طائفةٍ أو مذهب، وإنما من أجل الدفاع عن مصلحة الوطن كلّه؛ لأن الفتن والمشاكل تضر بالوطن كلّه، وإن كان الظاهر في الأمر أن الشيعة هم المتضررون، إلا أن ذلك ضررٌ

للوطن كلّه، وتشويهٌ لسمعة كلّ الوطن، وإيقادٌ للفتنةٍ التي تضر بالوطن، وإعطاء فرصة للإرادات الخارجية التي تبحث عن مثل هذه الفرصة في الوطن.

لذلك كان الباعث من وراء هذه المبادرة هو المصلحة العامة. والحمد لله، فإن الوفد كان ممثلًا لروحٍ إيجابية من التعاون والتلاحم من مختلف الشرائح والتوجهات، وهذا ما ينبغي أن ننمّيه ونُحافظ عليه.

لأن المصالح المشتركة يجب أن تجمعنا، فإننا نواجه اليوم تحدّيات كبيرة وخطيرة، واختلافنا في بعض الآراء والاتّجاهات لا ينبغي أن يكون عائقًا أمام التلاحم والتعاون من أجل المصلحة العامة.

والحمد لله، انطلق الوفد وعاد بهذه الروح، وقد أُطلِق سراحُ الموقوفين، ولكن المسألة لا تقف في حدود إطلاق سراح الموقوفين، وإنما هناك أمرٌ بالغ الأهمية، يتمثّل في إزالة أسباب التوتّر، ومعالجة أصل المشكلة، وإذا لم يتم معالجة هذا الجانب فإن الأمر قد يتكرر في المستقبل.

وفي هذه القضية بالذات، فإن الأجواء القائمة في المدينة المنوّرة هي أجواء استفزازية، وخاصّة عند البقيع، وداخل المسجد النبوي الشريف. هذه الأجواء الاستفزازية مخالفة لسماحة الإسلام، وللروح الإنسانية، ونأمل أن تُعالج هذه الأجواء التي تُسبب التوتّر بين المسلمين في تلك البقاع المقدّسة. وعلينا أن نسعى جميعًا لتحقيق هذه الغاية، فهي لمصلحة الدين والوطن وجميع المواطنين.

الخطبة الأولى

المؤتمرات ظاهرة حضارية

ورد عن رسول ﷺ أنه قال: «أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه»[1].

حين يتّجه الإنسان إلى أيّ مجالٍ من مجالات العلم والمعرفة، ويُصبح من أهل الرأي والخبرة فيه، فإنه سيُدرك قيمة الآراء العلمية، وأهمية التجارب والخبرات لدى الآخرين. فالعلم بحرٌ لا متناهٍ، يقول تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾[سورة الإسراء،الآية: ٨٥] ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[سورة يوسف، الآية: ٧٦].

فمن الطبيعي أن يقف الإنسان بمفرده عاجزًا أمام هذا البحر المتلاطم من العلم، وإذا كان مخلصًا للعلم والمعرفة والمجال الذي يُبحر فيه، فإن ذلك سيدفعه للاطلاع على آراء وخبرات الآخرين.

لذا نجد أن ذوي المعرفة والرأي يتّجهون للتواصل فيما بينهم، لتحقيق مستوىً أكثر تقدّمًا في مجالات تخصّصهم واهتمامهم. ومع تقدّم البشرية أصبح هذا التواصل منظّمًا، يتجاوز الحدود الجغرافية، ولم تعد اللغة مشكلةً أو مانعًا أمام تعدّد الجنسيات، فوجود الترجمة الفورية عالج هذه المشكلة.

والنصوص الدينية تدعم هذا التوجّه الفطري العقلي، فقد ورد عن الرسول الأعظم محمدٍ أنه قال: «أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه»[2].

(١) بحار الأنوار. ج٧٤، ص١١٢.

(٢) بحار الأنوار، ج١، ص١٦٤.

وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «حقّ على العاقل أن يُضيف إلى رأيه رأي العقلاء، ويضمّ إلى علمه علوم العلماء»[١].

المؤتمرات العلمية

يشهد العالم اليوم ظاهرة حضارية تُعَدُّ معلمًا من معالم التقدّم البشري، ونموذجًا رائدًا على صعيد التواصل بين ذوي الرأي والخبرة في المجالات المختلفة. هي ظاهرة عقد المؤتمرات العلمية، التي أصبحت البلدان ترصد لها الميزانيات الضخمة؛ لأنها باتت تعكس مدى تقدّم البلد، بحسب كميّة ونوعية المؤتمرات العلمية التي تُعقد فيه.

ومن أهم المكاسب التي تتحقّق من خلال المؤتمرات:

١. تُعرّف العلماء والباحثين على بعضهم.

٢. تدوير الآراء والأفكار.

٣. صناعة الرأي في أوساط النخب العلمية والمعرفية.

٤. إلفات النظر عالميًّا إلى بعض القضايا والاهتمامات.

واقع المؤتمرات في المجتمعات العربية والإسلامية

بدأ العالم العربي والإسلامي في الآونة الأخيرة يتّجه إلى عقد بعض المؤتمرات حول القضايا التي تُثير اهتمام أطيافه، كموضوع الوحدة، وتكريم الشخصيات الرائدة، إلا أن هذه المؤتمرات ما تزال في طور النمو، فهي حديثة عهد، وتحتاج إلى جهدٍ كبير من أجل تطويرها، والرقي بمستواها إلى الواقع المتقدّم الذي يشهده العالم اليوم في مجال عقد المؤتمرات المتخصصة. فمن حيث التنظيم، والإعلام، وإدارة المؤتمر،

---

(١) عبدالواحد الآمدي التميمي. غرر الحكم ودرر الكلم، ج١، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٣٤٥، حديث ٥٣.

والجدية في تناول المواضيع، والتوصيات الختامية، كل هذه الأمور وغيرها تشكو من ضعفٍ كبير. بل إن بعض المؤتمرات التي تُعقد في المجتمعات العربية والإسلامية ليس لها أي جدوى سوى الإعلام والاستعراض، والخسائر المالية، والجهود التي تُبذل في تنظيمها. بحيث لو صرفت هذه الجهود في مجالٍ آخر لكان أفضل وأكثر منفعة. وهذا لا يعني إلغاء هذه الظاهرة، بل التوجّه لمعالجة نقاط الضعف، وليس التراجع عن عقد المؤتمرات، فهي تمثّل مائزًا بين المجتمعات، وتخلق مجتمعًا واعيًا قادرًا على مواجهة تحدّيات العصر.

المؤتمرات المحلية حاجةٌ عصرية

ما يزال مجتمعنا المحلي يشكو من انعدام عقد المؤتمرات المتخصّصة، وذلك لا لِنقصٍ في الكفاءات والإنجازات، فالمجتمع، والحمد لله، يزخر بالكفاءات على مختلف الصّعد، وإنجازاته واضحة المعالم. إلا أن ثقافة المؤتمرات لا تزال غائبة عنه، ويحتاج الواعون إلى قرع الجرس لبدء مرحلةٍ جديدة، وتدشين مؤتمرات متنوعة متخصّصة محلية، في مختلف المجالات التي تهمّ المجتمع، سواءً على المستوى الديني، أو العلمي، أو الاجتماعي، أو الثقافي.

فما أحوج مجتمعنا إلى مثل هذه الخطوة، التي من خلالها يستطيع المجتمع أن يُدشّن عهدًا جديدًا للمنطقة، تتضافر من خلالها الجهود والكفاءات، وتتبلور الأفكار والآراء، وتتسع رقعة الوعي، ويستفيد الجميع من التجارب والخبرات التي تملأ ساحة المنطقة، إلا أنها مغمورةٌ.

ولكي تتحقق هذه الخطوة يحتاج المجتمع إلى مبادرات أهلية تدفع بهذا الاتجاه، وتُشجّع عليه، وهنا يأتي دور العلماء والمصلحين والمثقّفين ورجالات المجتمع، لأخذ هذا الدور المهم، في الدفع باتجاه تدشين مؤتمرات متخصّصة محلية، يتحقق من خلالها تقدم المجتمع.

مؤتمر الهيئة العالمية للفقه الإسلامي

بحمد الله تعالى وفّقني سبحانه للمشاركة في مؤتمر الهيئة العالمية للفقه الإسلامي الذي انعقد في (اسطنبول ـ تركيا) بتاريخ ١٥-١٦ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ١٢-١٣ مارس٢٠٠٩م من قبل هذه الهيئة، وهي هيئة علمية أهلية مستقلّة وثيقة الصلة بمؤسّسة السيد الخوئي في لندن. وشارك في المؤتمر (٦٠) عالمًا وباحثًا من السنة والشيعة، وكان عنوان المؤتمر: الفقه الإسلامي وتحدّيات العصر.

واستمرّ لمدة يومين، بمعدّل ٦ ساعات يوميًّا، تمّ خلالها تناول الموضوعات التالية:

- المواطنة في الفقه الإسلامي.
- حقوق الإنسان في الفقه الإسلامي.
- حقوق المرأة في الفقه الإسلامي.

وكانت مشاركتي ببحث حول موقعية حقوق الإنسان في الفقه الإسلامي. وكانت تجربة المؤتمر ناجحة وجيّدة، نأمل لها المزيد من التقدّم والتطور، لتكون أكثر نتاجًا وخدمةً لقضايا مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وأن يخطو مجتمعنا باتجاه مثل هذه المؤتمرات الواعية.

العدل والمساواة لحفظ الاستقرار والأمن

﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[سورة المائدة، الآية٨].

قد يُحبّ الإنسان شخصًا أو يبغض آخر، وقد يُحبّ طائفة أو يبغض أخرى، لأسباب نفسية أو فكرية أو اجتماعية، فهذا شأنه الخاص. وقد يُفضّل شخصًا لحبه له، ويتجاهل شخصًا لبغضه له في مجال علاقاته الشخصية، وهو حرٌّ في ذلك أيضًا. إلا أن الأمر إذا تعلّق بالشأن العام، فهنا ينبغي للإنسان أن يتعامل بعيدًا عن ميله النفسي الشخصي، ملتزمًا العدل والإنصاف.

المشاعر في الإطار العائلي

أول دائرة يجد الإنسان نفسه في محيطها هي العائلة، ومع تعدّد أفراد العائلة قد تختلف مشاعر الإنسان تجاه كلّ فردٍ منها، فعندما يكون للإنسان أكثر من ولد، فعليه هنا أن يضع في حسابه العدل بين الأولاد، ليس فقط في الأمور المادية، بل حتى الأمور العاطفية التي يُظهرها لأبنائه، فقد جاءت النصوص الدينية لتؤكد على هذا الجانب المهم. ورد عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «إن لهم عليك من الحقّ أن تعدل بينهم، كما أن لك عليهم من الحقّ أن يبرّوك»[1].

(١) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال، ج١٦، الطبعة ٥/ ١٤٠٥هـ (بيروت: مؤسسة الرسالة)،

وعنه ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم في النِّحَل (أي العطية والهبة ابتداءً من غير عِوض ولا استحقاق) كما تُحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ والعطف»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أبصر رسول الله ﷺ رجلًا له ولدان، فقبّل أحدهما وترك الآخر، فقال: فهلا واسيت بينهما؟!»[٢].

وعن النعمان بن بشير قال: أعطاني أبي عطيّة، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد النبي ﷺ، فأتى النبي فقال: إني أعطيت ابني من عمرة عطّية، فأمرتني أن أشهدك، فقال: أعطيت كلّ ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتّقوا الله واعدلوا بين أولادكم، لا أشهد على جور»[٣].

إنه يحقّ للإنسان أن يعطي أيًّا من أولاده ما يشاء، لكنه يكره له أن يفضّل في العطية بعضهم على بعض، بل يحرم عليه ذلك إذا كان يسبب الفتنة والعداوة.

وكذلك بالنسبة للرجل الذي يكون له أكثر من زوجة، مطلوبٌ منه أن يعدل بين زوجاته في العطاء المادي، والحقّ الزوجي، وإن كان من الصعب عليه أن يُساوي بين زوجاته في الميل القلبي، يقول تعالى: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾[سورة النساء، الآية:٣]، ويقول تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ﴾[سورة النساء، الآية:١٢٩].

فالمطلوب من الرجل هي العدالة العملية، وغير المستطاع هو العدالة العاطفية.

المشاعر في القضاء

وكرتبة أعلى من الإطار العائلي يأتي موقع القضاء، إذ يلزم القاضي أن يحكم بعيدًا

ص ٤٤٧، حديث ٤٥٣٥٨.

(١) المصدر نفسه. ص٤٤٤، حديث ٤٥٣٤٧.

(٢) بحار الأنوار. ج٧١، ص٨٤.

(٣) كنز العمال. ج١٦، ص٥٨٥، حديث ٤٥٩٥٧.

كلّ البعد عن مشاعره وعواطفه، حتى وإن كان يميل بمشاعره إلى أحد المختصمين، فذلك مما نهت عنه الشريعة الغرّاء، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[سورة النساء، الآية:١٣٥]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[سورة النساء، الآية:٥٨].

المشاعر في الحُكم والسلطة

ويأتي الحاكم كأعلى موقعية بين الناس، وهنا تكون مسألة تأثير المشاعر أخطر من أيّ موقع آخر، إذ يجب على الحاكم أن يكون حذرًا جدًّا من تأثير الميل العاطفي أو القلبي تجاه فئةٍ دون أخرى، فهذا مما يوجب العداوة بين فئات الشعب.

من حقّ الحاكم أن تكون له مشاعره الخاصة، وعواطفه الشخصية، إلا أن ذلك ينبغي ألا يكون في مجال التعامل وعلى صعيد الحقوق والواجبات، فالتمييز بين الناس أسوأ ممارسة يُمكن للحاكم أن ينحو باتجاهها؛ لأنها لا تضرّ بالشعب فقط، بل تضرّ باستقرار الحكم، وتوازن القوى، واستتباب الأمن في الوطن، لذلك يؤكد الله تعالى في كتابه العزيز على خطورة الميل العاطفي في مجال الحكم، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[سورة المائدة، الآية: ٨].

تجربة الوقف الجعفري في الكويت

بحمد الله تعالى شاركت في المؤتمر الذي انعقد في دولة الكويت بتاريخ ١٥ـ١٧ مارس٢٠٠٩م حول الوقف الجعفري للمرة الثالثة، وهو مؤتمر يُعقد بإشراف رسمي

من حكومة الكويت، وبتمويل من وزارة المالية، إلا أنه بإدارة علماء الشيعة هناك، حيث رأت حكومة الكويت أنه من حقّ الشيعة أن يُديروا أوقافهم وفق مذهبهم، وكما أنه لدى السنة إدارة خاصة لأوقافهم، ويعقدون مؤتمرًا سنويًّا حولها، فللشيعة الحقّ في ذلك أيضًا، وهذا ما حصل بالفعل.

وقد عقد المؤتمر بإشراف رسمي من حكومة الكويت، وبرعاية أمير الكويت، وبتغطية إعلامية رسمية، مما أعطى المؤتمر قوّة، تُضاف إلى قوة التنظيم حيث اجتهد القائمون على المؤتمر لإظهاره بصورةٍ مشرقة.

إن الشيعة هناك بهذا الموقف من الحكومة يشعرون بأنهم جزءٌ من البلد، وأنهم كبقية المواطنين يشعرون بوجودهم، وباحترام الحكومة لهم.

وحريٌّ بأن يحظى المسلمون جميعًا في مختلف بلدانهم، وإن اختلفت انتماءاتهم ومذاهبهم، بالمستوى المطلوب من العدل والإنصاف والمساواة، فذلك من أهمّ مسببات استقرار البلاد الإسلامية، واستتباب الأمن في جميع أرجائها.

الخطبة الأولى

الثقة بنتائج عمل الخير

﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:١١٥]

جاء القرآن الكريم خطابًا إلهيًّا، لاستنهاض الإنسان، بتفجير طاقاته، وتحريك فاعليته، وقد سلك القرآن الكريم عدة سبل، من أجل هذه الغاية، من تلك السبل:

- إلفات نظر الإنسان إلى ما منحه الله سبحانه وتعالى من طاقات وقدرات حتى لا يغفل عنها.
- ترغيب الإنسان في الفاعلية والحركة، وأن ذلك هو سبب نجاحه وتقدمه في الدنيا والآخرة.
- توجيه الأمر المباشر الصريح للإنسان بأن يعمل ويتحرك، وأن يتحمل مسؤوليته في هذه الحياة.
- ومن مناهج القرآن على هذا الصعيد، إزالة العقبات والمعوقات التي تمنع الإنسان من العمل والحركة؛ لأن هناك عوائق ذاتية وأخرى خارجية، تقعد بالإنسان عن أن يمارس فاعليته ونشاطه، ومن العوائق الذاتية ما يعتور الإنسان في الكثير من الأحيان، من مشاعر عدم جدوائية عمله، كأن يتساءل بينه وبين نفسه:

هل هو مجد أن أعمل أو أن أتحرك؟ وهل للعمل فائدة؟ وهل للتحرك نتيجة؟

في الغالب يجد الإنسان نفسه أمام تساؤلات من هذا القبيل، وخاصة إذا كان يعيش في محيط ليس إيجابيًّا، لا يتفاعل مع الحركة، أو لا يعترف بدور العاملين الناشطين. في مثل هذه البيئة، قد تحصل عند الإنسان حالة من التراجع والإحباط، فلا يكون مندفعًا نحو الفاعلية والعمل.

لهذا نجد القرآن الكريم قد ركّز في أكثر من آية على معالجة هذه المشكلة، من أجل أن يقول للإنسان: أيها الإنسان، عليك أن تثق وتطمئن بأن أيّ مسعى تقوم به في طريق الخير، وأيّ تحرك صالح فإن له نتائجه الطيبة، وأنه لن يضيع، كل ذلك من أجل أن يطرد الإنسان مثل هذه المشاعر الاستسلامية الانهزامية.

الله تعالى يقول:﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَروهُ﴾، وتعني: أن أيّ خير يفعله الإنسان لن يكفر له. الكفر هنا بمعنى عدم الاعتراف، بمعنى الستر والجحود. أيها الإنسان كن واثقًا ومطمئنًا أنه لن يُجحد أو يُنكر أو يذهب هباءً، لن يضيع سدى. وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾[سورة الأنبياء، الآية:٩٤].

في هذه الآية المباركة يقدّم الله سبحانه وتعالى ضمانة للإنسان، بأن أيّ عمل خير يفعله قلَّ أو كثر، فإنه مسجل ومكتوب، كل ذلك من أجل أن تكون عند الإنسان ثقة واطمئنان، بأن يسير في طريق الخير، وأن يتحرك باتجاه العمل الصالح، على صعيد وضعه الشخصي، وعلى صعيد وضعه الاجتماعي العام.

استعجال الثمرة

في كثير من الأحيان، قد لا تكون نتائج العمل فورية، وعلى الإنسان أن يكون واعيًا مدركًا أن بعض الأعمال طبيعتها تحتاج إلى وقت. فهناك فرقٌ بين من يزرع الخضراوات التي لا تحتاج إلا إلى أيام أو شهور قليلة حتى تورق وتثمر، وبين من يزرع فسيلة النخل؛ لأن من يغرس نخلة، عليه أن يعطي الأمر فرصة أطول. لذلك لو

غرس إنسان مجموعة من فسائل النخل، وإلى جنبه جاره قد زرع بعض الخضراوات والحشائش، فإنه سيرى بعد شهر أو شهرين أن جاره قد أثمرت زراعته، وبدأ يحصدها وربما بدأ يبيع منها في السوق، بينما يجد أن نخيله لا تزال في طور النموّ وأنه متأخر كثيرًا عن جاره في الحصاد. هذه حالٌ طبيعية، فعلى الإنسان أن يعرف أن هناك فرقًا بين ما زرعه وبين ما زرع جاره.

لا بُدَّ أن نعرف أن هناك بعض الأعمال بطبيعتها تحتاج إلى وقت وزمن، ثم إن مسيرة المجتمعات البشرية تعتمد على تراكم الأعمال والجهود. قد يكون جيل من الأجيال يعمل ويتحرك، لكن الثمار يقطفها الجيل الذي يأتي بعده. فالإمام الحسين عليه السلام وأولاد الإمام الحسين عليه السلام لم يروا نتائج ذلك العمل الكبير، والنهضة العظيمة، التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام، حيث احتاجت إلى وقت حتى تؤتي ثمارها ونتائجها، وكذلك هي جهود الأنبياء والمصلحين.

ولو عاش الإنسان في محيط غير إيجابي يتنكر لسعيه وعمله، فعليه ألا يصاب بالإحباط واليأس، وذلك لأسباب تحدث عنها القرآن الكريم:

١. عليه أن يثق بأن ثوابه وجزاءه مضمون عند الله تبارك وتعالى، فلا كفران لسعيه، كما تعبر الآيةالكريمة: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾.

٢. القرآن الكريم، عبر حديثه عن الأنبياء والرسالات السماوية، يوضح أن المسألة بحاجة إلى تراكم في الجهد والعمل، قد لا يكون أول جهد وأول تحرك يوصل الإنسان إلى الأهداف والغايات التي يتوخّاها، لكن عليه أن يستمر في العمل والسعي.

٣. قد لا تظهر قيمة العمل بشكل سريع، ولكنها لن تضيع حتمًا، وستظهر فيما بعد، وهذا من معاني قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾. إنه مكتوب ومسجّل، والتاريخ يؤدي شهادته، كم في تاريخ هذه الأمة الماضي والحاضر من رجال عملوا وتحركوا، وجَدُّوا واجتهدوا، وأبلوا بلاءً حسنًا، لكن لم يقطفوا ثمار

جهودهم في حياتهم، أو لم ينالوا التقدير المناسب لدورهم في حياتهم، لكن أجرهم مضمون عند الله تعالى، كما أن التاريخ يؤدي شهادته تجاههم. فليس كلّ من تحرك قطف الثمار، حيث قد تتأخر الثمار أو تحتاج الجهود إلى تراكم، وليس كل من تحرك قوبل بالشكر والاعتراف، بل كثيرًا ما ووجه فاعلو الخير بالإيذاء والتنكر، كما واجه ذلك الأنبياء والمصلحون.

هكذا يطمئن القرآن الكريم الإنسان، بأن عليه ألا تقعد به مثل تلك الهواجس والمشاعر، وأن يستمر في عمل الخير وفي طريق الإصلاح.

الشيخ مغنية أنموذجًا

ومن بين تلك الشخصيات المعطاءة التي سجّل التاريخ شهادته لها بدورها المميّز، رغم ما واجهته من تنكر وتجاهل في حياتها، هي شخصية الشيخ محمد جواد مغنية.

في الأسبوع المنصرم عقد مؤتمر في بيروت يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٧-٢٨ ربيع الأول١٤٣٠هـ، حول تكريم عالمين قاما بدور في خدمة الأمة والثقافة الإسلامية، أحدهما من علماء أهل السنة هو الشيخ عبد الله العلايلي، والثاني من علماء الشيعة هو الشيخ محمد جواد مغنية رحمة الله عليهما، وسأتحدث عن الشيخ محمد جواد مغنية، باعتبار أن مشاركتي في المؤتمر، كانت حول هذا الرجل.

لعلّ بعض أبناء الجيل الجديد لا يعرفونه حقّ المعرفة، لكن من يقرأ تاريخ النهوض الإسلامي وخاصة في المجتمع الشيعي، يدرك أن الشيخ محمد جواد مغنية كان من أوائل العلماء المؤسّسين للوعي والثقافة والمعرفة الدينية في هذا العصر، ولد سنة ١٣٢٢هـ وتوفي سنة ١٤٠٠هـ، هذا الرجل كان له دور كبير في بثّ الفكر الإسلامي، ونشر ثقافة مدرسة أهل البيت ، هو من أوائل العلماء الذين عملوا على هذا الصعيد وكان له الدور الأكبر في عصره، ثم تتابعت بعده الجهود.

قبل الشيخ محمد جواد مغنية كانت معظم الكتابات والمؤلفات التي تصدر

من علماء وكتاب الشيعة لغتها قديمة، وكانت كتبًا تخصّصية موجهة للعلماء ضمن الحوزات العلمية، وبمجلدات كبيرة، وغالبًا ما كانت تطبع وتنشر في الأجواء الشيعية المحدودة، في العراق أو في إيران.

الشيخ محمد جواد مغنية خرج عن هذه الطريقة التقليدية، صار يكتب بلغة عصرية واضحة مفهومة، موجّهة للشباب والمثقفين، ويتناول هموم الناس، وقضايا السياسة، ويطبع كتبه في بيروت، عبر دور النشر الواسعة الانتشار، وبالتالي استطاع أن يوصل الفكر الشيعي وثقافة أهل البيت عليهم السلام إلى أبناء هذا الجيل، كان يكتب كتبًا صغيرة الحجم، وبلغة عقلية وعلمية، نذكر منها: الله والعقل، النبوة والعقل، إمامة علي والعقل، المهدي المنتظر والعقل، الآخرة والعقل.

وهكذا سائر الكتابات التي كان يكتبها. وكانت لغته لغة واضحة مفهومة عصرية. وبعد ذلك كتب تفسيرًا للقرآن بهذه اللغة الواضحة العصرية، كتب تفسيرين، تفسيرًا مفصلًا يقع في سبعة مجلدات (الكاشف في تفسير القرآن)، وتفسيرًا مختصرًا في مجلد واحد (التفسير المبين). وقدم شرحًا لنهج البلاغة، واضحًا وجميلًا تحت عنوان (في ظلال نهج البلاغة) يقع في أربعة مجلدات، وكتب موسوعة فقهية كاملة بلغة واضحة عصرية (فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام) في ستة أجزاء، فهو أول من نشر فكر أهل البيت عليهم السلام على صعيد واسع في هذا العصر وبلغة عصرية.

التجارب والمحن

هذا الشيخ في حياته، واجه مشاكل واتهامات كثيرة، فقد ألف كتابًا بعنوان (تجارب محمد جواد مغنية بقلمه)، وتحدث فيه عن الاتهامات التي واجهته من أبناء صنفه، حتى اتّهم في دينه، وبأنه شيوعي، عليه حمرة شيوعية، واتّهم بمختلف الاتهامات، لا لشيء إلا لأنه كان جريئًا في طرح آرائه وأفكاره. وبذل جهده لفهم واستيعاب أي فكرة، فإذا ما اقتنع وآمن بها، يتحدث عنها ويكتبها، وإن كانت مخالفة للسائد، أو

صادمة لما هو مألوف. وحالة المجتمعات الراكدة أنها لا تتحمل التغيير والتطوير، لذلك استهدفته السهام. لكنه كان من أشجع العلماء في طرح آرائه وأفكاره، وكانت له مقومات ذاتية، فشجاعته لم تأتِ من بيئة مساندة، أو من موقع قوة ومنصب، وإنما لمقومات ذاتية في شخصيته، أبرزها:

- **التزامه القيمي بالمبادئ**: كان ملتزمًا بأن يكتب ما يرضي الله سبحانه وتعالى، وأن يقول ما يخدم الدين، حسب تعبيره: (رضي من رضي أو غضب من غضب)، توكله على الله كان كبيرًا.

- **ثقته بذاته**: بعض الناس ليست له ثقة بذاته، قد يكون لديه رأي، لكنه يخشى أن لا يكون رأيه صائبًا. لكن الشيخ مغنية على العكس من ذلك، كان كبير الثقة بذاته.

- **الانطلاق من العلم**: لأنه كما أن الركود والسكوت ضار، فإن القول الجزاف بغير علم أشدّ ضررًا. حينما يتكلم أناس لا يمتلكون عمقًا في المعرفة، ولم يستوعبوا الموضوع الذي يتحدثون حوله، هؤلاء ضرر كلامهم يكون كبيرًا. الشيخ مغنية انطلق من العلم، درس واستوعب، وتابع مسيرة الدراسة والعلم، كان شغوفًا بالمطالعة والكتابة، حتى إنه كتب: «إني غالبًا ما أتفكر إذا دخلت الجنة، هل ستتاح لي فرصة الكتابة والتأليف أم لا؟ ثم كنت أفكر، لمن أكتب في الجنة، في الدنيا الإنسان يكتب لأنه هناك من لا يعرف، من يحتاج التوجيه، في الجنة أكتب لمن؟ يفترض أن الناس هناك في مستوى لا يحتاجون فيه إلى من يكتب لهم»، فكان يشغله همّ: هل يستطيع أن يكتب ويؤلف في الجنة أم لا؟ فالرجل كان ينطلق من العلم.

- **الزهد في المواقع والمناصب**: في كثير من الأحيان يخشى الإنسان من قول كلمة الحقّ؛ لأنه إذا قالها ستتأثر موقعيته ومكانته، فيكون السكوت عن قول ما هو مقتنع به ثمنًا للحفاظ على المكسب والموقع، وهذا في الوسط الديني

عادة ما يُتواصى به، فإن الطلبة والعلماء يوصي بعضهم بعضًا (كن حذرًا، لا تقل كلامًا قد يعوق طريقك إلى الزعامة، لا تقل كلامًا قد يؤثر على شعبيتك وسمعتك). وقد يُعترض على الإنسان حينما يقول كلامًا، فإذا ناقش يقال له: كلامك صحيح لكن الأجواء لا تحتمل، أو قد تحدث لك مشاكل بسبب هذا النوع من الحديث. وبهذا يتقاعس الكثير عن قول كلمة الحقّ، ولا يعلنون آراءهم وأفكارهم التي يؤمنون بها.

الشيخ مغنية ـ أعلن من أول يوم، أنه ليس طامحًا في مقام مرجعي، لا يريد أن يكون مرجعًا، وليس مهتمًّا بأن يكون إمام جماعة، ولم يكن يستلم حقوقًا شرعية، حيث كتب بعض القصص في تجاربه: (جاءته امرأة تريد أن تذهب للحج، فقدمت له مبلغًا من المال وقالت له: هذا خمس، أنا أريد الذهاب إلى الحج وهذا خمس، يقول: قلت لها: أنا مكتفٍ، ما أحتاج إلى الخمس، أنت ألا تعرفين الفقراء من أهلك أو من قريتك، أنا لا أستلم حقًّا، أنت وزّعيه على الفقراء الذين تعرفينهم، وأخبرها أن النصف حقّ الإمام ونصف حقّ السادة)، لذلك كان يقول: سأعبر عن آرائي بكل حرية؛ لأنني لا أخاف أن يتأثر مكسب من مكاسبي، لست إمام جماعة حتى يقلّ المصلون خلفي، ولا متجهًا إلى استلام الحقوق حتى أخشى أن يتوقف البعض عن أداء الحقوق إليَّ، ولست متصديًا للمرجعية حتى أخشى أن لا يقلّدني الناس إن قلت هذا الرأي أو ذاك، لقد حافظ على استقلالية شخصيته حتى يقول آراءه التي هو مقتنع بها.

أنتج نتاجًا كبيرًا، أكثر من ستين كتابًا ألّفها وطبعها.

إن حياته تلفت نظرنا إلى أن أهمّ مشكلة نعانيها في مجتمعاتنا هي حرية التعبير عن الرأي، الرأي السياسي أو الرأي الثقافي، وقد كان الشيخ مغنية بسيرته يريد أن يقول لنا ولجميع الأجيال، إن حرية التعبير عن الرأي تُنتزع ولا تُعطى. من كان ينتظر أن تتاح له الفرصة، حتى يعبر عن آرائه، فلن تأتيه مثل تلك الفرصة، عليه هو أن ينتزع حقّه في التعبير عن آرائه.

الخطبة الثانية

الغطرسة الصهيونية إلى زوال

من خطبة للإمام علي عليه السلام قال فيها: «فَيَا عَجَبًا عَجَبًا، وَاللّٰهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ»[1].

وجود أشخاص أشرار، وقوى ظالمة في المجتمع البشري أمرٌ طبيعي، وهذا هو ميدان الامتحان في الحياة الدنيا. فيمتحن الله تعالى الناس بمواقفهم من الظلم والعدوان، هل يخضعون ويركعون له أم يُقاومونه؟

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل يستطيع الناس أن يواجهوا عدوان بعضهم على بعض؟

نعم، بكل تأكيد، إذا وثقوا بأنفسهم، وتوكّلوا على الله، وأحسنوا إدارة المعركة. أما إذا جبنوا فإن ذلك سيُغري الآخرين بهم، وهذا يعني استمرار العدوان عليهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾[سورة البقرة. الآية: ٢٥١].

والأمة الإسلامية اليوم تعيش وضعًا مأساويًّا، حيث الاعتداءات المتتالية من

(١) نهج البلاغة. خطبة ٢٧.

قوات أمريكية وغربية، وغارات إسرائيلية، واحتلالٍ هنا، وقصفٍ هناك، والأمة على المستوى الرسمي واقفةٌ مكانها لا تُحرّك ساكنًا، وكأن هذه البلاد لا سيادة لها، ولا أحد فيها، حتى أصبحت مطمعًا للأعداء، وغرضًا لمصالحهم وأطماعهم. وكأن أمير المؤمنين عليًّا في خطبته التي قال فيها: «فيا عجبًا! عجبًا والله يُميت القلب، ويجلب الهمّ، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم، فقبحًا لكم وترحًا، حين صرتم غرضًا يُرمى، يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزَون ولا تَغْزُون»، كأنه يعيش الوضع الحاضر للأمة، ويتحدث عنه.

وما أعلن عنه مؤخّرًا عن الغارة الإسرائيلية على قوافل في شرق السودان بتاريخ ١١ فبراير٢٠٠٩م، هو نموذجٌ واضح لهذا الوضع المأساوي، إذ قُدّر عدد الضحايا والجرحى بين ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ قتيل وجريح. ليس لسبب سوى شكوك لإسرائيل بأن هذه القوافل تحمل أسلحة لغزة. يحدث هذا الإجرام البشع ولا أحد يُحرّك ساكنًا، بل يُطبق الصمت على الأفواه. وبعد شهرين، وعندما تُريد الإدارة الأمريكية والإسرائيلية للخبر أن يُذاع، يُعلن عنه، وكأن الضحايا ليسوا بشرًا، بل ليسوا من ضمن الموجودات في هذه الحياة.

فأيّ مذلّة هذه التي تعيشها الأمة اليوم، إذ تُذعن لتآمر المجتمع الدولي مع دويلة إسرائيل؟ فهم يُريدون لإسرائيل أن تكون أذرعها ممتدّة إلى أيّ أفق تُريد في محيط الشرق الأوسط، متى شاءت، وفي أيّ مكانٍ أرادت.

ودعم المقاومة في لبنان أو فلسطين أو أيّ مكانٍ في العالم من المحظورات الدولية، بل ويُعاقب عليها القانون، وجريمةٌ لا تُغتفر، لماذا كلّ هذا التعسّف تجاه المقاومة؟

لأنهم يُدركون بأن المقاومة هي التي ستُزيل هذه الدويلة الغاصبة.

ومع شديد الأسف، فإن الوضع الرسمي في العالم العربي والإسلامي خاضعٌ

لهذه الهيمنة الغربية الظالمة، بل إن بعض الدول العربية تُساهم في الحصار الظالم على غزّة، كما هي الحال في معبر رفح.

إن المسلمين يُمارسون الظلم تجاه بعضهم بعضًا بهذا الشكل المخجل، لكن المقاومة الباسلة ستُغير هذه المعادلة، وستقلب الموازين. وإذا كان التفكير في الماضي بأن الطريق صعب أمام المقاومة تجاه هذا الكيان الغاصب، فإن دماء الشهداء عبّدت الطريق، وكل ما يلزم هو دعم المقاومة، أو على أقلّ تقدير عدم عرقلة طريقها.

إن بعض التقارير الأمريكية تتحدث اليوم عن العمر المتبقي للكيان الصهيوني، وأنه في حدود العشرين عامًا فقط، ونأمل أن يكون أقصر من ذلك إن شاء الله.

الخطبة الأولى

نحو خطاب يخدم القضية ويكسب الرأي العام

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[سورة مريم، الآية: ٥٠]

نوعان من المكاسب يتطلع إليها الإنسان في حياته: مكاسب مادية، ومكاسب معنوية. وفي طليعة المكاسب المعنوية: الذكر الجميل والسمعة الحسنة بين الناس، فهي:

١. تحقق رضًا وراحة في النفس، وترفع مستوى ثقة الإنسان بنفسه وشعوره بذاته.

٢. توفر له الانسجام في محيطه الاجتماعي.

٣. تساعده على تحقيق مصالحه المادية.

٤. تمكّنه من التأثير في الآخرين.

وعلى الصعيد الاجتماعي، فإن المجتمع الذي له سمعة حسنة في محيطه، يكون وضعه أفضل وأقوى. ونجد أن بعض المجتمعات تهتم بتقديم نفسها بشكل جيّد للآخرين، وأُخرى لا تُولي لهذا الأمر أهمية.

لكن المجتمع الذي له رسالة أو قضية، لا بُدَّ وأن يهتم بالرأي العام، وأن يقدّم نفسه بالشكل الصحيح للآخرين، ولا تكفي هنا لغة المفروضات، وأنه ينبغي للآخرين الاهتمام والبحث عن الحقائق؛ ذلك لأن الواقع الذي نعيش يسير في اتجاه مختلف،

ولكي يُحقق المجتمع تطلّعاته يتحتّم عليه أن يواكب هذا الواقع، ويتعايش معه. وعلى المجتمع أن يسعى بكل طاقاته ليُقدّم نفسه للآخرين بصورة جيدة، ويتحقق ذلك عبر الأمور التالية:

أولاً: خلق الواقع الأفضل

فالناس عقولهم في عيونهم، لذا فإن المجتمع الذي يتطلّع لتحقيق أهداف سامية، عليه أن يسعى لخلق الواقع الأفضل، والصورة الناصعة. وهذه هي توجيهات الأئمة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «يا معشر الشيعة، إنكم قد نُسِبْتُم إلينا، كونوا لنا زينًا، ولا تكونوا علينا شينًا»[1]، وعنه عليه السلام: «إياكم أن تعملوا عملاً نعيّر به، فإن ولد السوء يعيّر والده بعمله»[2]، وعن الإمام العسكري عليه السلام: «اتقوا الله وكونوا زينًا، ولا تكونوا شينًا، جرّوا إلينا كلّ مودة وادفعوا عنا كل قبيح»[3].

وقد استفاد اليهود من هذه الحقيقة، فخلقوا لهم واقعًا إيجابيًّا، بالتقدم العلمي، والنشاط العملي، وصنعوا لهم أرقى مستوى للديمقراطية فيما بينهم، رغم توجّههم الدموي ضد العرب والمسلمين. وعلى العكس من ذلك، سار المسلمون في مجتمعاتهم، مخالفين تعاليم ومناهج دينهم.

ثانيًا: الخطاب المؤثر في الرأي العام

لطالما كان الخطاب سلاحًا مهمًّا لأصحاب الرسالات، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يُخاطبه الله تعالى في كتابه العزيز بهذا الخطاب الصريح، يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة الإسراء، الآية: ٥٣].

---

(١) بحار الأنوار. ج٨٥ ص ١١٩ حديث ٨٣.
(٢) وسائل الشيعة. ج١٦ ص٢١٩ حديث ٢١٤٠٣.
(٣) بحار الأنوار. ج٧٥ ص٣٧٢ ح١٢.

الخطاب مع الطرف الآخر، هو نقطة الامتحان، لتحقيق أكبر قدر من النتائج الإيجابية. واليوم في عالم التجارة، يُعتبر التسويق من أهم المفردات التي تأخذ قسمًا كبيرًا من الاهتمام والتركيز، لما لها من الأثر الواضح في ترويج المنتجات مهما كان مستواها.

وفي الخطاب القرآني تأكيد كبير على هذا الجانب، حيث التوجيه الإلهي باتباع الأسلوب الأنسب في الخطاب مع الآخرين، ودعوتهم بالتي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة النحل، الآية:١٢]، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة العنكبوت، الآية ٤٦]، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[سورة البقرة، الآية: ٨٣].

وجاءت توجيهات الأئمة لتؤكد أيضًا على هذه المنهجية السامية، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «رحم الله عبدًا استجرّ مودّة الناس إلى نفسه وإلينا، بأن يظهر لهم ما يعرفون ويكفّ عنهم ما ينكرون»[١]. وعنه عليه السلام: «قولوا للناس حُسْنًا، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول»[٢].

ثالثًا: بذل الجهد للوصول إلى الآخرين

الانكفاء على الذات، واجترار الألم، منهج خطأ بكلّ المقاييس، ليس لمجرد أنه لا يُحقق الهدف، بل هو بذاته فرصة سانحة لمن يستغلّ فراغ الساحة منك لتشويه صورتك. لذا فإنه من الواجب على المجتمع أن تكون له رسالة لتحقيق أكبر رصيد من التواصل مع الآخرين، وإيصال الصورة الإيجابية لأكبر قدر ممكن من الجهات والأفراد، فهذه مسؤولية الجميع، وتحقيق ذلك بحد ذاته هدف عظيم، وغاية سامية، يقول تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[سورة الشعراء، الآية:٨٤]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن

---

(١) مستدرك الوسائل. ج١٢ ص٢٧٥ حديث١٤٠٨٦.

(٢) بحار الأنوار. ج٦٨ ص٢٨٦ حديث٤١.

رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[سورة مريم، الآية: ٥٠].

وبكلّ تأكيد، فإن بلوغ هذه الغاية السامية ينبغي أن يكون وفق الوسائل النبيلة، فكما أن الغاية مهمّة، فإن الوسيلة مهمّة، وكما أن الهدف نبيل، فإن الوسيلة لتحقيق هذا الهدف النبيل ينبغي أن تكون نبيلة.

إنه لا يكفي أن تكون لك قضية عادلة لكي يتعاطف معك الآخرون، بل عليك أن تقنع الآخرين بعدالة قضيتك، باللغة القادرة على جذبهم والتأثير فيهم.

مشكلتنا أن المجتمع يناجي نفسه، ويزايد بعضه على بعض في الخطابات الحماسية، ولكن كيف نكسب المحيط من حولنا؟ وكيف نؤثر في الآخرين؟

وقد أدرك العرب والمسلمون في أمريكا مثلًا، أنهم انكفؤوا على أنفسهم، وانشغلوا بالخطابات داخل مساجدهم، للتأكيد على قضاياهم العادلة، وتركوا الرأي العام الأمريكي، والمؤسّسات الإعلامية والثقافية، ومراكز الأبحاث والدراسات، والأوساط المؤثرة في صناعة القرار الأمريكي، تركوا كل تلك المساحات لتأثير اللوبيات اليهودية الصهيونية..

إن علينا أن نكسب من حولنا، وأن نؤثر في محيطنا، عبر خطاب مناسب، يستقطب الآخر، ولا يستفزّه، أو ينفّره. فالخطاب السيئ يضرّ بالقضية ولا يخدمها، وإن كان يدغدغ العواطف والمشاعر.

كيف نواجه المشاكل

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[سورة المعارج، الآيات: ١٩-٢٣].

الإنسان في هذه الحياة معرضٌ لمختلف الأوضاع، فبينما هو في صحة وعافية، وإذا بالمرض قد تسلل إليه. وبينما يعيش في رخاء، وإذا بالشدّة تطرق بابه. هذه هي طبيعة الحياة، تسير بالإنسان بين محطّاتها المتعددة المتنوعة، بحكمة الله تعالى. وعلى الإنسان الواعي أن يُدرك هذه الطبيعة، لكي يتعامل مع الحياة بواقعية.

وليتحقّق للإنسان هذا المستوى من الوعي، ينبغي له أن يُعمّق الصلة بالله تعالى، ليتمكن من الثبات عند الأزمات والشدائد، فكم من أناسٍ انهاروا أمام الأزمات، خصوصًا إذا استسلم الإنسان للحالة السلبية التي قد تعتريه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[سورة المعارج، الآيات: ١٩-٢٣].

والجَزَعُ من الجَزْعِ وهو القطع، قطع الحبل من نصفه. والجزَع نقيض الصبر. يقول الإمام علي عليه السلام: «إياك والجزع فإنه يقطع الأمل، ويضعف العمل، ويورث الهمّ، واعلم أن المخرج في أمرين: ما كانت فيه حيلة فالاحتيال، وما لم تكن فيه حيلة

فالاصطبار»[١]. ويقول عليه السلام: «الجزع عند البلاء تمام المحنة»[٢]، ويقول عليه السلام: «المصيبة واحدة وإن جزعت صارت اثنتين»[٣]، ويقول عليه السلام: «من جزع فنفسه عذب، وأمر الله سبحانه أضاع، وثوابه باع»[٤].

فالجزع طريقٌ شائك، لا يُحقق أيًّا مما يتطلّع إليه الإنسان، والحلّ بكلّ تأكيد في القرب من الله تعالى، وتوثيق الصلة به سبحانه وتعالى، لذا جاء قوله تعالى تأكيدًا على هذا الأمر: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، ويُجسّد الشاعر هذا المعنى بقوله:

إذا بُليت فثق بالله وارضَ به	إن الـذي يكشـف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته	ما لامـرئ حيلـة فيما قضـى الله
اليـأس يقطـع أحيانًـا بصاحبـه	لا تيأسـنَّ فـإن الصانـع اللـه

وفي عالمنا اليوم، تواجه الإنسان مختلف المشاكل، بألوان متعدّدة، مادية واجتماعية ونفسية، مما يجعل حاجة الإنسان أكبر للإمداد الروحي والمعنوي، الذي أصبح عملة نادرة في زماننا المعاصر، لذا أصبحنا نسمع ونقرأ عن حالات ومحاولات الانتحار، أو الوقوع في فخ المخدرات والانحرافات. وهي تعبيرٌ عن الهروب بطريقة سلبية عن المشاكل العصيبة التي تواجه الإنسان. وأصبح إنسان هذا اليوم يقوم بأعمال ضارة تجاه أخيه الإنسان، كاستخدام العنف، نتيجة لسيطرة الجزع والقلق. وهذا كلّه بسبب الابتعاد عن المعدن الروحي الصافي، والاقتراب من العلي القدير. ونتائج هذا الطريق سلبية، تؤدي إلى خسران الدنيا والآخرة، كما يُحدّثنا التاريخ عن ذلك الصحابي الذي أصيب في إحدى الغزوات ولم يتحمّل الجراحة، فاستعجل الموت

---

(١) دعائم الإسلام. ج١ ص٢٠٨.
(٢) بحار الأنوار. ج٦٤ ص٢٣٥ حديث٥٤.
(٣) ميزان الحكمة. ج١ ص٣٨٠.
(٤) المصدر السابق. ج١ ص٣٨١.

انتحارًا، فجعل ذُبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «من أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى هذا»[١]، «إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم»[٢].

فما أحوجنا إلى تعميق التواصل مع الينابيع الروحية المعنوية، وتفويض الأمر لله تعالى، مع الأخذ بعين الاعتبار: أن الاستسلام لقضاء الله تعالى وقدره، لا يعني استسلام الإنسان أمام المشاكل والأزمات، وإنما يمتثل في ذلك قول الإمام علي: «ما كانت فيه حيلة فالاحتيال، وما لم تكن فيه حيلة فالاصطبار». فعلى الإنسان السعي والحركة الدؤوبة بمختلف الوسائل والسبل، وإذا استنفذ كل قواه، ولم يتمكن من حلّ المشكلة، هنا عليه أن يفوّض الأمر لله تعالى، وأن يُسلّم لأمر الله سبحانه، يقول تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[سورة التوبة، الآية: ٥١].

(١) صحيح البخاري. ج٤ ص٢٠٧ حديث٦٤٩٣.
(٢) المصدر السابق. ج٤ ص٣٣٣ حديث ٦٦٠٧.



الخطبة الأولى

ابتزاز الفتيات ودور العائلة

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾[سورة الأعراف، الآية:٢٧]

حبّ الإنسان لذاته يدفعه لتلبية الرغبات والشهوات التي تتحرك في داخل نفسه. لكن بعض هذه الرغبات قد توقعه فيما يضره. فلا بُدّ وأن يستعمل عقله للموازنة: (ربّ أكلة منعت أكلات).

وهناك من يخدع الإنسان عبر تحريك بعض رغباته، ليوقعه في المهالك. إما حسدًا له أو استغلالًا. وقد يقع الإنسان في فخ الخداع والتضليل، لبراءته وسذاجته، أو لغفلته، أو لسيطرة الرغبة عليه.

ولا يخفى دور الشيطان الرجيم في هذا الجانب، والقرآن الكريم يُسجّل لنا في أكثر من موضعٍ قصّة خروج أبينا آدم عليه السلام وأمّنا حواء عليها السلام من الجنة، وكان سبب ذلك استجابتهما لوسوسة الشيطان الرجيم، الذي أوقع بهما في هذا الخطأ وكانت نتيجته، كما يحكي القرآن الكريم، خروجهما من الجنّة، يقول تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآيات: ١٩-٢١].

وجوهر القصّة أن الله تعالى أسكن آدم وحواء الجنة الواسعة ذات النعم الكبيرة،

وكان النهي الإلهي من الاقتراب من شجرة واحدة، والأكل منها، إلا أن الشيطان الرجيم سعى بإغوائه ليُحرّك الرغبة عند آدم وحواء عليهما السلام للأكل من تلك الشجرة، وجاء لهما في صورة الناصح، مقسمًا بالله تعالى على ما يقول، وما كان في ذهن آدم وحواء عليهما السلام أن أحدًا يُقسم بالله تعالى كذبًا، فهذه أول تجربةٍ لهما في الحياة، لذلك استجابا لهذه الخدعة، وكانت النتيجة خروجهما من الجنة.

والقرآن الكريم حينما يحكي لنا هذه القصّة، إنما لأخذ الدرس والعبرة منها، وألّا ننخدع بمكائد الشيطان الرجيم، ولا ننخدع بأيّ تضليل، وهي في ذات الوقت تجربة عملية، يستعرضها الله تعالى أمام الإنسان، كي لا ينخدع بتضليل من يُحرّك رغبته وشهوته.

ظاهرة ابتزاز الفتيات

نشهد في هذا العصر، ومع تطور وسائل التقنية والاتصال، زحفًا غير معهود من قبل الشيطان وقبيله، فالشيطان أصبح يتمثل في قبيلة، بل قبائل، ويتحرّكون جميعهم من أجل إيقاع الإنسان في فخّ الشهوات والرغبات، التي تنتهي بحياته إلى الخسران والدمار.

ويقع الكثير من الناس في هذه الفخاخ، إما لضعف التجربة، أو لسيطرة الرغبات والشهوات، أو للبساطة والسذاجة، أو للغفلة.

ويأتي الشباب في الدرجة الأولى من قائمة المستهدفين من هذه الإغواءات، وأصبح الأمر يُشكّل ظاهرة خطيرة، تؤدي بمن يقع فيها إلى خسائر جسيمة. هذه الظاهرة هي ظاهرة الابتزاز، ويتحرّك المهووسون بهذا الأمر لابتزاز الفتيات في الغالب، وفي بعض الأحيان يقع الابتزاز على الشباب.

وقد يبدأ مسلسل الابتزاز بمكالمة عاطفية، تنجرّ الفتاة لها بحكم ظروفها العائلية، إلا أن هذه المكالمة تكون بداية نصب الفخّ لها، لتكون النتيجة دمار حياتها. والقصص

في هذا الجانب كثيرة، والصحف المحلية تحكي عن جزءٍ من تلك القصص، فليس ما يُنشر هو كل شيء، بل هو جزء يسير من حوادث هائلة.

وتُشير الإحصائيات إلى أن ١٥٪ ممن يُراجعون المستشفيات النفسية، هم ممن تعرضوا للابتزاز. ولا يقتصر الابتزاز على الفتيات فحسب، وإنما حتى الشباب قد يتعرضون للابتزاز من قبل فتيات، أو من قبل شباب آخرين يحترفون هذا العمل الإجرامي.

أسباب ومعالجات

ومن أبرز الأسباب التي توقع الفتيات والشباب في فخاخ الإغواء:

أولًا: ضعف الدفء العائلي

فمعظم القضايا التي سُجّلت لدى الجهات المختصة، كانت أسبابها ضعف الدفء العائلي. وهنا يأتي دور العائلة في احتواء أبنائهم وبناتهم، وغمرهم بالدفء والعاطفة والحنان والحبّ.

فنحن نعيش في عصر تعدّدت فيه وسائل الإغراء والإغواء، وعلى العائلة: الأب والأم أن يأخذا هذا الأمر في اعتبارهما، وأن يتبادلا ابتداءً دور البذل العاطفي، ويغرسا ذلك في نفوس أبنائهم وبناتهم، لتنعم العائلة جميعًا بالحبّ والحنان.

ثانيًا: غياب الانفتاح في العائلة

حيث أصبح الابن في عالمه الخاص، والبنت في عالمها الخاص، والأب والأم كلٌّ في عالمه، ولقاء العائلة محدود، بل ومعرفة الأب أو الأم بحياة أبنائهم وبناتهم في مستوياته الدنيا. وهنا يستطيع من تُسوّل له نفسه التسلل إلى قلب الشاب أو البنت، ويبقى الأمر غائبًا عن أنظار العائلة، حتى تتفاقم المشكلة ويقع الشاب في الفخ، أو تقع الفتاة في الفخ. وعندها لا يُفيد الندم.

فالمبالغة في الخصوصية للولد والبنت تجاه العائلة انعكاساتها سيئة للغاية، كما أن القسر والقسوة نتائجها سيئة أيضًا، وهنا من المهم أن تسلك العائلة منهجًا وسطيًّا، أساسه الانفتاح على الأبناء والبنات، والقرب منهم، وإحاطتهم بالرعاية والاهتمام، فهذا الأمر خير وقايةٍ من كثير من احتمالات السوء والانحراف.

ثالثًا: عدم التفهم، وشعور البنت بأنها في موقع الضعف.

فالخطأ وارد من البنت، إلا أنها إذا لم تستطع المكاشفة مع أحدٍ من أسرتها، تكون المصيبة أعظم وأعمق، فتستمر البنت للخضوع في الابتزاز. ولذا ينبغي للآباء والأمهات أن يتفهّموا أوضاع بناتهم، وأن يتصرّفوا بحكمة في مثل هذه المواقف. فالتعامل بالعنف والقسوة، وسوء الظن الشديد، يُنفّر الأبناء والبنات من المصارحة والمكاشفة، وبالتالي يكون ما هو أسوأ وأفظع.

وعلى الفتيات أن يقرأن ويُتابعن أحداث المجتمع، والقضايا التي تحصل لمثيلاتهنّ، لكي يأخذن الدرس والعبرة، ويعرفن كيف يتصرّفن في مثل هذه المواقف، ومن المهمّ أن ينفتح الأب والأم على الأبناء والبنات، وإطلاعهم على ما يجري من حولهم، ليكون ذلك سببًا لليقظة والانتباه.

وهكذا القرآن الكريم حين يورد لنا قصة أبينا آدم وأمِّنا حواء، من أجل أن تكون تجربة على مسرح الحياة، نستلهم منها دروسًا وعبرًا، تكسبنا خبرة تقينا من الانخداع والاستجابة لدوافع الرغبة والشهوة دون تفكير.

وعلينا أن نُعلن لأبنائنا وبناتنا عن هذه المشكلة والظاهرة، ونوجّههم للتصرف السليم حيالها، قبل وقوع المشكلة، فذلك أدعى لسلامتهم من أن ننتظر حصول المشكلة، لنفكّر في العلاج.

أكل المال الحرام

﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية:١٨٨]

من أهم الحُرمات بعد حرمة النفس هي حرمة المال، فالإنسان يهتم بماله، ويسعى لحمايته والحفاظ عليه، ولا يقبل أي اعتداءٍ على ما يخصّه.

لهذا كان في المجتمع الإنساني عبر التاريخ أنظمةٌ وقوانين تحمي أموال الناس وحقوقهم، لكنها وحدها لا تكفي؛ لأن الإنسان قد يجد طريقًا يحتال به على القانون.

وميزة الأديان الإلهية أنها تخلق رادعًا ذاتيًّا في نفس الإنسان، يمنعه من الاعتداء على أموال الآخرين، وأعراضهم، وأشخاصهم، وهذا الرادع الذاتي هو جوهر التديّن. وبعدم توفر هذا الرادع فمظاهر التدين لا قيمة لها. فالتديّن الحقيقي يتّضح من احترام الإنسان لحقوق الآخرين، لذا ورد عن رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1].

من هنا تُحذّر النصوص الدينية الإنسان من الاقتراب من المال الحرام، وهو مال الآخرين بغير رضاهم، أو ما يأتي عن طريقٍ غير مشروع، يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ

(١) صحيح البخاري. كتاب الإيمان ج١، ص،١١ حديث١٠.

النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٨٨].

والتصرف في المال الحرام نتائجه وخيمة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكل لقمة من حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»(١)، وعنه ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ حرّم الجنة جسدًا غذّي بحرام»(٢)، وعنه ﷺ: «لا يدخل الجنة من نبت لحمه من السّحت، النار أولى به»(٣)، وعنه ﷺ: «العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل (وقيل: على الماء»(٤).

من مصاديق أكل المال الحرام

روى سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام الرجل منا يكون عنده الشيء يتبلغ به وعليه الدَّين أيطعمه عياله حتى يأتيه الله عزّ وجلّ بميسرة فيقضي دَينه، أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدة المكاسبة أو يقبل الصدقة؟ فقال: يقضي بما عنده دَينه ولا يأكل أموال الناس إلا وعنده ما يُؤَدّى إليهم، إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾(٥).

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه يعني ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ «اليمين الكاذبة، يقتطع بها الأموال»(٦).

وكذلك أخذ ما لا يستحقّ من الإرث: فهناك من ينفذ من ثغرة الاختلاف الفقهي بين السنة والشيعة، في بعض مسائل الإرث، كالتعصيب والوصية للوارث، فيذهب

---

(١) بحار الأنوار. ج٦٣، ص٣١٤، حديث ٧.
(٢) كنز العمال. ج٤، ص١٤، حديث٩٢٦١.
(٣) مسند أحمد بن حنبل. مسند جابر بن عبدالله ج٥، ص٢٧٣، حديث ١٥٣٥٨.
(٤) بحار الأنوار ج١٠٠ ص١٦، حديث ٧٣.
(٥) من لا يحضره الفقيه. ج٣، ص١١٢، حديث ٤٧٦.
(٦) مجمع البيان. ج٢، ص٥٠٦.

الشيعي للمحكمة السنية، ليأخذ عبرها ما لا يحقّ له حسب مذهبه.

ومن أبرز مصاديق أكل الحرام: ابتزاز المال من الآخرين، كالزوجة دون رضًا منها.

حيث لا يحقّ للزوج أخذ شيء من مال زوجته إلا برضاها، ونفقتها واجبة عليه، وإن كانت الزوجة ثريّة. إن بعض الأزواج يبتزّون زوجاتهم الموظّفات، فيدفعن لهم اضطرارًا، وذلك حرام شرعًا، صحيح أنه ينبغي للزوجة أن تساعد زوجها ولها في ذلك الثواب والأجر، لكن ليس عن طريق الفرض والابتزاز.

ومن أبرز مصاديق أكل الحرام: الأخذ من المال العام دون مجوّز شرعي.

فلا يجوز للموظّف في أيّ جهة حكومية، أن يتصرف في شيء من أموال وإمكانات دائرته لشأن شخصي، دون إذن من الجهة المسؤولة.

أكل الحرام شقاء في الآخرة

ورد عنه ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباءً منثورًا، ثم يقذف بهم في النار. قيل: يا رسول الله، كيف ذلك؟ قال: كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه، فأحبط الله أعمالهم»[(١)].

ورئي بعض الصالحين في النوم، فقيل له: «ما فعل الله بك؟ قال خيرًا، غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها ولم أردّها»[(٢)].

وورد عنه ﷺ أنه قال: «من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام، لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه»[(٣)].

---

(١) كتاب الكبائر للذهبي. ص١٠٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مسند أحمد بن حنبل. مسند عبدالله بن عمر ج٢، ص٤٥١، حديث٥٧٣٢.

وعنه ﷺ: «من لم يبالِ من أين اكتسب المال، لم يبالِ الله من أين أدخله النار»[1].

روى البيهقي بإسناده عن أبي يوسف بن أسباط أنه قال: «إن الشاب إذا تعبّد، أي عبد الله وقام بالواجبات، قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه، فإن كان مطعم سوء قال: دعوه يتعبّد ويجتهد فقد كفاكم نفسه، إنَّ اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه».

وعنه ﷺ: «من حجّ بمال حرام فقال: لبيك اللهم لبيك، قال الله عزّ وجلّ: لا لبيك ولا سعديك وحجّك مردود عليك»[2].

فعلى الإنسان أن يكون حذرًا جدًّا وحسّاسًّا تجاه مال الغير، فلا يقبل أن يقترب من المال الحرام، فإن ذلك يُعوّق استجابة الدعاء، وقبول العمل، وبركة الرزق، وصلاح النسل والذرية.

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٦، ص٩٨، حديث ٢١٠٨٠.

(٢) كنز العمال. ج٥، ص٢٧، حديث ١١٩٠٠.

الخطبة الأولى

ظواهر النصب والاحتيال

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استرشدوا بالعقل تُرْشَدوا، ولا تعصوه فتندموا»[1].

حين يمتلك الإنسان مصباحًا، فإن عليه أن يستضيء به في الظلام، أما إذا لم يستخدم هذا السراج، وسار في الظلام، فإنه سيتعرض للضياع والتيه أو السقوط، ويتعرض لمختلف الأضرار والأخطار، وحينئذ لا يلومنّ إلا نفسه؛ لأنه كان بإمكانه ألا يقع في الضرر والخطر، لو استخدم المصباح الذي بيده.

كذلك هو العقل، فهو السراج الذي منحه الله تعالى للإنسان، ليستضيء به في دروب الحياة، وهو تلك القوة التي يميّز الإنسان بها بين الخير والشر، بين الصالح والطالح. وتكمن مشكلة الإنسان في أنه قد لا يلتفت إلى عقله، وقد يجمده فلا يرجع إليه، ولا يستضيء به. في مقابل المجنون الذي لا يملك عقلًا، وبذلك يسقط عنه التكليف. إن أكثر الناس يمتلكون هذا السراج (العقل) ولكنهم لا يستضيئون به.

لذلك يؤكد القرآن الكريم الدعوة إلى استخدام العقل، بل إن القرآن كله دعوة لاستخدام العقل والاستفادة منه، ففيه عشرات الآيات التي تحرِّض الناس على استخدام عقولهم، فقد تكرر قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[سورة المائدة، الآية: ٥٨] يعني: لا يستخدمون عقولهم. وكذلك تكرر قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾، و﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾، و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، و﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، و﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وكثير من

(١) مستدرك الوسائل. ج١١ ص٢٠٧ حديث ١٢٧٥٢.

الآيات التي تحرِّض الإنسان وتدفعه إلى الالتفات لعقله واستخدامه.

البعض من الناس يستخدم عقله في مجال ويجمّده في مجال آخر، مثلًا في المجال الاقتصادي تراه ذكيًّا، ويدرس الأمور، لكن في المجال الديني تجده خرافيًّا، يقبل الخرافات والأساطير. فيصدق عليه قول الشاعر:

فطنٌ بكلّ مصيبةٍ في ماله وإذا أصيب بدينه لم يفطن

إن الرسول ﷺ يؤكد في أكثر من موضع قوله: «ما تم دين إنسان قطّ حتى يتم عقله»[1]، أي يتم استعماله لعقله، وقد خاطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قومه في بعض المواقف بقوله: «أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ»[2].

الانسياق خلف شائعات خرافية

نرى الآن في مجتمعاتنا، مع الأسف الشديد، كيف أن بعض الشائعات تنتشر، وتأخذ مداها عند الناس! ويستغرب الإنسان كيف أن هؤلاء الناس لم يفكروا وكيف أنهم انساقوا خلف الشائعات، رغبة في الثراء السريع؟

في الأيام الماضية انشغل الناس في منطقتنا الخليجية بشائعة حول ماكنة الخياطة القديمة (سنجر)، وتناقلت مواقع الإنترنت أن أصل هذه الشائعة: أن رجلًا ألمانيًّا ادّعى أنه عثر على كمية كبيرة من الذهب الروماني تقدر بالملايين، لكن هذا الذهب محمي بواسطة الجن، ويلزمه زئبق أحمر لفك الجن عن هذا الذهب، ولا يتوفر هذا الزئبق الأحمر إلا في هذه المكائن القديمة للخياطة. وسرت هذه الشائعة، وأخذت أسعار هذه المكائن في التصاعد، إلى أن وصلت قيمتها في حراجات في حفر الباطن ووادي الدواسر والرياض والكويت من خمسين ألف إلى مئة ألف ريال. وبدأ الناس

(١) كنز العمال. ج١٥ ص٩١٦ حديث ٤٣٥٨٣.
(٢) نهج البلاغة خطبة ٩٧.

يبحثون عنها في كل مكان[١].

فأين عقول هؤلاء الناس؟

وشائعة أخرى انتشرت في أوساط بعض النساء، بأن مما يفيد لتطويل الشعر ولجماله: القمل، فصرن يبحثن عن القمل، ووصلت قيمة القملة الواحدة إلى مئة وخمسين ريال، حسب تحقيق حول الموضوع نشرته جريدة اليوم بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٠هـ.

هكذا يكون الناس حينما تسيطر عليهم السذاجة الجمعية، ويصرفون أموالهم خلافًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[سورة النساء، الآية: ٢٩].

هذه حالات من النصب والاحتيال، وعلى الناس أن يستعملوا عقولهم حتى لا يقعوا فريسة لهذه الأمور. علينا أن نوعّي أنفسنا وأبناءنا في كلّ المجالات، حتى في المجالات الدينية، علينا أيضًا أن نكون واعين، حتى لا ننخدع باسم الدين. لذلك ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استرشدوا بالعقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا»، وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «ولا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ»[٢].

علينا أن نشيع الثقافة العقلانية في مقابل الثقافة الخرافية، وثقافة الأوهام والأساطير، حتى وإن صدر بعضها ممن يتزيَّا بزي الدين، فإما أن يكون مشتبهًا أو يكون مغرضًا، فإن الدين دين العقل، كما ورد عنه ﷺ: « لا دين لمن لا عقل له»[٣].

---

(١) جريدة الرياض العدد ١٤٩٠٣ الصادر يوم الاثنين ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ.

(٢) نهج البلاغة حكمة ٢٨١.

(٣) مستدرك الوسائل. ج١١ ص٢٠٨ حديث ١٢٧٥٥.

الخطبة الثانية

٧

نصرة الفلسطينيين ليست جرمًا

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه»[1].

وعنه ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»[2].

أحاديث كثيرة وردت عن رسول الله ﷺ من أجل خَلْقِ الشعور الواحد بين أبناء هذه الأمة، بحيث يشعر كل فرد من هذه الأمة أن ما يصيب الآخر من أذى يصيبه، فالأمة كيان واحد، يقول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٣].

وهناك حديث ورد عن رسول الله ﷺ يشدّد على ضرورة نصرة الإنسان المسلم حينما يتعرض للظلم والعدوان، وإن عدم نصرة أخيك المسلم تسبّب لك الهوان عند الله سبحانه وتعالى، يقول الحديث عنه ﷺ: «ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا عند موطن تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله عزّ وجلّ في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[٤].

---

(١) صحيح البخاري. كتاب المظالم حديث ٢٤٤٢.

(٢) صحيح مسلم. حديث ٢٥٦٤.

(٣) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، حديث ٢٥٨٦.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل. حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري حديث ١٦٤٨٢.

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أُذلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذلّه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة»[1]، وعنه ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»[2]، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»[3].

نجد اليوم كيف أن الأمم المتقدمة تحترم كلّ فرد من أفرادها، فإذا أصابه اعتداء في أيّ مكان في العالم، فإن تلك الأمة تجنّد كل قواتها وقدراتها للدفاع عن ذلك الفرد، هذا واقع الأمريكان، وكذلك الكيان الإسرائيلي. وهكذا تصبح الأمم عزيزة مهابة حينما تحترم أفرادها وأبناءها.

أما الأمم التي لا يهبّ بعضها لنصرة بعض، فإن الهوان يحلّ بالجميع. وما نعيشه نحن المسلمين شاهد جلي، فهذه أرض فلسطين وهي تتعرض لأبشع ظلم وعدوان، حيث احتلت أراضي الفلسطينيين، وهُدِّمَت منازلُهم، وسُفِكَت دماؤُهم، وهتكت أعراضهم، ودنست مقدساتهم. وهذه الأيام تمنع إسرائيل الفلسطينيين ممن يريدون الصلاة في المسجد الأقصى أن يقتربوا إليه، وتقيم الحواجز إلا ضمن ضوابط معينة، ويتعرّضون لمختلف أنواع الإهانات، ويخطط الصهاينة لهدم المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان المزعوم، وهم بذلك يتحدّون كرامة العرب والمسلمين في كلّ مكان.

فهل هناك أحد في العالم تعرض للظلم أكثر مما تعرض له إخوتنا الفلسطينيون؟

إن ذلك يوجب على كل المسلمين أن ينصروا إخوتهم في فلسطين.

والفلسطينيون لا يريدون الآن من أحد أن يقاتل عنهم، فإن الظروف والمعادلات قد تغيّرت، إنما يريدون الدّعم والعون، وذلك من أبسط حقوقهم.

---

(١) كنز العمال. ج٣ ص٤١٥ حديث ٧٢١٤.

(٢) صحيح البخاري. كتاب المظالم حديث ٢٤٤٢.

(٣) صحيح مسلم. حديث ٢٥٦٤.

الاشتراك في الحصار على غزة

فكم يبذل الفلسطينيون من جهود حتى يصل إليهم الدواء أو العتاد، عبر أنفاق يحفرونها مسافات طويلة، ويتحمّلون المغامرات والأخطار في سبيل ذلك، لكن هناك من العرب والمسلمين من يستخدم الوسائل المتطورة من قبل الأمريكيين، والأقمار الصناعية حتى يكتشفوا الأنفاق التي يحفرها هؤلاء المستضعفون المحرومون، فيهدمونها على رؤوسهم.

إن بعض الأنظمة تعتقل من يسعى لإيصال الدعم إلى غزة، وتقيم الدنيا ولا تقعدها ضجيجًا على الجهات التي تتعاون مع حماس، وتحاول إيصال المساعدة لها.

بالله عليكم، إن أمة تعيش مثل هذا الوضع، وهذا الواقع، كيف يمكن أن ترتقي إلى مصافّ الأمم المتقدمة؟ ما دام هذا هو النظام الرسمي، كيف يستطيعون مواجهة الأعداء؟ وكيف يستطيعون بناء كيان الأمة؟ وفي المقابل نجد الصهاينة يصرّحون عن شماتتهم وارتياحهم، وهل يحلمون بأفضل من هذا الواقع، حيث إن الأنظمة العربية تحمي أمنهم، وتدافع عنهم، وتمنع السلاح من أن يصل إلى المقاومين؟

إنه لأمر يبعث على الدهشة، ويبعث على الألم، وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇: «فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا»[1].

إن الأمة في هذا العصر قلبت الصورة التي رسمها رسول الله عنها، حيث قال ﷺ: «المسلمون يد على من سواهم»[2].

وإذا كان هناك من شيء يفتح أمامنا أبواب الأمل، فهو رجاؤنا في وعي الشعوب، أن تكشف هذه الخيانات وهذه المظالم، حتى يميّز الناس بين من ينفع الأمة، وبين من

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) كنز العمال. ج١ ص٩٩ حديث ٤٤١.

يريد الكيد بهذه الأمة، صحيح أن هناك حملات إعلامية تضليلية، تريد أن تشغل الناس عن العدو الرئيس، وتخلق للعرب والمسلمين أعداءً وهميين، لكن بحمد الله أصبح للناس وعي وإدراك، وأصبحوا يرون الأمور بشكل واضح إلا من لا يريد أن يرى الأمور على حقيقتها فإنها: ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[سورة الحج، الآية: ٤٦].



مناهضة العنصرية

الخطبة الأولى

7

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾
[سورة النساء، الآية:١]

من الإيجابيات الكبيرة لدى الأمم المتحدة إطلاقها للدعوات الإنسانية النبيلة، واهتمامها بالقضايا الإنسانية العادلة، ذلك أن البشرية في حاجة إلى التذكير بهذه القيم، وبهذه القضايا الإنسانية.

ومن تلك المبادرات الإيجابية: إطلاق الأمم المتحدة الدعوة إلى مؤتمر دولي لمناهضة العنصرية. وهذه مبادرة مهمة عظيمة، حيث انعقد المؤتمر الأول في ديربان في جنوب أفريقيا سنة ٢٠٠١م، وانعقد المؤتمر الثاني في جنيف بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٠٩م. وهدف المؤتمر، توجيه أنظار الساسة والمفكرين وأبناء البشرية جمعاء، إلى الخطورة التي تمثلها الممارسات والتوجهات العنصرية، في حياة المجتمعات البشرية.

والعنصرية تعني: اعتقاد جماعة أو جنس أو سلالة بتفوقها على الغير، فتنظر إلى الآخرين نظرة دونية، وبناءً على هذه النظرة تمارس التمييز تجاه الغير بالاعتداء على حقوقه.

هذه النظريات العنصرية كانت قديمة في تاريخ البشر، في حضارة الإغريق حيث

كان الرومان ينظرون إلى بعض الشعوب الأخرى نظرة دونية، ويمارسون التمييز تجاههم، وفي الهند أيام الحضارة البرهمية القديمة، قبل الميلاد بثلاثة قرون، صنفت المجتمع إلى طبقات، وجاء في آخر سلم تلك الطبقات طبقة أطلقوا عليها (الشودر) أو المنبوذين، وكانوا ينظرون إلى هذه الطبقة من البشر باعتبار أن الله تعالى خلقهم ليخدموا الطبقات الأعلى منهم، وأنهم مجرّد خدم لمن هم أرقى منهم.

وفي سنة ١٩٤٨ بدأت التشريعات القانونية في الهند لمواجهة هذه الحالة، ولتحسين أوضاع طبقة المنبوذين، لكن الآثار لا تزال باقية، ولا يزال هؤلاء المنبوذون ينظرون إلى أنفسهم في الغالب نظرة دونية، بتأثير البيئة التي يعيشونها، والآخرون يتعاملون معهم على هذا الأساس، على الصعيد الاجتماعي.

وفي أمريكا كان البيض يتعاملون مع السود الزنوج، على أساس هذه النظرة العنصرية، فالأبيض هو الأرقى، والأسود هو المرتبة الأدنى، وهناك امتيازات يتنعّم بها الأبيض، ويُحرم منها الزنجي الأسود.

وبدأت قوانين وتشريعات في أمريكا لتلافي هذه الحالة من العقد الثاني في القرن العشرين، لمواجهة التفرقة العنصرية، وقطعت شوطًا طويلًا، وتوّجت بانتخاب رئيس للولايات المتحدة الأمريكية من أصل أفريقي.

وفي جنوب أفريقيا كان هناك حكم يمارس أسوأ أنواع التمييز العنصري، لكن هذا الحكم قد زال، والحمد لله، فقد كانت أقلية من البيض من أصل أوروبي، تُقدّر نسبتهم ١٤٪ من السكان، تحكم بقية السكان، وتمارس تجاههم التمييز العنصري، إلا أن صفحة ذلك النظام العنصري قد طويت.

وما تزال البشرية تعاني أنواعًا من التمييز العنصري، إما لسبب عرقي، أو قومي، أو ديني. وفي بعض الأحيان ترى جماعة نفسها أرقى من الآخرين؛ لأن لها معتقدات دينية معينة، وهم أحرارٌ فيما يعتقدون، ولكن المشكلة حين يدفعهم ذلك الاعتقاد

للعدوان على حقوق الآخرين، ولممارسة التمييز الديني والطائفي، وهذا داخل ضمن أشكال العنصرية.

المؤتمر الثاني لمناهضة العنصرية الذي عقد في جنيف، صاحبه صخب وضجة إعلامية وسياسية، تدفعنا إلى التعقيب والتعليق على ما حصل بعدة نقاط:

ازدواجية المعايير الغربية

النقطة الأولى: هذا المؤتمر وما حدث فيه، يكشف ازدواجية المعايير والمكاييل عند الإدارات السياسية في الدول الغربية، هذه الإدارات التي انحازت بكلّ وقاحة للموقف الصهيوني، مع أن إسرائيل بممارساتها تشكل اليوم أبشع صورة من صور العنصرية والظلم، فقد احتلّ الصهاينة أراضي الشعب الفلسطيني، وطردوه من أرضه، ليصبح هؤلاء السكان الأصليون لاجئين في دول أخرى. كما أن الصهاينة يمارسون الحكم والسلطة دون أيّ مشاركة للسكان الأصليين، ويمارسون أسوأ أنواع الظلم والتمييز ضد الفلسطينيين. وبشكل وقح أقاموا جدار الفصل العنصري على مشهد ومرأى من العالم، إضافة إلى المجازر والمذابح والانتهاكات، وآخرها ما حصل في غزة.

إنه ظلم واضح لا يحتاج إلى دراسة وبحث، وكانت الفضائيات ووسائل الإعلام تنقل صور سفك الدماء، والاعتداء على الأبرياء في غزة، فور حدوثها للعالم كلّه، ومع ذلك فإن أمريكا وكندا واستراليا وألمانيا وإيطاليا، وعددًا من الدول قاطعوا المؤتمر؛ لأنهم رأوا فيه توجّهًا لإدانة إسرائيل.

وبدأ الإعلام السياسي الغربي يعزف على هذا الوتر (معاداة السامية)، وكأن الصهاينة الذين يقومون بأبشع ألوان الاعتداء والظلمُ معتدىً عليهم، وهم المظلومون والمحاصرون، وهم في موقع الدفاع عن أنفسهم، أليست هذه ازدواجية في المعايير؟

الأمم المتحدة كقرارات وشعارات أمر رائع، لكن القوى الكبرى مع أنها منضمّة

في الأمم المتحدة، تعتمد على النظام الجائر الموجود في مجلس الأمن، بانتزاعها لحقّ الفيتو، وبالتالي تأخذ حريتها في ممارسة هذه الازدواجية النكراء.

فاعلية المجتمع اليهودي

النقطة الثانية: هذا المؤتمر كشف عن فاعلية المجتمع اليهودي، وكيف أنهم ينشطون للدفاع عن باطلهم. وتتحدث التقارير عن منظماتهم ومؤسساتهم في مختلف البلدان، أنهم منذ شهور يخططون ويتحركون من أجل أن يفشلوا مهمة هذا المؤتمر، ومن أجل أن يمنعوا إدانة إسرائيل، وبالتأكيد فإن من يمارس الفاعلية والنشاط يستطيع أن يؤثر في الرأي العام، ويستطيع أن يكسب في المقابل.

ضعف الموقف العربي والإسلامي

النقطة الثالثة: كشف هذا المؤتمر عن ضعف موقف العرب والمسلمين، سوى الموقف الإيراني البطولي، إلا أن بقية العالم العربي والإسلامي لم يستفيدوا من هذه الفرصة في الإعداد والفاعلية والتحرك، وأخذ الموقف المطلوب ضمن المؤتمر.

وهذا أمر واضح أدركته وعرفته كلّ الشعوب. فالشعوب العربية والإسلامية لا تهمّها العناوين والشعارات، فهي تعيش المعاناة والآلام، وإذا كان هناك من يعبر عن آلامهم وقضاياهم وتطلّعاتهم، فإنهم ينظرون إليه بإكبار وإعجاب.

وقد رأينا حينما أخذ رئيس الوزراء التركي في مؤتمر دافوس الاقتصادي موقفًا بطوليًّا تجاه الاعتداءات الصهيونية، وتجاه كلام رئيس الكيان الصهيوني، وانسحب من المؤتمر، فإن كلّ الشعوب العربية والإسلامية نظرت إليه بإعجاب وإكبار؛ لأنه عبَّر عن قضيتهم وآلامهم وآمالهم.

وهكذا الحال في موقف الرئيس الإيراني في مؤتمر جنيف لمناهضة العنصرية، وبعيدًا عن أيّ اعتبارات سياسية أو مذهبية، فإن الشعوب العربية والإسلامية ترى في

هذا الموقف تعبيرًا عن آمالهم وآلامهم، وهم يتوقّعون أن كلّ قادتهم يكون لهم نفس الموقف الجريء الواضح، فإلى متى يبقى الصهاينة مسيطرين على أجواء السياسة الدولية؟ وإلى متى يمارسون وقاحتهم بكلّ جرأة وقوة؟ بينما قادة العرب والمسلمين يمعنون في إظهار الاستسلام والانهزام أمامهم، مراعاة للقوى الكبرى، ومراعاة للمصالح الآنية، التي هي ليست مصالح حقيقية؛ لأنها لا تخدم قضاياهم وشعوبهم.

إطلاق حملة ضدّ الطائفية

النقطة الرابعة: إننا في العالم الإسلامي، نحتاج إلى إطلاق حملة ضد الطائفية؛ لأن الطائفية لون من ألوان العنصرية. والنداء موجّهٌ لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، وكلّ المؤسسات العربية والإسلامية، بأن تفكر في إطلاق حملة ضد هذا الخطر الداهم، الذي يهدّد بلداننا العربية والإسلامية، وهو خطر الطائفية.

صحيح أن الجدل المذهبي والنزاعات الطائفية ليست جديدة في تاريخ الأمة، فحينما نقرأ كتب التاريخ، نجد أن ابن الأثير يحدثنا في حوادث سنة ٣٢٣هـ، وفي حوادث سنة ٤٤٣هـ، وبعدها، كيف كانت تقع الفتن الطائفية في بغداد، وفي مناطق مختلفة من العالم الإسلامي. لكن المشكلة اليوم تختلف عن الأمس، ففي الماضي كانت هذه الخلافات والنزاعات تجري في ظلّ حضارة مهيمنة، ودولة مهابة قوية، لذلك ما كانت تؤثر إلا تأثيرًا محدودًا على واقع الأمة، كالألم اليسير في الجسم القوي. لكن الأمة الآن أصبحت في وضع يشبه الجسم الذي يفقد جهاز المناعة، فأقلّ الحوادث والمشاكل تطيح بهذا الجسم.

إننا بحاجة إلى إطلاق الدعوة لمواجهة الطائفية على الصعيد السياسي: بأن لا يكون هناك تمييز طائفي بين المسلمين في مختلف دولهم، سواء كانت تحكم هذه الدولة حكومة سنية أو شيعية.

وعلى المستوى الديني والثقافي: ينبغي تجريم التحريض، ونشر الكراهية بين أبناء

الأمة الواحدة، والوطن الواحد.

وعلى المستوى الاجتماعي: ينبغي تشجيع التواصل والتداخل بين أبناء الدين الواحد، والأمة الواحدة. فلماذا الإمعان في التمايز والتباعد، الذي وصل إلى كلّ المستويات؟ هذا أمر خطأ وخطير، ينبغي الخروج منه، حتى تعود للأمة وحدتها وكرامتها وعزتها.

حتى لا تتكرر أحداث البقيع

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «العاقل من وعظته التجارب»[1].

الإنسان العاقل إذا حصلت له حادثة من الحوادث يدرسها، ويستفيد منها كتجربة، ويتلافى الثغرات والنواقص التي دخل من خلالها السوء والضرر، هذا حال من يستخدم عقله. أما من يغفل عن عقله، فإن الحوادث تتكرر عليه دون أن يغيِّر من واقعه شيئًا. هذا يتحقق على مستوى الفرد، وكذلك على مستوى المجتمعات والأمم، فنحن نرى المجتمعات المتقدمة، إذا ما حصلت حادثة مؤسفة، أو قضية مؤلمة، فإنهم يمعنون النظر في أسبابها، ويخطّطون لتلافي وقوعها وتكرارها.

أما في المجتمعات المتخلفة، فإن المشاكل والأحداث المؤسفة قد تقع وتتكرر، دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء الدراسة والبحث، ويكتفون بالوصف والتحليل، ويُبرّئ كلٌّ طرف نفسه عن أي مسؤولية فيما حصل، وبالتالي فإنه لا تحصل إفادة ولا موعظة من التجربة، وهذا من مظاهر الغفلة عن استخدام العقل على المستوى الجمعي. يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «العاقل من وعظته التجارب».

قبل شهرين: حصلت حادثة مؤسفة في بلادنا، وفي بقعة مقدسة، وهي المدينة المنورة، شرفها الله. حيث حصلت هناك إساءة من قبل بعض الجهات المشرفة على البقيع، لمجاميع من النساء والشباب الذين ذهبوا لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة البقيع عليهم السلام.

---

(١) تحف العقول. ص٦٢.

وتتابعت بعدها سلسلة حوادث كردود فعل، تلك الحوادث المؤسفة لا نريد تكرار الحديث عنها. ولكننا نريد أن نؤكد على ضرورة الإفادة مما حصل، خاصة ونحن الآن أمام عطلة جديدة، يتوجّه فيها بعض أبنائنا وبناتنا إلى المدينة المنورة للزيارة، كما توجّهوا في العطلة السابقة قبل شهرين.

الضرّر على الجميع

علينا جميعًا أن نفكر فيما حدث في الماضي، وأن نستخلص الدروس والعبر. فإن ما حصل أضرّ بالجميع: أضرّ الدولة، وأضرّ السلفيين، وأضرّ الشيعة. وإذا كان هناك من يماري في هذا الأمر ويقول إننا ربحنا وانتصرنا، فهو متوهّم؛ لأن الجميع قد خسر. فالدولة خسرت؛ لأن تلك الحوادث أطلقت موجة من الإعلام المضاد تجاهها، وكل دولة لا تريد أن تتعرّض سمعتها لسوء، ولا شك أن الدولة تفتخر وتعتزّ بخدمة الحرمين الشريفين، وأي انتقاص من دورها في خدمة الحرمين الشريفين يسبب إزعاجًا كبيرًا لها، هذا أمر واضح، ويُشكّل جانبًا من الخسائر.

من ناحية أخرى، فإن السلفيين أيضًا خسروا؛ لأن هناك أجواء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في الأصل معبأة ضدهم، فجاءت هذه الأحداث لكي تعطي زخمًا جديدًا في مختلف الأوساط عن طريقة تعامل المتشددين من السلفيين مع بقية المسلمين، من مختلف المذاهب، خاصة وأن الخلاف على قضايا الزيارة وآدابها ليس بين الشيعة والسلفيين فقط، وإنما كلّ المسلمين من غير السلفيين يشاركون الشيعة في قبول الكثير من مظاهر الاحترام والإجلال لأضرحة الأئمة والأولياء.

والشيعة أيضًا تضرّروا مما حدث؛ لأن الشيعة ليس من مصلحتهم أن يتعبأ المحيط الذي يعيشون فيه ضدهم، وهذه الحادثة أطلقت العنان لمن أراد التعبئة ضد الشيعة في هذا الوطن، واستفادوا من هذه الحادثة بإشاعة الكثير من التقوُّلات والاتهامات، وإعادة التأجيج والتعبئة الطائفية. وهذا أمر يضرّنا؛ لأن انسجامنا مع محيطنا والوسط

الذي نعيش فيه هو الذي ينفعنا، بينما حصول التشنج والتوتر يضرّنا.

فنحن نعيش ضمن هذا المحيط، وأبناؤنا في مختلف المناطق من الوطن إذا حصلت تعبئة ضد الشيعة فإن ذلك يسبب الكثير من المشاكل لهم، مما لا نريده ولا نتمناه. والمخلصون يبذلون جهودًا كبيرة من أجل تنقية الأجواء، وإعطاء الصورة المشرقة الجميلة لأتباع أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، فحصول فرصة من أجل حملة من الاتهامات والتشويه للطائفة في هذا البلد هو أمر يضرّ بغض النظر عن أسباب ودوافع هذه الحملة.

إذًا كلّ الأطراف تضرّرت، فالضرر على الوطن كله، وهذا بلدنا جميعًا، وهذا الضرّر أيضًا على سمعة الإسلام والمسلمين أمام العالم، الذي ينظر إلينا وكأننا لا نحترم حتى الأماكن المقدسة عندنا كمسلمين، فتحصل فيها مثل هذه الأحداث. لذلك على الجميع أن يستخلصوا الدروس.

منع الإساءات للزائرين

فالدولة، وأقصد أجهزة الدولة الموجودة في المدينة المنورة، يجب أن تكون يقظة للحدّ من التجاوزات والإساءات للزائرين، وللسيطرة على الموقف حينما يحصل أي شيء، لا سمح الله. فالأجهزة التي تمثل دور الدولة، هي لكل أبنائها، ولرعاية كل المواطنين، لا يصح حينما تحصل مشكلة بين طرفين أن ينحاز هذا الجهاز من الدولة لطرف دون آخر، فهذا خلاف الدور المأمول والمتوقع من أجهزة الدولة الراعية لكلّ مواطنيها. فنأمل أن يكون هناك انتباه ويقظة عند أجهزة الدولة، والأجهزة الأمنية والجهات المتواجدة هناك لمنع حصول وتكرار مثل تلك الحوادث المؤسفة، لا سمح الله.

وعلى الجهة الدينية المتواجدة هناك، أن تستفيد مما حدث في ترشيد طريقة تعاملها مع الزائرين، على اختلاف مذاهبهم وتوجّهاتهم، وقد قرأنا عن إقامة دورات توجيهية وإرشادية لتحسين سلوك المتعاملين مع الزائرين، نأمل أن تستمر هذه الدورات لهذه العناصر، وأن يستفيدوا منها، حتى تتغير طريقة التعامل. لأنه لا يتناسب مع قداسة

تلك البقاع، ولا يتناسب أساسًا مع خلق المسلم، أن يكون فظًّا غليظًا في التعامل مع الآخرين، وإن اختلفوا معه في الرأي؛ لأنهم ينطلقون من رأي يتعبّدون به شرعًا، ولا يصحّ الإنكار في مواقع الخلاف. وإذا كان هناك اختلاف في مسألة فقهية أو مذهبية، فلا يصحّ لك أن تنكر على الطرف الآخر؛ لأن الطرف الآخر له رأيه وله أدلته.

الزائرون الشيعة ومراعاة الظروف

وبالنسبة لنا نحن الشيعة، علينا أن نتحمل المسؤولية، فأبناؤنا وبناتنا الذين يذهبون إلى تلك المناطق، عليهم أن يراعوا أفضل الآداب التي تحدّث عنها أئمة أهل البيت عليهم السلام في الزيارة، بأن يذهب الإنسان الزائر في سكينة وخشوع وخضوع، وأن يكون قلبه متّجهًا إلى الله أثناء الزيارة، وأن يستحضر شخصية من يزوره، وكأنه حاضر أمامه، وهذا يعني أن يراعي الإنسان الأدب حينما يذهب إلى الزيارة، فلا يذهب بنفسية المشاكسة والتوتر، فإن ذلك خلاف آداب وأهداف الزيارة.

وعلى أبنائنا أن يراعوا الظروف التي يزورون في ظلّها، فلا يقومون بتصرف يسبب مشكلة، عليهم أن يضبطوا أعصابهم، فلا يستجيبون لبعض الإثارات إذا حصلت من بعض العناصر الجاهلة أو المغرضة، فإن هناك من يسعى لإيقاع مثل هذه الفتن، وعلى الإنسان الواعي أن يكون يقظًا حتى لا يقع في الفخ. وحسب المعلومات التي تنقل: فإن بعض الجهات المتطرفة تأتي ببعض أفرادها في هذه المناسبة من أجل النزاع، وحصول مثل هذه الحوادث المؤسفة.

على أبنائنا أن يكونوا واعين، وأن يكونوا منتبهين، فلا يستدرجون لهذه الخلافات والصراعات، بل يزوروا ضمن آداب الزيارة المنصوص عليها في الأحاديث والروايات، التي نصّ عليها العلماء في كتب الزيارات والأدعية، وأن يقصدوا توفير الأجواء الطيبة الملائمة في تلك البقاع المقدسة.

الخطبة الأولى

المجتمع وصناعة الرؤية

ورد عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام: «ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم»(١).

المجتمعات البشرية وخاصّة في أوقات الأزمات والمشاكل، هي أحوج ما تكون إلى نضج الرأي ووضوح الرؤية؛ لأن ذلك يساعدها على تجاوز الأزمات، وتخطي المشاكل، فالرأي الناضج والرؤية الواضحة، توجّه مسيرة المجتمع نحو أفضل السبل والطرق، فلا تهدر الجهود والطاقات، إلا فيما يعود بالربح والنفع المناسب لخدمة مصالح المجتمع.

لذلك ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة»(٢).

ويحذّر الإمام الصادق من يبذل جهدًا دون رؤية، بأنه قد يخسر هدفه بدل أن يحقّقه، يقول فيما روي عنه: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلا بعدًا»(٣).

وقديمًا قال الشاعر أبو الطيب المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هـو أول وهـي المحـل الثانـي

(١) تحف العقول. ص٢٣٣.

(٢) بحار الأنوار. ج٧٤، ص٢٦٧.

(٣) وسائل الشيعة ج٢٧، ص٢٤.

فالشجاعة في مكانها المناسب تؤتي الثمر الكثير، لذلك يرتبط استخدام القوة بالقرار السياسي، وتعطي المؤسّسات العسكرية أولوية لجهة الدراسة والتخطيط.

هذه حقيقة لا يتنكر لها ولا يجادل فيها عاقل، فما من قائل بجدوى العمل والتحرك دون فكرة وخطة تحدّد الهدف، وترسم الطريق إليه. لكننا حينما نتحدث عن قضايا المجتمع، وصناعة الرأي والرؤية تجاهها، نحتاج إلى إثارة عدد من النقاط والملاحظات:

دور النخبة

نخبة كلّ مجتمع هم أصحاب الكفاءة ومواقع النفوذ والقدرة، من علماء دين، وأكاديميين، ومثقفين، ورجال أعمال. هذه النخبة بما تمتلك من قدرات معرفية، وخبرات عملية، هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن تكوين رأي وتشكيل رؤية حول قضايا المجتمع ومشاكله.

لكن المؤسف أن معظم أفراد هذه الشريحة، قد لا يجدون أنفسهم معنيين ببحث ودراسة قضايا مجتمعهم، والاجتهاد في تقديم الحلول والمعالجات. إما للانشغال بالهموم الذاتية، أو لضعف الإحساس بمعاناة الناس.

وقد يكون لبعضهم رأي، لكنه لا يريد أن يتحمّل مسؤولية رأيه، فلا يجهر به، حذرًا من اعتراض هذه الجهة أو تلك، أو أن يجد نفسه مطالبًا بدورٍ مّا انطلاقًا من رأيه.

ثمة مشكلة أخرى، تكمن في انعدام الأطر والبرامج التي يلتقي من خلالها أفراد هذه النخبة، فيتشاورون ويتناقشون لبلورة الآراء وإنضاجها، وللتعاون في تفعيلها، أسوة بمجتمعات أخرى، تشكلت فيها ملتقيات ومؤسّسات تجمع علماء الدين، أو المثقفين، أو الناشطين سياسيًّا واجتماعيًّا.

إن تخلي النخبة عن ممارسة دورها الريادي في الحراك الاجتماعي، يطيل أمد معاناة المجتمع، ويفسح المجال لبروز توجّهات قد تنقصها الحكمة والنضج، مما

يعود بالضرّر على مصالح المجتمع ومستقبله.

وبعض أفراد هذه النخب قد يأخذ دورًا سلبيًّا تجاه الفاعليات الاجتماعية، لتبرير تقاعسه، فهو لا يطرح رأيًا، ولا يقوم بدور، لكنه بالمرصاد لمبادرات الآخرين وأطروحاتهم.

مسؤولية المجتمع

إذا كانت النخبة هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن صناعة الرأي والرؤية، فإن ذلك لا يعني إعفاء جمهور المجتمع من المسؤولية، فكلّ أبناء المجتمع شركاء فيما يرتبط بقضاياهم العامة، لا يحتكرها أحد دون أحد، هم جميعًا مسؤولون عن سوء الواقع الذي يعيشونه، ومطالبون بتغييره وإصلاحه.

يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[سورة التوبة، الآية: ٧١]، وورد عنه ﷺ أنه قال: «ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»[١].

وحينما وصف الله تعالى مجتمع المؤمنين بالتشاور بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ فإنه لم يحصر التشاور في فئة محددة.

وحين أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، فإن ذلك يشمل جميع المسلمين، ولذلك كان يخاطب جميع أصحابه قائلًا: «أشيروا عليَّ»[٢].

لقد منح الله تعالى كُلَّ إنسان عقلًا يفكر به، وقد تنقدح فكرة مهمّة في ذهن إنسان عادي، وقد يلتفت أحد الأشخاص العاديين لأمر خطير لم ينتبه إليه غيره، وكما قيل: «العلم كله في العالم كله».

---

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص ٣٨.

(٢) كنز العمال. ص٤٨٤، حديث٣٠١٥٣.

فيقول الحسن بن الجهم: «كنّا عند الإمام الرضا ﷺ فذكرنا أباه، فقال: كان عقله لا توازى به العقول وربما شاور الأسود من سودانه، فقيل له: تشاور مثل هذا؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى ربما فتح على لسانه»[١].

ويشير أمير المؤمنين عليّ ﷺ إلى ضرورة التكامل بين أفراد المجتمع، فلا يشعر أحد مهما كان موقعه بالتعالي والاستغناء عن سائر الطاقات، ولا يستصغر أحد نفسه في إمكان مساهمته في الشأن العام. يقول ﷺ: «ولَيْسَ امْرُؤٌ وإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ، بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ، ولا امْرُؤٌ وإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ واقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ»[٢].

وإذا كان الفارق المعرفي كبيرًا في ماضي الزمان بين النخبة وعامة الناس، فإن المسافة تقلصت الآن إلى حدٍّ كبير، حيث انتشر التعليم، وتوفرت وسائل المعرفة والاطّلاع، وارتفع مستوى الثقة بالذات.

مما يدفع بتوسيع رقعة المشاركة الشعبية في الشأن العام، وهذا ما يحصل في البلدان المتقدمة، حيث يشارك الناس في اتخاذ كلّ القرارات المرتبطة بأوضاعهم، يُستفتون على دستور بلادهم، ويختارون قيادتهم السياسية، وينتخبون ممثليهم للتشريع والرقابة على السلطة التنفيذية.

ولا يتردّد أيّ مواطن في تلك البلدان عن الإدلاء برأيه، في أيّ شأن عام أمام وسائل الإعلام.

الفرص المتاحة

نعيش الآن عصرًا توفرت فيه وسائل صناعة الرأي، وأتيحت فيه فرص التعبير عن الرأي، فمعظم المعلومات عن قضايا المجتمع وشؤونه مبذولة متاحة لمن

(١) ميزان الحكمة، ج٥، ص٢١١.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ٢١٦.

يرغب في الاطّلاع عليها.

وخبرة البحث والتحليل يمكن لأيّ أحد أن يكتسبها من خلال البرامج التي تبثّها مختلف الوسائل الإعلامية والمعلوماتية.

ولم تعد هناك عوائق كبيرة تحول دون التعبير عن الرأي، حيث يستطيع الإنسان من غرفة نومه أن ينشر آراءه ويبثّها، إلى مختلف أنحاء العالم، عبر الشبكة العنكبوتية.

والجهات الأمنية والسياسية لم تعد قادرة على قمع الرأي وحجبه، كما كانت في السابق.

هذه الظروف المناسبة، والفرص المتاحة، وإن لم تكن بشكل مطلق، تُسقط كل الأعذار والتبريرات التي يتذرّع بها البعض، للتقاعس عن المشاركة في الشأن العام. ويجب أن تكون دافعة لتوسيع رقعة المشاركة، وتضافر الجهود من أجل خدمة قضايا المجتمع.

مؤسّسات لصناعة الرأي

بمبادرات رائدة، وجهود أهلية خيّرة، قامت في المجتمع مؤسّسات تعنى بالنشاط الديني والثقافي والاجتماعي، من مدارس دينية، وجمعيات خيرية، ولجان ثقافية، وهيئات تهتم بالشعائر المذهبية..

والمجتمع في هذه المرحلة من تطوره يحتاج إلى مؤسّسات معرفية تخدم صناعة الرأي، كمراكز المعلومات، ومؤسّسات البحوث والدراسات الاجتماعية، وعقد المؤتمرات الجادّة..

إننا بحاجة إلى قاعدة بيانات ومعلومات تُعنى بمختلف قضايا المجتمع، كالفقر والبطالة، وما يتعلق بالأمن الأخلاقي والاجتماعي، ومشاكل التمييز الطائفي.

كلّ هذه القضايا وأمثالها تحتاج إلى رصد وتوثيق، لا يستغني عنه من يريد صنع

الرأي واتخاذ القرار.

كما أننا بحاجة إلى مراكز أبحاث ودراسات تشجع على دراسة قضايا المجتمع، وبحثها في إطار علمي موضوعي، وتستقطب الكفاءات التخصّصية في مجالاتها.

وإذا ما توفر الاهتمام بهذا البعد المهم، فستنطلق المبادرات نحوه، كما انطلقت نحو سائر المجالات، وكأيّ توجه جديد قد يكتنفه في البدء شيء من الهيبة والرهبة، لكن الإرادة والإقدام ستتجاوز بالمبادرين كل ذلك.

تنوع الآراء والخيارات

من الطبيعي أن تتنوع الآراء في المجتمع، وأن تتعدد الخيارات تجاه القضايا الحسّاسة، تبعًا لاختلاف التوجهات والمصالح، واختلاف زوايا النظر والتقويم، لجهة تشخيص الواقع، أو احتمالات المستقبل.

ولا يمكن لأحدٍ أن يحتكر حقّ الرأي، أو يفرض وصايته على المجتمع، فكما يحقّ له طرح رأيه، والعمل على أساسه، فإن للآخرين نفس الحقّ.

لكن البعض يضيق ذرعًا بالرأي الآخر، ويطرح رأيه كخيار وحيد أمام المجتمع، لا خلاص إلاّ به، ولا خير إلاّ فيه، ويوجه سهام التجريح والتسفيه والإسقاط نحو الخيارات الأخرى، ومن يتبناها.

إن طرح الرأي حقّ مشروع، ونقد الرأي الآخر أمر مقبول. لكن تسفيه الرأي الآخر، والنيل من دُعاته، أمر مرفوض، وخُلُق سَيِّئٌ، يكشف عن غرور أو حقد.

ومن أخطر الأمراض المزمنة في مجتمعاتنا سوء التعامل مع الرأي الآخر، فعلى الصعيد الديني يتهم بالمروق والضلال والابتداع، وعلى الصعيد السياسي يتهم بالخيانة والعمالة.

وهي اتهامات يمكن أن يوجّهها أيّ طرف لآخر، فلكلّ طرف مستوى من القدرة

والتأثير، وكما قال الشاعر العربي:

جـاء دريـد شـاهرًا رمحـه إن بنـي عمـك فيهـم رمـاح

لكن ذلك يحوّل المجتمع إلى ساحة نزاع واحتراب داخلي، بدل أن تتجه الطاقات والجهود صوب الأعداء، ونحو خدمة قضايا المجتمع.

إن التشكيك في النيّات واتهام المقاصد عدوان وانتهاك لحرمات الآخرين، واعتراف بالعجز عن النقد الموضوعي للرأي الآخر، والإقناع بالرأي المُدّعى.

علينا أن نحوّل تنوع الآراء إلى فرصة إثراء للحراك الفكري الاجتماعي، وأن نفتح بتعدّد الخيارات مجالات الاستيعاب لطاقات المجتمع، وأن نذكي بالتنافس الإيجابي روح الإبداع والعطاء في أوساط النخبة والجمهور.



الخطبة الأولى

إمام في الحرم المكي يكفّر المسلمين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾
[سورة النساء، الآية: ٩٤].

حين يعتنق الإنسان دينًا، إنما يعتنقه اعتقادًا منه بأحقيّة ذلك الدين، وهو يرجو بانتمائه إلى هذا الدين رضا الله سبحانه وتعالى. فالانتماء إلى الدين اندفاع ذاتي من داخل الإنسان، هدفه رضا الله سبحانه وتعالى وليس رضا الآخرين.

وحينما يتشكل مجتمع على أساس ديني، فإن الانتماء إلى ذلك الدين الذي تشكل المجتمع على أساسه، تكون له قيمة معنوية، وتترتب عليه حقوق متبادلة بين أفراد ذلك المجتمع. كما هي الحال في مجتمع المسلمين، فهو مجتمع قائم على أساس الإسلام، ومن ينتمي للإسلام فهو جزء من هذا المجتمع، له ذات القيمة المعنوية الاعتبارية، وله نفس المستوى من الحقوق، كما عليه ذات الدرجة من الواجبات. وقد نصّ القرآن الكريم، والسنة الشريفة، على الحقوق المعنوية والاجتماعية المتبادلة بين أبناء المجتمع الإسلامي، فـ (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)[1]، و﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، إلى سائر النصوص التي تتحدث عن القيمة المعنوية لهذا الانتماء اجتماعيًّا، والحقوق المترتبة على ذلك.

---

(١) صحيح مسلم. ص ١٣٩٤، حديث ٢٥٨٠.

من هنا، فإن التنكر لانتماء أيّ إنسان لهذا المجتمع الإسلامي، ولهذا الدين؛ إنما يعني التنكر لقيمته المعنوية، وللحقوق المترتبة على ذلك الانتماء.

ولنضرب على ذلك مثالًا بالانتماء للوطن، فالانتماء للوطن بأن يحمل الإنسان جنسية بلدٍ ما، له اعتبار معنوي ومادي، وتترتب عليه حقوق وواجبات. وحينما لا تمنح الجنسية لهذا الإنسان، أو حينما ينكر حقّه في امتلاك جنسية هذا البلد، فهذا يعني أنه سيحرم من الامتيازات التي تتوفر لمن يحملون جنسية هذا البلد، وهذا واضح معروف، وقد أطلق على بعض من لا يحملون جنسية البلد الذي يعشون فيه لفظ (بدون).

قيمة الانتماء للدين

وهكذا في المجتمع القائم على أساس الدين، حيث تترتب على الانتماء لهذا المجتمع حقوق مادية واجتماعية، لذا وضع الإسلام معايير لإقرار هذا الانتماء، فما هي هذه المعايير التي يكون الإنسان على أساسها منتميًا للإسلام؟

مما لا شك فيه أن هذه المعايير يضعها مُنْزِل الدين وليس الآخرون، فلا يحقّ لي أن أضع معايير، وأشترط أن من ينتمي لهذا الدين لا بُدّ وأن يكون ملتزمًا بهذه المعايير.

إن معايير الانتماء إلى الدين يضعها من أنزل الدين، وهو الله سبحانه وتعالى، وحينما تتوفر هذه المعايير التي وضعها الله سبحانه وتعالى، فلا يحقّ لأحدٍ أن يتنكر لها، وهذا شأنه كالقانون في أيّ بلد، إذا وَضَعَ معايير لمنح الجنسية، فمن توفرت فيه فإنه يمنح الجنسية، ولا يحقّ لأحدٍ أن يختلق شروطًا إضافية لمنح الجنسية، لم ينص القانون على ضرورة توفرها.

معيار الانتماء إلى الدين

يضع الدين معيارًا للانتماء له، فمن توفر فيه لا يصح لأحد أن ينكر عليه انتماءه

لهذا الدين، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فإذا كان المسلمون في حرب مع غيرهم وجهر شخص من معسكر العدو بالشهادتين، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، أو عبّر عمّا يدل على ذلك، فقال مثلًا: السلام عليكم، وهي تحية الإسلام، فهذا الشخص توفّر فيه معيار الانتماء إلى الإسلام وإلى مجتمع المسلمين، وعلى المسلمين أن يتعاملوا معه كمسلم، له ما لهم وعليه ما عليهم، وهنا وقفة تحذير، إذ تقول الآية: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ففي بعض الأحيان ينكر إنسان على شخص آخر انتماءه للإسلام، وذلك حتى ينال الغنيمة بقتله، أو حتى لا يكون منافسًا له فيما عنده من امتيازات، وهذا ما تحذّر منه الآية الكريمة.

كما أن النصوص الكثيرة على هذا الصعيد جاءت لتؤكد المعايير المتبعة لاعتبار هذا الشخص من المسلمين أو لا، ورد في صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود أنه أخبره أنه قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنْ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ، أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقْتُلْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا، أَفَأَقْتُلُهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ»[١].

وفي صحيح البخاري، عن رسول الله أنه قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[٢].. وأحاديث كثيرة في هذا السياق.

---

(١) صحيح مسلم. ص٦٢ حديث١٥٥.

(٢) صحيح البخاري. ج١ص٤١، حديث٢٥.

الاختلاف بعد الرسول

حصلت بين المسلمين، بعد وفاة الرسول الأعظم اختلافات سياسية، ثم أصبحت عقدية وفقهية، فهل يصحّ لطرف من الأطراف أن يعتبر رأيه فيما ذهب إليه ـ عقديًّا أو فقهيًّا أو سياسيًّا ـ مقياسًا إضافيًّا للحكم بدخول الإسلام؟

إن هذا لا يصحّ، وقد حصلت هذه الحالة في أيام الفتن والصراعات، حيث إن بعض المتشدّدين من السنة أو من الشيعة أو من الخوارج، أو من الاتجاهات المختلفة تَعُدُّ رأيها مقياسًا للإسلام، فمن أخذ برأيها يكون مسلمًا، ومن لم يأخذ برأيها عُدَّ خارج دائرة الإسلام، وهذا يطلق عليه مصطلح التكفير، وهي أهم محنة بليت بها الأمة الإسلامية، أن يكفر المسلمون بعضهم بعضًا.

إن الاختلافات تحصل في أيّ مجتمع بشري، فأساسيات الإسلام، هي: الإيمان بالله، وبنبوة رسول الله ﷺ، وبالمعاد يوم القيامة، والأخذ بالكتاب والسنة، والاتجاه إلى القبلة، كما تقول الأحاديث: «من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم»[١]، هذه هي المقاييس الأساسية للإسلام.

أما الاختلافات الأخرى فهي ليست مما يخرج من الإسلام، فنحن الشيعة ـ مثلًا، نعتقد بإمامة أهل البيت، أصلًا من أصول المذهب، من لم يقبلها لا يكون داخل المذهب، لكننا لا نعدّها أصلًا من أصول الدين، بمعنى أن من لا يقبلها لا نعدّه خارج الدين، والرأي الفقهي المعمول به عند علماء الشيعة هو الحكم بإسلام كلّ من تشهّد الشهادتين، ومن نختلف معه في معتقد الإمامة، فهو خارج مذهبنا، لكنه ليس خارج الإسلام، بل هو ضمن الإسلام، ونحكم بإسلامه.

وأهل السنة؛ عندهم رأي حول (عدالة الصحابة)، ولهم الحقّ أن يعدّوا هذا الرأي

(١) صحيح البخاري. ج١ ص١٠٢.

مقياسًا للحكم بسنّية الإنسان، فمن لم يعتقد بعدالة الصحابة، وبالمكانة المميزة للخلفاء الراشدين حسب الترتيب، فهو ليس من أهل السنة ـ وإن كان في وسط السنة من له رأي آخر في عدالة الصحابة ـ من حقهم أن يقولوا ذلك، لكن أن يعدّوا أن من لم يوافقهم في هذا الرأي فهو خارج الإسلام؛ هذا لا حقّ لهم فيه، ولا يقولون به؛ لأن هناك اختلافًا بين المسلمين في الأمر، فلا تستطيع أن تكفّر أحدًا لأنه لم يوافق رأيك في الصحابة، هذا شرط إضافي، لم يرد في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، أَنْ يشترط في إسلام الإنسان، وفي الحكم بإسلامه؛ أن يكون معتقدًا بعدالة كلّ الصحابة، وأن يكون معتقدًا بأفضلية الخلفاء الراشدين على الترتيب، الخليفة الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، ليس هناك ما يدلّ على ذلك.

الخلاف بين الصحابة

فالصحابة أنفسهم ما كانوا يعتقدون بهذا الشيء فيما بينهم، وما كانوا يرون أن الاعتراف بقدسيتهم شرطٌ من شروط الإسلام، بدليل أنهم تقاتلوا وتلاعنوا فيما بينهم، وتسابوا وتشاتموا، ولو كانوا يعلمون أن سبّ واحدٍ من الصحابة، أو لعن واحدٍ منهم ـ مع أننا لسنا مع السبّ والشتم، لكن نقول ذلك لمناقشة الموضوع ـ مخرج من الإسلام، لكفّر الصحابة بعضهم بعضًا. بينما نحن لا نجد مثل هذا الأمر، بل نجد ما يدلّ على عكسه، ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل في الجزء الأول في مسند أبي بكر، حديث رقم ٥٤ ـ وهو موجود في مصادر أخرى، وموثق من حيث إخراج الحديث عند عدد من العلماء ـ عن أبي برزة الأسلمي قَالَ: «أَغْلَظَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَ: فَقَالَ: أَبُو بَرْزَةَ: أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ: فَانْتَهَرَهُ، وَقَالَ: مَا هِيَ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ». فأبو بكر نفسه يقول إن من أغلظ عليه ـ أي أساء إليه ـ لا يصحّ أن ينال منه؛ لأن هذا خاص برسول الله، فكيف يأتي شخص اليوم، ويقول بأن من أساء وتعرّض لأحد الخلفاء والصحابة يكون كافرًا؟

وأكرّر، أن هذا لا يعني أننا ندافع أو نبرر الإساءة، فأنا أقول وأعلن دائمًا أنه لا يصحّ الإساءة إلى أيِّ رمز من رموز المسلمين؛ لأن ذلك يثير الفتنة ويضرّ بالتعايش. فَكُلّ طائفة لها مقدّساتها، ولها رموزها. وإذا أردنا أن تُحْتَرَمَ رموزنا ومقدّساتنا، فيجب أن نحترم رموز ومقدّسات الآخرين. إنَّ رأينا يخصنا، وما لإخواننا السنة من رأي يخصهم، ولكن في تعاملنا يجب أن يكون هناك احترام متبادل.

إذن هذه الروايات تدلّ على أن الصحابة أنفسهم ما كانوا يرون هذا الرأي في بعضهم البعض، بل إن أمّ المؤمنين عائشة ـ كما ورد في المصادر التاريخية كالطبري وغيره ـ قالت كلامًا عنيفًا ضد الخليفة عثمان، حينما اختلفت معه وخالفته، ففي تاريخ الطبري ضمن الحادثة: «فانصرفت إلى مكة وهي تقول: «قتل والله عثمان مظلومًا، والله لأطلبن بدمه»، فقال لها ابن أمّ كلاب: «ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنتِ، ولقد كنتِ تقولين: اقتلوا نعثلًا فقد كفر»، قالت: «إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أمّ كلاب:

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا إنه قد كفر[1]

وهناك موارد كثيرة في التاريخ وفي النصوص تحكي أن الصحابة دخلوا حروبًا مع بعضهم، فطلحة والزبير صحابيان تمردا على الإمامة الشرعية لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وقاتلاه، ومعاوية خاض حربًا في صفين ضد أمير المؤمنين علي، وسنَّ سبّه على المنابر، لسنوات طويلة، فكيف يكون الموقف من الصحابة مقياسًا للدخول في الدين؟ وكيف يكون الحكم على معاوية بناءً على ذلك؟

خطورة نهج التكفير

ولهذا فإن ما تحدّث به أحد أئمة الحرم المكي (الشيخ عادل الكلباني) في مقابلة له

(١) تاريخ الطبري. ج٣ ص٤٧٧.

مع قناة الـ**BBC** بتاريخ ٩/ ٥/ ١٤٣٠هـ، مخالف لهذا المنهج الإسلامي، الذي تؤكده الآية الشريفة: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، وإذا أُطْلِقَ العنان لمنهج التكفير ستعيش الأمة حالة التمزق.

والمدرسة السلفية جربت هذا الأمر، والكلباني نفسه تحدث ضد الصوفية حين سئل: عن عدم وجود إمام للحرم من أهل الحجاز من غير الحنابلة، قال: «عند بعضهم نزعة صوفية، فربما هذا يكون سببًا من أسباب عدم التعيين؛ لأنه يشترط في إمام الحرم أن يكون سليم المعتقد والمنهج»[1]، مع أن الصوفية شريحة كبيرة من العالم الإسلامي. وبهذه السهولة يتهم دين شريحة كبيرة من المسلمين في عقيدتهم، ثم يتحدث عن الشيعة، فيحكم بتكفير علمائهم؛ لأن لهم رأيًا حول الخليفة أبي بكر.

إن الرأي الذي ذكره عن الشيعة ليس دقيقًا، وإنما هو رأي أخذه من هذا الكتاب وذاك، وإلا فإن علماء الشيعة لا يحكمون بكفر أحد من أهل القبلة، بل يحكمون بإسلامهم، ويتعاملون معهم على أساس الإسلام، وهذا المنحى التكفيري عانت منه البلاد كثيرًا، وحينما ساد هذا النهج ارتد على أصحابه، فالسلفيون أنفسهم عانوا من منهج التكفير؛ لأنهم فتحوا المجال وَرُبُّوا في بعض محاضنهم وتوجّهاتهم على التساهل بالتكفير، فارتد الأمر عليهم، وظهرت جهات وجماعات منهم كفّروا بقية السلفيين، وكفروا الحكومة والعلماء، وألّفوا في ذلك العديد من الكتب.

تكفير الدولة

إن أحد الكتب المطبوعة في هذا الاتجاه السلفي التكفيري كتاب (الكواشف الجلية في تكفير الدولة السعودية)، كفروا فيه الحكومة السعودية، والمفتي والعلماء الذين مع الحكومة. ولهم كتاب آخر بعد غزو العراق للكويت، ومجيء القوات الأمريكية، تحت عنوان: (التبيان في كفر من أعان الأمريكان). وبعد أن حدثت مثل

(١) مقابلة مع الشيخ عادل الكلباني في قناة الـ**BBC** بتاريخ ٩/ ٥/ ١٤٣٠هـ.

هذه المواقف اجتمعت هيئة كبار العلماء وأصدروا بيانات ضد التكفير، وكان منها البيان الذي صدر بتاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ وحذّر من التكفير، وأنه لا ينبغي تكفير مسلم، وأورد البيان الأحاديث التي جاءت ضد تكفير المسلمين، ونحن هنا نتساءل: أحينَ وصلت النار إليهم بدؤوا يتحدثون ضد التكفير؟، وحينما هدأت بعض الأمور، بدأت نعرة أخرى، تتحدث عن كفر هذه الطائفة أوتلك؟ هذا ليس صحيحًا، وليس مقبولًا، ونتائجه مضرّة على الجميع.

ولنا أن نتساءل: هل إن التكفير ممنوع تجاه الحكام فقط؟ فمن يكفّر الحكام لا بُدّ من التحذير منه، أما من يكفّر بقية المسلمين فلا بأس؟ إن هذا ليس نهجًا صحيحًا. خاصة من شخصٍ في هذا الموقع وهذا المكان، إن إمامة المسلمين في الحرم المكي موقع اعتباري، له قيمته ومكانته، فكيف يكون الشخص الذي يراد من المسلمين من مختلف أقطار العالم أن يأتمّوا به، وأن يصلّوا بصلاته يكفر شريحة كبيرة منهم؟ ويتجاهر بالحديث عن التكفير؟

هذا خلل كبير لا يتناسب مع سمعة الدولة، ولا مع حمايتها للحرمين الشريفين، ولا يتناسب مع الشعارات والدعوات المطروحة للحوار الإسلامي، بل الحوار بين الأديان.

الاعتذار أو الإقالة

هذا يخالف كل ما طرحه الملك، وكل ما خطب به في الحوار الوطني، والحوار الإسلامي، والحوار بين الأديان. ولهذا نحن نطالب هذا الرجل بأن يعتذر عمّا قال، أو أن يُقَالَ من الموقع الذي هو فيه. وإلا فوجوده في هذا الموقع مع تبنّيه لهذه الآراء التكفيرية خلل كبير، وإساءة لسمعة البلاد وقيادتها، وإغراء بالفتنة، وتأجيج للأحقاد في النفوس، وهذا ما لا يرضاه مسلم، ولا يرضاه عاقل، ولا يرضاه مواطن غيور.

الخطبة الأولى

تبنّي الاهتمامات الكبرى

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[سورة البقرة، الآية:١٤٣]

الاهتمامات الذاتية للإنسان تفرض نفسها عليه، فهو يحب ذاته ويسعى لمصلحته الذاتية، وهذا أمر مشروع ومقبول، إلا أنه من غير المقبول أن ينحصر الإنسان في سجن اهتماماته الذاتية، فلا يفكر إلا في نفسه، ولا يهتم إلا بذاته، ولا يتحمّل أيّ مسؤولية تجاه مجتمعه وأمته.

ومعنى ذلك أن الإنسان لا يعرف نفسه، ولو عرف نفسه لرأى أنه أكبر من أن ينحصر في همومه الذاتية، وقد وهبه الله سبحانه وتعالى طاقات وقدرات، من أجل أن يقوم بدور كبير من خلال وجوده وحياته. ولا ينبغي للإنسان أن يستصغر نفسه فيهتم بذاته فقط، فهو خليفة الله في الأرض، ومكلّف من قبله تعالى بعمارة الكون، وبنشر وتطبيق القيم الفاضلة في المجتمع الإنساني.

من ناحية أخرى، فإن القسم الأكبر من مصالح الإنسان الذاتية مرتبط بالآخرين، وخاصة في هذا العصر، حيث أصبحت أمور البشر متداخلة، لدرجة أنه قد يظهر مرض في بلدٍ في أقصى الأرض، لكنه ما يلبث أن ينتشر ويغزو مختلف البلدان في العالم، وقد تُطرح فكرة في مكان ما، لكنها بعد وقت قصير، لا يتجاوز اللحظات والدقائق، تكون منتشرة على مستوى العالم كلّه. وهذا كلّه يؤكد تداخل المصالح الذاتية

بمصالح المجموع. ومن سبل خدمة الإنسان لذاته أن يخدم المجموع، فيأخذ حصته من المجموع.

لهذا يربي الإسلام أبناءه على الاهتمامات الكبرى، فيهتم المسلم بالشؤون الكبرى في مجتمعه وأمته والعالم أجمع. وهذا ما تؤكد عليه النصوص والتعاليم الدينية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[سورة البقرة، الآية:١٤٣]. والشهادة بمعنى الحضور، أي ليكون لكم حضور في ساحة العالم، ويكون لكم رأي وفاعلية، ورقابة على ما يجري في المجتمع البشري كلّه، فأنتم شهداء على الناس كلهم، وليس على مجتمعكم فقط.

شروط الارتقاء

ولا يصل الإنسان فردًا ومجتمعًا إلى هذا الأفق من الاهتمامات الكبرى، إلا بثلاثة شروط:

أولًا: الوعي، بأن يعي الإنسان ذاته، ويعي ما حوله.

ثانيًا: الارتقاء بالمشاعر والاهتمامات الإنسانية، فيتألم لآلام الناس، ويفكر في أوضاعهم، بخلاف الأناني الذي لا يفكر إلا في ذاته، فإنه لا يستطيع أن يخرج إلى أفق الاهتمامات الكبرى.

ثالثًا: الثقة بالذات، بأن يرى الإنسان نفسه قادرًا على أن يعمل شيئًا، وأنه كفؤٌ لذلك.

وتعاليم الإسلام تدفع الإنسان بهذا الاتجاه، لهذا كان المسلم في سالف الزمن يشعر بمسؤولية تجاه مجتمعه كلّه، انطلاقًا من قول رسول الله ﷺ: «ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»[1]، بل على مستوى العالم، ولذلك حين سئل أحد

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص ٣٨.

المجاهدين المسلمين ـ وهو ربعي بن عامر ـ في الحرب مع الفرس: «ما جاء بكم؟ قال: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنُخْرِج مَنْ يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»[1].

لكن الأمة لما أصيبت بالتخلف، قعد أبناؤها وتقاعسوا عن التطلّع إلى هذا الدور، وسيطرت الأنانية على النفوس، فأصبح كل واحدٍ لا يرى نفسه معنيًّا بما يدور في مجتمعه، ولا يرى نفسه مسؤولًا عما يحصل لأمته، فضلًا عن أن يتطلّع إلى دور على المستوى الإنساني العام.

ظاهرة المؤسسات العالمية

بينما نجد في المجتمعات الغربية كيف أن الناس فيها يطمحون للقيام بأدوارٍ عالمية، ويقومون بمساعٍ كونية، فهناك عدد كبير من المؤسّسات انطلقت لتعمل على مستوى العالم. ومن نماذج تلك المؤسسات، مجلس التفاهم العالمي، وقد عقد أخيرًا اجتماعاته في مدينة الملك عبد الله الاقتصادية في رابغ، ولمدة ثلاثة أيام، بدءًا من الأحد ٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ الموافق ١٠ مايو ٢٠٠٩م وتم تغطية الحدث في الصحافة، ووسائل الإعلام.

ومجلس التفاهم العالمي، يهدف إلى حشد خبرات وطاقات ومعارف سياسيين بارزين، تولوا مناصب عُليا في بلدانهم، لتقديم توصيات وحلول عملية لصانعي القرار، حول المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها العالم. وأنشئ قبل سبعة وعشرين عامًا سنة ١٩٨٣م. وقد حضر هذه الاجتماعات التي عُقدت في السعودية مئتا شخصية من مختلف أنحاء العالم، لمناقشة أوضاع البشرية، وخرجوا بتوصيات وتقارير حول الوضع العالمي بشكل عام. كما حظيت هذه الاجتماعات برعاية رسمية، واستقبل الملك الأعضاء المشاركين، ومنهم:

---

(١) الكامل في التاريخ. ج٢ ص١٠٦.

السيد جان كريتيان رئيس وزراء كندا الأسبق، وهيلموت شيمدت المستشار الألماني الأسبق، ومحمد خاتمي الرئيس الإيراني السابق، وياسو فوكودا رئيس وزراء اليابان السابق.

هذه المؤسّسة واحدة من مئات أو آلاف المؤسّسات هناك، ومن بين المؤسّسات في تلك المجتمعات أيضًا: نادي مدريد لنشر الديموقراطية في العالم، ويضم عددًا من الشخصيات والمفكرين على مستوى العالم، ولهم اجتماعاتهم المنتظمة، من أجل أن ينشروا الوعي الديموقراطي في مختلف أنحاء العالم. وهناك منظمات حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية، وغيرها.

وما بالنا نحن لا يكاد الواحد منا يهتم حتى بالحارة التي يعيش فيها؟!

فتجد أن أحدنا يعيش في حارةٍ تفتقر إلى العديد من الخدمات، ويعاني فيها الناس من بعض المشكلات، وسكان الحي لا يجدون أنفسهم معنيين بأن ينشئوا لهم مجلسًا لحيِّهم، من أجل معالجة مشاكلهم في الحي الذي يعيشون فيه.

وعلى المستوى المذهبي نفشل في إيجاد الأطر الجامعة التي تجمعنا، رغم ما نواجهه من تحدّيات ومشاكل. وتجدنا نكتفي بمجرد الحديث عن هذه التحديات والمشاكل، وتضج مجالسنا من ذلك، دون أن يكون هناك سعيٌ جاد لمعالجات حقيقية.

وليس ذلك من افتقار مجتمعنا للكفاءات والقدرات، ففي المجتمع علماء وخطباء ومثقفون ورجال أعمال، ورجال لهم خبرتهم وتجاربهم. إلا أن وراء هذا العزوف أسبابًا كثيرة، وأبرزها:

1. التضييق على النشاط الأهلي

فأغلب الحكومات في عالمنا العربي والإسلامي لا تعطي مجالًا للناس كي

يتعاونوا مع بعضهم. فالحكومة تؤمِّن كل شيء، وترعى جميع الأنشطة، وتفرض على الناس أن يكون كلَّ شيءٍ تحت إشرافها، ولو كان بيد الحكومة أن تُنظّم أنفاس الإنسان لفعلت.

أما في المجتمعات الغربية فالناس هناك يشعرون بالحرية، والمجال مُتاح أمام أيّ إنسان لإقامة أيّ نشاط فردي أو جمعي، محليّ أو عالمي، طالما كان ذلك ضمن القوانين التي تعتمدها تلك الدول، وهي بمجملها تقنينات سهلة غير معقّدة كالتي تحظى بها الدول العربية والإسلامية.

وفي أجواء الكبت والتضييق، لا تنطلق كفاءات الناس وفاعلياتهم، بعكس أجواء الحرية التي تعيشها المجتمعات الغربية. ومن المظاهر الجلية لحالة القمع، وجود الحظر على إنشاء منظمات المجتمع المدني، ووضع العوائق والعراقيل أمامها. وقد يصل الأمر إلى أسوأ من ذلك، فيقع الحظر حتى على ممارسة الشعائر الدينية أو الاجتماعية والثقافية، وقد يتعرّض من يُبادر لذلك للسجن، وهذا كلّه يتنافى مع الوضع الذي يسير عليه العالم اليوم.

والعجيب في الأمر أنه في الوقت الذي تستضيف فيه بلادنا إحدى المؤسّسات على المستوى العالمي، وهي: مجلس التفاهم العالمي، يقف أبناء هذا المجتمع عاجزين عن إيجاد أطر أو منظّمات للتفاهم المذهبي، مع ما تمرّ به البلاد من أزمة عنيفة في هذا الإطار.

2.البيئة غير المشجعة

البيئة التي نعيشها لا تشجع على مثل هذه الاهتمامات، فتفاعل الناس وتجاوبهم مع العمل التطوعي ضعيف جدًّا. في حين أن المنظّمات الموجودة على مستوى العالم غالبًا ما تموَّل من القطاع الخاص: الشركات ورجال الأعمال.

والمتدينون من المجتمع تعوّدوا على تمويل الأعمال المألوفة: مجلس عزاء، أو

بناء مسجد، أو ما شابه ذلك. أما تمويل منتدى ثقافي، أو جائزة للإبداع، أو تشجيع للأنشطة الفكرية والثقافية في المجتمع، فهذه الجوانب بعدُ لم تدركها أذهان الكثير من الناس في مجتمعاتنا.

3. ضعف روح العمل الجمعي

فتجد أن الناس لا يستطيعون التعاون مع بعضهم إلا حينما تتطابق كلّ الآراء والخصوصيات، أما حين تختلف المذاهب، أو التوجّهات ضمن المذهب الواحد، فإن أمر العمل الجمعي يكون في عداد المستحيل.

علينا أن نخجل من أنفسنا كمسلمين، إذ كيف نفشل في تكوين الإطارات التي تهتم بمعالجة مشاكلنا وقضايانا، بينما نجد العالم يعجّ بالمنظمات والمؤسّسات والإطارات التي تهتم بمختلف القضايا على المستوى الإنساني العام. إننا بحاجة إلى ثقافة جديدة، وإصلاح سياسي، حتى يستطيع الناس أن يتحركوا، وأن يمارسوا فاعليتهم بحرية، ضمن الأنظمة والقوانين، التي تحمي تلك الحريات. كما أننا بحاجة إلى بيئة اجتماعية ثقافية، تشجّع على مثل هذه التوجّهات، وعلى كل منا أن يتحمّل مسؤوليته بالمقدار المتاح له.

علينا أن ننطلق ضمن هذا الأفق الذي يريده لنا الإسلام، كما يقول تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

الاحتشام داخل البيت

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[سورة النور، الآية:٥٨].

الغريزة الجنسية هي من أخطر وأشرس الغرائز عند الإنسان، وباستيقاظها يبدأ امتحان الإنسان وتكليفه الإلهي، حين يكون بالغًا. والغريزة الجنسية هي حاجة للإنسان، إلا أنها تختلف عن كثير من الحاجات الأخرى التي تفرض نفسها على كلّ حال، ولا ربط لها في الغالب بالأجواء والظروف الخارجية، فالجوع والعطش حاجة طبيعية يشعر بها الإنسان في كلّ ظرف.

أما الغريزة الجنسية، فإنها تتأثر إلى حدٍّ كبير بالأجواء التي يعيشها الإنسان، فإذا عاش في أجواء العفة والاحتشام، فإن ضغط هذه الغريزة يكون أقلّ، وتكون أكثر انقيادًا لإرادة الإنسان. أما إذا عاش في أجواء الابتذال وعدم مراعاة ضوابط العفة والحشمة، فإن هذه الغريزة تكون مسيطرة على الإنسان وضاغطة عليه.

كان الناس في الماضي يعيشون حالة محافظة، وخاصّة في مجتمعاتنا الإسلامية، لذلك كانت السيطرة على هذه الغريزة أمكن. ولا نقول إن أبناء تلك المجتمعات كانوا ملائكة، ففي كل مجتمع هناك انحرافات ومشاكل، إلا أن الوضع العام كان أفضل.

ونحن الآن نعيش في عصر كثرت فيه المثيرات، والأجواء التي تُحرّض في الإنسان شهوته الجنسية، وأرادت الشرائع الدينية أن يمارس الإنسان هذه الغريزة في قناتها المشروعة، عبر الزواج. إلا أن واقع هذا العصر، وبسيطرة الحضارة المادية، والدوافع التجارية، والتوجّهات الشهوانية، أُطلق العنان للغريزة الجنسية، فأصبحت الأجواء تعجّ إغراءً وإغواءً وإثارة. لهذا فإن امتحان الإنسان في هذا العصر أكبر مما كان عليه في الماضي، وخاصة في مرحلة الشباب والمراهقة. نحن نعيش العصر الذي وصفه الحديث الشريف عنه ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[1].

وفي نفس الوقت، أصبحت أكثر المنافذ المشروعة مغلقة أمام الإنسان، وما عادت الأمور بسهولة الأزمنة الماضية. فالزواج في الماضي كان أسهل بكثير، وكان الشاب يستطيع الزواج في سنٍّ مبكرة، ومتطلبات الزواج كانت أيسر. بعكس الوضع الذي يعيشه الشباب الآن، حيث التأخر في الزواج، وإحاطة الزواج بمجموعة من العادات والأعراف، تثقل كاهل الشاب الذي يرغب في تحصين نفسه.

وإلى أن يتحقّق للشاب وللفتاة فرصة الزواج، فإنهما يقضيان سنوات طويلة تحت ضغط هذه الغريزة. وبالتالي، فهم بحاجة ماسّة إلى أجواء العفة والحشمة، حتى يُسيطروا على ضغط الغريزة الجنسية، فتكون في مستواها الطبيعي. أما إذا عاش الفتى والفتاة ضمن أجواء الإثارة، فهذا يعني تحدّيًا كبيرًا أمامهما، وأمام الأمن الاجتماعي بشكل عام. لهذا نسمع ونرى كثرة الجرائم والمفاسد والانحرافات، وهذه نتائج طبيعية

---

(١) سنن الترمذي. ج٣ ص٢٦١ حديث ٢٢٦٠، وأيضًا: جامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٥٠٩ حديث ٢٢٤٥٧.

للأجواء التي يعيشها الشباب في هذا العصر.

رعاية أجواء الحشمة

يؤكد القرآن الكريم على أجواء الحشمة حتى داخل البيت العائلي، وهي مسألة مهمة ينبغي تسليط الأضواء عليها، فرغم أن الإنسان في بيته يعيش مع محارمه، إلا أنه ينبغي أن تكون هناك أجواء الحشمة والعفة. وتعاني أكثر البيوت الآن من عدم الانضباط في هذا الجانب، فالأم تبدو بكامل زينتها وإثارتها، ولا تحسب حسابًا إلى أن في البيت أبناءً وهم بشر يتأثرون بهذه الأجواء. وكذلك بين الإخوة والأخوات. وقد قرأنا تقارير وقصصًا كثيرة عن أشخاص انجرفوا إلى طرق الانحراف والفساد؛ لأن أجواء البيت لم تكن تتوفر فيها الحشمة والعفة، بل أصبحت هناك بعض الحالات من التحرش والاعتداء على المحارم، والعياذ بالله.

وتفيد قصص كثيرة أن شبابًا وقعوا في هذه الحالة؛ لأنهم يروا أخواتهم في وضع غير محتشم في البيت، فأثّر ذلك عليهم، إضافة لبقية المؤثرات التي يعيشها الشباب والفتيات، فيندفعون باتجاه الفساد والانحراف. لذلك ينبغي لكلّ العوائل مراعاة توفير أجواء الحشمة في البيت. وإذا كان الواجب على المرأة أن تتزين لزوجها، وأن تبرز له مفاتنها، فينبغي أن يكون ضمن الإطار الخاص، مع مراعاة وجود الأولاد في البيت.

وكذلك فيما يرتبط بالأفلام المبتذلة، فكم من الشباب والفتيات يشكون من آبائهم أنهم يشاهدون الأفلام المثيرة، وكذلك بالنسبة للأمّ، فعلى الوالدين أن يحسبوا حسابًا لهذا الجانب الخطير.

وفيما يتعلّق بلباس الأولاد، ينبغي مراعاة الحشمة في لباس البنات، وإن كنّ صغيرات في السن، ومما يُلفت الانتباه أنك تجد لباس الابن أستر من لباس أخته. فعلى العائلة أن تُدرك بأن كثيرًا من المشاكل التي نعاني منها في المجتمع هي نتيجة التساهل في مثل هذه الأمور.

والله تعالى، في كتابه العزيز، يؤكد هذا الأمر، فيدعو الوالدين إلى تربية أبنائهم على الاستئذان عند الدخول عليهم، حتى وإن كانوا صغارًا لم يبلغوا الحلم، وخصوصًا في أوقات الراحة. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[سورة النور، الآية:٥٨]، حيث تشير الآية الكريمة إلى حفظ الخصوصية في العلاقات الزوجية، بعيدًا عن أعين الأولاد، وإن كانوا صغارًا. وهو إرشاد إلهي يوجهنا إلى أن نصنع أجواء الحشمة في البيت حتى يتربى أبناؤنا وبناتنا في أجواء محتشمة، وحتى لا نكون أعوانًا للشيطان عليهم، ولكي نُحافظ عليهم وعلى التزامهم وعفافهم.

الخطبة الأولى

٧

الانضباط في العلاقة بين الجنسين

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١].

مسألة العلاقة والتعامل بين الرجال والنساء، لا تزال محل إشكال اجتماعي وأخلاقي في المجتمعات البشرية. فالمجتمع البشري ينقسم إلى هذين الشطرين: رجل وامرأة، وكلٌّ منهما يكمل الآخر، ولا تستقيم الحياة البشرية بأحدهما دون الآخر، كما أراد الله سبحانه وتعالى.

ومكمن الإشكال هو في وجود حالة الانجذاب الجنسي من كلٍّ من الطرفين نحو الآخر، هذا الانجذاب العاطفي الغريزي، وضعه الله سبحانه وتعالى لمنفعة، هي التناسل البشري، وإقامة الحياة العائلية الأسرية. ولحكمة، هي الامتحان والابتلاء للإنسان في هذه الحياة. فلا يصبح الإنسان مكلفًا، ولا يدخل قاعة الامتحان، إلا حين تستيقظ عنده هذه الغريزة الجنسية، ذلك أن البلوغ هو شرط التكليف في الفقه الإسلامي.

في كلّ المجتمعات، هناك إطار للعلاقات المشروعة بين الرجل والمرأة، يتمثل في الزواج، وإقامة البيت العائلي، بناءً على تشريعات دينية، أو تقنينات وضعية، أو أعراف

وتقاليد. فليس هناك مجتمع من المجتمعات إلا ولديه نظام وإطار لهذه العلاقة، وكما ورد في قول رسول الله ﷺ: «لكلّ قوم نكاح»[١].

بين التشدد والابتذال

والسؤال: ماذا عن العلاقة بين الجنسين خارج هذا الإطار الزوجي؟

هنا مكمن المشكلة، التي عانت ولا تزال تعاني منها المجتمعات البشرية، فهناك من تطرف ذات اليمين، أو ذات الشمال.

هناك من رأى أن التعاطي والتعامل بين الرجال والنساء، خارج الإطار الزوجي المشروع، مثار خطر الوقوع في الانحراف والفساد، وأن الحلّ إقامة جدار فاصل بين النساء والرجال، وكأن الرجال يعيشون في كوكب، والنساء في كوكب آخر، والتلاقي بينهما يكون ضمن حدود مقيدة مقننة. هذه حالة من المبالغة نشهدها في بعض المجتمعات الدينية، حيث تدعو أوساط إلى شدة الفصل بين الطرفين، وتُتناقل بعض النصوص، والآراء المشرّعة لهذا التوجّه، كالرأي الذي يقول بأن صوت المرأة عورة، ولا ينبغي أن يسمع رجل صوت امرأة أجنبية، ولا ينبغي للمرأة أن تُسمِع صوتها لرجل أجنبي، وهذا لا أساس له في الدين. نعم، إذا كان في الأمر إثارة للعاطفة والغريزة، فهذا عنوان ثانوي. أما في الأصل، فليس هناك مثل هذا الحكم، فالقرآن ينقل لنا مشاهد للتخاطب بين الرجال والنساء الأجنبيات، كما تتضمن السيرة النبوية الشريفة، وسيرة الأئمة والصحابة، الكثير من هذه الصور.

وتتناقل بعض الأوساط رواية متداولة عن سيدتنا الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت: «خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال»[٢]. وهذه الرواية مرسلة[٣]،

---

(١) تهذيب الأحكام. ج٧، ص٤٧٢.

(٢) مكارم الأخلاق. ص٢٢٣.

(٣) مباني العروة الوثقى. السيد الخوئي، كتاب النكاح، ج١ ص٥٣.

ليس لها سند يقبلها العلماء من خلاله.

وقد تبرر هذه المبالغة في الفصل بين الرجال والنساء بقاعدة سدّ الذرائع، تلافيًا للوقوع في المعاصي. وفي هذا السياق يأتي منع المرأة من سياقة السيارة مثلًا، إلا أن هذه المبالغة فيها مضاعفات ومشاكل أخرى، وخاصة في الزمن الذي نعيش فيه، إذ إن ذلك يعني الحيف على دور المرأة وحقوقها وموقعيّتها، كما أنها إذا أخذت عنوانًا شرعيًّا، فإنها تكون تشريعًا، ولا يحقّ لأحدٍ أن يُشَرِّع شيئًا لم يشرعه الله.

فالله سبحانه حرّم الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية، أما الاختلاط فليس هناك عنوان شرعي يحرمه في الكتاب والسنة. بل نجد في مناسك الحج، وفي سيرة المتشرعة من المسلمين، مظاهر من الاختلاط الطبيعي، بين النساء والرجال، كما في المساجد والأسواق.

هذه الحالة من التشدّد تودّ أن تسجن المرأة في البيت، وأن لا ترى الرجل ولا الرجل يراها، ولا يسمع أجنبي صوتها، وكما قال بعضهم: للمرأة خروجان مشروعان من البيت، الخروج الأول من بيت أبيها إلى بيت بعلها، عند زواجها، والخروج الثاني من بيت زوجها إلى القبر!

في المقابل هناك تطرف ذات الشمال، يتمثّل في الابتذال والميوعة، والاختلاط غير المحتشم، والمتاجرة بأنوثة المرأة ومفاتنها. وهي المشكلة التي تعيشها المجتمعات الغربية، وهي سبب لويلات ومصائب في المجال الاجتماعي والأخلاقي والأمني والصحي، فقد أصبحت هذه المجتمعات تعاني من تفكك أسري، وخواء روحي، وتصاعدت فيها أرقام جرائم التحرش الجنسي، والاغتصاب والخطف، وتفشّت الأمراض الخطيرة كالأيدز.

القانون والانضباط

وقد يقول البعض: إن وجود قوانين وأنظمة رادعة، يمكنه أن يحدّ من سلبيات وأخطار حالة الانفتاح بين الرجال والنساء، إلا أن تجربة المجتمعات الغربية، تعطي أفضل برهان

على عجز الردع القانوني، عن تحقيق الأمن الاجتماعي، في ظلّ حالة الابتذال والتبرج.

حيث نجد أن رجالًا في مواقع كبيرة ومهمة، كالرئيس الأمريكي الأسبق (كلينتون)، الذي لا يعوزه شيء، ولا ينقصه شيء، ومع ذلك حصلت تلك الفضيحة بينه وبين موظفة تعمل في البيت الأبيض الأمريكي(مونيكا). ونتابع هذه الأيام بذهول المحاكمة التي تجري في مصر، ضد رجل الأعمال الملياردير(هشام طلعت مصطفى)، وشركاته فيها أكثر من ١٠٠٠٠ موظف، وله نفوذ سياسي، وهو قيادي في الحزب الوطني الحاكم، ومع ذلك تدفعه شهوته وغريزته، حينما استعصى عليه تلبيتها، إلى قتل الفنانة اللبنانية في الحادثة المشهورة، وصدر الحكم عليه بالإعدام، والقضية الآن شغل شاغل لوسائل الإعلام.

الإسلام كدين قيمي، يعتمد القيم والمبادئ، لكنه في ذات الوقت واقعي، يعترف بواقعية حياة البشر، وتأثير الغرائز والشهوات في سلوكهم. لهذا لا يقبل الانفتاح غير المنضبط بين الرجال والنساء، كما لم يأمر بالفصل بين الرجال والنساء، ولا وضع ضوابط على حساب مصلحة المرأة، ومشاركتها في الحياة العامة، وإنما ركز الإسلام على أمرين:

الأول: إثارة التقوى في نفس الإنسان

فحينما يتعامل الرجل مع المرأة والمرأة مع الرجل، ينبغي أن يعيشا حالة التقوى في داخل نفسيهما وقلبيهما، على أساس أن الله تعالى مطّلع على الإنسان ويراقب حركاته، وأن هناك حسابًا وعقابًا يوم القيامة، وأن عليه الورع عن الحرام، ومراعاة حدود الله.

الثاني: صنع أجواء الاحتشام

فليس هناك مانع من التلاقي والتعامل بين الرجال والنساء، إذا كانت هناك أجواء احتشام، بالالتزام بالحجاب الشرعي، والضوابط الشرعية، التي توفر أجواء الالتزام

والعفة، وحينئذٍ لا مشكلة في الأمر.

إضافة لذلك، فإن الإسلام يدفع باتجاه وجود تقنينات وتنظيمات، تضع حدًّا للانجرار خلف الرغبات والشهوات، لهذا فإن المجتمع المسلم عليه أن يحرص على توفير أجواء الاحتشام، وإلا فإن التفريط في ذلك، يعني فتح المجال للابتذال والميوعة، والإثارات الجنسية، وستكون النتائج وخيمة.

وقد بدأنا نلحظ بعض آثارها، متمثلةً في حدوث بعض حالات الاغتصاب والاختطاف، والعدوان على الأعراض، وانتهاكها، حتى وصل الأمر إلى حدوث حالات من التحرش بالمحارم، والعياذ بالله. وهناك قضايا تنظرها المحاكم في البلاد في هذا الاتجاه، وهي ليست قضية أو قضيتين، وهذا كلّه بسبب أجواء الإثارة، وتحريض الشهوات، التي أصبحنا نعيشها في ظلّ وسائل الإعلام والاتصالات.

النظرة الحرام

ومن أهم المفردات التي يركّز عليها الإسلام في هذا المجال، مسألة النظرة المريبة، بأن ينظر الرجل للمرأة، أو المرأة للرجل، نظرة تنطلق من الانجذاب العاطفي. فقد جاء الأمر الإلهي للرجل، والمرأة على حدٍّ سواء، بغض البصر، يقول تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١]. والآية الكريمة لم تأمر بإغماض البصر، وإنما أمرت بغض البصر، وهذا يعني: التقليل من النظر، بألّا يملأ الرجل عينيه بالنظر للمرأة، وكذلك المرأة؛ لأن هذه النظرة المريبة مفتاح للوقوع في الانحراف. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ملأ عينيه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار إلا أن يتوب ويرجع»[1]. لأن النظرة بهذا الشكل، تثير غريزة الإنسان وعاطفته، وتخلق حالة من الانجذاب.

---

(١) وسائل الشيعة. ج٢٠ ص١٩٦ ح ٢٥٤١٢.

فعلى الإنسان ألّا يسير في هذا الطريق، من أول خطوة؛ لأنه سيصعب عليه، في كثير من الأحيان، أن يضع الحدّ لباقي الخطوات، والوقاية خير من العلاج. وعنه ﷺ أنه قال: «اشتدّ غضب الله عزّ وجلّ على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو غير محرم منها»[١]. وعنه ﷺ: «ما من مسلم ينظر امرأة أول رمقة ثم يغضّ بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه»[٢]. وحلاوة العبادة يفقدها الكثير، بل إن كثيرًا من الناس يقوم بالعبادة كفرض واجب وبتثاقل، فكيف سيتذوّق حلاوة العبادة والإيمان؟!.

وتُشير النصوص: أن من أسباب فقدان حلاوة العبادة والإيمان، هي النظرات المحرّمة، ومن أراد ألّا يُحرم من لذّة العبادة وحلاوة الإيمان، فعليه أن يتجنب النظرات المحرمة. صحيح هي تشدّ الإنسان وتستقطبه، والغريزة تدفعه لذلك، إلا أن هذا هو الامتحان.

جاء في الحديث عنه ﷺ: «إيّاك والنظر بعد النظرة، فإن الأولى لك والثانية عليك»[٣]. فوقوع بصرك على امرأة مرّت بجانبك أمرٌ طبيعي، وليس المطلوب منك أن تغمض عينيك، إلا أن عليك ألّا تعاود النظر مرة أخرى، فهي الخطوة الأولى باتجاه الانحراف، الذي يبدأ من إثارة المشاعر داخل النفس، وقد تترتب عليه خطوات خارجية.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «العين رائد الفتن»[٤]، ويقول عليه السلام: «العيون مصائد الشيطان»[٥]، ويقول عليه السلام: «كم من نظرة جلبت حسرة»[٦]، ويقول عليه السلام: «من غضّ طرفه

(١) بحار الأنوار ج٧٣ ص٣٦٦.
(٢) كنز العمال ج٥ ص٣٢٧ ح ١٣٠٥٩.
(٣) كنز العمال ج٥ ص٣٢٩ ح ١٣٠٧٢.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٥) مستدرك الوسائل.ج١٤ ص٢٧١ ح ١٦٦٨٧.
(٦) بحار الأنوار. ج٧٤ ص٢٣٨.

أراح قلبه»[1]؛ لأن الإنسان إذا أطلق العنان لنظره، فسيقع تحت ضغط شهواته وغرائزه، فإن صبر يكون قد قسر نفسه، وإن استجاب للرغبة انحرف، والأفضل أن يمنع نفسه من بداية الطريق.

وحتى بالنسبة للأفلام والصور المبتذلة، التي تعرض في وسائل الإعلام، على الإنسان ألّا يملأ عينه بالنظر إليها؛ لأن العواقب سيئة على أخلاقه ودينه، ينقل الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأصحابه عن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال لأصحابه: «إياكم والنظرة، فإنها تزرع بالقلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة»[2].

وعن عبد الرحمن بن مسلمة قال: سألت أبا عبد الله جعفر الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، ماذا يعني خائنة الأعين؟ قال عليه السلام: «ألم تَرَ الرجل ينظر إلى الشيء وكأنه لا ينظر إليه»[3].

فعلينا أن نوفّر أجواء الاحتشام، وأن نربي أبناءنا وبناتنا على سلوكيات العفة والاحتشام، ابتداءً من المنزل، فمسؤوليتنا أن نحصّن أجواءنا الأخلاقية، حتى لا نصاب بما تصاب به المجتمعات الأخرى من الفظائع والمشاكل.

(١) جامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٢٨٢.
(٢) وسائل الشيعة. ج٢٠ ص١٩٣ ح ٢٥٤٠٠.
(٣) معاني الأخبار ص١٤٧.

الخصومة بين الإنصاف والفجور

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ، وَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ»[1].

الخصومة تعني النزاع والخلاف بين شخص وآخر، أو بين جهة وأخرى، على أمرٍ من الأمور. وحينما تحصل خصومة، فإن كلّ طرف يستخدم ما لديه من قدرة لكي يتغلّب على الطرف الآخر، وهنا قد يندفع الإنسان إلى تجاوز الحدود، لذا على الإنسان حين الخصومة أن يُراعي عدة أمور:

أولًا: على الإنسان أن يبتعد ما أمكنه عن الخصومات والنزاعات، فإذا استطاع أن يعيش حياته دون أن ينازع أحدًا، فتلك هي السعادة.

ثانيًا: على الإنسان أن يبتعد عن مثيرات النزاعات؛ لأن الصراع إنما يحصل بسبب مثيرات، تخلق الخلافات والنزاعات، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما عهد إليَّ جبرئيل في شيء، ما عهد إليَّ في معاداة الرجال». وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «رأس الجهل معاداة الناس»، وقال عليه السلام: «معاداة الرجال من شيم الجهّال»، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «العداوة القليل منها كثير».

(١) نهج البلاغة. حكمة ٢٩٨.

ثالثًا: وقد يجد الإنسان نفسه أمام خصومةٍ فُرضت عليه، وهنا عليه أن يتلمس مختلف الطرق لحلّ المشكلة.

رابعًا: إذا اضطر للنزاع والخصومة، عليه أن يراعي الحدود في الخصومة، فلا يبالغ في الخصومة، والنصوص الشرعية تُطلق على ذلك مصطلح الفجور في الخصومة. وهنا محكّ الأخلاق الحقيقية، والتديّن الحقيقي في التعامل مع من تختلف معه. أما الذين ليس بينك وبينهم مشكلة، فليس فخرًا أن تكون علاقتك بهم جيدة، ورد عن رسول الله ﷺ: «أربع من كنّ فيه كان منافقًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها» أحدها: «إذا خاصم فجر». وورد عنه ﷺ أنه قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم»، يعني: الشديد في الخصومة.

مظاهر الفجور في الخصومة

ونجد مظاهر للفجور في الصراعات والخلافات، على مختلف المستويات. فعلى المستوى السياسي حين تختلف دولة مع أخرى، أو يختلف نظام مع نظام آخر، قد يتصاعد الصراع ليتجاوز كلّ الحدود، ومثال ذلك: النظام الصدامي البائد في العراق، فهو مثال واضح للنظام الفاجر في خصومته، فقد شنّ حربًا على إيران وبعدها احتلّ الكويت.

ومن مظاهر الفجور في الخصومة، ما يُتحدث عنه الآن من أن بعض الدول العربية مستعدة للتنسيق مع إسرائيل وأمريكا، ضد دولة إسلامية هي إيران، لماذا؟ لأن عندها برنامجًا نوويًا. وهذا من الفجور في الخصومة؛ لأنه مهما كان حجم الاختلاف مع إيران، لا ينبغي أن يُدار بهذه الطريقة، وإنما ينبغي أن تكون هناك ضوابط لإدارة الخلاف. أما أن يكون هناك تعاون مع العدو المشترك، مع الصهاينة، الذين يحتلّون أراضينا ومقدّساتنا، ويسفكون دماءنا في فلسطين، فهذا من الفجور في الخصام السياسي.

ومن مظاهر الفجور في الخصومات، على المستوى الاجتماعي، حين تختلف جماعة مع أخرى، فتمارس أساليب قذرة في التخوين والإسقاط والتشويه.

ومن المظاهر أيضًا الصراعات العائلية، حين تحصل خلافات بين الزوج وزوجته، وما أكثرها، وقد يصل الأمر لرفع دعاوى في المحكمة، وأسوأ ما في الأمر أن بعض الأطراف تدفعه حالة الانتقام إلى أن يفجر في خصومته، فيسعى بمختلف الطرق لكسر الطرف الآخر، والقرآن الكريم يُحذّر من هذا الأمر، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾[سورة النساء، الآيتان:٢٠-٢١]. وهذا محلّ الشاهد، زوجتك كانت تعيش معك، وهي أم أبنائك، كيف ترضى لنفسك أن تقوم بهذا الدور تجاهها لخلاف قد حصل؟ والله تعالى يقول: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٢٩]. والقضايا في المحاكم كثيرة، فترى الزوج أو الزوجة، أو أهل الزوج أو أهل الزوجة، يديرون صراعهم بوحشية. وهذا خلاف خُلق الإنسان المؤمن العاقل.

فعلى الإنسان في صراعاته وخلافاته مع الآخرين أن يلتزم بالحدود والضوابط، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم».

النشاط البركاني غرب البلاد

أخيرًا لا يفوتنا أن نشير إلى تعاطفنا مع إخواننا المواطنين في شمال غرب البلاد: في العيص وأملج وحرة الشاقة وينبع، الذين يواجهون خطر النشاط الزلزالي، واحتمال حصول نشاطات بركانية. نحن نتعاطف معهم، إنهم إخواننا في الدين والوطن، ما يصيبهم يصيبنا، وما يؤلمهم يؤلمنا، لذلك ينبغي أن يكون هناك شعور وطني عام.

الخطبة الأولى

أخلاقيات الشكر والتقدير

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[سورة النمل، الآية: ٤٠].

عادة ما لا يلتفت الإنسان إلى النّعم التي يعيش في أحضانها، فنعم الله تعالى تحوط به من كلّ جهة وجانب، ولكنّه يعيش مسترسلًا غافلًا عن هذه النّعم التي يسبح في بحرها. وها هي آيات القرآن الكريم تذكّره بها، وتوجّهه إلى شكر ربّه، وهو ما يدركه عقله ويؤمن به، فشكر المُنعِم واجب عقلي.

وحين يتّجه الإنسان للشكر، فإنّه بشكره لا يقدّم منفعة لخالقه؛ لأنّ الله غنيّ عن العالمين، وإنّما يستفيد الإنسان نفسه، فشكر النّعمة لا يفيد المُنعِم ـ وهو الله سبحانه وتعالى ـ وإنّما يفيد المُتنعم بالنّعمة التي يؤدي شكرها، لذلك تقول الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾.

ما فائدة شكر النّعمة؟

أولًا: الشعور بقيمة النعمة ولذتها

حين يلتفت الإنسان إلى النّعمة، وإلى مصدرها وقيمتها، فإنّه نفسيًّا يشعر باللذة، وبالراحة والاطمئنان. فمن الناحية النفسية ثبت أنّ الإنسان يتعاطى مع النّعم بحالة نفسيّة، وليس بحالة جسميّة ماديّة فقط. فقد يُقدّم لك طعام بشكل عادي، فتأكله دون

أي شعور آخر، وقد يُقدّم لك طعام مع إعلام مسبق، يخلق لديك إيحاءً ذاتيًّا أن هذا الطعام، هو خير طعام، فإذا أكلته ستحصل على كذا وستكون كذا، هذا الطعام يتسابق عليه الناس ولا يجدونه، ولكنّه توفّر لك.

حينما يأكل الإنسان طعامًا مع هذا الإيحاء النّفسي، يأكله بلذة أكبر، وباهتمام أكبر. وهذا أمر مجرّب مع مختلف الأشياء التي يتعامل معها الإنسان، قال أحدهم: ذهبت إلى باريس، وسكنت في فندق من الفنادق ـ يبدو عليه أنّه ليس حديثًا ـ فلم أكن مرتاحًا، وتساءلت في نفسي: لماذا أنا في هذا المكان؟ حتى جاءني بعض الأشخاص وقالوا لي: فلان، أنت تسكن هنا. أتدري ما هذا المكان الذي تسكن فيه؟ هذا مكان تاريخي حضاري، فالفيلسوف الفلاني عاش هنا، والشخصية الفلانية كانت هنا، والبرنامج الفلاني أجري هنا. وأخذ يحدثني عن مميزاته وتاريخه العريق. بعد أن سمعت هذا الكلام، شعرت وكأنني في الجنة، مع أنه نفس المكان الذي كنت غير مرتاح له، ولكن تغيّرت نظرتي حوله بمجرد أن سمعت عنه كل ذلك الحديث.

فإحساس الإنسان وشعوره له دور في تفاعله مع الوضع الذي يعيش فيه. ولذلك حينما يأمرنا الله سبحانه وتعالى بأن نلتفت لِنِعَمِهِ ونشكرها، حتى نستحضر في نفوسنا أنّنا أمام نعمة كبيرة من الله سبحانه وتعالى. قد نأتي بكوب الماء ونشربه بشكل عادي، لكن حينما نستحضر هذا المعنى نشرب الماء بنوع من التلذُّذ، والارتياح. ولذلك فإن أولياء الله حينما يأكلون أو يشربون ـ كما هي الآداب ـ يبدؤون الطعام والشراب بذكر الله.

وهنا قد يتبادر إلى أنفسنا هذا السؤال: لماذا يستحضر الإنسان في نفسه أن هذا من عند الله؟

لو جاء لك إنسان بصحن من الطعام، وقال لك: هذا هدية من ذلك الشيخ، أو تلك الشخصية المهمة، فقد تقبل على ذلك الطعام باهتمام أكبر؛ لأنّه جاءك من جهة أنت

ترتاح لها، وتفرح أن تلك الجهة مهتمّة بك، وتبعث إليك الطعام. كذلك كلّ نعمة من نعم الله، إذا تعاملت معها، مع الالتفات إلى أن هذه نعمة من الله، لا شك أنك ستتلذّذ بها أكثر، وسترتاح نفسيًّا.

ثانيًا: دوام النعم من دوام الشكر.

إن الله سبحانه وتعالى قد التزم بأن يزيد نعم من يشكره،كما هو مفاد الاية الكريمة: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[سورة إبراهيم، الآية:٧]، إذ يخاطب الله عباده المؤمنين بأنهم حينما يتوجهون إليه بالشكر، فإنه تعالى يزيدهم من نعمه أكثر. وذلك أن الإنسان حينما يشكر نعمة الله، إنما يحافظ عليها، ويسير في طريق تنمو فيه هذه النّعمة. وكلّنا نعلم أنّ النّعم التي بأيدينا هي من عند الله، لذلك لا سيطرة لنا عليها. هل يستطيع إنسان أن يضمن بقاء أيّ نعمة من النّعم في يده؟ أو يضمن بقاءه هو لهذه النّعمة؟ أو يضمن استفادته من هذه النّعمة؟

وجود النّعمة عندك، وإمكانية الاستفادة من النّعمة، كلّ ذلك من عنده سبحانه وتعالى. كم من إنسان محروم من نعمة من النعم التي لديك؟ على الإنسان أن ينظر إلى الآخرين الذين لا تتوفر لهم النّعم. يكتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الحارث الهمداني: «وأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْه، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ»[1].

على الإنسان أن يقارن نفسَه مع الآخرين، مع من هم أقلّ منه لكي يدرك قيمة نعم الله تعالى عليه. قال أحدهم: أصبحت يوم الجمعة وأردت الذهاب إلى الجامع، فلم أجد حذاء أنتعله من الفقر، فخرجت من البيت حافيًا، وأنا أشعر بنوع من السخط، وعدم الرضا، والعتاب الخفي: يا ربّ، إلى هذا الحدّ ليس لديَّ حذاء ألبسه؟ يقول: فوصلت إلى باب المسجد، فوجدت شخصًا أقطع الرجلين، فالتفتُّ وحمدت الله، فأنا رجلاي سالمتان، وهذا الإنسان فقد رجليه!!.

(١) نهج البلاغة. كتاب٦٩.

النّعمة عادة لا يشعر الإنسان بها إلا إذا فقدها، وكما قيل في الصحة: « الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراها إلا المرضى».

ولعلَّ من فوائد عيادة المريض، حينما يذهب الإنسان لعيادة المرضى، أن يشعر بنعمة الصحة التي يعيشها، فيشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النّعمة. وفي بعض الأحيان تكون النّعمة متوفرة، لكن لا يستطيع الإنسان الإفادة منها، كإنسان يدعو شخصًا لأفضل المآدب والأطعمة، ويقدم له الطعام، ولكنه يجلس جانبًا لا يأكل معه من لذائذ الأطعمة التي قدّمها ذلك الشخص؛ لأن لديه أمراضًا تمنعه من تناول هذا الطعام أو ذاك.

ثالثًا: الاستثمار الحقيقي للنّعمة.

الشكر في معناه الحقيقي هو الاستثمار الصحيح للنّعمة، فلو كنت في ضيافة إنسان، وقدّم لك طعامًا شهيًّا طيبًا، ولم تحسن التصرف، وألقيته أمامه في القمامة، ماذا يعني؟ يعني إهانة لذلك الشخص.

إن الله سبحانه وتعالى يعطيك هذه النّعم، حتى تضعها في المكان الصحيح، وتستثمرها بالشكل المناسب، فإذا أسرفت فيها، ووضعتها في المكان الخطأ، فإن ذلك يعني كفرًا بالنّعمة وجحودًا بها، كان رسول الله ﷺ إذا ورد عليه أمر يسرّه قال: «الحمد لله على هذه النعمة». كان ﷺ دائم الحمد والشكر لله، ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الشكر عصمة من الفتنة»[(١)].

ذلك أنّ توجه الإنسان إلى شكر النّعمة يعصمه من الانحراف والفتنة في التعامل مع النّعم. ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أقلّ ما يجب للمنعم أن لا يعصى بنعمته»[(٢)]، فهذه النعمة أعطاك الله إياها، فكيف تعصيه بها؟. وقال عليه السلام: «أقلّ ما

(١) تحف العقول، ص٢١٤.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه»[١].

نعمة البصر التي أنعم الله بها على الإنسان، هذه النّعمة الكبيرة لو فقدها، أو أصيب بمرض، أو ضعف في نظره، يدرك حينها قيمة تلك النّعمة، فكيف تعصيه بالنظر بها إلى ماحرّم عليك؟! وهكذا بالنسبة لبقية الجوارح، وبقية النّعم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة يونس، الآية:٦٠].

سبحان الله ما أعظم هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ إنّ فضله سبحانه يغمر الناس، ولكن الناس لا يلتفتون إلى هذا الفضل الذي يغمرهم، ولا يشكرون الله سبحانه وتعالى.

إن شكر النعمة يعني توجيه توظيفها بالاتجاه الصحيح، فالشكر ليس مجرد لفظ. يقول الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾[سورةسبأ، الآية:١٣]، الشكر يكون بالعمل وليس باللفظ فقط، يقول الإمام الصادق ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالًا»[٢].

إن النعم التي لا تُشكر قد تتحول إلى وبالٍ. فالإنسان الذي يعطيه الله تعالى مالًا، فيصرفه في المعاصي، هذه النّعمة تحوّلت إلى وبالٍ عليه، وهكذا مختلف أنواع النّعم، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يقول: «شكر المؤمن يظهر في عمله، وشكر المنافق لا يتجاوز لسانه»[٣].

صحيح أن المطلوب الشكر باللسان، ولكن لا يصحّ الاقتصار عليه، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: «شكر كلّ نعمة الورع عما حرّم الله عزّ وجلّ»[٤].

---

(١) نهج البلاغة حكمة ٣٣٠.

(٢) وسائل الشيعة. ج١٦، ص٣١٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٤) الخصال. ص١٤.

ويسأل أبو بصير الإمام جعفر الصادق ﴿عليه السلام﴾ يقول: هل للشكر حدّ إذا فعله العبد كان شاكرًا؟

قال: نعم.

قلت: ما هو؟

قال: يحمد الله على كلّ نعمة عليه في أهل ومال، وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقّ أداه[1].

هذا هو الشكر الحقيقي الذي أشار إليه الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ بقوله: «أدنى الشكر رؤية النعمة من الله»[2].

علينا جميعا أن نتجه إلى نعم الله، وأن نلتفت إليها، وأن نشكرها، حتى يزيد الله تعالى نعمه علينا.

تعزيز ثقافة الشكر في المجتمع

عن الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ»[3].

التوجّه إلى النعمة وشكرها منهجية ينبغي أن تكون في نفس الإنسان المؤمن، يهتدي إليها بعقله، ويلتزم بها بتعاليم دينه.

أصل النّعم من الله سبحانه وتعالى، فالشكر أولًا وأخيرًا له، ولكن بعض نعم الله تصل للإنسان بواسطة بعض عباده، تجري على أيديهم. فالله تعالى هو الذي أوجدك من العدم، لكن وجودك كان عبر والديك، ولذلك عليك أن تشكر الله، وأن تشكر

---

(١) الكافي. ج٢، ص٩٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٥٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٤٤.

الوالدين ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[سورة لقمان، الآية:١٤]، باعتبارهما طريقًا لنعمة الوجود، وهكذا كلّ من كان سببًا لوصول نعمة إليك.

فالإنسان العاقل المنسجم مع فطرته، هو الذي يقدّر أيّ إحسان يصل إليه من أحد، يشكر النّعم حينما تأتيه من المخلوقين.

هذا الفعل ينمّي روح الإحسان عند النّاس؛ لأنّ النّاس يتأثرون بمواقف التقدير والشكر، فحينما يكون المجتمع في ظلّ ثقافة تقوم على أساس الشكر للمحسنين، فإنّ حالة العطاء والإحسان تنمو في المجتمع، لذلك نجد في المجتمعات المتقدمة، كيف يخلقون مختلف الحوافز، من أجل تقدير المتفوقين والمتقدّمين، في مختلف المجالات، حتى تتسع رقعة هؤلاء في المجتمع.

وما أحوجنا في مجتمعاتنا إلى أن نعمّم هذه الثقافة، بأن نشكر كلّ من يسدي خدمة للمجتمع.

من السيئ في أيّ مجتمع أن يُواجه من يعمل لخدمة المجتمع بالتنكّر والجحود، فهذا يجعل الناس لا يقبلون على هذا الطريق، لذلك ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطعي سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره، فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره»[1].

جائزة الإنجاز

بدأت في مجتمعنا بشائر طيبة للاهتمام والاحتفاء بمن يقدّمون خدمة لمجتمعهم، وهذا توجّه إيجابي علينا أن نشيد به وندعمه.

وفي هذه الأيّام سيحتفي مجتمعنا بثلاثة مهرجانات، تُعنى بتقدير الكفاءة، وتشجيع عمل الخير للمجتمع، وهي: مهرجان جائزة الإنجاز، ومهرجان لجنة التكريم الأهلية،

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٨.

ومهرجان مسابقة ملكة جمال الأخلاق.

جائزة الإنجاز فكرة إبداعية رائعة، ابتكرها بعض الواعين من أبناء المجتمع، من أجل تشجيع أبناء المجتمع على الإنجاز، وهي جائزة تبحث عن الشباب، الذين هم دون سنّ الأربعين، ممن أنجز إنجازًا في المجال العلمي، أو الأدبي، فإنه يرشح لهذه الجائزة، وقد بدأت الجائزة من هذا العام ٢٠٠٩، ووصل عدد المرشّحين هذا العام الى ١١٥ شخصًا من الذكور والإناث، اختارت لجنة تحكيم متخصصة من هؤلاء ١٤ شخصًا ٧ من الشباب و٧ من الفتيات. إن إحدى الفتيات التي ستفوز بالجائزة عمرها ٧ سنوات، وأحد الأولاد الذين سيفوزون بالجائزة عمره ٩ سنوات.

هذه الفكرة الرائعة دفعت في هذا العام ١١٥ شخصًا، رشّحوا أنفسهم للجائزة، بالتأكيد في السنة المقبلة ستتجاوز هذا الرقم. إذ سيتحفّز الكثير ويندفع من أجل أن يكونوا ضمن المرشحين الفائزين.

من الناحية المادية الجائزة ليست شيئًا كبيرًا ١٠,٠٠٠ ريال لكلّ فائز. لكن القيمة المعنوية هي أكبر. شعور هؤلاء الشباب والشابات بأنهم سيكرمون في مجتمعهم، سيكون حافزًا لهم ولغيرهم.

طبعًا هذه الجائزة هي الأولى من نوعها في المملكة، ونأمل أن تستمر، ونشكر جهود القائمين عليها، وفي مقدمتهم رئيس الجائزة الأستاذ سعيد الخباز، والإخوة الذين يعملون معه. إنَّ أكثر من أربعين شخصًا عقدوا اجتماعات طوال هذه السنة، وصرفوا ساعات من أوقاتهم وجهودهم، من أجل أن تنجز هذه المهمة الرائعة. وبهذه المناسبة، نشكرهم شكرًا جزيلًا، وندعو للتعاون مع هذه الفكرة الإبداعية.

مهرجان لجنة التكريم الأهلية

أُسِّست هذه اللجنة في بلادنا منذ سنة ١٤٢٦هـ، وهي لجنة تهتم بتكريم وتقدير الكفاءات في المجتمع واللجان العاملة والفاعلة اجتماعيًّا. وقد سبق أن نفّذت

مهرجانين، وهذا هو المهرجان الثالث، الذي عمل من أجله أكثر من ١٠٠ شخص، إضافة إلى المجموعة الإدارية التي تحملت عبء هذا البرنامج، بقيادة الأستاذ محمد باقر النمر، وهو الذي يقود هذا الفريق.

في مهرجانهم الثالث سيكرمون ٤٢ لجنة أهلية من مختلف أرجاء المحافظة. ومن ميزات هذا المهرجان دعوة الشخصيات من مختلف المناطق، من الرياض وجدة ومكة ونجران والبحرين والكويت وعمان وقطر. سيأتون جميعًا لكي يحتفلوا مع أهل القطيف، في تكريم هذه اللجان الأهلية، ويطلعوا على عطاء أبناء هذا المجتمع، والنشاط الاجتماعي والثقافي القائم في هذا المجتمع. إنها فكرة رائعة ورائدة، ينبغي مساعدتها ودعمها وتشجيعها.

مسابقة ملكة جمال الأخلاق

جاءت هذه الفكرة الإيجابية «مسابقة ملكة جمال الأخلاق في برّ الوالدين» التي انبثقت من أبناء مجتمعنا في المنطقة، من القسم النسائي في مهرجان الصفا في مدينة صفوى. وهي في مقابل الفكرة السائدة في العالم لمسابقة ملكة جمال الجسم، حيث المتاجرة بأنوثة المرأة ومفاتنها، وهو المنحى الخطأ الذي سلكته شعوب تلك المجتمعات، حيث تتباهى الأنثى بمظهرها الخارجي بعيدًا عن القيم الإنسانية التي تجعل من المرأة إنسانةٌ بحقّ.

لقد انعقدت الفكرة لأول مرة في السنة الماضية، وتقدمت ٧٠ بنتًا رشّحن أنفسهن، وهذه هي السنة الثانية لهذه المسابقة التي تقدّمت إليها ٢٤٠ بنتًا رشحن أنفسهن، مما يعني أن برّ الوالدين أصبح قيمة تتطلّع إليها كلّ بنت تجد نفسها معنية بالاهتمام بهذا الجانب.

وتمرّ البنت بمراحل لنيل الجائزة، فهناك لجنة تحكيم متخصّصة، من عالمات في علم النفس، وعلم الاجتماع، يدرسن سيرة كلّ مرشحة، ويذهبن إلى بيتها، ويسألن عن تعاملها، ويعقدن جلسات مع والديها، وأخواتها، وإخوانها، حتى يتوصلوا إلى

نتيجة هل تستحق الجائزة أم لا؟

وفي السنة الماضية فازت واحدة بعنوان ملكة جمال الأخلاق، ووصيفتان إلى جانبها، وقد حصلت الفائزة على ٥٠٠٠ريال والوصيفتان كل واحدة على ٣٠٠٠ ريال.

نقدّر لأخواتنا القائمات على المسابقة هذه الفكرة الإبداعية، التي وجدت صدى في مختلف بلدان العالم، وأخذت في السنة الماضية وكالات الأنباء المختلفة (وكالة الإعلام اليابانية ـ وكالة رويتر ـ الوكالة الفرنسية ـ الفضائيات (mbc) بعمل تقارير عن هذه الجائزة. وفي هذه السنة، بدأت تلتفت وكالات الأنباء والمؤسسات الدولية المختلفة إلى هذه الفكرة الإبداعية المبتكرة، ولو كانت هذه الفكرة في بلد آخر لأخذت موقعها على الصعيد العالمي، ربما تبنتها مؤسّسات دولية كبيرة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيد في عمل الخير في مجتمعنا، ونرجو أن يبادر كلّ واحد منّا لكي يكون له عطاء على هذا الصعيد.

الخطبة الأولى

الخطاب الجديد وواقع السياسة الأمريكية

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «جُبِلَت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»[1].

طبيعة الإنسان أنه يحبّ ذاته، ويريد لها النفع والمصلحة، ويريد إبعاد الأذى والضرر عنها. لذلك فإنه ينجذب إلى كلّ من يقدم له منفعة ومصلحة، وينفر ويعادي من يسبب له الضّرر والأذى، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها».

وكذلك على مستوى المجتمعات والأمم، فكلّ مجتمع من المجتمعات، وكلّ أمة من الأمم، إذا رأت أن جهة ما تقدم لها خيرًا ومنفعة، فإنها تحبّ تلك الجهة، وتنشدّ إليها. أما إذا وجدت الأمة أن جهة ما تسيء إليها، وتضرّ بمصالحها، فالأمر الطبيعي أن يكون هناك كره وعداء لتلك الجهة.

في الآونة الأخيرة انطلقت بعض الأصوات في الساحة الأمريكية، من بعض المفكرين والساسة، لتطرح تساؤلًا عريضًا، بعد أن رأت موجة العداء الصاخبة في العالم الإسلامي ضد الإدارة الأمريكية، والسؤال هو: لماذا العرب والمسلمون يكرهون أمريكا؟

---

(١) كنز العمال، ج ١٦ ص ١١٥.

وعيّنت الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس السابق (جورج بوش) ممثلًا خاصًّا، من أجل تحسين سمعة أمريكا في العالم العربي والإسلامي[1]؛ لأنهم رأوا أن هناك عداءً ونفورًا كبيرًا في أوساط العرب والمسلمين تجاه أمريكا. وجاء الرئيس الأمريكي الجديد أوباما، وألقى خطابًا في القاهرة، للتصالح مع العالم العربي والإسلامي. وبالفعل كانت في خطابه نقاط إيجابية، وهو يعكس نوعًا ما لغة جديدة، تختلف عن لغة الغطرسة السابقة، إلا أنه في خطابه ركّز على وجود الإرهاب والعنف.

وهذه مغالطة واضحة، فنحن نُدين الإرهاب والعنف، ولا نقبله. والسؤال الذي نطرحه: كيف ومتى انطلق هذا العنف؟ إنه كان ردّ فعل لسياسات العداء التي اعتمدتها الإدارات الأمريكية. ولسنا في مورد تبرير هذا العنف والإرهاب، وإنما في مورد التحليل والتفسير.

الإدارة الأمريكية أوصلت أوساط المسلمين إلى حالة من الإحباط، بسبب مواقفها المستمرة الداعمة للعدوان من قبل الصهاينة، الذين يحتلون أراضي المسلمين، وينتهكون حرماتهم ومقدّساتهم، ويسفكون دماءهم كلّ يوم. وأمريكا تدعمهم دعمًا صريحًا واضحًا في كلّ المجالات. ودائمًا هي بالمرصاد لقرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة، التي تدين شيئًا من عدوان إسرائيل، وتستعمل حقّ النقض (الفيتو) لإسقاط أي قرار لإدانة إسرائيل، مهما كان عدوانها بشعًا وكبيرًا، كما رأينا في أحداث غزة الأخيرة (٢٠٠٩م). إضافةً إلى احتلال أمريكا للعراق، وما أثارته من فوضى، واحتلالها لأفغانستان، ودعمها للحكومات المستبدة في العالم العربي والإسلامي. كلّ هذه الأمور أثارت الغضب في نفوس المسلمين، ومن الطبيعي أن تكون هناك كراهة لأمريكا.

---

(١) تم تعيين دينا حبيب باول مساعدة لوزيرة الخارجية لشؤون التعليم والثقافة والدبلوماسية العامة في ١٣/ ٥/ ٢٠٠٥م، وأوكل لها ملف تحسين صورة أمريكا في العالم العربي والشرق الأوسط.

استراتيجية التعامل مع الموقف الأمريكي

والآن، هل يكفي أن يأتي الرئيس الأمريكي ويلقي خطابًا فيه نبرة تصالحية؟!

هنا لا بُدَّ أن نثير نقاطًا:

الأولى: هذه اللغة الجديدة، ما كانت لتصدر عن الإدارة الأمريكية لولا وجود المقاومة والممانعة في أوساط الأمة، فهي التي جعلت الإدارة الأمريكية تعيد النظر في مواقفها.

إن مجيء هذا الرئيس وخطابه، إنما هو تعبير عن توجّه وشعور داخل أمريكا، وفي مؤسّساتها السياسية والفكرية، بضرورة إعادة النظر في مواقف أمريكا تجاه قضايا العرب والمسلمين. وهذا لم يحصل إلا بوجود المقاومة والممانعة. ولو كانت الأرض منبسطة أمامهم، ولو لم تتحرك الشعوب ضدهم، لما وجدوا داعيًا لتغيير تلك اللغة، ولإعادة النظر في تلك المواقف.

الثانية: وعي الشعوب تجاوز محاولات الخديعة والتضليل. فما عادت الشعوب تخدع بخطابات تصالحية، وبكلمات وجمل برّاقة.

الشعوب تنتظر تغييرًا في السياسة الأمريكية، وتنتظر فعلًا على الأرض، وليس قولًا في خطاب.

ماذا يفيدنا أن يقول الرئيس الأمريكي خطابًا وديًّا تجاهنا، ولكنه يعطي لإسرائيل الصواريخ والأسلحة الفتاكة التي تفتك بأبنائنا وشعوبنا، ويعطي لإسرائيل المواقف الداعمة لها في مجلس الأمن والأمم المتحدة، بالإضافة إلى ما تحتاجه من الدعم المالي والاقتصادي؟ ما عادت شعوبنا تقبل مثل هذه الأساليب وهذه الخدع.

إن المطلوب هو تغيير السياسات على الأرض، وتغيير هذا الموقف المنحاز للظلم والعدوان الصهيوني على العرب والفلسطينيين.

الثالثة: علينا أن نسعى لتكامل المواقف، فمن يُسمّون بقوى الاعتدال، عليهم أن يعرفوا أنهم بحاجة إلى قوى الضغط والمقاومة.

الصهاينة مع كلّ دعم أمريكا لهم، يضغطون على الإدارة الأمريكية، وتنطلق مظاهراتهم أمام القنصلية الأمريكية في القدس ضد الإدارة الأمريكية، هؤلاء الذين يجدون كلّ شيء من أمريكا يمارسون الضغط، ونحن الذين نتلقى كلّ الإساءات من أمريكا مطلوب منّا أن نرفع الرايات البيضاء؟

ينبغي أن تتكامل المواقف، فما دامت لنا حقوق ينبغي أن تكون هناك مقاومة. وأخطر شيء على الأمة، أن ينخدع بعض العرب والمسلمين، وينجرّوا إلى الصراع والصدام الداخلي، لكي يحارب بعضنا بعضًا. فإذا كانت أمريكا وإسرائيل لهما مصلحة في مواجهة البرامج النووية الإيرانية، فهل لنا نحن العرب مصلحة في ذلك؟ ولمصلحة من تبقى إسرائيل متفردة بالقوة النووية في المنطقة؟ وإذا كانت أمريكا وإسرائيل منزعجة من مواقف المقاومة في لبنان وفلسطين، فلماذا نحن أيضا نشعر بالانزعاج منها؟

هذا التفكير الذي ينظر إلى المسائل بعينٍ واحدة، هو خطأ كبير. فلا بُدَّ وأن تتكامل المواقف والأدوار، فقوى الاعتدال لن تحصل على شيء إذا لم يكن هناك مقاومة وممانعة. والدليل على ذلك مسيرة العقود الماضية، فقد مضى أكثر من ستين سنة ونحن نعيش في ظلّ الشعارات، وصدور القرارات من المنظمات الدولية، ولكن لم نَجْنِ شيئًا.

ينبغي أن تكون ثقتنا بالله سبحانه وتعالى، وأن يكون اعتمادنا على قوانا الذاتية، وليس على رحمةٍ قد تحلّ في قلب هذا الرئيس الأمريكي أو ذاك، وإنما يجب أن نتجه إلى داخلنا، ونرتب أمورنا، كأمة عظيمة مترامية الأطراف، تستطيع أن تنتصف لنفسها، وأن تنتزع حقوقها، بمختلف الأساليب والوسائل المشروعة.

الخطبة الثانية

الحريات الدينية حقّ أساس

جاء في السيرة النبوية: أنه لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ، دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحان وقت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده. فأراد الناس منعهم، فقال: «دعوهم، فاستقبلوا المشرق، فصلوا صلاتهم».

هذه الرواية موجودة في السيرة النبوية، وذكرها ابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد[١]، واستنتج منها مسائل فقهية متعدّدة، منها:

- جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين.
- تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين، وفي مساجدهم أيضًا، إذا كان ذلك عارضًا، ولا يُمكّنون من اعتياد ذلك[٢].

وهذه الحادثة تنسجم مع مبادئ الإسلام والقرآن، الذي يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[سورة البقرة، الآية:٢٥٦]، وفي آية أخرى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[سورة الكافرون، الآية:٦]، ويقول تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية:٩٩]. فمبادئ القرآن كلها تؤكد على الحرية الدينية، وأن الإنسان حرٌّ في معتقداته الدينية، وفي ممارساته وشعائره العبادية، بل إن الحرية الدينية هي من أهم الحريات عند

(١) ج٣، ص٦٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٣٨.

الإنسان؛ لأن التدين في أعماق نفس الإنسان، وحينما يُمنع من ممارسة تدينه وشعائره الدينية، فإنما تُصادر حرية من أهم حرياته، وحقّ من أهم حقوقه الإنسانية.

وفي تشريعات الإسلام أن أتباع الديانات الأخرى لهم الحرية في أماكن عباداتهم: كنائسهم، بِيَعِهِم، معابدهم. ولا يصحّ التضييق عليهم، ولا منعهم من ممارسة حريتهم الدينية، فذلك لون من ألوان الظلم، وقد توعد رسول الله ﷺ بقوله: «من آذى ذميًّا فأنا خصمه»[١]، و«من ظَلَمَ مُعَاهِدًا كُنْتُ خصمه»[٢].

الشريعة الإسلامية تؤكد أن مصادرة الحريّات الدينية من أبرز ألوان الظلم والأذى، وجاء في السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ كتب إلى أسقف نجران، رسالة يلتزم فيها للمسيحيين بحماية معابدهم وحريتهم الدينية، جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي للأسقف أبي الحارث وكلّ أساقفة نجران، وكهنتهم، ورهبانهم، وكلّ ما تحت أيديهم من قليل وكثير، جوار الله ورسوله، لا يُغَيَّرُ أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يُغَيَّرُ حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا ما كانوا عليه من ذلك، جوار الله ورسوله أبدًا ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين»[٣].

وقد سَارَ خلفاء المسلمين الأوائل على نفس النهج، ومن ذلك عهد الخليفة عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء ـ القدس: «أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتهم، لا تسكن كنائسهم، ولا تهدمنّ ولا ينتقص منها، ولا من حيزاها، ولا من صليبها، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم»[٤].

وقد ذكر الفقهاء: أن اليهودي إذا كان يعتقد حرمة العمل يوم السبت، فلا يصحّ

---

(١) كنز العمال، ج٤ ص٣٦٢.
(٢) مستدرك الوسائل، ج١١ ص١٦٨.
(٣) البداية والنهاية، ج٥ ص٥٩.
(٤) تاريخ الطبري، ج٣ ص١٠٥.

للمسلمين أن يجبروه على العمل يوم السبت. وأن المسيحي إذا كان في بلاد المسلمين، وكان من دينه الالتزام بالذهاب إلى الكنيسة في يوم الأحد، فلا يصحّ منعه عن ذلك[١].

ومواثيق حقوق الإنسان، كلّها تنص على أن من حقّ الإنسان أن يعتقد ما يقتنع به، من دين ومذهب ورأي، وأن يمارس شعائره وحريته الدينية، وأن على الحكومات في كلّ بلد، أن تحمي هذه الحقوق لمواطنيها، ولا تسمح بالنيل أو الانتقاص منها. فقد تكون في البلد أكثرية دينية، في ظلّ وجود ديانات أخرى، من حقّهم أن يلتزموا بدينهم، وشعائرهم، وممارساتهم، وإن كانوا أقلية. وكذلك الحال، إذا كانت هناك أكثرية مذهبية، فإنه لا يبرر الانتقاص من الحريات الدينية للأقليات المذهبية الأخرى.

واجب الدولة حماية الحريات الدينية

إن واجب الحكومة أن تحمي حقوق كلّ مواطنيها، وأن تحمي الحريات الدينية للجميع. صحيح أن الأمر يحتاج إلى تقنين وتنظيم، إلا أن التقنين والتنظيم ينبغي أن يُراعي العدل والإنصاف، ليكون من أجل مصلحة الجميع، ومن أجل حفظ النظام، وليس الانتقاص من حقوق فئة لصالح فئة أخرى.

ونحن الآن نعيش في عصر العولمة، وعصر دعوات حقوق الإنسان، والدفاع عن حقوق الأقليات، وحوار الأديان، والحوارات الوطنية. لذلك ليس مقبولًا أبدًا أن تكون هناك ضغوط على بعض المواطنين الذين يتعبّدون بمذهبهم، بأن يكون لهم مسجد يصلون فيه، أو مجالس يقيمون فيها شعائر مذهبهم؛ لأن ذلك لا يؤذي أحدًا، ولا يضرّ بأحد، بل إن منع هذه الشعائر هو الذي يضرّ بالوطن؛ لأنه يولد الغضب والسخط والكراهية، كما يعطي الفرصة للأعداء لأن يشوّهوا سمعة البلد، وأن تصدر التقارير من المنظمات الحقوقية والإنسانية، وهي تتحدّث عن انتهاك الحريات الدينية، وانتقاص

(١) يوسف القرضاوي. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، الطبعة السادسة١٤١٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص٤٣.

حقوق الأقليات. ويكون أرضية لوجود الحساسيات، والنفور بين الأطراف المختلفة.

ولا يخفى على أحد وجود متشدّدين في المجتمعات السنية والشيعية، فقد لا يعجب البعض أن تكون في أوساطهم مساجد أو مراكز دينية لأهل المذهب الآخر، وهنا يأتي دور الحكومة من أجل أن تحفظ العدل والأمن والاستقرار، فتضع تقنينات بما يراعي حقوق ومصلحة الجميع، فليس مقبولًا أن يُحرم آلاف من المواطنين السنة في منطقة شيعية، أو من الشيعة في منطقة ذات أغلبية سنيّة، من أن تكون لهم مساجدهم، ومراكز إقامة برامجهم الدينية، في الوقت الذي تتيح فيه الحكومات الغربية الفرصة للجاليات الإسلامية في بلدانها لإقامة مساجدهم ومؤسّساتهم الدينية، بمختلف مذاهبهم.

أما القول بأن المساجد مفتوحة ليصلي فيها السنة والشيعة، ولا داعي لوجود مساجد للأقلية السنيّة أو الشيعية، فهو تبرير غير صحيح، يراد منه تذويب الأقلية، وعدم الاعتراف بهويّتها المذهبية؛ لأن واقع التنوع المذهبي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، قائم على أساس اختصاص كلّ طائفة بمساجدها.

كما أنه ليس مقبولًا أن يسجن شخصٌ لأنه أقام مجلس عزاء في بيته، أو أقام فيه صلاة جماعة، حين لا يكون في الحيّ مسجد لهم، فالناس مسلّطون على أموالهم وأنفسهم، طالما كان ذلك في إطار مراعاة القانون العام للدولة، ولا يضرّ بأحد.

إننا نأمل ألّا تتاح الفرصة للتوترات وللتشنجات، وللمغرضين الذين يريدون أن يصطادوا في الماء العكر، وللجهات المعادية التي تريد أن تشوه سمعة الإسلام والمسلمين، نأمل أن تعالج مثل هذه الأمور بالحكمة والعدل، لضمان حقوق الجميع، وحفظ الأمن والاستقرار لأوطان ومجتمعات المسلمين.

الخطبة الأولى

مواقع الانترنت وإفساد العلاقات الاجتماعية

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
[سورة النحل، الآية: ٧٨].

يمتنّ الله تعالى على الإنسان بأن زوّده بالأدوات والوسائل التي يكسب بها العلم والمعرفة، فالإنسان يأتي إلى الحياة لا يعرف شيئًا عنها، بل لا يعرف شيئًا عن وجوده وذاته. وحينما تبدأ حاسة السمع والبصر بالعمل عند الإنسان، وكذلك بقية الحواس تدريجيًّا، يصبح قادرًا على كسب العلم والمعرفة.

وحاسّتا السمع والبصر، هما الحاستان الرئيستان في كسب العلم والمعرفة، والانفتاح على الحياة. صحيحٌ أن لبقية الحواس كاللمس والشم دورًا، إلا أن ذلك يبقى في محيطٍ محدود، وتبقى المساحة الأوسع من علم الإنسان ومعارفه عبر حاستي السمع والبصر.

العقل وتقويم المعلومات

لكن الإنسان بحاجة إلى مرجعية تقوّم تلك المعلومات، وتحكم عليها، بين الصحيح والخطأ، تلك المرجعية هي قوة الإدراك والفهم، المتمثلة في العقل. ولو كان الإنسان يرى ويسمع دون أن يكون له عقل يميّز به، فإنه لا يصل إلى المعرفة

الصحيحة، ولا يستفيد مما رأى وسمع.

فالعقل هو تلك القوة التي يُقوّم ويحكم بها الإنسان على مرئياته ومسموعاته. وكلّما اتجه الإنسان إلى عقله، كانت نظرته وحكمه على ما يرى ويسمع أصحّ وأدق، أما إذا غفل عن عقله، فإنه معرض للوقوع في الضلال والخطأ.

من هنا يؤكد القرآن الكريم على وجود هذه المرجعية، ففي معظم الآيات القرآنية التي تذكر حاستي السمع والبصر، يردف ذكرهما بذكر العقل، للدلالة على دوره، وأن حاستي السمع والبصر من دون العقل لا يقدّمان للإنسان الفائدة المطلوبة، التي يحتاجها في حياته.

وقد ورد في القرآن الكريم خمس آيات تذكر حاستي السمع والبصر ثم تردفهما بذكر العقل، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾[سورة النحل، الآية، ٧٨]، والأفئدة تعني العقول. ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، ويقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية:٧٨]، ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[سورة السجدة، الآية:٩]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[سورة الملك، الآية:٢٣]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾[سورة الأحقاف، الآية:٢٦].

هذا التأكيد على ذكر الأفئدة بعد السمع والأبصار، يلفت نظر الإنسان إلى عدم التعجّل في قبول ما يرى أو يسمع، وإنما عليه أن يرجع إلى عقله أولًا ليُقوّم تلك المعلومات.

لا تقبل كلّ ما تسمع

إضافةً لذلك، فإن هناك نصوصًا كثيرة، تؤكد على الإنسان بأن لا يقبل كل ما يسمع،

وإنما عليه أن يفكر وأن يتأمل، بل إن بعض النصوص تجعل التأنّي أو العجلة في قبول المعلومات مقياسًا ودلالة على أن الإنسان يستخدم عقله أم أنه أحمق، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا أردت أن تختبر عقل الرجل في مجلس واحد، فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون، فإن أنكره فهو عاقل وإن صدقه فهو أحمق»(1). وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: «خذوا الحقّ من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحقّ، كونوا نقّاد الكلام، فكم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله»(2).

فالمقياس هو مطابقة الكلام للحقّ أم لا، وليس المقياس من قال هذا الكلام. فلو أن إنسانًا من أهل الباطل قال كلامًا يوافق العقل والمنطق، فليس لنا إلا أن نقبل كلامه؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أين وجدها. ولو أن إنسانًا من أهل الحقّ قال كلامًا باطلًا، لا يتوافق مع المقاييس والقيم، لغفلته أو لاشتباهه، أو لأيّ سبب آخر، فلا ينبغي متابعته ومسايرته فيما قال.

الوسائل المعلوماتية الحديثة

نحن نعيش في عصر تبادل وتداول المعلومات، حيث أصبحت الوسائل المعلوماتيه متوفّرة بشكلٍ هائل ورهيب جدًّا، خصوصًا مع وجود شبكة الإنترنت، إذ يوجد عليها أكثر من (١٨٦) مليون موقعًا لحدّ الآن، في مختلف المجالات، وبشتّى أصناف اللغات. إضافةً إلى الفضائيات، والهواتف النقّالة، والصحف والمجلات، ووسائل الإعلام المختلفة. وهنا يرى الإنسان نفسه أمام سيلٍ من المعلومات. لذا يجب أن يكون العقل يقظًا، لا أن يكون الإنسان مستسلمًا لما يسمع ويرى، خاصة حين تكون هذه المصادر المعلوماتيه والخبرية ضمن أجواء يشكّ الإنسان في مصداقيّتها، هنا يكون أمر التأني أكثر إلزامًا، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا

(١) بحار الأنوار. ج١ ص١٣١.
(٢) المصدر نفسه. ج٢ ص٩٦.

بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[سورة الحجرات، الآية:٦].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المصادر المعلوماتية يُمكن اختراقها بسهولة، وترويج المعلومات السلبية عبرها، وبإدراكنا لوجود استهدافات من قبل الجهات المعادية، فإن مسألة التأكد من صحّة المعلومات يحمي المجتمع من هذه الاستهدافات. فقد أصبح واضحًا وجود جهات تستخدم هذا التقدم التقني في إثارة الفتن، ونشر المعلومات التي تفسد العلاقات بين هذا الطرف وذاك، عبر الإنترنت، وبأسماء مستعارة وهمية، وبمختلف الطرق والأساليب.

تجاه هذا الواقع علينا أن نكون واعين؛ لأن هناك من يستهدف إفساد العلاقات في مجتمعاتنا، فعلى مستوى الأمة الإسلامية، هناك من يريد إيقاد الفتن المذهبية، أحيانًا تكون الأسماء والجهات معروفة، وأحيانًا تكون مصادر مجهولة، وتنقل آراء مكذوبة، لا أساس لها من الصحة، وعلى العقلاء أن يكونوا واعين لخطورة هذا التوجّه، الذي يهدف لإفساد العلاقة بين شرائح الأمة.

وضمن المجتمع الواحد، قد تتجه بعض الفئات لإفساد العلاقات الداخلية لهذا المجتمع، إذا وجدت فيه نشاطًا وحراكًا لا تستسيغه، سواءً كانت هذه الجهات سياسية أو دينية متشددة. وهذا ما نُلاحظه تجاه المجتمع الشيعي، الذي يشهدًا حراكًا وفاعليةً، قد تُزعج بعض الجهات الأخرى، لتجد نفسها بين أمرين: إما القبول بالواقع المتقدم لهذا المجتمع، أو تسعى لإضعاف المجتمع وإشغاله بالخلافات الداخلية.

وهنا يأتي دور الوعي عند الناس، ويأتي دور النخبة في المجتمع، إذ لا ينبغي أن نقبل أيّ كلام ينشر في الإنترنت، خاصة إذا كان من جهات ومواقع مشبوهة، فقد تأسّست مواقع مشبوهة تريد تخريب المجتمع، وإيجاد الفتنة، وقد يحمل بعضها عنوان الدفاع عن المجتمع. فينبغي ألّا تغرينا العناوين، وأن نعرف ماذا في هذه المواقع، وماذا تريد، وفي أيّ مصب تصب المواضيع التي تنشرها.

علينا أن نكون واعين، لنا أعداء يريدون تخريب العلاقات في داخلنا، وهناك مغرضون يريدون إشغالنا ببعضنا بعضًا، وعلى النخبة الواعية أن تذكّر الناس بهذا الأمر، حتى لا تنجح مثل هذه المحاولات المغرضة، على مستوى الأمة، وعلى مستوى المجتمعات في داخل الأمة.

الدعاء للآخرين بظهر الغيب

ورد عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أنه قال: «رأيت أمّي فاطمة الزهراء عليها السلام قائمة في محرابها، ليلة جمعة، فلم تزل راكعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت: يا أمّاه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني، الجار ثم الدار»[1].

ونحن في رحاب ذكرى ميلاد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، هذه المرأة التي شاء الله لها أن تكون الأنموذج والحجة على الناس في سلوكها وسيرتها، والتي كانت ولادتها أفضل هدية إلهية سرّت قلب رسول الله صلى الله عليه وآله.

في هذه المناسبة، رأيت أن أقتبس هذه الرواية، حتى نأخذ منها درسًا من سيرة الزهراء عليها السلام، هذه الرواية تُشير إلى أن الصديقة الزهراء تصلي وتتعبد ليلة كاملة، ثم تدعو ربها، إلا أنها لا تدعو لنفسها، وإنما تدعو للآخرين، تذكرهم بأسمائهم.

هذه الرواية تنسجم مع نهج تؤكد عليه روايات وأحاديث كثيرة، بأنه ينبغي للإنسان المؤمن في خلواته في ظهر الغيب، أن يدعو لإخوانه المؤمنين والمؤمنات، قبل أن يدعو لنفسه، وتشير الأحاديث والروايات إلى أن دعاء الإنسان للآخرين، أفضل وأنفع من دعائه لنفسه. وهذه الروايات مدرسة تريد أن تُربّينا كيف نتجاوز ذواتنا، ونفكر في

(١) بحار الأنوار. ج٨٩ ص٣١٣.

الآخرين، قبل أن نفكر في أنفسنا.

إن تفكير الإنسان بالآخرين واهتمامه بهم في موقع المناجاة والدعاء هو دلالة صدق، فقد تدعو لإنسان أمامه، مجاملة له أو تملقًا إليه.

أما حينما تدعو لأخيك في ظهر الغيب، فإن ذلك دليل محبّتك له، وصدقك في طلب الخير له. وهذا ما تريد الأحاديث أن تربينا عليه في العلاقة مع الآخرين، بأن نكون صادقين في حبّنا لهم، وفي طلب الخير لهم.

في الليل وأنت تصلي صلاة الليل، أو قبيل صلاة الصبح، أو في تعقيب صلاتك، أو في أيّ وقت بينك وبين ربك، تذكر المرضى وتدعو لهم بالصحة والعافية، وتذكر السجناء وتدعو لهم بالفرج، وتذكر الفقراء وتدعو لهم بالغنا والثروة، وتذكر المهمومين والمكروبين وتدعو الله أن يفرّج عنهم.

ومن المستحبات المذكورة في صلاة الليل أن يدعو الإنسان لأربعين مؤمنًا بأسمائهم. وهذا يربي الإنسان على الصدق والإخلاص، في محبة الآخرين وعلى الاهتمام بهم.

ونسجّل هنا بعض تلك الروايات الواردة:

- عن علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا أبي قال: رأيت عبد الله بن جندب في الموقف، وهو من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، قال: رأيته بالموقف ـ أي يوم عرفة ـ فلم أرَ موقفًا كان أحسن من موقفه، ما زال مادًّا يديه إلى السماء، ودموعه تسيل على خديه، حتى تبلغ الأرض، فلما صدر الناس، قلت له: يا أبا محمد، ما رأيت موقفًا قط أحسن من موقفك، قال: والله ما دعوت إلا لإخواني، وذلك أن أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أخبرني: أن من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولك مئة ألف ضعف، فكرهت أن أدع مئة ألف

ضعف مضمونه لواحدة لا أدري تستجاب أم لا[١].

- وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد»[٢].
- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أوشك دعوة وأسرع إجابة دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب»[٣].
- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولك مئة ألف ضعف مثله، وإذا دعا لنفسه كانت له واحده، فمئة ألف مضمونة خير من واحدة لا يدري يستجاب له أم لا»[٤].
- الإمام زين العابدين عليه السلام يقول: «إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك، تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير، قد أعطاك الله عزّ وجلّ مثلي ما سألت له وأثنى عليك مثلي ما أثنيت عليه، ولك الفضل في ذلك»[٥].
- ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «من دعا لأربعين رجلًا من إخوانه قبل أن يدعو لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه»[٦].
- وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «اطلب العافية لغيرك ترزقها في نفسك»[٧].

---

(١) الكافي. ج٢، ص٥٠٨.
(٢) كنز العمال. ج٢ ص٩٨.
(٣) الكافي. ج٢ ص٥٠٧.
(٤) من لا يحضره الفقيه. ج٢ ص٢١٢.
(٥)بحار الأنوار. ج٧٥ ص٣٣٤.
(٦) من لا يحضره الفقيه. ج٢ ص٢١٢.
(٧) كنز العمال. ج٢ ص٢١٧.

الخطبة الأولى

العمل الاجتماعي وتنمية الذات

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[سورة الإسراء، الآية:٧].

التعاليم الإلهية جاءت لترشد الإنسان إلى طريق سعادته، وتعرفه كيف يخدم ذاته. فهو يحب ذاته ويريد مصلحتها، إلا أن نظرته غالبًا ما تكون قصيرة ومشوشة، فلا يعرف كل مظانّ مصالحه. وغالبًا ما يفضل المصالح العاجلة وإن قلّت، على المصالح الآجلة الضخمة. ويرى بعض المصالح ولا يرى أكثر المصالح التي تنفعه وتفيده. وهو يستطيع معرفة مصالحه أو بعضها في هذه الحياة الفانية، ولا يعرف مصالحه في الحياة الأخرى.

ولهذا جاءت الرسالات الإلهية فضلًا من الله سبحانه وتعالى على الإنسان، حتى تعرّفه وتعلّمه كيف يخدم ذاته؟ وكيف ينفع نفسه؟ وكيف يسعى من أجل مصلحته؟

ومن تلك الآفاق التي تفتحها الرسالات الإلهية، وتؤكد عليها أمام الإنسان، إرشاده إلى أن خدمته للآخرين هي خدمة لذاته؛ ذلك أن الإنسان بقصر نظره، يتصور أن منفعته ومصالحه هي تلك التي ترتبط بذاته مباشرة، في حين أن الرسالات الإلهية تنبّه الإنسان أن خدمته للآخرين هو طريق أفضل لخدمته لذاته.

فحينما تخدم الآخرين، قد تتصور بادئ ذي بدء أنك تصرف جهودك من أجل الغير، بينما تؤكد لك التعاليم الإلهية، أنك تصرف تلك الجهود في مصلحة ذاتك،

فما تقدّمه للآخرين ينفعك أنت، وليس الآخرين فقط. وهذا ما تؤكد عليه آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾[سورة الإسراء. الآية:٧].

فالإحسان الذي تقدّمه للآخرين، هو في الواقع يعود عليك أنت بالنفع، فلا تتوهّم أنه صرفٌ من جهدك ومالك ومصلحتك للغير، وإنما هو لك أنت شخصيًّا في الأساس. وآيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد هذا المضمون، يقول تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[سورة يونس، الآية:٢٦]، فحينما تحسن الحسنى تكون لك، وإن كان من حيث الظاهر ترى أنك أحسنت للآخرين، أما الواقع فأنت أحسنت لنفسك، وبزيادة ربحية كبيرة.

وحتى لا يتصور البعض أن هذه الزيادة مؤجلة إلى الآخرة فقط، فإن آيات القرآن تؤكد أن نتائج الإحسان للآخرين تحصل في الدنيا أيضًا، يقول الله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾[سورة النحل، الآية:٣٠] يعني أن نتائج إحسانك للآخرين تنالها في الدنيا، وفي الآخرة لك خير مما تناله في الدنيا. وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[سورة فصلت، الآية:٤٦].

لهذا، فإن الإنسان المؤمن الواعي بهذه التعاليم الدينية وبحقائق الحياة يبادر إلى الإحسان للآخرين.

مأسسة الإحسان

إن الإحسان للآخرين لكي يكون مفيدًا ومجديًا أكثر، ينبغي أن يكون بشكل مؤسّسي جمعي، فتارة أنت تحسن للآخرين، وتسعى بنفسك في خدمة الناس، وهذا أمرٌ جيد. والأجود منه والأهم أن تشترك في مؤسسة خيرية، وتكون جزءًا من جهد جمعي لعمل الخير، فهذا هو الأفضل، خاصة ونحن نعيش في عالم لا تستطيع فيه المبادرات الفردية معالجة المشاكل التي تعيشها المجتمعات، والتي تواجه الأشخاص. فلو أردت أن تساعد الفقراء فبأيّ قدر تستطيع أن تساعدهم؟ وكم من الفقراء تستطيع

أن تصل لهم؟ وهل تستطيع أن تتعرف إلى الفقراء المستحقين فعلًا؟ إن ذلك يحتاج إلى جهدٍ جمعي مؤسّسي.

إن وجود مؤسّسات تهتم بالشأن العام، وتهتم بحوائج الناس وقضاياهم أمر مهم، ومع الأسف، فإن المشاركة في هذه المؤسّسات لا تزال ضعيفة محدودة، فالروح التطوعية، وروح العمل الجمعي، تحتاج إلى تنمية في مجتمعاتنا.

العمل التطوعي وآثاره على الذات

إن العمل التطوعي ينعكس على نفس الإنسان، وأجلى مصاديق ذلك الانعكاس الأمور التالية:

أولًا: الراحة النفسية

فالإنسان الذي يساعد الآخرين ويعينهم، ويتطوع من أجلهم، يشعر براحة في أعماق نفسه، لا تشبهها أية راحة تأتي من الملذات الأخرى.

ثانيًا: الثواب العظيم

وهذا ما نعتقده، بأن الله سبحانه قد أعدّ ثوابًا عظيمًا لمن يساعد الآخرين، ويعينهم، ويصرف شيئًا من وقته وجهده وجاهه وماله من أجلهم، وإلى جانب ذلك توفيق الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان، حيث يمنحه الله تعالى توفيقه، ويدفع عنه البلاء، ويبارك له في وقته وماله وجاهه. وهذا ما تؤكد عليه الآيات الكريمة، والأحاديث، والروايات، بأن من أعطى فإن الله تعالى سيخلفه ويعوضه، بأكثر مما أعطى، ويدفع عنه ما لم يكن يعرف ولا يتوقع من البلاء، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[سورة سبأ، الآية:٣٩].

ثالثًا: كسب الخبرة الاجتماعية

من يعمل في الشأن الاجتماعي تتوفر لديه خبرة في شؤون مجتمعه.

رابعًا: صقل المواهب والقدرات

فحينما يدخل الإنسان في مؤسّسة، فإن قدراته القيادية، ومهاراته المختلفة، تُصقل من خلال ممارسته للعمل التطوعي.

خامسًا: كسب المكانة الاجتماعية

وإن كانت ليست هدفًا بذاتها للمخلصين الواعين، إلا أن الإنسان ينال بذلك مكانة اجتماعية، وهي نتيجة طبيعية، بمقدار ما يحمل من هموم المجتمع، وبمقدار ما يتصدّى لقضاياه.

سادسًا: الانتماء إلى المجتمع القوي

فحينما تكون في المجتمع مؤسّسات اجتماعية، فإن أبناء المجتمع يكونون جزءًا من مجتمع قوي. بينما إذا عزف أفراد المجتمع عن العمل الاجتماعي، فإن كلّ الأفراد سيعيشون ضعفًا؛ لأنهم أعضاء في مجتمع ضعيف.

لذلك ينبغي لكلّ إنسان من أبناء المجتمع، أن يبادر للانضمام إلى مؤسّسة من المؤسّسات الاجتماعية القائمة، أو أن يبتكر فكرة جديدة، تسدّ فراغًا من الفراغات الموجودة في المجتمع.

الشباب والمتقاعدون

وأودّ أن أوجّه الخطاب لشريحتين مهمّتين في المجتمع، هما:

شريحة الشباب: فمرحلة الشباب هي مرحلة العطاء، ومرحلة القوة والقدرة، وعلى كلّ شاب واعٍ أن يهتم بشأن مجتمعه.

وشريحة المتقاعدين: وهؤلاء بما يمتلكون من خبرة حياتية واجتماعية، عليهم أن يوظّفوها في خدمة المجتمع، لا أن يركنوا للراحة والدّعة، بطريقة خطأ. فالراحة لا تحصل بالركود، وإنما العمل هو أساس الراحة، إضافةً لما يناله المتقاعد من راحة

نفسية وثواب عظيم من الله تعالى في الدنيا والآخرة. فذلك ينبغي أن يكون دافعًا لنشاط اجتماعي كبير، تُقدّمه هذه الشريحة المهمة في المجتمع.

وتذكيرًا لنا جميعًا نورد بعض الروايات عن أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) في فضل العمل الاجتماعي، وفضل خدمة المجتمع:

- ورد عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «لَئِن أعول أهل بيت من المسلمين أسدّ جوعتهم وأكسو عورتهم فأكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إليَّ من أن أحج حجة وحجة وحجة ومثلها ومثلها حتى بلغ عشرًا، ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين»[1].
- وعنه ﷺ قال: «إن المؤمن لَتَرِدُ عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده، فيهتم بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمّه الجنة»[2].
- وعن الإمام الصادق ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: الخلق عيالي، فأحبّهم إليَّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم»[3].
- وورد عن الإمام الكاظم ﷺ أنه قال: «إن لله عبادًا في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سرورًا فرح الله قلبه يوم القيامة»[4].

فعلى كلّ إنسان أن يفكر في أن يكون عضوًا وجزءًا من مؤسّسة اجتماعية، وأن يصرف شيئًا من جهده ووقته وجاهه وماله، لخدمة الشأن العام، ضمن عمل جمعي مؤسّسي.

---

(١) الكافي. ج٢ ص١٩٥ حديث١١.

(٢) المصدر نفسه. ص١٩٦حديث١٤.

(٣) المصدر نفسه. ص١٩٩ حديث١٠.

(٤) المصدر نفسه. ص١٩٧ حديث٢.

السكينة أساس النجاح

﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[سورة الفتح، الآية: ٤].

السكينة مصطلح تكرر في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم، ووردت أحاديث ونصوص كثيرة تتحدّث عن السكينة، التي هي مشتقة من مادة السكون، ومعناها: الاطمئنان والدّعة، وعدم الخوف والوجل.

ويحتاج الإنسان إلى السكينة والاطمئنان أمام المشاكل والتحديات. وأكثر الناس حينما يتعرضون لمشكلة، ويواجهون تحدّيًا، يسكن الوجل والخوف قلوبهم، ويصابون بالاضطراب، وإذا اضطربت نفس الإنسان، وسكن الوجل قلبه، فإنه يعين على نفسه، ويُصبح أمام مشكلتين، بعد أن كان يواجه مشكلة واحدة.

من جانب آخر، فإن الوجل والاضطراب يربك الإنسان، فلا يهتدي السبل الصحيحة لمعالجة المشكلة، ولا يكون قادرًا على التفكير السليم، فتصبح إرادته ضعيفة.

ففي الجانب الصّحي مثلًا: يتحدّث الأطباء عن تأثير قوة النفس في تجاوز المرض، فالطبيب قد يصف العلاج لشخصين مصابين بنفس المرض، لكن مقدار الاستفادة تكون أكبر لمن يمتلك نفسية أقوى، وهذا ما يُقرّره الأطباء.

وتعاليم الإسلام وأحكامه تربينا على هذا الأمر، ومن ذلك: أحكام الاحتضار، فإذا وجد الإنسان نفسه أمام شخصٍ في لحظات الوفاة، فليس الدور المطلوب هنا البكاء، وإنما هناك مسؤولية كبيرة، تحتاج إلى طمأنينة وسكينة، ليقوم الإنسان بواجبه الشرعي تجاه هذه الحالة. كتوجيه المحتضر إلى القبلة، وتلقينه الشهادتين، وبعض الأدعية، وقراءة سور من القرآن الكريم.

وهكذا في مختلف المجالات، يحتاج الإنسان إلى التماسك والطمأنينة، ليقوم بالتصرف المناسب.

وفي هذا السياق وردت كلمة جميلة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول فيها: «قرنت الهيبة بالخيبة»[1]. فالإنسان الذي يتهيّب ويُصيبه الوجل، يخيب، وليس بمقدوره أن يحل مشكلته.

منطلقات السكينة وآثارها

على الإنسان أن ينمّي حالة الطمأنينة في نفسه، والآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[سورة الفتح، الآية:٤] تشير إلى مردود السكينة على نفس الإنسان، وهو زيادة الإيمان ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾.

وهذه نقطة مهمّة، فموقفك أمام المشاكل والأزمات يزيد إيمانك، والأزمات إنما هي امتحان من الله، فإذا أخذت الموقف المناسب يزيد إيمانك؛ لأنك مارست تعاليم الإيمان، وتفاعلت مع عطائه، كما تشير الآية الكريمة إلى منطلقات السكينة والاطمئنان في نفس المؤمن وهي اعتقاده بأن﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

فأنت تعيش في حياة يسيطر عليها الخالق جلّ وعلا، والأمور كلّها بيده. وما دمت

---

(١) نهج البلاغة. حكمة٢١.

مؤمنًا بالله، وواثقًا ومتوكلًا عليه، فعليك أن تلتزم السكينة أمام الأحداث والمشاكل، وتقوم بدورك، بملء طاقتك وقدرتك وإمكاناتك، وتفوّض أمرك إلى الله تعالى.

وتختم الآية: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فما دمت تؤمن بأن الله يعلم بحالك، وأنه حكيم، لا يفعل إلا ما فيه المصلحة، إذًا عليك أن تُسلّم لأمر الله تعالى، وعليك أن تواجه التحدّيات والمشاكل بنفسية مستقرة مطمئنة.

السكينة في أداء الامتحانات الدراسية

في هذه الأيام أبناؤنا أمام مرحلة الامتحانات والاختبارات، نسأل الله تعالى أن يوفّق جميع أبنائنا وبناتنا للنجاح، وأن يُقدّموا الأداء المتميز. وعليهم أن يدخلوا الامتحان بسكينة واطمئنان، فحالة القلق والتهيّب والوجل، ليست في صالح الطالب والطالبة.

وعلى الأسرة أن تساعد الأبناء، بتوفير الأجواء المناسبة في البيت، وبتوفير حالة الاطمئنان النفسي.

بعض الطلاب والطالبات يمارسون بعض الأخطاء في مذاكرتهم، ويلبسها البعض منهم بلبوس الدين، وذلك كاستعانتهم بالاستخارة لتحديد المواضيع الأكثر أهمية! وهذا أسلوب خطأ. كما أن البعض يعتمد على وسائل الغش لاجتياز الامتحان. وقد تطوّرت الآن وسائل الغش، وهذه أساليب غير مشروعة. كما أن حالة السهر ليلة الامتحان تُرهق الطالب والطالبة، وتُضعف درجة الاستيعاب، مما يقلّل من مستوى أدائهم في الامتحان.

فينبغي للطالب والطالبة أن يُقْبِلا على الامتحان براحة نفسية وجسدية ودون قلق، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق أبناءنا وبناتنا لأداء امتحاناتهم بطمأنينة وسكينة، وأن يحققوا النتائج الجيدة، وأن يكونوا متفوقين في أدائهم دائمًا.

الخطبة الأولى

الاستضاءة بسيرة أهل البيت

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٩٠].

حين تسير ليلًا في طريق متشعب المسارات، مليء بالحفر والنتوءات، فأنت بحاجة ماسة للاستضاءة بنور القمر، من أجل أن تحدّد مسار طريقك، وتحمي نفسك من الوقوع في الحفر، والتعثر بالعراقيل.

ولو جذب نظرك سحرُ القمر، وروعة جماله، خاصة حين يكون بدرًا، فاتجهت نحوه ببصرك، وحدّقت فيه سارحًا بخيالك، فإنك ستجد متعة نفسية كبيرة، لكن ذلك قد يشغلك عن النظر إلى الطريق، فتهوي في المنزلقات، وتصطدم بالعراقيل، وتتعرض للتيه والضياع.

كذلك هي سيرة أهل البيت، إنها كالقمر الساطع المنير، الذي نحتاج ضوءه لإنارة دروب الحياة، لكن بعضنا قد ينشغل فكريًا وعاطفيًا بجمال وروعة تلك السيرة الطاهرة، فيستغرق في الانبهار والإعجاب بشخصيات أئمة الهدى، وينشدّ إليهم بأحاسيسه ومشاعره، لكنه يغفل عن ترسّم طريقهم في الحياة، ويفوته الأخذ بهديهم لمواجهة التحدّيات، وتجاوز العقبات.

الاقتداء وليس مجرد العشق

لا شك أن سيرة أهل البيت بروعتها وصفائها فيها ما يغري بالانبهار والعشق، لكن

ذلك لا يصحّ أن يكون عوضًا وبدلًا عن الاهتداء والاقتداء. بل يجب أن يكون العشق لجمالهم المقدس، دافعًا للاقتباس من هديهم، والاستضاءة بنورهم.

ونجد فيما روي عن أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، تأكيدًا على أن العلاقة بهم، يجب أن تتأسّس على قاعدة الاتّباع لهم، والاقتداء بهم، لا مجرد الانشداد العاطفي إليهم.

قال رجل للإمام الحسن بن علي ﴿عليه السلام﴾: إني من شيعتكم.

فقال ﴿عليه السلام﴾: «يا عبد الله، إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعًا فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها، لا تقل: أنا من شيعتكم ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم»[١].

وعن الباقر ﴿عليه السلام﴾: «لا تذهب بكم المذاهب، فو الله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عزّ وجلّ»[٢].

وعن الصادق ﴿عليه السلام﴾: «ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا»[٣].

وعن العسكري ﴿عليه السلام﴾: «شيعة علي هم الذين يقتدون بعلي»[٤].

إن النظر إلى أهل البيت، كلوحات فنية جميلة معلقة على جدار الزمن، نتأمل روعتها وحسنها، ونظهر الإشادة والإعجاب بها، أو كقطع أثرية نادرة تعرض في متاحف التاريخ، نقوّمها بأغلى الأثمان، دون أن يكون لها انعكاس أو تأثير على مسار حياتنا، إنما يعني ذلك التنكر والتجاهل لأهم وظيفة ودور، أراده الله تعالى لهذه العترة الطاهرة، وهو دور الإمامة والهداية في حياة البشر.

إن أهل البيت جديرون بكلّ مدح وإطراء، وأهل لكلّ فضيلة ومكرمة، بل ما عسى

---

(١) بحار الأنوار. ج٦٥، ص١٥٦.
(٢) الكافي. ج٢، ص٧٣.
(٣) وسائل الشيعة. ج١٥، ص٢٤٧.
(٤) بحار الأنوار. ج٦٥، ص١٦٣.

أن يقال فيهم بعد ثناء الله تعالى عليهم في كتابه المجيد، وعلى لسان نبيه الصادق الأمين؟

سرور أهل البيت باتّباعهم

إن ما يسرّ أهل البيت، هو معرفة نهجهم، واتباع هديهم، لا مجرد الاستغراق في مدحهم، وذكر فضائلهم.

كما أن الانتصار لظلامة أهل البيت ومعاناتهم من الحاسدين لهم، والجائرين عليهم، لا يكون بمجرد سكب العبرات، وجرّ الحسرات، وإنما بالعمل على تحقيق أهدافهم العظيمة في إعلاء كلمة الله تعالى، ونشر العدل، وإقامة الحقّ.

فأهل البيت لم يكونوا ذوات تبحث عن مواقع ومناصب، ولا جماعة تتطلع لمصالح خاصة، بل كانوا حملة رسالة عظيمة، وأصحاب قيم سامية، كرّسوا وجودهم وحياتهم من أجل خدمة الرسالة ونشر القيم.

وحدة الهدف وتنوع الأدوار

وقد تنوعت الظروف الاجتماعية، والأوضاع السياسية، التي عاصروها طيلة قرنين ونصف من الزمن، مما فرض تنوع الأدوار والمواقف في سيرتهم، مع وحدة الاتجاه والهدف.

إن المصلحة العامة للدين والأمة هي الهدف الأساس الثابت لأئمة أهل البيت.

أما منهجية العمل والموقف، فهي متحركة، حسب مقتضيات الواقع الاجتماعي.

ذلك أن الثبات ضمن منهجية دور وموقف محدد، لا يستجيب لتغيرات الواقع، أمر مخالف لمنطق العقل، وسيرة الأنبياء، كما يضرّ بالرسالة، ويفوّت فرص خدمتها.

من هنا كان تنوع المواقف والأدوار في سيرة أئمة أهل البيت، على الصعيد

السياسي والاجتماعي. حيث نجد منهم من قام بأعباء الحكم، ومن صالح متنازلًا عن الحكم، ومن ثار في وجه السلطة، ومن هادن ووادع السلطة، ومن قبل منصب ولاية العهد، ومن تحمّل عناء السجون والإقامة الجبرية..

ونجد من تصدّى للحركة العلمية، ومن ركز على التربية الإيمانية الأخلاقية، ومن اهتم بحاجات الفقراء والمساكين، بمعنى أن تكون هذه الصفة أو تلك هي الأبرز في سيرته وعهده.

لذا فإن علينا أن نقرأ سيرة أهل البيت بموضوعية وشمول، حتى لا نقع في أسر الأُحادية والفهم المبتور.

الاجتهاد في فهم الواقع

وإذا كان تنوع الأدوار والمواقف في سيرة أهل البيت، حقيقة تاريخية لا جدال فيها، فإن إسقاط هذا الدور أو ذاك الموقف، على واقع اجتماعي سياسي معاصر، يكون موردًا قابلًا للاختلاف وتفاوت وجهات النظر، من حيث تشخيص الواقع الخارجي، وتحديد الموقف الأصلح في التعامل معه.

وحين يختلف التشخيص للواقع، فقد يترتب عليه الاختلاف في الموقف المختار، وبإمكان كلّ طرف أن يجد في سيرة أهل البيت، وفي مجمل التراث الديني، ما يستدلّ به على صحة موقفه، ومشروعيته، لكنه لا يستطيع إدانة موقف الطرف الآخر، ما دام يتفق معه في المبادئ والقيم، ويختلف معه في التشخيص والتقويم.

فالخلاف ليس على مشروعية الثورة والمعارضة، ولا على مشروعية المصالحة والمهادنة، فكلاهما له أصل في الدين، وممارسة في سيرة أهل البيت، إنما الخلاف وتفاوت الاجتهاد في تشخيص وتقويم الواقع الخارجي، واستلزامه لهذا الموقف أو ذاك.

مواقف الأئمة والمعارضون

وقد واجه أئمة أهل البيت أنفسهم بعض الاعتراضات، على مواقفهم السياسية، من قبل معاصرين لهم، فكانوا يجيبون المعترضين بتبيين رأيهم في تشخيص الواقع الذي اقتضى منهم ذلك الموقف.

كما أجاب الإمام الحسن المعترضين على صلحه لمعاوية، وأجاب الإمام الحسين الناصحين له بعدم الخروج إلى العراق، ومواجهة الحكم الأموي، وأجاب الإمام الصادق عليه السلام الداعين له للانضمام إلى حركة الثورات على السلطة.

ففي تلك الإجابات، لم يكن النقاش في مبدأ الجهاد ورفض الظلم، ولا في ضرورة مراعاة المصلحة العامة، وإنما الكلام حول مقتضيات الظرف والواقع.

وكمثال واضح، ننقل ما رواه الكليني في الكافي ج ٥ صفحة ١٩ عن عبد الملك بن عمر قال: «قلت لأبي عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام): إن الزيدية يقولون: ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلا أنه لا يرى الجهاد. فقال: أنا لا أراه؟ بلى والله إني لأراه، ولكن أكره أن أدَعَ علمي إلى جهلهم».

هكذا يحدّد الإمام عليه السلام أنه لا يختلف معهم في مبدأ الجهاد، لكنه يعلم من مقتضى الواقع ما يجهلون.

الوشاة والمحرضون للسلطات على أهل البيت

الإمام علي الهادي (عليه السلام)، هو الإمام العاشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ولد سنة ٢١٢هـ واستشهد سنة ٢٥٤هـ وعمره الشريف ٤٢ سنة.

هذا الإمام العظيم تعرّض إلى محنة قاسية، هي ضغوط السلطات الظالمة المستبدة، فالإمام نقل من المدينة المنورة حيث ولد، وحيث كان يعيش، وكان الناس يستفيدون من علومه ومعارفه. لكن المتوكل العباسي نقله سنة ٢٣٤هـ من المدينة إلى سر من رأى، التي كانت عاصمة لخلافته. وقد مكث هناك عشرين سنة تحت الإقامة الجبرية، مطوقًا بالأجهزة الأمنية للحاكم، وتحت إشرافه، ممنوعًا من الاتصال بقواعده ومحبيه. ولم يكن هذا الوضع سهلًا، فمن الصعوبة بمكان أن يعيش الإنسان في إقامة جبرية، لا يخرج ولا يدخل عليه أحد إلا بعلم السلطان، كما أن القواعد الشعبية تتأثر بغياب القائد الموجه لحركتها.

بثّ الوعي في الأمة

في هذه العجالة، نريد أن نسلط الضوء على جانب مما تعرض له الأئمة من الوشاة، ذلك أننا نعلم أن السلطات الحاكمة آنذاك كانت سلطات مستبدة ظالمة، تريد من الناس الخضوع لها، وتريد من العلماء والفقهاء وشخصيات المجتمع أن يبثوا في الناس ثقافة الخضوع، لكن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ما كانوا ليسمحوا لأنفسهم أن يقوموا بهذا الدور.

بل على العكس من ذلك، فما بثّوه من معارف دينية كانت تنبه الناس، وترشدهم إلى حقوقهم، وإلى ما يجب أن تكون عليه حياتهم السياسية والاجتماعية، وهنا محلّ التناقض بين السلطات وبين أئمة أهل البيت، فالأئمة لم يكونوا طلاب سلطة. ولا طلاب مناصب، كانوا يعملون على نشر الوعي والمعرفة، وتربية الناس على تعاليم الدين. وما كانوا متوجهين بشكل أساس للصدام السياسي مع السلطات، كان يمكن للسلطات أن تقبل من الأئمة مثل هذه الحالة بشكل أو بآخر، وبعض الحكام قبل بهذا الأمر، لكن الوشاة كان لهم دور آخر، كان هناك من يحرِّض الحاكمين على الأئمة، يكتبون التقارير، ويقدّمون الوشايات، ويخوّفون الحاكم، ويثيرون القلق في نفسه تجاه الإمام.

احتراف الوشاية والتحريض أمر موجود على المستوى السياسي في كلّ العصور والأزمنة، حتى إننا نجد في أزمنتنا من يحترف التحريض على الآخرين، إما بسبب الحسد والمنافسة، أو الحصول على الأطماع والمكاسب، أو بسبب الحقد، لتغاير الرأي والاتجاه، لهذا نقرأ في سيرة الأئمة أنهم عانوا من مثل هذا الأمر.

وشاة من داخل البيت

ينقل التاريخ أنه في عهد الإمام موسى الكاظم ﷺ، كان من أشدّ الوشاة والمحرضين عليه، هو ابن أخيه: (علي بن إسماعيل بن جعفر)، هذا الرجل كان له توجّهات مصلحية، دخل على هارون الرشيد، وقال له: ما ظننت أن في الأرض خليفتين، حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلّم عليه بالخلافة، وإن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب.

علي بن إسماعيل بن جعفر، ابن أخ الإمام!! ومع ذلك يقوم بهذا الدور القذر، الحاكم في حدِّ ذاته منزعج من وجود الإمام؛ لأن الإمام لا يخضع له، ثم تأتيه هذه الوشاية من داخل بيت الإمام، فيكون لها دور التحريض على الانتقام من الإمام.

وكذا نقرأ في سيرة الإمام الهادي ﷺ، كيف أن عبد الله بن محمد، الذي أقامه المتوكل في يثرب واليًا على إقامة الصلاة، وسائر الشؤون الحربية، أثاره التفاف الناس

حول الإمام علي الهادي، فكتب إلى المتوكل يحذّره من خطر الإمام على حكمه، لكن الإمام الهادي كتب رسالة إلى المتوكل لتطمينه، وأنه لا يريد له وللسلطة أي سوء. وفي ذلك درس لضرورة الانتباه لدور المحرضين وإفشال مسعاهم.

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب أنه: «سُعي بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكل، وقيل له: إن في منزله سلاحًا، وكتبًا وغيرها من شيعته، فوجّه إليه ليلًا من الأتراك وغيرهم، مَن هجم عليه في منزله، على غفلة ممن في داره، فوجده في بيت وحده، مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف، متوجهًا إلى ربه، يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأُخذ على ما وُجد عليه، وحُمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه، والمتوكل يشرب وفي يده كأس، ولا حالة يتعلّل عليه بها، فناوله المتوكل الكأس الذي في يده، فقال: يا أمير المؤمنين، ما خامر لحمي ودمي قط، فأعفني منه. فَأَعْفَاهُ، وقال: أنشدني شعرًا أستحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للأشعار، فقال: لا بُدّ أن تنشدني، فأنشده:

باتوا على قللِ الأجْبال تحرسُهم ... غُلْبُ الرجالِ فما أغنتهمُ القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم ... فأودعوا حفرًا يا بئس ما نزلوا
نادى بهم صارخٌ من بعد ما قبروا ... أين الأسرّةُ والتيجانُ والحللُ
أين الوجوه التي كانتْ منعّمةً ... من دونها تُضربُ الأستارُ والكللُ
فأفصحَ القبرُ حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتلُ
قد طال ما أكلوا دهرًا وما لبسوا ... فأصبحوا بعد طول الأكلِ قد أُكِلوا

قال: فأشفق كلّ من حضر على عليّ، وظن أن بادرة تبدر منه إليه، قال: والله لقد بكى المتوكل طويلًا حتى بلت دموعه لحيته، وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب، ثم قال له: يا أبا الحسن، أعليك دَينٌ؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه،

وردّه إلى منزله من ساعته مكرمًا»[١].

الحذر من الوشاة

حينما يكون الحاكم عاقلًا، فإنه لا يأخذ الوشايات المغرضة بعين الاعتبار، الحاكم يعلم أن بين الناس اختلافات، وعند بعضهم أطماع. لذلك لا يسلّم عقله وقراره للتحريض؛ لأن البعض يريدون أن يحرضوه على طائفة، يكتبون التقارير، ويرفعون الأخبار، وينشرون المعلومات، هم لهم مصالح في التحريض، ولكن الحاكم العاقل، هو من يلتفت إلى مصلحة حكمه، وأن من مصلحة حكمه التوازن والعدل والاستقرار، وليس الاستجابة لهؤلاء المحرضين على هذه الفئة أو تلك، فإن ذلك يسبب زوال الاستقرار، ويسبب اضطراب الأمور، ويوقع الحاكم في المزالق.

يحتاج الحاكم إلى من يلفت نظره، حتى لا يقع في فخّ المحرضين والوشاة. ففي بعض الأحيان يتوفر للحاكم أشخاص يلفتون نظره إلى هذا الأمر، وفي أحيان أخرى لا يوجد هؤلاء، إنما تكون الساحة خالية للمحرضين. وهنا يحتاج الحاكم أن يكون مَن حوله مِن أهل الرشد والعقل، ليكونوا ناصحين وليس محرضين، لقد ابتلي أئمة أهل البيت بوجود هؤلاء المحرضين حول حكام عصورهم، وللأسف أولئك الحكام العباسيون كانوا يستجيبون لهذا التحريض، ويلاقي هوى في نفوسهم، لذلك تعاملوا مع أهل البيت بتلك الصورة القاسية، تأتي وشايات للمتوكل ضدّ الإمام الهادي، ويأمر بأن يتسوّروا عليه منزله من السطح، ويفتشوا البيت، لعلهم يجدون فيه أسلحة، أو أي شيء، مما يدين الإمام عليه السلام، فلا يجدون شيئًا، لا يجدونه إلا جالسًا على مصلاه. لقد تحمّل الإمام هذا العناء وهذا الاضطهاد في سبيل الله، واحتسبه عند الله، حتى مضى مظلومًا محتسبًا.

---

(١) علي بن الحسين بن علي المسعودي. مروج الذهب ج٤، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، (قم: دار الهجرة)، ص١١.



الخطبة الأولى

المبادرة نحو الشباب

سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام ذات يوم، تلميذه محمد بن النعمان، المعروف بمؤمن الطاق، وكانت مهمته نشر تعاليم الإسلام ومعارف أهل البيت عليهم السلام، سأله: كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ودخولهم فيه؟ فأجاب قائلًا: والله إنهم لقليل. فقال الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كل خير»[1].

الإمام الصادق عليه السلام يؤكد لنا في هذه الكلمة، أن الشباب هم الأسرع إلى كل خير، وذلك ينافي الفكرة السائدة، بأن الشاب بطبيعته يكون متمردًا وعازفًا عن الالتزام الديني، ومسترسلًا مع اللهو واللعب.

هذه الرؤية للإمام، تؤكدها مسيرة الأنبياء والأئمة في التاريخ. حيث نجد أن أوائل من آمن بالأنبياء في الغالب كانوا من جيل الشباب، كما نقرأ في القرآن الكريم، حين يحكي قصة نبي الله نوح عليه السلام يقول تعالى عن لسان الكفار: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾[سورة هود، الآية: ٢٧]، يعني صغار السن الذين لم تنضج آراؤهم.

ونبي الله موسى عليه السلام يقول الله تعالى عنه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى

---

(١) الكافي ج٨ ص٧٩.

خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِمْ﴾[سورة يونس، الآية: ٨٣]، **ذرية: يعني أبناء وأولاد.**

وفي سيرة نبينا محمد ﷺ نجد أن المشركين وعتاة قريش، جاؤوا إلى عمّه أبي طالب ﵇، قائلين له: «إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وسفَّه أحلامنا **وأفسد شبابنا**»!

وهذا ما نقرأه في حديث الإمام الصادق ﵇ لتلميذه بأن يتجه إلى الشباب.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇ يقول: «وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها من شيء قبلته»[1].

الشباب والنزوع إلى الدين

ثبت علميًّا أن الإنسان في مرحلة شبابه تتفتّق عنده جميع الميول والتوجّهات، بحيث تنضج عنده الحالة الغريزية، وكذلك الميول الروحية والمعنوية، فيكون مهيأً لكلا الاتجاهين: اتجاه الشرّ والخير، وهو بدافع الفطرة يكون أكثر تهيُّئًا لاتجاه الخير.

وهناك بحوث لعلماء نفس يؤكدون فيها أنه في مرحلة الشباب، تبرز عند الشاب استعدادات للنزوع الديني. وهذا ما نشهده بالفعل، فأغلب المبادئ والأفكار والنظريات والمعتقدات، إنما تروج أولًا في أوساط الشباب، ولو رصدت حركة الثائرين والمعارضين في مختلف المجتمعات والشعوب، لوجدت أنها تترعرع وتنمو في وسط الشباب، لماذا؟

لأن الشباب هم الأسرع تقبلًا، ولأنهم بعدُ لم تجبل نفوسهم وسلوكياتهم على أشياء يتشبثون بها، وعندهم استعداد للتغيير، ولقبول الجديد. تبقى مسألة ترجيح هذه الكفة على تلك. وهنا يأتي دور البيئة التي يعيشها الشاب، فإذا عاش في بيئة تُنمّي عنده الميول الخيّرة، فإنه يكون في اتجاه الخير، وإذا عاش في بيئة تدفعه نحو الشرّ، تنمو لديه النوازع الشريرة.

---

(١) بحار الأنوار ج ١ ص٢٢٣.

من هنا تأتي أهمية المبادرة نحو الشباب، إلا أن الناس في الغالب يهملون أبناءهم، فإذا برزت ظواهر سلبية، يلتفت البعض نحوهم. لذلك نجد التحذير من الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث يقول: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة». والمرجئة: فرقة من الفرق المنحرفة فكريًّا في ذلك الوقت.

مشكلتنا في كثير من الأحيان، أننا نعيش ضمن حالة ردّات الفعل، فننتظر أن تظهر سلوكيات سلبية عند الشاب أو الفتاة، وعندها يبدأ جرس الإنذار لدينا.

استثمار العطلة الصيفية

في أيام العطلة الصيفية أبناؤنا وبناتنا يعيشون فراغًا، فإذا لم تفكر العائلة والمجتمع في ملء هذا الفراغ، بالبرامج الصالحة النافعة، فإن الشاب والفتاة سيملآن هذا الوقت بأشياء أخرى، خاصة ونحن نعيش في عصرٍ تطورت فيه الوسائل والأساليب. فالكمبيوتر موجود، والإنترنت متاح، والجوال في الجيب، ومختلف الوسائل الحديثة متوفرة، إضافةً إلى شلل سيئة فاسدة لا يخلو منها مجتمع، وغالبًا ما يُمارس هؤلاء بعض المظاهر السلبية كالتفحيط، خصوصًا في أوقات العطلة الصيفية، التي يكثر حولها الحديث في المجالس، وتُسلّط الأضواء على مسؤولية رجال الأمن في البلاد لردع هؤلاء الشباب. بكل تأكيد فإن الردع وحده لا يكفي، إنما نحتاج إلى ملء الفراغ عند أبنائنا، وهذا يؤكد لنا دور المبادرة لتوجيه أبنائنا وتوعيتهم وتثقيفهم.

العائلة لها دور أساس، إضافة لحاجتنا الماسة للبرامج العامة في المجتمع، كلّ إنسان عليه أن يطالب نفسه أيام العطلة الصيفية، بدور ومسؤولية تجاه الجيل الشاب. وخصوصًا العلماء والخطباء، ورجال الأعمال. والمثقفون، حيث ينبغي أن تتضافر الجهود من أجل أن يستفيد أبناؤنا من وقت الفراغ في العطلة الصيفية، وإلا أصبح الفراغ سببًا للفساد والانحراف، وجميعنا يدفع الثمن.

حتى من لم يكن له أولاد، عليه أن يُساهم في هذا الجانب المهم، ذلك لأن أيّ

خلل يُصيب وسط الشباب، يؤثر على أمن المجتمع الأخلاقي والاجتماعي.

لذا أدعو الجميع إلى التفاعل مع البرامج القائمة في الصيف، من مراكز، ولجان، ودورات، وبرامج، ودروس، بعضها رسمية، وبعضها أهلية، فينبغي الدفع والتشجيع بهذا الاتجاه، لا أن ننتظر أن أحدًا يطلب منا الدعم، علينا أن نمسك بزمام المبادرة.

وعلى الولاة على المساجد والحسينيات، والأماكن العامة، أن يبذلوها للشباب، ليُمارسوا فيها مختلف الأنشطة الهادفة، والبرامج الصالحة. وعلى العلماء أن يقدّموا الدعم من الحقوق الشرعية، والتبرعات، كما يجب أن يبذلوا من أوقاتهم في تدريس هؤلاء الشباب، والالتقاء بهم، والحوار معهم.

وأخصّ بالذكر الفتيات؛ لأنهنّ يعشن ظلامة حقيقية، بعكس الشباب الذين يجدون متّسعًا لهم خارج فناء البيت، أما البنات فيعشن غالب أوقاتهن بين جدران البيت، ومع وجود الفراغ القاتل، لا يُؤمن أن تتسلل إليهن بعض المظاهر السلبية، مما يُخشى منه على مستقبلهن.

هناك قصور وتقصير في برامج الفتيات في مجتمعنا، فعلى كلّ واحدٍ أن يلتفت إلى بناته، وأن يفسح أمامهن الفرصة، خصوصًا في العطلة الصيفية، باتجاه استثمار أوقاتهنّ بما ينفعهن وينفع المجتمع.

من توجيهات الإمام الجواد

ورد عن الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام أنه قال: «ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، وخفض الجانب، وكثرة الصدقة»[1].

هذه باقة، وددت أن نقتطفها من بستان معارف الإمام محمد الجواد عليه السلام الذي يصادف اليوم ذكرى ميلاده الشريف على رواية.

الإمام الجواد هو الإمام التاسع من أئمة أهل البيت، ولد سنة ١٩٥هـ، واستشهد سنة ٢٢٠هـ، فعمره الشريف ٢٥ سنة، بما يعني أنه فارق الحياة في ريعان شبابه، مما يُعَدُّ مؤيدًا لما ورد من أن رحيله عن هذه الحياة الدنيا لم يكن بأجل طبيعي، وإنما دُسّ له السّم، كما ورد في بعض الروايات.

والإمام الجواد عليه السلام على صغر سنه، فرض احترامه على النخبة العلمية والسياسية في الأمة. فالمأمون العباسي، الخليفة الحاكم، أصرّ على أن يزوّجه ابنته، وعقد له عددًا من مجالس الحوار والمناظرة مع العلماء، تلك المجالس التي أوضحت سعة علم الإمام، وعمق معارفه، أمام الفقهاء والعلماء.

عاش أكثر حياته في مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله يلتفّ حوله طلاب العلم والمعرفة، ويستفيدون من علومه ومعارفه، عدا السنة الأخيرة التي حُمل فيها إلى بغداد، بأمر

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٥، ص٨١.

المعتصم العباسي، وبقي هناك ما يقارب السنة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى.

كيف نبلغ رضوان الله؟

باقة الورد التي أحملها إليكم هذا اليوم من بستان معارف الإمام الجواد عليه السلام تذكرنا بثلاث صفات أخلاقية مهمّة، يقول الإمام عليه السلام: (ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله)، وتعلمون أن رضوان الله مرتبة رفيعة عالية، فقد تنال عطية من جهة ذات شأن في نفسك، ولا شك أنك تفرح بها، لكنك ستكون أكثر فرحًا إذا عرفت مقامك في نفس هذه الجهة، فأبوك الذي تحترمه وتحبّه ـ مثلًا ـ لو علمت أن لك في نفسه مقامًا، وأنه راضٍ عنك، سيكون ذلك أهمّ من أن يقدم لك شيئًا من المتاع أو المال، وهكذا أيّ جهة عظيمة في نفسك تهتم بأن تكسب ودّها ورضاها، فكيف إذا كانت تلك الجهة هي الله سبحانه وتعالى، فرضا الله هو أصل كلّ خير، وهو أعلى من كلّ الدرجات والمقامات.

لذلك، فإن القرآن الكريم حينما يتحدّث عن ثواب المؤمنين في الجنة، يذكر الثواب المادي، ثم يعقبه بهذه الدرجة المعنوية، يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[سورة التوبة، الآية: ٧٢] فرضوان الله أكبر من كلّ ذلك، والمؤمن الذي يعرف عظمة الله سبحانه وتعالى يهمّه رضاه عنه.

فكيف ينال الإنسان رضا الله ويبلغ هذه المرتبة السامية؟

الإمام الجواد يرسم أمامنا الخريطة عبر ثلاث صفات:

1. كثرة الاستغفار

والاستغفار في مظهره العام لفظٌ باللسان، إذ يكفي أن يقول الإنسان: أستغفر الله ربي، أو أستغفر الله ربي وأتوب إليه. ويُفترض في هذا التلفُّظ أنه يحكي عن حالة في

أعماق النفس. ذلك أنّهُ يعني أمرين أساسيين:

الأمر الأول: الإقرار بالخطأ، وذلك كما تقول لإنسان تصرفت تجاهه بتصرف خطأ: أعتذر إليك، فتقرّ بالخطأ في داخل نفسك، وتدرك أنك أخطأت وأسأت.

الأمر الثاني: العزم على ترك الخطأ، والإقلاع عنه.

وتعبيرًا عن هذين الأمرين تقول: أستغفر الله ربي وأتوب إليه.

أما مع عدم تحقق هذين الأمرين في النفس، فإن لفظ الاستغفار لا قيمة له، سيكون مجرد تلفظ باللسان، بينما قيمة الاستغفار فيما يحكيه عن حال داخل الإنسان، وعن إرادة مستقبلية.

وقد تحدّثت الآيات القرآنية، والنصوص والأحاديث، عن الاستغفار بهذا المعنى، حيث يلفت الله سبحانه وتعالى نظر الإنسان إلى أن وقوع الخطأ منه أمر طبيعي، وأن تلافي الخطأ يكون بالاستغفار، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[سورة آل عمران، الآية ١٣٥]، بمعنى أن الاستغفار يقتضي الإقلاع عن الخطأ ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[سورة النساء، الآية:١١٠].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال يومًا أمام عدد من أصحابه: «إن الله يغفر للمذنبين إلا من لا يريد أن يُغفر له»، فتعجب الأصحاب، وقالوا: يا رسول الله، من الذي يريد أن لا يغفر له؟ قال ﷺ: «نعم، من لا يستغفر الله»[١].

وهناك كلمة رائعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول فيها: «تعطّروا

(١) مستدرك الوسائل ج١٢ ص١٢٢.

بالاستغفار، لا تفضحكم روائح الذنوب»[١]، ما أروعها من كلمة، أنت تجد إنسانًا يعيش في مثل صيف منطقتنا، كيف يتعرق جسمه، فتفضحه رائحة العرق، الإمام في هذه الكلمة الرائعة يقول: إن روائح الذنوب التي تصدر من الإنسان تفضحه، ويستطيع أن يتعطّر بالاستغفار.

وعنه ﷺ أنه قال: «طوبى لمن وجد في صحيفة عمله يوم القيامة تحت كلّ ذنب أستغفر الله»[٢]، وهذا يعني أن يلتفت الإنسان، فعندما يرتكب ذنبًا، عليه أن يستغفر الله تعالى، ويُصمّم على الإقلاع عنه، أما مع عدم ذلك، فإن الاستغفار يصبح ذنبًا جديدًا، يقول أمير المؤمنين علي ﷺ: «الاستغفار مع الإصرار ذنوب مجددة»[٣]. وأكثر من ذلك يوضح الإمام الرضا ﷺ، فيقول: «المستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزئ بربه»[٤].

لذلك على كلّ واحد أن يتفحّص سلوكه وأعماله، إذ ورد في رواية عن الإمام الصادق ﷺ: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم وليلة، فإن عمل حسنة استزاد منها، وإن عمل سيئة تاب واستغفر عنها»[٥]. وأنت في جوف الليل قبل النوم، ورأسك على الوسادة، أو تصلي لله ركعتين، ليكن أمامك شريط عملك اليومي، منذ يقظتك، وإلى أن إبْتَ إلى فراش نومك، ماذا عملت؟ ماذا قلت للآخرين؟ ماذا تصرفت أمام الناس؟ ما هو الصواب منها وما هو الخطأ؟ هذه المحاسبة للنفس مسألة مهمّة، والأهمّ أن يكون عند الإنسان استعداد للاعتراف بالخطأ، فأكثر الناس عندهم مكابرة. فمن الناحية النظرية يقول الإنسان عن نفسه أنه غير معصوم، إلا أنه حين المناقشة يرفض الاعتراف بالخطأ. وخاصة في العلاقات مع الناس، إذ غالبًا ما يلقي باللائمة على الآخرين.

---

(١) وسائل الشيعة ج١٦ ص٦٩.
(٢) وسائل الشيعة ج١٦ ص٦٩.
(٣) بحار الأنوار ج٧٥ ص٦٣.
(٤) الكافي ج٢ ص٥٠٤.
(٥) تحف العقول. ص٣٠١.

ينبغي للإنسان أن يكون جريئًا في محاسبة نفسه، وأن يقف عند الخطأ، ويقرّر الإقلاع عنه، وذلك هو الطريق إلى رضوان الله.

2. خفض الجانب

خفض الجانب يعني ألا تكون شديدًا في علاقتك مع الآخرين، كن ليّنًا متسامحًا، مستعدًّا لتقديم التنازلات في علاقاتك مع أسرتك، وأقربائك، وأرحامك، وزملائك، وجيرانك. وما يؤسف عليه أن بعض الناس يفتخر بشدّته وبطولته أمام الآخرين، وهذا خطأ كبير.

إن ثقافة خطيرة بدأت تسود بعض أوساط شبابنا، هي ثقافة صنع البطولات في العلاقة مع الآخر، وأنها هي المقياس للفتوة. ونقرأ كل يوم في الجرائد، ونسمع في المجالس، كيف أن الشباب يتعاملون بالعنف فيما بينهم، فلا يكاد يمرّ يوم إلا وتنقل الصحف عن معركةٍ وصراعٍ عنيف بين طلاب يدرسون في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة أو الثانوية، وفي بعض الأحيان بين الطلاب والمعلمين، إن آخر يوم من أيام الامتحانات هذا العام، كان يومًا داميًا؛ لأن أكثر من معلم أُدمي على أيدي تلامذته وطلابه.

ما هذا العنف؟ وما هذه الثقافة؟

إن للإعلام دورًا في نشر ثقافة العنف، بدءًا من أفلام الكرتون، وانتهاء بمختلف المسلسلات والأفلام. تلك الثقافة التي تربي الإنسان وتوجهه، بأنه لا ينبغي له أن يكون ضعيفًا مع الآخرين، ينبغي أن يكون قويًّا، وأن يأخذ حقّه بيده. ويساعد على ذلك شعور الإنسان في مجتمعاتنا، أنْ ليس هناك طرق سلمية وقانونية ينتزع بها حقوقه، فإذا كانت هناك سيادة للقانون، والفرص متكافئة، كما يحصل في المجتمعات المتقدمة، فإن الإنسان بدل أن يفكر في أخذ حقّه بالعنف، يلجأ للقانون والقضاء العادل. أما إذا لم تكن هذه الثقافة قائمة، والطريق عبر القانون غير سالك، هنا تنشأ ثقافة أخذ الحقّ

بالقوة، فيستخدم العنف، وهي وسيلة سلبية سيئة.

إن الإنسان لا يجب أن يعيش شعورًا يرى فيه أنه سيخسر كثيرًا حينما يُقدِّم تنازلات. إننا نجد في بعض المشاكل العائلية بين الزوج وزوجته، أن أحدهما أو كليهما يكابران، بما يحملانه من ثقافة سلبية، ومعتقدات خطأ، تُعبر عن سوء فهم للعلاقة الزوجية. وأحيانًا يتدخل الأهل ليصنعوا حزامًا منيعًا، يُعمّقون به الحالة السلبية، فتزداد المسألة سوءً وتعقيدًا، وهذا خطأٌ كبير.

الإنسان الذي يتنازل لا يخسر، بل غالبًا يربح، وبالتأكيد هناك موارد استثنائية فلكلّ قاعدةٍ شواذ.

3. كثرة الصدقة

الصدقة وما أدراك ما الصدقة، فآثارها نفسية وخارجية، يقول الله تعالى لنبيه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[سورة التوبة، الآية: ١٠٣]، إنَّ الصدقة تطهر نفس الإنسان من الأنانية والبخل والشّح، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾[سورة الحشر، الآية: ٩].

أحيانًا تنازع الإنسان نفسه حينما يريد أن يعطي، والقوي هو الذي يبادر إلى حسم الصراع داخل نفسه بالرقم الأعلى. أعطِ الأكثر وأنت الرابح، وخاصة في هذه الأيام المباركة أيام شهر رجب، على الإنسان أن يُعوّد نفسه على الصدقة، فهي مهمّة في كلّ وقت، وفي الأيام المباركة ثوابها كبير ومضاعف. ونحن نعيش في أوقات الحر والصيف أذكركم برواية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حرّ القبور»[1]. وأنت ترى في هذا الصيف، كيف يكون دور أجهزة التبريد، لتطفئ عنك هذا الحرّ، فماذا عن القبر وحرارته، ألا تحتاج إلى وسائل تكييف هناك؟ بلى بإمكانك أن توفر ذلك عبر كثرة الصدقة.

---

(١) كنز العمال. ج٦، ص٣٤٨، حديث١٥٩٩٦.

الخطبة الأولى

الإبداع والتطوير في البرامج الاجتماعية

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1].

الإسلام فتح المجال من أجل أن يطور الناس حياتهم إلى الأفضل؛ لأنه ليس من الصحيح أن يستمر الإنسان على حالةٍ معينة، وأوضاع ثابتة، وإنما يبتكر ويكتشف الطرق الأفضل، لإدارة أمور حياته، ولتكييف أوضاعه، بما وهبه الله من نعمة العقل، فيتلافى الثغرات، ويزيد من فرص الراحة والمصلحة لنفسه، فتنقدح في ذهنه هذه الفكرة أو تلك، في شأن مسكنه، ومأكله، وملبسه، وفي جميع شؤون حياته الخاصة والعامة.

عندما تنقدح فكرة في ذهن إنسان ما، ثم يمارسها، فيراها الآخرون، ويقتنعون بأنها حَسَنةٌ، يتبعونه في تلك الفكرة، فتتحول الفكرة من فردٍ ابتكرها، إلى حالٍ عامة في المجتمع. إنه بذلك سنَّ سُنَّة حسنة، اتّبعه فيها الآخرون، فله أجرها وأجر من عمل بها.

وهذا التطور الذي نعيشه في أمور الحياة، كانت بداياته ـ في الغالب ـ هكذا، إما تعاليم موحاة من السماء عبر الأنبياء، أو أنها أفكار انقدحت في أذهان الناس.

(١) صحيح مسلم. ص٥٠٨ حديث١٠١٧.

وأيّ فكرة قد تبدأ بصورة محدودة، ثم ما تلبث أن تتطور، ويضاف إليها التعديلات والتحسينات، حتى تصل إلى مستوى متقدم متطور.

وكلما تعاقبت الأزمنة تكون الحاجة إلى التطوير أكثر إلحاحًا، فهذه طبيعة الحياة، سواء كان ذلك في الشأن الفردي أو الاجتماعي.

وكمثال على ذلك: التعليم، حيث لم يكن بهذه الطريقة المنظمة المقننة، وإنما كان ضمن حالات تتناسب مع البيئات السابقة، ولكنّه تطوّر شيئًا فشيئًا، إلى أن أصبح بهذا الشكل الحديث. وحينما بدأ تقنين التعليم، كان قد بدأ في مكان ما، وفي مجتمع ما، ثم ما لبث أن انتشرت التجربة في سائر المناطق.. وهكذا في مجال الصحة والعمران، وفي مختلف المجالات الحياتية الأخرى، حيث يسُنُّ أحدهم سنّة معينة، يخطو بهذا المجال إلى ما هو أفضل، ثم ما تلبث أن تنتشر بين الناس، حينما يرون فيها الفائدة.

المجتمعات بين التطلّع والجمود

المجتمعات تتفاوت لديها حالة الابتكار والتطوير، فبينما تكون بعض المجتمعات لديها قابلية مناسبة للتطوير، والتطوّر فيها متسارع، تجد بعض المجتمعات الأخرى تستعصي على التطوير، فالعادات هي هي، والسلوكيات والطبائع كما هي عليه، في مختلف جوانب الحياة، وإذا طرحت فكرة إيجابية فدون انتشارها خرط القتاد.

التجديد إرشاد إسلامي نبوي

ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»، هذا الحديث الذي يرويه الشيعة والسنة يعني: أنه من الممكن أن تكون هناك أعراف وعادات وسنن جديدة، بخلاف ما يراه بعض المتشددين في

المدرسة السلفية، من أن كلّ شيء جديد لم يكن في سيرة السلف الصالح فهو بدعة، حيث يمكن مناقشته بمضمون هذا الحديث، فما هو مطلوب من أجيال المسلمين عبر التاريخ، ألا يتسمّروا عند الأوضاع التي كانت سائدة في عهد السلف الصالح، وإلا فما معنى حديث: «من سن في الإسلام سنة حسنة...»؟!

إن مضمون الحديث يؤدي إلى أن يكون هناك تطوير في الجوانب المختلفة، وهو أمر محمود ومندوب إليه، بدليل أن رسول الله ﷺ يُرَغِّب في ثوابه، حيث يقول: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء»، وفي المقابل فَـ«من سن في الإسلام سنة سيئة [مكلفة للناس، وليست في مصلحتهم، ولا تتطابق مع القيم والمبادئ الإسلامية]، فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

انحسار ظاهرة الزواج الجماعي

وأودّ الحديث هنا عن إحدى العادات الطيبة والسنن الحسنة، التي بدأت في مجتمعنا، لكنها أوشكت أن تختفي، وهي مهرجانات الزواج الجماعي، إذ إن من عادة المجتمعات أن يكون هناك احتفال ومراسيم لحفل الزواج، وهو أمر حثّ عليه ديننا الإسلامي، حيث يستحب إشهار الزواج، وتستحب الوليمة فيه، ودعوة الإخوان له.

وقد انبثقت فكرة طيبة، بخصوص طريقة الاحتفاء بحفل الزواج، وهي أن يكون هناك زواج جماعي، بدل أن يتزوج كلّ إنسان على حده، وتكون له مراسم خاصة به، تستلزم جهدًا ومالًا، فيجتمع أبناء المنطقة في مهرجان واحد، وحفل واحد، وهذا أمر له فوائد كبيرة، منها:

١. خفض التكاليف، من بذل المال والجهد، وهذا أمر ملحوظ.

٢. تعزيز التلاحم الاجتماعي، حيث تظهر قوة المجتمع وتلاحمه، فالجيل الجديد من أبناء المجتمع، يفتحون أعينهم على حياة اجتماعية متماسكة،

حينما يكون حفل يحضره الآلاف، ويقف العرسان إلى جانب بعضهم بعضًا، ويقف معهم أهاليهم، ويقوم الشباب من غير أهالي المتزوجين بالخدمة في هذا الحفل البهيج. إن هذا يخلق جوًّا اجتماعيًّا رائعًا، يدرّب أبناء المجتمع على أن يتعاونوا مع بعضهم، وأن تبرز فيهم كفاءات تدير أمور المجتمع.

٣. تجنيب المجتمع بعض العادات السيئة السلبية؛ ففي مهرجانات الزواج الجماعي غالبًا ما تكون هناك إدارات تحافظ على أن تكون مراسيم الحفل وبرامجه طبق الشرع، وطبق المقبول في المجتمع، بينما إذا كان كلّ إنسان يقيم حفل زواجه على حده، وحسب مزاجه الشخصي، قد تظهر بعض الأمور المحرمة شرعًا وبعض العادات السلبية.

٤. توفير فرصة للتأهيل والتوجيه قبل الزواج، ففي كثير من المناطق، حينما يكون هناك مهرجان زواج جماعي، تعمل إدارة المهرجان على تنظيم بعض الدورات التثقيفية للمتزوجين وللمتزوجات، لتوعيتهم بشؤون الحياة الزوجية، وكيفية إدارة حياتهم، فهذا مكسب كبير، وفيه فائدة عظيمة كبيرة.

لقد انبثقت هذه الفكرة في هذه المنطقة، ثم ما لبث أن انتشرت في المناطق المختلفة من هذا الوطن، فها نحن نسمع عن مهرجانات رائعة، أصبحت تعقد في مختلف أنحاء المملكة. لكن ما يؤسَف عليه أن تتراجع وتنحسر هذه الظاهرة في المنطقة التي انبثقت منها.

ففي الأسبوعين الماضيين عُقِدَت عدة مهرجانات، في مناطق مختلفة من الوطن، ففي منطقة تبوك عقد زواج جماعي لألفين وثمانمئة واثنين وثمانين شابًّا وفتاةً، بمشاركة أمير المنطقة، والعلماء والمسؤولين وكبار رجال الأعمال. وكان هناك مهرجان زواج جماعي في الطائف لِـ١٤٠ شاب وفتاة، شارك فيه مفتي المملكة ومعه كبار المسؤولين في المحافظة.

و نشرت الصحف عن زواج ٦٠ شابًّا وفتاةً في محافظة خليص، قامت بدعمهم مؤسّسة إبراهيم آل إبراهيم الخيرية، وهي المؤسّسة التي دعمت ٦٠٠ زواج في ٨ مناطق من المملكة، كان منها هذا الزواج الذي حصل في محافظة خليص.

وإخواننا في الأحساء، لهم مهرجانات زواج جماعي، تشكلت بينها لجنة تنسيقية، وخلال هذه الأيام يزفّ أكثر من ١٤٠٠ شاب وفتاة في مهرجانات الأحساء.

أسباب التراجع

إننا نتساءل: لماذا انحسرت هذه الظاهرة التي انبثقت في القطيف، بينما تلقفتها المناطق الأخرى واستفادت منها؟! لماذا تجهض الأفكار الإيجابية؟

نحن نفرح عندما تكون مثل هذه المهرجانات في المناطق الأخرى، لكننا نتألم عندما يحرم مجتمعنا من ذلك، إن بعض المناطق في القطيف، التي كانت تحيي مهرجانات الزواج الجماعي، ما عادت تتمكّن من إحيائها الآن، كما هي حال مدينة القطيف نفسها، التي كان فيها مهرجان للزواج الجماعي، لكنه انحسر وانتهى بعد سنوات قليلة من بدئه، وتشاركها في ذلك بعض المدن والقرى، التي انحسرت هذه الظاهرة فيها أيضًا، كما أن بعض البلدات تعاني من ضعف الإقبال، فلا يلتحق بالمهرجان إلا عدد قليل.

إن أيّ عاقل يرى أن هذه الظاهرة إيجابية، وأكبر دليل على ذلك أن المجتمعات الأخرى قد تلاقفتها، واستفادت منها.

في بعض الأحيان يكون السبب حالة التفاخر بين الأسر والعائلات؛ لأن البعض يعتقد أن هذا الزواج الجماعي للفقراء وليس للمتمكنين، ومن العيب أن يزوّج ابنه في الزواج الجماعي، وهذه فكرة سلبية.

إننا نحتاج إلى جهات تتصدّى لمعالجة هذه الظاهرة، وبخاصة في مدينة القطيف، وإلى أن نستنهض همم شبابنا، ورجالات مجتمعنا، حتى تتكون مبادرة جديدة للتصدي

لهذا الأمر الإيجابي، وعلى رجالات المجتمع وعلماء الدين والوجهاء أن يتقدّموا بالدعم المعنوي والمادي، وبالمشاركة في مثل هذه الأنشطة الاجتماعية المهمّة.

إنني أهيب بكم جميعًا أيها الإخوة إلى تبنّي طرح هذه الفكرة، والترويج لها، والتشجيع عليها، عسى أن يكون هناك من يتبنى.

ولا يفوتنا أن نشيد بإخواننا في مدينة صفوى، الذين طوروا مهرجانهم، بحيث لم يعد يقتصر على الرجال، وإنما صنعوا مهرجانًا موحدًا آخر للعريسات الزوجات، وهي فكرة مبتكرة لم تحصل في مناطق أخرى إلى الآن.

ما أحرانا أن نتلقّف مثل هذه والأفكار الإيجابية، التي تنفع المجتمع وتفيده، ونعمل من أجل تثبيتها وتدويرها فيه.

ثقافة البذل والعطاء

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[سورة سبأ، الآية:٣٩].

الإنسان في هذه الحياة، يمكّنه الله تعالى من كسب المال وتحصيل الإمكانات، وبالتأكيد فإن ذلك لا يحصل إلا بعون الله تعالى؛ لأن الله هو الذي يعطي الإنسان جسمًا وعقلًا، يتحرك بجسمه وعقله، من أجل أن يتحصّل على الرزق والإمكانات، كما أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أودع كنوز الرزق في هذا الكون، ليأكل الإنسان من رزق الله، ويحصل ما يحصل عليه من فضل الله سبحانه وتعالى، ولكن الناس يتفاوتون في قدراتهم وفي بيئاتهم، وفي مدى الجهود الذي يبذلونها من أجل تحصيل الرزق، ولذلك تتفاوت مستوياتهم في الرزق.

وفي بعض الأحيان تكون هناك ظروف معيقة أمام الإنسان، تمنعه من الوصول إلى رزقه، لكن الرزق الذي يحصل عليه الإنسان، عليه أن يعرف أنه مؤتمن عليه، يصرف منه على نفسه ومصالحه، وعلى الحاجات العامة والآخرين، فمن الخطأ الكبير أن يعتقد الإنسان أن ما يحصل عليه من مال هو له فقط.

إن الله سبحانه وتعالى قدّر الأمور، بعض الناس يصلون إلى أرزاقهم مباشرة، بينما البعض الآخر منهم يصلون إلى أرزاقهم بوساطة الآخرين، جعل الله حصصهم في

الرزق مع حصة أولئكم الذين يحصلون على أرزاقهم مباشرة، ولذلك أوجب الله علينا أن ندفعها إلى من لم يتمكن من الوصول إليها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[سورة الذاريات، الآية: ١٩]، وفي آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[سورة المعارج، الآيتان: ٢٤-٢٥]، لذلك على الإنسان أن يعرف أن المال الذي عنده ليس له فقط، وإنما فيه حصص للآخرين، وللشأن العام.

البذل بركة وضمان

كما أن ما ينفقه الإنسان على الشأن العام يعود عليه بالنفع، باعتباره جزءًا من هذا المجتمع، وكذلك باعتبار ما ضَمِنَ الله تعالى للإنسان من عوض، فهذه مسألة مهمّة جدًّا، لا ينبغي أن نمر عليها مرور الكرام، الإنسان يبذل جهده للحصول على المال ولكسب الرزق، ولكنه لا يضمن أن يوفق في جهده، فكم من إنسان يسعى ويعمل، لكنه لا ينجح فيما سعى إليه.

البعض قد يكون لديه المال، لكنه يضطر لإنفاقه على أشياء أخرى، كأن يصاب هو أو أحد أفراد عائلته بمرض، فيضطر أن يصرف أكثر ماله من أجل مصاريف العلاج، أو يضطر لصرف جزء كبير من ماله جرّاء حدث ما.

إن هذه الحوادث تعوّق الإنسان من أن يتمتع بهذا المال، والشيء الواضح أنه سيفارق هذا المال عندما ينتقل إلى العالم الآخر.

في مقابل كلّ هذه الاحتمالات، فإن الله سبحانه وتعالى يفتح أمام الإنسان شركة تأمينات مضمونة بضمان إلهي، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، إن الله يضمن للإنسان تعويض ما ينفقه في الخير، ويبقى على الإنسان أن يثق أو لا يثق بوعد الله وضمانه، وعليه أن يفكر بموضوعية وعقلانية، فحينما ينفق، فإن ذلك يجلب له المزيد من التوفيق في أعماله التي يسعى فيها، فيدفع عنه المشاكل التي تستهلك ماله، ويكون قادرًا على التمتع بما رزقه الله من أموال، ويمكنّه

من الشعور بالسعادة بهذه الأموال وهذه المكاسب، والأهمّ من ذلك: الثواب العظيم من الله سبحانه وتعالى.

نشر ثقافة العطاء

علينا أن ننشر ثقافة العطاء؛ لأن البعض قد يسأم إذا طرق بابه أكثر من شخص من القائمين على البرامج الاجتماعية، إذ يتبرّم ممن يطلبون منه المساعدة والدعم، قائلًا: للتوّ قد تبرعتُ للجهة الفلانية، وأمسِ قد أنفقت على المشروع الفلاني، وهكذا.

على الإنسان ألا يتبرّم من فعل الخير، فبما أنه يغنم كلّ يوم، فليتبرّع كل يوم أيضًا، لتكون هذه المشاريع من اهتماماته ومصروفاته الدائمة، كما هي الحال مع فواتير الكهرباء والاتصالات الهاتفية وغيرها. فهذا من مال الله، يقول تعالى: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[سورة النور، الآية: ٣٣].

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «يا ابن آدم، أَنْفِقْ، أُنْفِقْ عليك»[١].

وعنه ﷺ: «من يبسط يده بالمعروف إذا وجده، يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته»[٢].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن فإن صدقته تظله»[٣]، وعنه ﷺ: «ما نقص مال من صدقة قطّ، فأعطوا ولا تجبنوا»[٤]، لا يكن الإنسان جبانًا في العطاء، فإذا دار صراع في نفسه بين الرقم الأقل والأكثر، فليدفع الأكثر، ولينتصر على نفسه. هذا ما تعلّمنا إيّاه النصوص ويربّينا عليه الإسلام.

---

(١) كنز العمال. ج٦، ص٣٦١، حديث١٦٠٦٥.

(٢) الكافي. ج٢، ص١٥٤.

(٣) وسائل الشيعة. ج٩، ص٣٦٩، حديث١٢٢٥٨.

(٤) بحار الأنوار. ج٩٣، ص١٣١.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من أيقن بالخلف، جاد بالعطية»[١]. ويقول عليه السلام: «لم يرزق المال من لم ينفقه»[٢].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لأعمال الخير والبذل والعطاء، وأن نشجّع الناس على ذلك، فالقائمون على أعمال الخير يجب ألا يخجلوا من طلب الدعم والمساعدة، بل يجب أن يلحّوا، وأن يذهبوا مرارًا متعدّدة لأصحاب المال، وأصحاب الإمكانات؛ لأن ذلك في مصلحتهم ومصلحة المجتمع.

---

(١) وسائل الشيعة. ج٩، ص٣٧٠.
(٢) جامع أحاديث الشيعة. ج٨، ص٣٥٠.

الجمعة 24 رجب 1430هـ | 17 يوليو 2009م

الخطبة الأولى

حماية البيئة البحرية مسؤولية الجميع

﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة الأعراف، الآية:٥٦].

آيات كثيرة في القرآن الكريم تحذّر من الإفساد في الأرض، ويمكننا أن نتصوره على وجهين:

الوجه الأول: الفساد الاجتماعي، أي: انتشار الفساد في المجتمع البشري، وهو ما يشمل الانحرافات، والموبقات، والجرائم. فالشقاء يسود أيّ مجتمع ينتشر فيه الفساد، وينعدم فيه الأمن، وتنحسر فيه القيم والأخلاق.

الوجه الآخر: الفساد البيئي، أي: تدمير موارد البيئة، وتلويثها. فهذه الطبيعة التي تعيش في أحضانها، خلقها الله تعالى لك، الأرض التي تعيش عليها وفيها الثروات والإمكانات، هواء تستنشقه، وماء تشربه، وتستفيد منه في مختلف الجوانب، وتشاركك هذه الطبيعة مجموعة كبيرة من الكائنات الحية والنباتات.

والبيئة هي: (كل شيء يحيط بالإنسان)، وهي (الإطار الذي يمارس فيه الإنسان حياته من أرض وماء وهواء وكائنات). هذه البيئة الطبيعية خلقها الله سبحانه وتعالى ووضعها على نحوٍ متوازن، ضمن نظام وقانون، وعلى الإنسان أن يحافظ على هذه البيئة التي

يعيش في رحابها، فلا يفسد فيها. إنه يستفيد من خيراتها ضمن نظام مصلحة البيئة، بحيث لا يتعدّى فيكون مفسدًا.

وهو أمر يمكننا أن نفهمه من خلال القرآن الكريم، إذ يتحدّث الله سبحانه عن الفساد، فيشير إلى ما يرتبط بالبيئة والحياة العامة، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٠٥]. فالإضرار بالحرث والنسل مصداق للفساد، أنت مؤتمنٌ على هذه البيئة وخليفة الله في هذه الأرض، والمطلوب منك عمارة الكون، ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[سورة هود، الآية: ٦١].

في بعض الأحيان، وبدافع الجشع أو التلهّي والعبث، يفسد الإنسان أجواء هذه البيئة، ويتعدّى على مواردها، بما يزيد عن حاجته، المطلوب منك الاستفادة من البيئة، وليس هدر مواردها من غير فائدة؛ لأنها ليست ملكك وحدك، بل هي للأجيال بعدك، كما أن العبث بالبيئة يؤثر على حياة الإنسان بوجه عام، فالله سبحانه عندما خلق الحياة جعل فيها توازنًا، وقد وجد العلماء في بعض المناطق، أن انقراض بعض الحشرات أوجد خللًا بيئيًا، كلّ نبتة، وكلّ مخلوق في هذه الحياة له دور، قد تجهل دوره وقيمته، لكن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئًا عبثًا، لذلك على الإنسان أن يحافظ على هذه البيئة.

البيئة البحرية

يقول أمير المؤمنين ؈: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وبِلادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ والْبَهَائِمِ»[١]. لنتحدث الآن عن مشكلة تعانيها منطقتنا، وهي العدوان على البيئة البحرية، وتدمير موارد ثروتها. إن هذا الخليج الموجود على سواحل منطقة القطيف، المعروف بخليج تاروت، الذي يمتد من رأس تنورة حتى الدمام، ويمرّ على العديد من

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٦٧.

القرى والمدن، بدءًا من صفوى، والعوامية، والقطيف، وسيهات، وعنك، يعتبر محمية بيئية، كما تشير مراكز الأبحاث. فحسب معهد البحوث التابع لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن أن به أكبر كثافة في العالم لأشجار (القُرْم) وتسمى (المانجروف).

شجر القرم

يعتبر شجر القرم، من أهم مناطق الحضانة والرعاية والتغذية للأحياء البحرية، خصوصًا الروبيان، بالإضافة إلى صغار السمك، حيث يتكون ما يقرب من ثلث غذائها إما من أغلفة الشجرة، أو من الكائنات البحرية اللا فقارية التي تعيش هناك.. وهو ملجأ للطيور المستوطنة والمهاجرة، وهذا ما ذكرته منظمة الطيور الدولية، إذ وصفت هذا الخليج بأنه منطقة مهمّة للطيور، كما ويساهم في زيادة نسبة الأكسجين، ويقلّل من نسبة تسخين المناخ، باعتباره ممتصًا للحرارة، ويمتص الملوثات الكيميائية والبترولية التي تعج بها شواطئنا، وخصوصًا في السنوات الأخيرة. كما أنه يقوم بدور المصدّ الطبيعي للأمواج العاتية، وقد ذكر بعض الباحثين أنها: تساعد على تكوين التربة، عن طريق تجميع الرواسب حول الجذور الدعامية، والجذور الهوائية التنفسية في المواقع المحمية، كما تقوم بتنقية ماء الجريان السطحي الأرضي، وكذلك إزالة المادة العضوية الأرضية.

وينتج شجر القرم كميات كبيرة من الفتات، الذي يشارك بدوره في إنتاجية العديد من الكائنات الشاطئية. وتعتبر النبتة أوساطًا للعديد من الأسماك الصغيرة. واللافقاريات، والعديد من النباتات والحيوانات (العالقة)، وكذلك الطيور الكبيرة، حيث توجد شبكات غذائية تعتمد على الإنتاج العضوي لمستنقعات الأيكات الساحلية.

وذكر رئيس المهندسين في شركة (سافكو) المهندس حسين الحجري: «إن غنى مستنقعات شجر القرم بالكائنات البحرية أعطى أهمية اقتصادية. فالبيئة الساحلية الغنية بأشجار القرم من أنسب المناطق لتكاثر وحضانة أنواع الأسماك مثل الروبيان

والسرطان وذي الصدفتين والقشريات الأخرى وأنواع الحياة البحرية المختلفة. ففي هذه الأماكن تتوفر لها فرص الغذاء الملائم والتعايش ومناطق وضع البيوض، إضافة إلى أهميتها لأغراض الحياة المائية، فإنها تساهم في توفير الحياة لأنواع مختلفة من الطيور، كمناطق تناسب حياتها وكموَارِد لغذائها، وتوفر لها سبل الحماية كذلك.

كما تعمل أشجار القرم على تزويد المياه المحيطة بها بكمية كبيرة من المواد العضوية التي تساهم في إثراء البيئة المائية من حولها، وزيادة الغذاء لأنواع الكائنات البحرية، وذلك من خلال تساقط أوراق تلك الأشجار في البيئة المائية وتحلّلها لمركباتها الأصلية. وتعتبر هذه الميزة من العوامل التي تساهم في وفرة الإنتاجية الأولية لهذه البيئة، وبالتالي فانحسار هذه النباتات يؤثر سلبًا على الثروة البحرية»[1].

فهو محمية طبيعية حباها الله لهذا الخليج، ووفّر عبرها ثروات سمكية، عاشت عليها أجيال متتالية. إن ما يحصل اليوم من قتل لأشجار المانجروف، يضرّ بالبيئة بشكل بالغ. إن هذه الأشجار تعتبر ثروة لا تقدّر بثمن، ويمكن بناء المنشآت الحديثة وأشباهها في أماكن أخرى، لكن الثروات الطبيعية يجب المحافظة عليها؛ لأن مكانها هو الأنسب لها، وهو المكان الذي اختاره الله سبحانه حسب دورة الطبيعة، لكن هناك جهات تريد حرمان هذه المنطقة من هذه المحمية الطبيعية، والثروة المهمّة للأجيال.

حماية الحياة الفطرية

لقد بدأت عمليات الردم للشواطئ المواجهة لمدينة صفوى ورأس تنورة، بحجة بناء جسر، رغم توصيات الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية، ورفض وزارة الزراعة، ورفض اللجنة المشكلة بالأمر السامي، حيث صدرت أوامر ملكية آخرها بتاريخ ١٤١٩/٩/١٥هـ، بمنع الردم على الواجهات البحرية التي تسبب ضررًا على البيئة،

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد ٩٨٨٦ بتاريخ ٢١ ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

والمصلحة العامة، وقد صرّح الدكتور ناصر الصالح المدير العام للشركة السعودية للأسماك بأن «محصول الصيد في خليج تاروت انخفض بنسبة ٢٠٪ بسبب عمليات الردم منذ عام ١٩٩٠م»[1]؛ لأن الردم سبب تدمير البيئة الحاضنة لصغار الأسماك.

تدمير الثروة الطبيعية

برغم ذلك، فإن هناك جهات إما بدافع الطمع، أو بدافع الجهل، لا تزال تمارس التدمير لهذه الثروة الطبيعية، وهنا أدعو الناس جميعًا للوقوف في وجه هذه المحاولات، فهذه الثروة هي للوطن كلّه، وأبناء المنطقة مسؤولون عن حمايتها، فهم أكثر تضرّرًا من الاعتداء عليها. ولا يفوتني أن أشكر الأخوة في الجمعية التعاونية لصيادي الأسماك في صفوى، لوقوفهم في وجه هذه المحاولات. هذه الجمعية التي تأسّست منذ عام ١٣٩١هـ، وهي اليوم تقف أمام هذا العدوان، إننا نشكرهم على دورهم الحضاري الوطني، ونطالبهم بالثبات والصمود، للدفاع عن أرزاقهم، وحقوق مجتمعهم، ومصلحته وبيئته، كما ندعو المسؤولين ألا يسكتوا على هذا العبث، وعلى المجتمع أن يقوم بدوره، وخاصة المجلس البلدي، الذي يتحمل مسؤولية كبيرة في هذا المجال.

أيّ محاولة تتم للاعتداء على هذه الشواطئ من دون موافقة الجهات المعنية، وخلافًا لمصلحة المنطقة، ومصالح أهاليها، فهو فساد وإفسادٌ في الأرض يجب الوقوف أمامه.

لا شك أن قيادة البلد لا يرضيها ما يحدث، لكنها قد لا تسمع بما يحدث، وقد تصلها تقارير وأخبار غير صحيحة لتمرير الموضوع، لهذا علينا أن نخاطبهم، ونوصل لهم حقيقة ما يجري، من عدوان على البيئة البحرية، خلافًا للتوجيهات والأوامر الملكية.

(١) جريدة عكاظ العدد ٢٨٩٤ بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ.

الخطبة الثانية

في رحاب الإمام الكاظم

جاء في وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم:

«يا هشام، لكلّ شيء دليل، ودليل العاقل التفكر.

يا هشام، لو كان في يدك جوزة، وقال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة. ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس: إنها جوزة ما ضرّك وأنت تعلم أنها لؤلؤة.

يا هشام، إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول»[1].

ونحن نعيش ذكرى استشهاد الإمام السابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، (ولد ١٢٨هـ ـ استشهد ١٨٣هـ) لا بُدّ أن نقف في رحابه الطاهر، لنستظلّ بظلّه الوارف، ونأخذ من نوره شعاعًا يضيء لنا الطريق. نقف أولًا لنتعرف إلى شخصية الإمام، فهو الإمام موسى الكاظم، عرف بهذا اللقب لما اشتهر عنه من كظمه للغيظ.

عاصر أباه الإمام الصادق عليه السلام حتى توفي سنة ١٤٨هـ، فتولى الإمامة وعمره عشرون سنة.

---

(١) بحار الأنوار. ج١، ص١٥٥.

معاناة الإمام

عاش تجربة السجون، فاعتقل عدّة مرات منذ عهد المهدي العباسي، حتى عرف بحليف السجون.

واعتقل مرّةً أخرى سنة ١٧٩هـ في عهد هارون الرشيد، سيّر من المدينة للبصرة وأُودع في سجن عيسى بن أبي جعفر.. وبعد سنة حمل إلى بغداد، وأمر باعتقاله عند الفضل بن الربيع. عانى معاناة لم يُعَانِها أحد من أئمة أهل البيت بعد الإمام الحسين من القسوة والأذى. فقد عاش سنوات من حياته ينقل من سجن إلى سجن، ومن طامورة إلى طامورة. وكانت تحيط باعتقاله القسوة، حتى إنه وضع في سجن ضيق، وفي طامورة لا يعرف ليلها من نهارها، وفي بعضها كان مثقلًا بالحديد، حيث تشير بعض الروايات أنه قيّد بثلاثين رطلًا من الحديد في سجن السندي بن شاهك.

ونتلمّس مدى معاناة الإمام مما حصل له في السجن، من أحد أدعيته في السجن، يقول: (يا سيدي، نجّني من حبس هارون، وخلّصني من يده، يا مخلّص الشجر من بين رمل وطين، ويا مخلّص النار من بين الحديد والحجر، ويا مخلّص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلّص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلّص الروح من بين الأحشاء والأمعاء، خلّصني من يد هارون)[١].

رسالة العقل

ثم نقف ثانيًا: مع وصية له، تعرف بـ(رسالة العقل)، هذه الوصية موجودة في الكتب التي تناولت حياة الإمام الكاظم، وهي وصية رائعة، وجّهها الإمام لهشام بن الحكم، هذا العالم المفكر المناضل دون مدرسة أهل البيت ﷺ، صاحب المناظرات المعروفة في علم العقيدة والكلام، الذي كان عبقريًّا منذ حداثة سنه، وكان الإمام الصادق يقدّمه

---

(١) وسائل الشيعة ج٥ ص٢٦٥.

على شيوخ أصحابه، ويدنيه من مجلسه. إنها وصية رائعة تستحق الدراسة والبحث، وإليكم بعض الفقرات منها:

يقول الإمام عليه السلام: يا هشام، إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة لله، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلًا، وأعقلهم أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام، كان أمير المؤمنين يقول: ما من شيء عبد الله به أفضل من العقل.

يا هشام، ما قسم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل. وما بعث الله نبيًّا إلا عاقلًا حتى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين وما أدى العبد فريضة من فرائض الله حتى عقل عنه.

مدرسة العقل

وصية رائعة، كل فقرة من فقراتها تحتاج إلى تأمل وتفكير، هذه الوصية تؤكد ميزة أساسًا لمدرسة أهل البيت، إنها مدرسة العقل والمنطق، في مقابل مدارس أخرى غيّبت العقل، واعتمدت الأوهام والتخرّصات. أما مدرسة أهل البيت فهي مدرسة أصيلة، التزمت بنهج القرآن الكريم، ولذلك أكدت على العقل، الإمام يقول: «إن لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة» وهم الرسل والأنبياء والأئمة «وحجة باطنة» وهي (العقول). لذلك عليك أن ترجع إلى عقلك، وأن تستفيد منه، ويوم القيامة يحاسبك الله على أساس عقلك. إن الله لا يقبل منك أن تقول سمعت الكلام الفلاني أو اتّبعت الشخص الفلاني، إذ يُرَدُّ عليك: ألم أمنحك عقلًا حتى تفكر به؟ لماذا لم تستخدم عقلك؟ فعقلك حجة عليك. ومن المؤسف أن هذه المدرسة التي تعتمد العقل والمنطق، ابتليت في بعض الأزمنة، ومنها زماننا هذا، ببعض التوجّهات التي تعتمد

إثارة أسلوب الخرافات والأساطير والأوهام، والروايات التي لم توثق، وبذلك تشوه مدرسة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾.

خطاب يشوّه التشيع

هناك بعض الخطابات المنتمية لمدرسة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، لكنها تعطي صورة مشوهة عن هذه المدرسة المشرقة، في الماضي كانت محدودة الانتشار، أما اليوم فمجالها الفضاء الواسع، وشبكة الإنترنت التي تصل من أقصى الأرض إلى أقصاها. فما عاد هناك خطاب للداخل وخطاب للخارج. لهذا نجد في بعض ما يبث ما لا يتناسب مع فكر أهل البيت ومدرستهم، فهل مدرسة أهل البيت تعرض بهذا الشكل؟ أليست مدرسة العقل والمنطق؟ فكيف تعرض بأنها مدرسة الأساطير والأحلام؟

لا يُنكر أن هناك أحلامًا صادقة، لكنها ليست مصدرًا للمعرفة، ونحن لا ننكر أن لهذا النوع من الخطاب جمهوره، لكنها تضرّ بصورة هذه المدرسة.

يجب عرض منهج أهل البيت من خلال كلامهم وسيرتهم، كهذه الوصية للإمام الكاظم ﴿عليه السلام﴾. لو أن مثل هذه الوصايا تطرح وتشرح وتناقش، ويستنبط منها ما يفيد الناس في حياتهم، وأسلوب معيشتهم، لكان لها دور عظيم في التعريف بهذه المدرسة، وهذا مصداق قول الإمام الرضا ﴿عليه السلام﴾: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»، فيُسأل الإمام: كيف يحيي أمركم؟ قال ﴿عليه السلام﴾: «يتعلم علومنا وينشرها بين الناس، فإن الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتّبعونا»[1]، لسنا بحاجة إلى روايات ضعيفة، وإلى قصص مختلقة لكي نستقطب الناس إلى مدرسة أهل البيت، فكلّ كلمة من كلمات نهج البلاغة، وكلّ دعاء من أدعية الصحيفة السجادية، وكلّ فقرة من فقرات رسالة الحقوق، وسائر تراث أهل البيت، لو عرض للعالم بالطريقة الصحيحة المناسبة، لكان أفضل رسالة ودعاية لهذه المدرسة الأصيلة.

(١) عيون أخبار الرضا. ج٢ ص٢٧٥.



الخطبة الأولى

الرضا بالقضاء والقدر

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[سورة الحديد، الآية:٢٣]

يسعى الإنسان في هذه الحياة، لنيل أكبر قدر من المكاسب لنفسه، وتجنّب أيِّ قدر من الأضرار. إنه يرغب في حيازة الخيرات لنفسه، وإبعاد المساوئ عنها، لكن الإنسان قد لا يتحقق له كلّ ما يريد ويتمنى. إن بعض مايتمنى الإنسان ويرغب فيه يتحقق له، لكن هناك ما لا يتحقق. بعض المساوئ والأضرار يستطيع الإنسان تجنبها، لكنه قد يقع في بعض الأضرار بلا إرادة منه.

في هذه الحالة، كيف يتعامل الإنسان مع حالتي الكسب والخسارة في هذه الحياة؟ مع حالة الخير أو مع حالة الشرّ؟

القرآن الكريم يؤسِّس للإنسان وعيًا سليمًا، يتعامل على أساسه، مع هذه الحالات المختلفة، وهذا الوعي يرتكز على نقاط:

1. فهم طبيعة الحياة

١. أن يعلم الإنسان أن أحداث الحياة لا تحصل بالصدفة والاتّفاق، الحياة لها نظام، وهناك سنن، لا يحصل شيء في الحياة اعتباطًا وصدفة، كما يدور على بعض ألسنتنا مجازًا. فأنت قد تراها صدفة، لكنها جاءت ضمن نظام

وقانون، يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[سورة القمر، الآية:٤٩]، ويقول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[سورة الحديد، الآية:٢٢]. إنّ كلّ ما يحصل من أحداث وحوادث فهي في علم الله، وهي في كتاب نظام الكون والحياة. وبالتالي فإن على الإنسان أن يعرف أن ما يجري من قضايا وأحداث في الحياة، إنما يجري ضمن هذا النظام، وضمن هذه السنن التي تسيّر الكون والحياة.

٢. الإنسان يصيبه نوعان من المشاكل والمصائب، فهناك مصائب مفروضة على الإنسان، لا اختيار له فيها، وذلك حينما تحصل كوارث طبيعية، فهي مفروضة من قبل القوانين الطبيعية، وليس بيد الإنسان أن يتجنّبها، وكذلك بعض النواقص في جسم الإنسان، وبعض العاهات التي تولد معه، أو تحدث له بسبب أو آخر، إذ قد يفقد نعمة البصر، أو يفقد نعمة السمع، وقد تكون فيه عاهة من العاهات، وهو أمر لا اختيار للإنسان فيه، إنه أمر مفروض وجد الإنسان نفسه ضمن هذه الحالة.

وهناك نوع آخر من المصائب والمشاكل، هي نتاج لعمل الإنسان، كأن يقصّر في دراسته فيقع في الرسوب، أو يقصّر في عمله فتحصل له مشكلة، أو يسيء اختيار بعض الأساليب فيتورط، إن هذه المشاكل والمصائب هي نتاج عمل الإنسان، والقرآن الكريم يفرّق بين هذين الأمرين، تقول الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[سورة الشورى، الآية: ٣٠]، كما أن بعض المشاكل والمصائب هي نتاج عمل الإنسان واختياره، وبعضها يكون مفروضًا عليه.

٣. على الإنسان أن يبذل كلّ جهده وطاقته لنيل المكاسب واجتناب الأضرار، وعليه أن يسعى بهذا الاتجاه، وإذا وقع في مشكلة، عليه أن يفكر في الخلاص منها. إنّ كثيرًا من المشاكل قد تصيب الإنسان، ويستطيع تجاوزها، أو على

الأقل أن يخفّف منها، وأن يقلّل من مضاعفاتها، لا يصحّ للإنسان أن يستسلم أمام المشاكل، وأن يقبل بها كما هي.

2. لا للتأزّم النفسي

ولكن إذا كان الإنسان في وضع لا يستطيع معه التغيير، كما إذا كانت المشكلة من النوع الأول، المفروضة على الإنسان، فماذا يعمل إن وجد نفسه في هذه الحالة، أو كانت هذه نهاية جهوده وسعيه، بحيث لا يستطيع أن يصنع أكثر مما صنع، ماذا يفعل حينئذٍ؟

هنا تكون إحدى حالتين: إما حالة النقمة والاكتئاب، وهذا يعني أن تتضاعف المشكلة عليه، ولا يتلمس الطريق من أجل حلّها، والحالة الأخرى أن يستقبل الأمر برضا وتسليم، حينما لا يمكن للإنسان أن يتجاوز المشكلة، كما لو حدث له حادث، وأصيب بعاهة. فهذا قضاء وقدر، بغض النظر عن دوره في حصول ما حصل، لكنه قد حصل، وعلى الإنسان أن يتكيف مع هذا الأمر الواقع، هنا تأتي الآية الكريمة: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[سورة الحديد، الآية:٢٣] ومعها النصوص الكثيرة، التي توجّه الإنسان لكي يكون راضيًا بقضاء الله تعالى وقدره، كما نقرأ ذلك في دعاء كميل: «واجعلني بقسمك راضيًا قانعًا»، إذ على الإنسان أن يرضى عن قضاء وقدر الله، فهذا هو الواقع الذي تعيش فيه، ما دمت لا تستطيع أن تتجاوزه.

إن الرضا عن الله هو أعلى درجات اليقين. ذلك أن بعض الناس حينما تصيبه مشكلة، تكون في نفسه غضاضة، وكأنه يعاتب ربّه، يا ربّ، لماذا حصل هذا الشيء؟ لكنه لا يعلم أن ما حصل له قد يكون دافعًا لما هو أسوأ، ففي بعض الحالات قد يكون الخير سببًا لحصول مشكلة للإنسان، وقد يكون السوء سببًا لخير يحصل للإنسان، وهذا ما نراه في حالات كثيرة. لذلك على الإنسان أن يكون راضيًا عن الله تعالى، لا يشعر في داخل نفسه بأيِّ لون من ألوان الاكتئاب والعتاب، وعدم الرضا.

حدثني أحد أقرباء عالم من العلماء في القطيف، في منطقة الدبابية، وهو الشيخ أحمد السويكت رحمه الله، وكان عالمًا فاضلًا، لكن ظروفه الاقتصادية كانت صعبة، وكان يعيش على ما يكتب من أوراق للناس، ككتابة وصية أو مبايعة. حدثني أنه في يوم من الأيام، وكان يومًا قائظًا، وللشيخ غرفة صغيرة، وأمام الغرفة عراء وشمس، جاءه شخص عند الظهر، حتى يكتب له مبايعة أو وصية. وتلبية لطلبه، دخل الشيخ الغرفة يريد أن يكتب لكن الحرّ شديد، والغرفة خانقة، فما استطاع أ ن يكتب. واضطر أن يخرج خارج الغرفة فكانت حرارة الشمس لاهبة، وما استطاع أن يكتب أيضًا، وكان متألمًا لهذه الحالة التي يعيشها. ثم تذكر أن له صديقًا يمتلك بيتًا فارهًا، وله غرفة في الطابق الثالث، لها نوافذ مفتوحة في الاتجاهات الأربعة، كانوا يسمونها خلوة، فلبس عباءته وعمامته بسرعة، وراح حتى يجلس في تلك الخلوة لصديقه ويكتب الورقة.

في الطريق، كان يدور في نفسه هذا التساؤل: يا ربّ، أهكذا أعيش؟ والإنسان غير محاسب على الهواجس النفسية التي تدور في نفسه، وصل إلى الغرفة الخلوة ورأى صديقه في تلك الغرفة يستقبل الهواء من أربعة أطراف، قال له: هنيئًا لك، هنيئًا لك، تعيش هذا الوضع، هذي الحياة، لكن هذا الرجل كان مصابًا بالربو، وبمرض في رئته يمنعه من التنفس، التفت وقال له: يا شيخ، الهواء جيّد، لكني لا أقدر على التنفس، ولا أستفيد من هذا الهواء، أعطني صحتك وخذ هذه الخلوة، أعطني الصحة التي عندك، وخذ هذا البيت. ففهم الشيخ الحكمة وخرج سريعًا وهو يقول: رضيت ياربِّ بما كتبت لي. لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾[سورة البقرة، الآية:٢١٦]. إن الإنسان في بعض الأحيان لايعلم بالضبط ما هي المصلحة في وضعه، وهذا لا يعني أن عليه أن يقبل بالواقع السيئ، بل عليه أن يحاول تجاوزه، لكن إذا تعذّر عليه الأمر، يكون راضيًا بما قسمه الله تعالى له.

الخيار الأسهل والخيار الأفضل

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الأعمال أحمزها»[1].

قد يجد الإنسان نفسه أمام خيارين لبلوغ ما يريد: خيار أسهل، وخيار أفضل. فالخيار الأسهل هو الذي لا يكلّفه جهدًا كثيرًا، لكن نتاجه بالطبع يكون قليلًا، أما الخيار الأفضل، فالذي يكون نتاجه كبيرًا، لكنه يستلزم جهدًا إضافيًّا. والكثير من الناس غالبًا ما يختارون الأسهل في حياتهم؛ لأن الفارق فيهما بذل مزيد من الجهد، ومن لا يريد أن يتعب نفسه، يسلك الطريق الذي لايكلّفه جهدًا كثيرًا.

نجد هذا في اختيارات الطلاب ـ مثلًا ـ في دراستهم، يريد أن يلتحق بالمرحلة الثانوية، فهناك قسم علمي وقسم أدبي، أيّهما أسهل وأيهما أفضل؟ هنا يجد الإنسان نفسه أمام هذ المعادلة.

وبعد أن ينتهي من الثانوية، يريد أن يلتحق بإحدى الجامعات في أحد التخصصات، هناك ما هو أسهل وهناك ما هو أفضل.

طلابنا الذين يدرسون في أمريكا، أو في البلدان الأجنبية، هناك جامعات قوية، والوصول إلى هذه الجامعات موقع تنافس، لكن حسبما تشير التقارير من الملحقيات الثقافية التعليمية للسعودية: أن أكثر الطلاب يعزفون عن الجامعات القوية؛ لأنها

---

(١) بحار الأنوار. ج٦٧، ص١٩١.

صعبة، يسألون عن الجامعة الأسهل، بالطبع هؤلاء يفوتون على أنفسهم فرصًا كبيرة.

في بعض الأحيان يأتي بعض الأشخاص عنده فرصة عمل خارج منطقته، في مقابل فرصة عمل داخل المنطقة. فرصة العمل خارج المنطقة أكثر امتيازًا، وفي المنطقة أقلّ امتيازًا، فيختار الخيار الأسهل، وإن كان على حساب مستقبل أفضل.

هذا نمط من التفكير الشائع، وهو اختيار الأسهل.

الوظيفة: خيار أسهل

إن أكثر أبنائنا يرون أن الوظيفة هي الخيار الوحيد أمامهم في الحياة، طبعًا الوظيفة خيار أسهل؛ لأن الإنسان إذا صار موظفًا له دوام محدّد، ولا يتحمّل مسؤولية، وخاصة إذا كانت وظيفة حكومية، يعمل على راحته، وقلة من الناس يتحركون باتجاه فرص العمل الأخرى، كالعمل الحرّ، والعمل التجاري، وكأنه لا وجود لهذه الفرص، مع أن بلادنا تعجّ وتمتلئ بهذه الفرص. إنّ قليلًا من أبنائنا يتوجّهون للأعمال الحرة، وينشئون المؤسسات أوالشركات.

بعض المجتمعات تكون الثقافة السائدة في عوائلها وأوساطها، هي ثقافة توجيه الأبناء للعمل الحرّ، وبعض المجتمعات تكون هذه الثقافة فيها ضعيفة. إن الأجانب يأتون إلى بلادنا ويشقّون طريقهم، يتحوّلون إلى تجار، وإلى أصحاب مؤسّسات وشركات، وابن البلد يبحث عن الشيء الأسهل.

بعض الناس يضعون مبررات بأن العمل الحرّ يحتاج رأس مال، وتواجهه صعوبات قانونية، مع أن الذي يريد أن يصبح تاجرًا لن يجد الطريق مفروشًا أمامه بالورود، من دون مشاقّ ومشاكل، لكن هذا هو الخيار الأفضل، لماذا تبحث عن الخيار الأسهل؟

علينا أن ننشر هذه الثقافة بين أبنائنا، لماذا يبقى الواحد منّا موظفًا طول حياته؟

إن الله تعالى أعطاك إرادة وأعطاك عقلًا، تستطيع أن تذلّل به المشاكل، وأن

تتجاوز به العقبات، فلماذا تخضع للمشاكل والعقبات؟ لماذا تكون موظفًا محدود الدّخل، وبإمكانك أن تكون رجل أعمال، وبإمكانك أن تكون ثريًّا؟

حالة الفقر السائدة في مجتمعنا ليس بمعنى أن الواحد لا يجد ما يأكل، لكن الدخل المحدود يمثل حالة فقر، لماذا نعيش مثل هذا الوضع؟

العمل الحر: الخيار الأفضل

علينا أن نتشجع ونشجع أبناءنا على العمل الحرّ، فإنه يصقل شخصية الإنسان، لما فيه من تحمل مسؤولية ويوسع أفق الإنسان، وقد سمعت قصصًا كثيرة من أشخاص كنت أعرفهم محدودي الدخل، فلما دخلوا مجال العمل الحرّ أصبحوا أهل خير.

وأيضًا فالعمل الحرّ إسهام في تنمية المجتمع، لأن الموظف مستهلك في المجتمع، بينما صاحب العمل الحرّ منتج، يوفّر فرص عمل للآخرين، بدل أن يكون باحثًا عن فرصة عمل. ثم إن العمل الحرّ يعطي الإنسان حرية الحركة، بينما الموظف أسير في وظيفته، وعند من يعمل عنده. لذلك وردت النصوص تشجّع على التجارة، وعلى العمل الحرّ، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تسعة أعشار الرزق في التجارة»[١]، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ: «تعرّضوا للتجارة فإن فيها غنى لكم عمّا في أيدي الناس، فإن الله يحبّ المحترف الأمين»[٢].

وعن الإمام الصادق ؑ: «التجارة تزيد في العقل»[٣]؛ لأن التاجر يعرف أمور الحياة من خلال عمله التجاري، يقول المعلى ابن خنيس: رآني أبو عبد الله الصادق ؑ وقد تأخّرت عن السوق، فقال: «اغدوا إلى عزّك»[٤]. إن السوق عزّ، العمل الحرّ والتجارة

---

(١) الكافي. ج ٥، ص ١٤٨.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠، ص١٠٠.

(٣) الكافي. ج٥، ص١٤٨.

(٤) موسوعة المصطفى والعترة، ج ٩، ص١٤٦

عزّ للإنسان، والمجتمع الذي يزيد فيه الأثرياء والتجار ورجال الأعمال يكون أعز، وأقدر، بينما مجتمع الفقراء، مجتمع محدودي الدخل، لا يأخذون موقعهم في أيّ وطن وأيّ بلد، وَرَدَ أنّ أحدهم يقول للإمام الصادق عليه السلام: «إني قد هممت أن أدع السوق وفي يدي شيء، قال الامام الصادق عليه السلام: إذًا يسقط رأيك ولا يستعان بك على شيء»[1]. نرى قوائم عن كبار الشركات والمؤسّسات، يأسف الإنسان ألا يجد أسماء من أبناء مجتمعه في هذه القوائم، مع أن أباءنا كانوا يقودون حركة تجارية ضخمة.

علينا، أيها الأحبة، أن ننشر هذه الثقافة في أوساط مجتمعنا، أن يتحلّى أبناؤنا بروح المغامرة، وتحمل المسؤولية، وأن نتعاون فيما بيننا على هذا الأمر، من أجل أن نفتح مختلف السبل أمام أنفسنا، وأمام أبنائنا للعمل، ولتكوين الثروة، ولتنمية المجتمع اقتصاديًّا، فذلك هو ما يرغّبنا فيه الدين.

---

(١) الكافي. ج ٥، ص ١٤٩

الخطبة الأولى

في رحاب شهر النبي الأكرم

عن صفوان بن مهران الجمال قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «حثّ من في ناحيتك على صوم شعبان، فقلت: جعلت فداك، ترى فيه شيئًا؟ فقال: نعم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا رأى هلال شعبان أمر مناديًا ينادي في المدينة: يا أهل يثرب، إني رسول الله إليكم، ألا وإن شعبان شهري، فرحم الله من أعانني على شهري، ثم قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: ما فاتني صوم شعبان منذ سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي في شعبان، ولن يفوتني في أيام حياتي صوم شعبان، إن شاء الله»[1].

نوعية المشاعر والتعاطي مع الزمن

مشاعر الإنسان تجاه أيّ شيء من الأشياء تؤثر على تعامله مع ذلك الشيء، فمثلًا حينما يقبل عليك شخص وفي نفسك مشاعر طيبة تجاهه، تشعر بالبهجة بإقباله عليك، وتتعاطى معه تعاطيًا محترمًا؛ لأن في نفسك مشاعر إيجابية تجاهه. وقد يقبل عليك شخص آخر تكنّ في نفسك تجاهه مشاعر سلبية، فتستعيذ بالله من الشيطان، وتشعر بانزعاج نفسي، وقد يكون الشخص الذي ارتحت للقائه ينزعج منه شخص آخر، أو الشخص الذي انزعجت للقائه، يرتاح إليه شخص آخر. ما الفارق؟

(١) وسائل الشيعة. ج١٠، ص٥٠٨.

إنه نوعية المشاعر النفسية، وكذلك الأمر بالنسبة للمكان: فقد يكون مكان لديك مشاعر إيجابية تجاهه، حينما تدخله تحسّ بالسرور والبهجة، وعلى العكس من ذلك لو كان في نفسك مشاعر سلبية تجاه مكان آخر، ويُماثِلها الطعام، فحينما يتناول الإنسان طعامًا وفي نفسه مشاعر إيجابية تجاهه، فإنه يتناوله بتلذّذ، والعكس من ذلك إذا كانت مشاعره سلبية. وكذلك الحال بالنسبة للزمن، فالنصوص الدينية تزرع في نفس الإنسان المؤمن مشاعر إيجابية تجاه عدد من المقاطع الزمنية، هي الأزمنة المباركة، ولكن هل هناك أزمنة سيئة؟ إن بعض الناس لديهم قناعات بأن هناك أزمنة سيئة، لذلك يتطيّرون منها، وهذا موجود في عادات وأعراف مختلف الشعوب، وهي في كثير من حالاتها ناشئة من خرافات وأساطير.

الخرافة في التعامل مع الأزمنة

الإيرانيون مثلًا، تسود في أوساطهم الشعبية فكرة التشاؤم من اليوم الثالث عشر بداية السنة الشمسية الجديدة، ولذلك يتركون بيوتهم ويخرجون إلى الحدائق والمنتزهات، هربًا من نحوسة ذلك اليوم، ويطلقون عليه اسم (سيزده بيدر)، أي الثالث عشر خارج المنزل.

وفي أوساطنا الدينية هناك تداول لقول بنحوسة بعض الأيام، وأنه ينبغي للإنسان أن يتجنّب فيها السفر والزواج والبدء بأيِّ عمل مهمّ، مثل الأيام التي يطلقون عليها (كوامل)، وهي سبعة أيام من كل شهر، (الثالث والخامس والثالث عشر والسادس عشر والواحد والعشرون والرابع والعشرون والخامس والعشرون).

وليس معروفًا سبب تسميتها بالكوامل، كما لا توجد أيّ رواية حول نحوستها وكراهة الزواج فيها.

ويرجع التشدّد في القول بنحوسة هذه الأيام إلى السيد ابن طاووس الذي ذكر في كتابه (الدروع الواقية) ما يلي:

«دلّت الأخبار على التحذير من العمل فيها بأيّ عمل كان، ولزوم الإنسان بيته، وعدم الحركة لشدّة نحوستها»[1].

وربما استدلّ بعضهم بما ورد في القرآن الكريم من وصف أيام بالنحوسة كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾[سورة القمر، الآية:١٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾[سورة فصلت، الآية:١٦].

وقد رد السيد الطباطبائي في تفسير الميزان على هذا القول بما يلي: «لا يظهر من سياق القصة، ودلالة الآيتين، أزيد من كون النحوسة والشؤم خاصة بنفس الزمان الذي كانت تهبّ عليهم فيه الريح عذابًا، وهو سبع ليال وثمانية أيام متوالية، يستمر عليهم فيها العذاب، من غير أن تدور بدوران الأسابيع، وهو ظاهر، وإلا كان جميع الزمان نحسًا، ولا بدوران الشهور والسنين».[2]

وهناك روايات كثيرة تدعو الإنسان إلى التوكل على الله، والتسلح بالدعاء وتلاوة آيات القرآن، ودفع الصدقة للاحتماء من المخاوف والمخاطر، وعدم الاهتمام بما يثار حول نحوسة الأيام.

عن سهل بن يعقوب قال للإمام علي الهادي ؈: «يا سيدي، في أكثر هذه الأيام قواطع عن المقاصد، لما ذكر فيها من التحيّر والمخاوف، فتدلّني على الاحتراز من المخاوف فيها، فإنما تدعوني الضرورة إلى التوجّه في الحوائج فيها، فقال لي: يا سهل، إن لشيعتنا بولايتنا لعصمة، لو سلكوا بها في لجة البحار الغامرة، وسباسب البيد الغائرة بين السباع والذئاب، وأعادي الجنّ والإنس، لآمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فثق بالله عزّ وجلّ، وأخلص في الولاء لأئمتك الطاهرين، وتوجّه حيث شئت،

---

(١) الشيخ يوسف البحراني. الحدائق الناضرة، ج٢٣، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م، (بيروت: دار الأضواء)، ص٣٩.

(٢) تفسير الميزان. السيد الطباطبائي، ج ١٩، ص ٧٤.

واقصد ما شئت»[١]، وفي الرواية نفي واضح لما يشاع عن نحوسة الأيام وردع عن تلكم الفكرة.

وعن الحلبي عن الإمام جعفر الصادق ، قال سألته: «أَيُكْرَهُ السفر في شيء من الأيام المكروهة الأربعاء وغيره»؟ قال : «افتتح سفرك بالصدقة واقرأ آية الكرسي إذا بدا لك»[٢].

وعن الإمام جعفر الصادق : «من تصدّق بصدقة إذا أصبح، دفع الله عنه نحس ذلك اليوم»[٣]، فما يحتمل أن يكون في ذلك اليوم مشكلة، فالله يدفع عنه البلاء والمشاكل.

وروي عن رسول الله أنه قال: «لا تعادوا الأيام فتعاديكم»[٤].

و يمكننا أن نفهم من الحديث أن الانسان إذا تشاءم من أحد الأيام، هذا التشاؤم يخلق عنده إيحاءً، يتحوّل إلى حالة قلق وانزعاج، ولذلك قال رسول الله : «لا تعادوا الأيام فتعاديكم».

وفي رواية جميلة عن الإمام الصادق حول التطير والطيرة، قال: «الطيرة على ما تجعلها، إن هونتها تهونت وإن شدّدتها تشددت، وإن لم تجعلها شيئًا لم تكن شيئًا»[٥].

هناك أيضًا رواية، أنه كتب أحد البغداديين إلى الإمام علي الهادي ، يسأله عن الخروج يوم الأربعاء لا يدور ـ يعني آخر أربعاء من الشهر، وكان الناس يتشاءمون منه ـ

فأجابه الإمام ـ لاحظوا ما كتبه الإمام ـ: «من خرج يوم الأربعاء لا يدور

(١) بحار الأنوار. ج٩٢، ص١.
(٢) بحار الأنوار. ج٥٦، ص٢٨.
(٣) بحار الأنوار. ج٧٣، ص٢٣٣.
(٤) بحار الأنوار. ج ٥٩، ص ١٣٥.
(٥) الكافي. ج٨، ص١٩٨.

خلافًا على أهل الطيرة وُقي من كلّ آفة، وعوفي من كلّ عاهة، وقضى الله له حاجته»[١].

نلاحظ كيف أن الإمام عليه السلام يشجّع على كسر هذه الحالة، فليس هناك نص ديني ثابت حول هذا المجال، وإنما هي أعراف وعادات وإيحاءات نفسية.

بركة الزمن في الإسلام

وبدلًا من ذلك، نودّ أن نقلب الصورة فنتحدث عن بركة الزمن وبعض الأيام المباركة، وهو ما تشير إليه النصوص الدينية، من بركة بعض الأزمنة، ومنها هذا الشهر الكريم شهر شعبان الذي نحن في رحابه.

فهو من الشهور المباركة، وعلى الإنسان أن يتعامل مع الزمن ككائن حي، يتفاعل ويتجاوب معه، فالنصوص الدينية تريد أن تجعل لك مشاعر طيبة تجاه هذه الأزمنة، إن الإنسان الذي لا يلتفت إلى هذه الأحاديث والتوجيهات، لا يكترث بمجيء شهر شعبان أو ذهابه، لكن الإنسان المؤمن المطّلع على هذه النصوص، مجيء شهر شعبان يشيع البهجة في نفسه، ويجدّد الأمل في قلبه، فينتج عن ذلك ما يلي:

١. تجديد الأمل والحيوية في نفس الإنسان.

٢. الاقتراب إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الأعمال الصالحة والعبادات خلال هذا الشهر الكريم.

٣. إصلاح الذات؛ لأن هذه الأزمنة المباركة هي أفضل وقت للتوبة، وللاستغفار، وتصفية النفس في داخلها، وفي سلوكها الخارجي، عن الأخطاء والثغرات ونقاط الضعف.

لذلك نقرأ في دعاء شهر شعبان المأثور، الذي له إيقاع رائع على قلب الإنسان المؤمن: «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد واعمر قلبي بطاعتك، ولا تخزني

---

(١) وسائل الشيعة. ج ٨، ص٢٦٢

بمعصيتك، وارزقني مواساة من قتَّرت عليه من رزقك بما وسعت عليَّ من فضلك، ونشرت عليَّ من عدلك، وأحييتني تحت ظلك، وهذا شهر نبيك سيّد رسلك، شعبان الذي حففته منك بالرحمة والرضوان».

لاحظ هذه المشاعر الإيجابية تجاه هذا الشهر الكريم، حيث شعور الإنسان وإيمانه بأنه في هذا الزمن المحفوف بالرحمة والرضوان، يعمر قلبه بالأمل، ويشيع في نفسه السرور.

روى بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قوله: «أين أنتم عن صوم شعبان؟ فقلت له: يا بن رسول الله، ما ثواب من صام يومًا من شعبان؟ فقال: الجنة، والله. فقلت: ما أفضل ما يفعل فيه؟ قال: الصدقة والاستغفار، ومن تصدّق بصدقة في شعبان رباها الله تعالى كما يربى أحدكم فصيله حتى يوافى يوم القيمة وقد صارت مثل أحد»[١].

الاستغفار ليس مجرد لفظ، وإنما عزم وقصد على ترك الذنوب والمعاصي، وتصحيح المسار.

والصدقة، وما أدراك ما الصدقة، إن الإنسان في هذا الشهر يفكّر في الناس المقترة أرزاقهم، أي الفقراء والمحتاجون.

كم من العوائل الفقيرة المحتاجة، هؤلاء أمانة، سيسألنا الله سبحانه وتعالى عنهم يوم القيامة، «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع»[٢].

علينا أن نهتم بالعوائل الفقيرة في المجتمع، ولا يجب أن نكتفي بدفع مبلغٍ محدودٍ من المال فقط، فهناك أصحاب خير، يتكفلون ببعض العوائل الفقيرة، لماذا لا يكون لدينا كفالة عائلة بأكملها؟ كما كان أئمتنا (صلوات الله عليهم). وكما هو دأب المؤمنين الصالحين.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج ٩، ص٤٥٧.

(٢) الكافي. ج٢، ص٦٦٨.

الصلح خير

﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[سورة النساء، الآية: ١٢٨].

لأننا نعيش في شهر شعبان، فقد ورد حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن»[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «في أول ليلة من شهر رمضان يغلّ المردة من الشياطين ويغفر في كل ليلة سبعين ألفًا، فإذا كان في ليلة القدر غفر الله له بمثل ما غفر في رجب وشعبان وشهر رمضان إلى ذلك اليوم، إلا رجلٌ بينه وبين أخيه شحناء، فيقول الله عزّ وجلّ: انظروا هؤلاء حتى يصطلحوا»[٢].

في هذا الشهر الكريم على الإنسان أن يصفّي علاقاته مع الآخرين من الشوائب، إذا كانت عنده مشكلة، أو خصومة مع أحد، عليه أن يبادر إلى حلها ومعالجتها، الآية المباركة تضع قانونًا ﴿الصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، والعلماء يقولون: (خَيْرٌ) هنا صفة مشبهة بالفعل وليست للتفضيل، الآية لا تريد أن تقول إن الصلح خير من العداوة، هذا لا يحتاج إلى دليل، الآية تصف الصلح بأنه خير، كما تقول عن شخص بأنه سهل، سمح، فهي صفة مشبهة، أو مصدر وقع خبرًا، الصلح خير، هذه قاعدة دائمًا وأبدًا، على الإنسان

(١) كنز العمال. ج١٢، ص٣١٣.

(٢) مستدرك سفينة البحار، ج٦، ص٤١٤.

أن يتجّه إلى هذه القاعدة. ففي الحياة البشرية تحصل نزاعات وخصومات، ولكن هذه الخصومات هل تبقى إلى يوم القيامة؟ هل تبقى مستمرة دائمًا؟

إن الإنسان الواعي العاقل يفكر كيف يتجاوز حالة النزاع والخصومة بينه وبين هذا الطرف أو ذاك، هذا هو مقتضى العقل، ولكن الإنسان الذي يفتقد الانصياع للعقل، ويفتقد الحكمة، ينمّي العداوات مع الآخرين، يفكر كيف يوسّع الرقعة، ويشدّد العداوة والخصومة.

ثقافة الصلح في المجتمعات الأخرى

نجد في المجتمعات المتحضرة المتقدمة، كيف أن الناس بدافع مصلحي، يسعون لحلّ خصوماتهم ومشاكلهم، والتفكير في الحلّ، والسعي له يوصل إليه.

هناك نزاعات كبرى تجاوزتها الدول والجهات المختلفة. إننا نجد أن حزبين يتنافسان على السلطة، أو شخصين يتنافسان على الرئاسة، فإذا صارت الانتخابات، وفاز أحدهما انتهى الموضوع، وتفتح صفحة جديدة. مع كلّ ما قاله كلّ طرف ضد الآخر في أيام الانتخابات، وهما يدركان تمام الإدراك أن ما قيل من كلام في الانتخابات أمر طبيعي اقتضته الظروف التي مرّوا بها آنذاك.

الرئيس الأمريكي أوباما، ووزيرة خارجيته (هيلاري كلينتون) كانت منافسة له في الترشُّح للرئاسة ضمن الحزب الديمقراطي، وفي فترة المنافسة، تحدثت ضد أوباما، وتحدث أوباما وفريقه ضدها، وبعد الانتخابات انتهت تلك المعركة، وهما يتعاونان الآن. هذا على مستوى الصراع على السلطة، وسلطة أهم دولة في العالم، ونحن نختلف على أشياء سخيفة، ونصرّ على بقاء النزاع.

بين الشرق والغرب انتهت الحرب الباردة، بين ألمانيا الغربية والشرقية، انتهى التقسيم، وحطّموا جدار برلين الذي كان يفصل بينهما، وبعض نزاعاتنا لم تنته.

على كلّ المستويات، فعلى المستوى السياسي فلينظر أي منا إلى النزاعات في أوطان المسلمين، فعند المقارنة بين الانتخابات التي تنظم عندنا وبين تلك التي تنظم في الدول الأخرى، هناك تنتهي الأمور، والكلّ يقبل النتيجة، وعندنا قلّ ما تكون انتخابات ويكون رضًا بنتائجها، إما لعدم وجود النزاهة، وإما لأسباب أخرى، وفي كلّ يوم تزداد رقعة النزاعات.

قصة معبرة

يُرْوَى أنّ حكيمًا من الحكماء كان لديه تلامذة، وأراد أن يعطيهم موعظة حول هذا الموضوع. في ذلك اليوم كان قد جهز كمية من البطاطا، وقال لهم: أبنائي، هل كلّ واحد منكم له أشخاص يكرههم؟ قالوا: نعم.

قال: أطلب منكم أن يأخذ كلّ واحد من البطاطا بمقدار الأشخاص الذين يكرههم، ويكتب على كلّ حبة اسم واحد من الذين يكرههم.

واحتفظوا بهذه البطاطا لمدة أسبوع، برواحكم ومجيئكم، وأعطاهم أكياسًا.

بعد يوم أو يومين بدأت البطاطا تتعفن، وتحصل فيها رائحة، إلى نهاية الأسبوع، فقالوا للمعلم: تأذّينا من هذه الرائحة، ومن رفع الكيس بالرواح والمجيء.

قال: إنكم تتأذون من رائحة بطاطا تحملونها بأيديكم، فكيف تتركون الحقد في قلوبكم.

لا للحقد والقطيعة

في الحديث عن رسول الله ﷺ: «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[1]، وورد عن علي عليه السلام: «المؤمن يحقد ما دام في مجلسه، فإذا قام ذهب عنه الحقد»[2]، هذا

---

(١) صحيح البخاري. ج٧، ص١٢٨.

(٢) تحف العقول. ص٣١٠.

ما يقتضيه العقل وهذا ما تأمر به النصوص. إذ على الإنسان أن يريح قلبه من العداوات، حيث ورد عنه أيضًا عليه السلام: «العداوة القليل منها كثير»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ما من مؤمنَيْنِ اهتجرا فوق ثلاث إلا وبرئتُ منهما في الثالثة، قيل له: يا ابن رسول الله، هذا حال الظالم، فما بال المظلوم؟ قال عليه السلام: ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم، فيقول أنا الظالم حتى يصطلحا»[٢].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) بحار الأنوار. ج٧٢، ص١٨٨.

الخطبة الأولى

آفاق الاعتقاد بظهور المهدي[1]

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا»[2].

الحديث عن الإمام المهدي، حديث عن الأمل المفعم، الذي يداعب نفوس أبناء البشر، طوال تاريخهم، بالخلاص من الظلم والجَورِ، والعيش في ظلِّ العدالة والسلام.

والحديث عن الإمام المهدي، حديثٌ عن عقيدة يقول بها علماء المسلمين، وأبناء الأمة، من مُختلف المذاهب؛ لأنّ النصوص والروايات الواردة عن ظهور وقيام الإمام المهدي آخر الزمان لا تقتصر على مذهب دون آخر، بل هي أحاديث متواترة ومتوفرة في المصادر الإسلامية المُعتمدة، عند جميع المسلمين، كحديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا».

هذا الحديث أخرجه أبو داوود في سننه، والحاكم في المستدرك، ونعيم بن حماد في كتاب الفتن، إلاّ أنَّ فيه إضافةً في مسند نعيم بن حماد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يحثي المال حثيًا، لا يعُدّهُ عدًّا، يملأ الأرضَ

(١) الخطبة الأولى ليوم الجمعة ١٦ شعبان ١٤٣٠هـ الموافق ٢٤ يوليو ٢٠٠٩م.

(٢) سنن أبي داوود. ج٢، ص٣١٠.

قسطًا وعدلًا، كما مُلِئت ظلمًا وجورًا».

وهناك حديث آخر عن أُمّ المؤمنين أم سَلمة قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»، هذا الحديث أخرجهُ أبو داوود في السنن، وابن ماجة في سننه، والحاكم في المستدرك، والبخاري في التاريخ الكبير، والطبراني في المعجم الكبير، وقال الألباني: هذا سندٌ جيد، رجاله كلهم ثِقات، وله شواهد كثيرة، وقال الألباني في مورد آخر، في صحيح الجامع الصغير: إنّه حديث صحيح. وأحاديث وراويات كثيرة وردت في مصادر المسلمين.

لا نستطيع أَنْ نتحدّث عن كلّ الجوانب في عقيدة ظهور الإمام المهدي، ولكننا سنُشير إلى جانبٍ واحد، وهو آفاق الاعتقاد بظهور الإمام المهدي.

أولًا: التطلُّع للعدلِ ورفض الظلم

الإنسان المؤمن بظهور الإمام المهدي، يعيش في حياته رافضًا ومنكرًا للظلم، متطلّعًا للعدل؛ لأنّ اعتقاده بظهور الإمام المهدي إنّما هو اعتقاد بانتصار العدلِ على الظلم، وبَسْط العدل في حياة المجُتمع البشري. وهذا ما تُؤكِّد عليه الأحاديث بأن الإمام المهدي يملأُ الأرضَ عدلًا كما مُلِئَت ظُلمًا وجَورًا.

وهذه الخلفية تعني أن يتّجه الإنسان نفسيًّا وفكريًّا باتجاه العدل؛ لأنَّ الإنسان إذا كان يتطلّع لهدف، فإنَّ سلوكه يجب أن يكون مُطابِقًا لذلك الهدف الذي يتطلّع إليه. ومَن يتطلّع إلى زوال الظُلمِ، وسيطرةِ العدل، لا يصحّ له أبدًا أَن يُقارِف الظُلم، وأن يُمارس الجَور؛ لأن هذا يتناقض مع ما يتطلّع إليه، ومع ما يؤمن به.

فالإيمانُ بظهورِ الإمام المهدي، يُعزِّز العدل في نفس الإنسان، ويوجّه سلوكه، باتجاه التزام العدل، وكره الظُلمِ والجَورِ، والعمل من أجل العدل، ومقاومة الظلم والجَور.

ثانيًا: الثقة بالدين وصلاحه لمستقبل البشرية

إنّ هذا الدين الذي نؤمن به، مرّ بظروف أوشك الناس فيها أن يفقدوا الثقة فيه؛ لأنَّ الآخرين تقدّموا، وصنعوا حضارةً متطورة، بينما كان فهم المسلمين لدينهم فهمًا مُتخلّفًا، أنتج لهم واقعًا متُخلّفًا، فصار المسلم يرى مفارقةً بين واقعِ الآخرين المتُقدّم، وبين واقِعِه المتخلّف المصبوغ بالدين. وأدّى هذا إلى اهتزاز وتزعزع ثقة الناس بدينهم.

وحينما نؤمن بالإمام المهدي، إِنمّا يعني ذلك أَنْ نُؤمن بأنّ هذا الدين سيستعيد موقعه، وسيأخُذ مجاله. ونرى الآن كيف أنّ مسيرة الصحوة الإسلامية قد بدأت تُعيد لأبناءِ الأُمَّة ثقتهم بدينهم، فتراجعت الطروحات والتوجّهات الأُخرى، التي انبهر بها البعض في يومٍ من الأيام، وأصبح الإقبالُ والتوجّه إلى الدينِ، سمةً في غالبِ المُجتمعاتِ الإسلامية.

ونُؤمن بأَنَّ هذا الدين ليس صالحًا لنا فقط، إنما هو صالحٌ للبشرِّيةِ جمعاء. ويبقى السؤال الذي يفرض نفسه: هل أن فهم المسلمين للدين هو الفهم الصحيح، الذي يُحقق صلاح البشرية جمعاء؟

نرى بوضوح، أنّ تفكير وممارسة الكثير من المسلمين تُعارض التقدُّم والإصلاحِ والتطّور، فإِذا كانت هذه الممارسات هي الفهم الصحيح للدين، وأن هذا الأسلوب هو الذي سيحكُم البشرية فيا ويل البشرية منه. فطالما رأينا أنَّ بعض هؤلاء المتزمّتين حينما أُتِيحَت لهُم الفرصة ماذا صنعوا في شعوبهم، وفي العالم، فقد مارسوا الإرهاب، والعُنف، والقَهر، وفرضوا التخلُّف والرجعية، وأغلقوا مدارس البنات، ومنعوا مشاركة النساء في الحياة العامة، ومنعوا الحريات، وصادروا حقوق الإنسان... فهل هذا هو الدين الذي تُبشّر به الأحاديث، وأنّ الإمام المهدي سيملأُ به العالم قسطًا وعدلًا؟!

بالتأكيد كلّا، إنّ ما يفهمه هؤلاء من الدين بعيدٌ عن حقيقة الدين. وتتفاوت مسافات ومساحات الابتعاد أو الاقتراب من جهةٍ لأخرى.

ومما لا نشك فيه أنّ ما أنزله الله تعالى حقٌّ لا يتغيّر، ولا يتبدّل، ولا يتناقض مع مصلحةِ الإنسان في أيّ زمن، إلا أن ما يفهمه الناس من الدين، وما يستنبطونه، يتأثر بفهمهم، ومستوى وعيهم، وواقع البيئة التي يعيشون ضمنها.

إنّ الواقع الذي عاشه المسلمون خلال القرون الماضية، أوجد سوءَ فهمٍ للدين في بعض الأفكار والمعتقدات والممارسات والسلوكيات، ومن الواضح أنّه يُخالف قيم الدين الأساس، من هنا تأتينا النصوص والأحاديث، بأنَّ الإمام المهدي حينما يظهر لا يُطبّق الدين كما هو معروف عند الناس، إنَّما يأتي بفهمٍ جديد، يُصحح الفهم السائد عند الناس، وكما ورد في الرواية أنَّه يصنع كما صنع رسول الله ﷺ ويستأنف الإسلام من جديد، فعنه ﷺ قال: «رجلٌ مِن عترتي يُقاتِل على سُنَّتي كما قاتلتُ أنا عن الوحي»[1]، وفي إحدى الروايات: أنّه سُمِّي المهدي؛ لأنه يهدي الناس إلى «أمرٍ قد دَثَرَ وضَلَّ عنه الجمهور»[2]، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمرٍ جديد كما دعا رسول الله، وإنَّ الإسلامَ بدأ غريبًا وسيعودُ غريبًا كما بدأ، فطوبى للغُرباء»[3]، وورد أيضًا في روايةٍ: «يمحو الله به البدعِ كلّها»[4].

ثالثًا: إحياء الأمل والتفاؤل في النفوس

إنّ الإنسان فردًا أو مجتمعًا، تمرُّ عليه ظروفٌ صعبةٌ، وقاسيةٌ، قد يتمنّى فيها مفارقة الحياة، وقد ييأس من التغيير والإصلاح، ويأتي الاعتقاد بالإمام المهدي ليُحيي الأمل دائمًا وأبدًا في النفوس.

لذلك على الإنسان المؤمن ألا يفقد الأمل، وأنْ يعيش دائمًا متفائلًا راجيًا لرحمة الله، راجيًا للإصلاح والتغيير، مهما كان يعيش ظروفًا حالكةً قاسية، وهذا من أبعاد

(١) ينابيع المودة. ج٣، ص٧٣.
(٢) بحار الأنوار. ج٥٢، ص٣٠٠.
(٣) بحار الأنوار. ج٥٢، ص٣٦٦.
(٤) الملاحم والفتن لابن طاووس. ص٢٦٥.

الاعتقاد بظهور الإمام المهدي.

رابعًا: الاهتمام العالمي والإنساني

نؤمن بأن الإمام المهدي ليس إمامًا لطائفةٍ أو مذهبٍ أو بلدٍ أو أُمّةٍ، بل هو إمام يأتي لإقامة العدلِ على وجه الكرة الأرضية جمعاء، «يملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا كما مُلِئت ظُلمًا وجَورًا».

لذلك ينبغي أنْ نوجّه نفوسنا وأفكارنا إلى الاهتمام المفتوح بالإنسانية، ومع الأسف الشديد، فبسبب ظروف وثقافة التخلّف التي نعيشها، حاصرنا أنفسنا في دوائر مغلقة، فأصبح الإنسان يفكّر في حدود جماعته، فلا يهتم بكلّ أبناء مذهبه فضلًا عن أمّته. وإذا اتسع أُفق الإنسان، تراه يفكر في أبناء مذهبه، وإذّا اتسع تفكيره أكثر قد يفكر في المسلمين. إلا أننا لو عُدنا لمفاهيم الإسلام، وأفكاره الحقيقية، لرأيناه يُرّبي الإنسان المؤمن على الاهتمام بأبناء البشريةِ جمعاء؛ لأن رسالة الإسلام للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[سورة الأنبياء، الآية:١٠٧].

الإنسان المؤمن يتألّمّ لألم أيّ إنسان، فهاهو أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام يتألّمُ للمرأة المعاهدة غير المسلمة، كما يتألّم للمسلمة، فيقول: «بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع منها حِجلها وقُلَبها، وما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ولو أنّ امرئًا مسلمًا مات من بعد هذا أسفًا لما كان به عندي ملومًا بل كان به عندي جديرًا»، وكان الإمام يفكّر بالناس جميعًا، فيقول: «ولعلّ بالحجار أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع».

اعتقادنا بالإمام المهدي، يجب أنْ يُشجِّع في نفوسنا الاهتمام الإنساني، والتفكير في البشرية جمعاء، فنبدأ بالدوائر القريبة منا، ولا ننحصر فيها، إنَّما ننطلق للاهتمام بكل إنسان، وهكذا يجب أن تتحوّل عقائدنا إلى منبعٍ للتفكيرِ الإنساني، وإلى مُلهمٍ للسلوكِ الصحيح.

وظيفة الشعائر في الحياة الدينية

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة الحج، الآية:٣٧].

وجود الشعائر أمرٌ طبيعي في كلِّ دينٍ ومذهب.

والشعائرُ هي: جمعُ شعيرة، وهي: العلامةُ الواضحة. وباعتبار أن للمذاهب والأديان معتقدات ومفاهيم، لذلك لا بُدّ من وجود مظاهر خارجية، تكون كالعلاماتِ والدّلائلِ على تلك المعتقدات والمفاهيم، لهذا فإنَّ الله سبحانه وتعالى أمَرَ بتعظيم الشعائر الدينية، التي هي علامات واضحة على الدّين ومنهجه، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[سورة الحج، الآية:٣٢].

والقرآن الكريم حين يتحدّث عن الأضحية في الحج، يعتبرها من الشعائر، يقول تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[سورة الحج، الآية: ٣٦]، فالأضحية هي مَعْلَمٌ يدّل على استعداد المسلم بالتضحيةِ بما لديه، استجابةً لأوامر الله سبحانه وتعالى. ويؤكد الله سبحانه وتعالى، في هذا السياق، بأن هذه الأضحيات لن ينال الله لحومُها ولا دماؤُهَا، وإنما هي رمز يجب الانتباه إلى مضمونه، وهو التقوى، يقول تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ

عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة الحج، الآية:٣٧].

واليوم، ونحن نعيش مناسبة مُباركة، تأتي ضمن المناسبات العظيمة التي نُحييها، تخليدًا لذكر أهل البيت ﷺ، وهي أيضًا من الشعائر، فبعضها ورد فيه النص من الأئمة، وبعضها من العادات الحسنة، فكلّ أهلِ مذهبٍ، وكلّ مجتمعٍ، لهم عاداتهم وتقاليدهم، وهُنا لا بُد أنْ نؤكِّد على أمرين:

أولًا: حقّ المجتمعات في ممارسة شعائرها وتقاليدها

فلا يحقّ لأحدٍ أنْ يمنع الناس مِن أنْ يمُارسوا شعائرهم الدينية والمذهبية، أو تقاليدهم الاجتماعية، ما لم يكن فيها ضررٌ على الوضع العام، وحينما يكون هناك منعٌ فإنّ آثاره ستكون سلبية، وسيتمسّك الناس بها أكثر؛ لأنّ الإنسان حريصٌ على ما مُنِع، وتزدادُ بذلك حالة التحدّي، وتحصل حالةُ سَخَطٍ وغضَبٍ في نفوس الناس، وشعورٌ بالتمييز.

وقد جرّبت مجتمعاتٌ وحكوماتٌ كثيرة، محاولة الفرض والقمع لعادات الناس وشعائرهم، وعاد ذلك عليهم بنتائج عكسية، واستطاعت تلك المجتمعات المقموعة أنْ تستعيد حريتها.

لذلك نؤكّد على حُرّية المجتمعات في مُمَارسة شعائرها، وعاداتها، وأعرافها، ونُدين أيّ محُاولة لقهرِ الناس، وقمعِهِم، ومنعِهِم مِن مُمَارسة شعائرهم، وتقاليدهم، ما لم يكن في ذلك ضررٌ أو أذى للآخرين.

ثانيًا: ترشيد الشعائر

باعتبار أن للشعائر مضمونًا، لذا يجب أنْ نهتم بالمضمون، وبأهداف هذه الشعائر، لا أنْ نُبالغ في المظاهر على حساب المضمون. ففي بعض الأحيان: يحصُل أنّ بعض المجتمعات تُبالغ في المظاهر الخارجية، إلا أن المهم هو: طبيعة الوضعُ السلوكي

في داخل المجتمع، ومآل المشاكل والقضايا المتروكة والمهملة. فإلى أيِّ حدٍّ التزم المجتمع بقيمه ومبادئه؟ إننا نجد أن هذا الجانب مما لا يكون فيه اهتمام في الغالب.

نفرح بوجود المظاهر الخارجية للشعائر،كمناسبات الأفراح في ذكريات أهل البيت ﰷ، والحزن في موسم عاشوراء، وباقي المناسبات. ولكن إلى جانب هذه المظاهر علينا أنْ نُفكّر في المضامين، فلا يصحّ الاهتمام بالمظاهر على حساب المضامين الداخلية، ويجب أنْ نرى إلى أيِّ حدٍّ استطعنا أنْ نُعمّق القيّم في سلوك أبنائنا وأجيالنا، وما هي حالةُ التلاحم الداخلي في المجتمع.

هذه الأمور يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، وطالما تحدثّنا أنَّ هُناك بعض الأشخاص يُسيئون لهذه المناسبات، فيمارسونها بشكل استفزازي، ومسؤولية الموجهين، هو ترشيد هذه الحالة، ونفي الممارسات السلبية، وتعزيز الممارسات الإيجابية لهذه الشعائر.

الخطبة الأولى

كيف نطرد الكسل من حياتنا؟

﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[سورة التوبة، الآية: ٥٤].

الحياةُ في حقيقتها وجوهرها حركةٌ ونشاط، فبمقدار ما يكون هناك نشاط وحركة تكون الحياة، أمَّا إذا انعدمت الحركة والنشاط فلن يكون هناك حياة. إنَّ الأطباء يراقبون الجنين في بطن أُمِّه ليرصدوا حركته، فإذا لم يجدوا حركةً شكّوا في حياة الجنين، ويرصد الأطباءُ أيضًا نبض قلب الإنسان، فإذا توقف قلبهُ عن الحركة، حكموا بأنَّه قد فارق الحياة.

وبذلك فإن الحياة مستويات، كلما كان الإنسان أكثر حركةً ونشاطًا، فإن نصيبه من الحياة أكبر، وكلّما قل نشاطه وحركتُهُ، كان نصيبُهُ من الحياةِ أقلّ.

نجد أناسًا أحياء إلا أنهم في الواقع يعيشون قليلًا من الحياة؛ لأنَّ نشاطهم وحركتهم محدودةٌ ضعيفةٌ. وكم من أناسٍ أحياء ظاهرًا، هم في الحقيقة أموات، لا حراك لهم ولا نشاط. ولهذا فإنَّ النصوص الشرعية تُركِّز على الحركة والنشاط والعمل، وتُحفِّز الإنسان المؤمن بأنْ يملأ لحظات حياته بالعمل والحركة، ففي دعاء كميل نقرأ: «واجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة».

الإنسان الواعي هو الذي يُمارس الحركة والنشاط دائمًا، إلا أن بعض النفوس

تُصابُ بمرضِ الكسل، وهو مرضٌ يجعل الإنسان أقلَّ حركةً ونشاطًا، وبالتالي يُسرِع في خروجه من دائرة الحياة شيئًا فشيئًا.

الكسل مرضٌ خطير، وهو يعني: التّراخي وعدم الرغبةِ في النشاطِ والعمل، ويدعو صاحبه لأن يُقلِّل من درجةِ حركتِهِ ونشاطِهِ.

ويُنتج هذا المرض مُضاعفاتٍ عديدة على كُلِّ المستويات:

أولًا: المستوى النفسي

كُلَّما قلّت الحركة والنشاط شعر الإنسان بالفراغِ النفسي، وتسلّل إليه الاكتئاب والسأم والملل، بينما النشاط يجعل الإنسان مُتفاعلًا مع الحياةِ، مُستمتعًا بها. وغالبًا ما تُهاجمُ الأمراضُ النفسية الأشخاص الذين تَقِّل أعمالهُم ومسؤولياتهُم، ونجد بعض الموظفين نَشِطين، فإذا أصبحوا في مرحلةِ التقاعُد، وعاشوا الفراغ، تسلّلت إليهم العقد والأمراض النفسية.

الإنسان الكسول نفسيتهُ تَفقُد التّفاعُل والاستمتاع بالحياة، بينما الإنسان النَشِطْ تكون نفسهُ مُتفاعلةً، فهو مشغولٌ بأداءِ عمل، أو ينتظر نتيجةَ عمل.

ثانيًا: المستوى الجسمي

مِن الواضحِ جدًّا أنَّ الحركة هي التي تحمي صحة الجسم، بينما الخمول والترهُّل يُسبب للإنسان الكثيرَ مِن الأمراض.

وفي هذا العصر وفّرَت الحضارةُ الحديثة على الإنسان الجُهد، إذْ أصبحت الأعمال التي كان يؤديها الإنسان بجُهدٍ عضلي كبير، أصبح يؤدّيها بضغطةِ زِر.

لذا على الإنسان أَنْ يبحث عن مجالاتٍ يتحرك من خلالها، ولا يستسلم لِحالةِ الخُمول؛ لأنَّ الخُمول وضعف الحركة يُنتِجُ الكثيرَ مِن الأمراضِ الجسميةِ، فأمراضُ

القلب، وزيادة الكولسترول، وارتفاع نسبة السكر، والسمنَّة، وما أشبه ذلك، كُلُّها تأتي مِن قِلَّةِ الحركة وضعفِها، لذلك أصبحت برامج الرياضة جزءًا لا يتجزأُ من حياةِ الإنسان المُهتم بصحتِه. بعكس ما كان عليه الإنسان في الماضي، حيث لم يكن هناك حاجةٌ إلى الرياضة بهذا القدر؛ لأنَّ الحياة بطبيعتها كانت تستلزم بذل الجهد وحرق الطاقة.

وفي ها المجال، كشف الدكتور عبد الرحمن مصيقر، رئيس المركز العربي للتغذية، على هامش ندوة علمية عن الصحة والغذاء، عُقدت في جدة بتاريخ ١٤/ ٨/ ٢٠٠٩م وحضرها عدد من المهتمين، عن أن أكثر من ٥٣ ٪ من الرجال في السعودية يعانون أسلوب حياة خاملة، و٢٧ ٪ منهم يعيش جزئية بسيطة من الحياة، في حين أن ٢٠ ٪ فقط، هم ممن يتمتعون بحياة صحية، من خلال القيام بعديد من الأنشطة الصحية، التي تحافظ على مستوياتهم من اللياقة الصحية المثالية[1].

ثالثًا: موقعيةُ الإنسان في الحياة

كلما كان الإنسان أكثر نشاطًا وحركةً، فإنّ موقعيته في الحياة تكون أكبر، اجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وفي مختلف المجالات. أما إذا انخفض مستوى النشاط والحركة لديه، فإن موقعيتَهُ تتقلص؛ لأن الحركة فيها إنتاجٌ وعطاء، بينما القعود والكسل فيه خُمولٌ وجمود.

واضحٌ جدًّا أنَّ ثواب الله تعالى في الآخرة إنَّما يُنَال بالعمل، ولا يُنَال بالتمنّي. قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٣٢]، وكلّ إنسان درجته في الدنيا وفي الجنة تكون بمقدارِ عملِهِ ونشاطِهِ، لذلك على الإنسان أنْ يُطالِب نفسه بالمزيدِ من الحركةِ والنشاط.

صحيحٌ أنّ الإنسان بحاجةٍ إلى الراحةِ، لكن الراحة الجسمية وسيلةٌ للعمل،

(١) جريدة الاقتصادية الإلكترونية العدد٥٧٨٧ بتاريخ ٢٤ شعبان١٤٣٠هـ الموافق ١٥ أغسطس ٢٠٠٩م.

فالإنسان يستريح حتى يستعيد نشاطه، وليست الراحة هدفًا بحدّ ذاتها، كما يظن البعض من الناس، الذين يفهمون الراحة بشكلٍ خطأ. فالراحة لا تعني أنْ يجلُسَ الإنسان مُترهّلًا بلا عمل؟! هذه ليست راحة، إنها العناء بعينه. والراحةُ الحقيقية ممارسةُ العمل والنشاط. يقول الشاعر:

إن الحقيقة قالت وهي صادقة فيما تقول بأن الراحة التعب

ثقافة النشاط والحركة

النشاطُ والحركة يحتاجانِ إلى ثقافةٍ دافعة، وإلى تربيةٍ مؤهلة، وإلى بيئةٍ محفّزة، ونجد في هذا الصّدد أن بعض الأفراد والمُجتمعات تسودُهَا ثقافةُ العمل والنشاط، لديها التشجيع على العمل، والحضُّ والتحفيز عليه، وعرض إنجازات العاملين، والتباهي والتنافس في العمل، وهذه ثقافةٌ دافعةٌ.

بينما بعض المجتمعات، تفتقر لمثلِ هذه الثقافةُ. بل قد تسودها ثقافة تدعو للتقاعس والكسل، والفهم الخطأ للراحة.

هنا يأتي دور العائلة في تربية أبنائها على النشاطِ والحركة، وليس على التراخي والكسل، فبعض العوائل وكنوع من التدليل والإراحةُ المُبالغ فيها للأولاد، فإنهم لا يُكلِّفون الولد بأيِّ شيءٍ في ترتيبِ شؤون حياته، وهذا خطأٌ تربوي كبير.

وللبيئةِ دورٌ مهم، فإذا أصبح الإنسان ضمنَ فئةٍ، أو مجموعةٍ، غير مُبالية للعمل، فإن العدوى ستنتقل إليه.

ومن أهمّ الأسباب والعادات التي تُنَمِّي حالة الكسل كثرةُ الأكلِ، وخاصةً الأكلاتُ الدسِمّة. فإذا امتلأت المعدة نامت الفكرة. فكثرةُ النوم، وكثرةُ الأكل، والفهمُ الخطأ للراحة، كلُّها أمورٌ تُنمّي عند الإنسان حالة الكسلِ.

والنصوص الدينية اهتمت كثيرًا بالتحذير من الكسل، ففيما ورد عن الإمام

الباقر عليه السلام: (الكسلُ يضرُّ بالدينِ والدُنّيا)[١].

لا حظوا كيف أنَّ الإسلام يُربّي الإنسان على النشاط، حتى فيما يتعلّق باللسان، فهناك حثّ كبير بأن يُبقي الإنسان لسانه دائم الذكر لله تعالى. إضافةً إلى أن من أهمّ تجلّيات العبادات الواجبة والمستحبة، أنْ يعيش الإنسان حالةً من الحركةِ والنشاطِ في البُعدِ الروحي.

واهتمّ الإسلام كذلك بالبعد المادي، بأن يتربّى الإنسان على النشاط والفاعلية في شؤون حياته، فعن الإمامُ الباقر عليه السلام أنه قال: «إنِّي لأبغضُ الرجُلَ يكونَ كسلانًا عن أمرِ دُنياهُ، ومن كان عن أمرِ دُنياهُ كسلانًا، فهو عن أمرِ آخرتِهِ أكسل»[٢].

وأميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «عليك بإدمانِ العملِ في النشاطِ والكسلِ»[٣]، وفي وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله لأميرِ المؤمنين علي عليه السلام: «يا عليّ... إياكَ وخِصلتين: الضجَّرِ والكسل، فإنّك إنْ ضجرتَ لمْ تصبرُ على حقٍّ، وإنْ كسلتَ لم تؤدِ حقًّا»[٤].

ونقرأ في الأدعيةِ ما يُوحي لنا بالتطلُّعِ لتجاوزِ هذه الحالة، ففي الدعاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهُّم أمْنُنْ علينا بالنشاطِ وأعِذنا من الفشلِ والكسلِ والعجزِ والعِللِ والضّررِ والضّجرِ والمَللِ»[٥].

فكُلّ لحظةٍ من اللحظاتِ تستطيع أنْ تبلُغَ بها مقامًا كبيرًا عند الله تعالى، نسالُ الله أنْ يوفقنا وإياكُم لاستثمار حياتنا والاستفادةَ من لحظاتِ وجودِنا.

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص١٨٠.
(٢) الكافي ج٥ ص٨٥.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢٠ حكمة ٣٧.
(٤) بحار الأنوار ج٧٤ ص٤٨.
(٥) المصدر نفسه ج٨٩ ص٣٦٤.

التهيُّؤ والاستعداد لشهر رمضان

قال أبو الصَّلْت الهَرَوي دخلتُ على أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام في آخرِ جُمعةٍ مِنْ شهرِ شعبان فقال لي: «يا أبا الصلت إن شعبان قد مضى أكثره وهذا آخر جمعة منه، فتدارك فيما بقي منه تقصيرك فيما مضى منه، وعليك بالإقبال على ما يعنيك وترك ما لا يعنيك، وأكثرْ من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن، وتب إلى الله من ذنوبك ليقبل شهر الله عليك وأنت مخلص لله عزّ وجل، ولا تدعن أمانة في عنقك إلا أديتها، ولا في قلبك حقدًا على مؤمن إلا نزعته، ولا ذنبًا أنت ترتكبه إلا أقلعت عنه، واتق الله وتوكل عليه في سرائرك وعلانيتك ﴿مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر: «اللهم إن لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان، فاغفر لنا فيما بقي منه، فإن الله تبارك وتعالى يعتق في هذا الشهر رقابًا من النار لحرمة شهر رمضان»[1].

من مظاهرِ الجديّةِ في شخصيةِ الإنسانِ وسلوكه الإعداد والتهيؤ لكلِّ أمرٍ قادم، وقد تكون هناك أمورٌ تأتي مفاجِئةً للإنسان، إلا أن القِسمَ الأكبر من الأمور متوقعة.

---

(١) وسائل الشيعة ج١٠ ص٣٠١.

فالإنسان الجادُّ هو الذي يتهيأ لكُلِّ أمرٍ من الأمور، بينما الإنسان المُهمِل، هو الذي يتوانى ويتغافل، حتى يجد نفسه أمام الأمر دون استعداد.

الإسلام يُربّي الإنسان المؤمن على الاستعداد حتى للبرامج اليومية المعتادة، كالصلاة مثلًا، فمن برامج الاستعداد: استحباب محاكاة المؤذِّن بترديد الأذان معه، والتبكير للصلاة. وصلاة النوافل، ليقف الإنسان المسلم بعد ذلك بين يدي الله للصلاة الواجبة وهو متهيئ نفسيًا.

فالتهيُّؤ مسألةٌ مهمةٌ لكُلِّ عملٍ من الإعمال، فحتى النوم ينبغي للإنسان أنْ يتهيأ له بالوضوء، والأدعية والأذكار المأثورة عند النوم.

فعلى الإنسان أن يُربّي نفسه على الاستعداد لأيِّ برنامج يُريد القيام به، سواءً كان برنامجًا عباديًّا أو حياتيًّا.

وفي هذا السياق، تأتينا الرواياتُ والأحاديث للاستعداد والتهيؤ لشهرِ رمضانِ المُبارك.

والسؤال المهمّ: كيف يستعدّ الإنسان لشهر رمضان المبارك؟

نستعرض ـ إجابة عن السؤال ـ عدة أمور:

أولًا: استذكار فضلِ هذا الشهر وعظمته، بقراءة ما قاله رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام في فضلِ هذا الشهرِ وقيمته، كقول رسول الله ﷺ: (أيُّها الناس، إنَّهُ قد أقبل عليكُم شهرُ الله بالبركةِ والرحمةِ والمغفِرة، شهرٌ هو عندُ اللهِ أفضلَ الشهور، وأيامُهُ أفضلُ الأيام، ولياليهِ أفضلُ الليالي، وساعاتهُ أفضلُ الساعات، وهو شهرٌ قد دُعيتُم فيه إلى ضيافةِ الله وجُعلتُم من أهلِ كرامةِ الله)[1].

ثانيًا: إزالة الشوائب من النفس. فكما أنَّ البيت يحتاجُ إلى كنسٍ، والثياب تحتاجُ

(١) المصدر نفسه ج ١٠ ص٣١٣.

إلى غسيل، نفسُك أيضًا تتعرّض للغُبار والشوائب.

ثالثًا: التهيؤ العملي: وهو أنْ تخرج من حقوق الله وحقوق الناس، ليكون إفطارك على رزقٍ وطعامٍ حلالٍ، فقد وردَ عن رسولِ الله ﷺ: «كُلُوا الحلالَ، يتمُّ لكم صومكم»[١]. والإنسانُ الذي لا يُخرِج حقوقَ الله من ماله، لا يستطيع أنْ يدّعي أنّهُ قد اتقى الله، وهو قد خالف أمرًا أساسيًّا من أوامره، وورد عنه ﷺ: «العبادةُ مع أكلِ الحرامِ كالبناءِ على الرملِ»[٢].

رابعًا: صوم آخر شعبان: حيث يُستحبُّ للإنسانِ أنْ يصومَ بعضًا من شعبان، حتى يتهيأ لمجيء شهرِ رمضان، فيكون مُتكيفًا من أولِ يومٍ يصومه في الشهر الكريم.

خامسًا: وضعُ برنامج لشهرِ رمضان: جميل أن يُخَطِّط الإنسان مُسبقًا لاستثمار هذا الشهر، بوضع برنامجٍ خاصٍّ، يتضمن تلاوة القُرآن، وأداءِ المُستحبّاتِ، وصلةِ الأرحامِ، والتعاونِ مع الناس، وكسب الوعي والمعرفة.

نسألُ الله أنْ يُبلِّغنا وإياكُم لهذا الشهرِ الكريم، وأنْ يوفقنا وإياكُم فيه لأداءِ الصيام والقيام والطاعات، وأنْ يتقبل مِنّا ومِنكُم صالح الأعمالِ، وأنْ يجعلَهُ شهر خيرٍ وبركةٍ على جميع المسلمين وأبناء البشرية.

---

(١) كنز العمال ج١٥ ص٨٤٤.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ج٢٢ ص٥٢.

الخطبة الأولى

نحو برنامج مميّز لشهر رمضان

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية:٥٧].

كما يحتاج الجسم إلى رعاية صحية، وإلى معالجة العلل والأسقام التي تعتريه، كذلك تحتاج الروح إلى رعاية وعناية، حتى لا تصيبها الأمراض والأسقام، وكما أن الإنسان يهتمّ برعاية جسمه، ويهتمّ بمعالجة الأمراض التي تصيبه، ويسعى باتجاه الجهات التي تقدم له العلاج حينما يعتوره أيّ سقم أو مرض، فإن عليه أن يهتمّ بروحه كذلك.

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم ليكون جهة يقصدها العباد لشفاء نفوسهم وأرواحهم، فالقرآن الكريم هو تلك الجهة التي توفر للإنسان الرعاية والوقاية والشفاء من الأمراض، التي تصيب روحه وقلبه، ولهذا يؤكّد القرآن الكريم في أكثر من آية هذا الدور المُهِمَّ للقرآن، أنه شفاء بالمعنى التام للشفاء، أي زوال المرض المصاب به. إنّ القرآن شفاء، ولكنه ليس موجّهًا لأمراض الجسم، وهذا لا ينفي تبرك الإنسان بآيات القرآن الكريم، والتوسّل بها، ودعاء الله تعالى بفضلها، حتى يمنّ عليه بالصحة والعافية لأمراض جسمه، إذ يبقى الهدف الأساس للقرآن أنه شفاء لأمراض الروح والقلب.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وفي آية ثالثة يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾، فالقرآن شفاء لأمراض الروح، ولأمراض النفس، وعلى الإنسان أن يقصد القرآن من أجل الاستشفاء.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيما روي عنه: «وتعلّموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفعوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور»[١]، وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان»[٢]، فحريٌّ بالمؤمن أن يستثمر خيرات وبركات هذا الشهر المبارك.

من أهم البرامج في شهر رمضان

الإقبال على القرآن ـ تلاوةً وتدبّرًا ـ من أهمّ برامج هذا الشهر الشريف، فالإنسان المسلم في كلّ يوم، ينبغي أن يكون في برنامجه تلاوة شيء من القرآن الكريم. ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «القرآن عَهْدُ الله إلى خلقه، وينبغي للإنسان أن ينظر كلّ يوم في عهد ربه إليه فلا يؤوب إلى فراشه إلا بعد أن يقرأ خمسين آية»[٣]. وهذا في البرنامج اليومي طوال السنة، ولكن في شهر رمضان أجر تلاوة القرآن مضاعف. وعلى الإنسان أن يدرك أن الاستفادة من مضامين القرآن فرصتها عظيمة، لذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قرأ في شهر رمضان آية من كتاب الله عزّ وجلّ كان كمن ختم القرآن في غيره من الشهور»[٤]. تلاوة آية واحدة في شهر رمضان المبارك ـ كما هو مضمون الرواية ـ تعادل ثواب تلاوة القرآن كلّه، لذلك على الإنسان أن يهتم باستثمار هذه الفرصة والإقبال على القرآن الكريم في هذا الشهر الكريم. وذلك من خلال برنامج قرآني جيد، يمكن ذكر بعض مفرداته:

---

(١) نهج البلاغة ص ١١٠.
(٢) وسائل الشيعة. ج٦، ص٢٠٣.
(٣) الكافي ج٢ ص ٦٠٩.
(٤) بحار الأنوار. ج٩٣، ص٣٤١.

في مدرسة القرآن

أولًا: أن يقرّر الإنسان في هذا الشهر الكريم أن يقرأ في كلّ يوم جزءًا من القرآن، إذ القرآن الكريم مكون من ثلاثين جزءًا، وأيام شهر رمضان قد تكون ثلاثين يومًا، أو تسعًا وعشرين يومًا، فليقرّر الإنسان أنه في كلّ يوم يتلو جزءًا من القرآن، بحيث يختم القرآن كاملًا في شهر رمضان، وإذا لم يكن قادرًا أن يقرأ جزءًا في وقت واحد، فليقسمه إلى ما يحتاجه من الوقت، وإذا لم يقرأ الإنسان في هذا الشهر الكريم القرآن كاملًا، ففي أيِّ شهر سيقوم بمثل هذا العمل؟! طبعًا من الجيد لو كان ذلك مجرد تدريب وتمرين يستمرّ عليه الإنسان طوال السنة.

ثانيًا: أن يحفظ الإنسان في كلّ يوم شيئًا من القرآن، ولو سورة من السور القصار. وكما ورد: إن درجات الجنة بعدد آيات القرآن، روي عن رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرأها»[1].

ثالثًا: تَعَرُّف معاني آيات القرآن الكريم، وهذا ليس عسيرًا، فالقرآن الكريم في معظمه واضح، كما يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾، وإذا كانت هناك بعض الكلمات معناها غير واضح، فأمام الإنسان تفاسير موجزة ميسّرة، في كتاب واحد، على شكل حاشية على القرآن الكريم.

رابعًا: تعلم التلاوة الصحيحة لمن استطاع، فهناك برامج متوفرة، ولجان قرآنية ناشطة، وكل إنسان يسعى بمقدار استطاعته.

خامسًا: وهو الأهمّ، أن يصوغ الإنسان نفسه وسلوكه صياغة قرآنية، على ضوء

---

(١) سنن أبي داوود. ج١، ص٣٣٠.

آيات القرآن الكريم. فحينما يمرّ على آية، يحاسب نفسه على ضوء تلك الآية الكريمة، يتوقّف عندها، وإذا قرأ الإنسان آيات القرآن الكريم وسلوكه يخالفها، فإنه لا يبعد انطباق الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «كم من قارئ القرآن والقرآن يلعنه»[١].

فحينما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[سورة النور، الآية:٢٢] لنقف عند هذه الآية، ونتأمل في علاقاتنا مع الآخرين الذين نرى أنهم أساؤوا إلينا، ونرتّب على ذلك موقفنا منهم، لنبادر إلى العفو والصفح. إن الله تعالى يخاطبنا في هذه الآية: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، إننا بعفونا وتسامحنا عن المسيئين لنا نتأهل لاستحقاق عفو الله ومغفرته.

وحينما يمرّ الإنسان على قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ عليه أن يقف عندها، وأن يحاسب نفسه، هل ينفق؟ ولماذا لا ينفق؟ولماذا هو قليل الإنفاق على أعمال الخير؟ أخوفًا من أن ينقص المال؟ إن الله سبحانه وتعالى قد تعهّد في هذه الآية الكريمة بالخلف والتعويض، ألا يثق الإنسان بعهد الله؟

في العلاقات العائلية الأسرية، حينما يمر الإنسان على قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ فعليه أن لا يمرّ عليها مرورًا سريعًا، وهكذا مختلف الآيات الكريمة.

سادسًا: نشر ثقافة تعلم القرآن، بدعم اللجان الموجودة في المنطقة، التي تهتم بنشر هذه الثقافة، ذلك أنه بتعليم أبنائنا وبناتنا تلاوة القرآن، ومعاني

---

(١) مستدرك الوسائل. ج٤، ص٢٥٠.

القرآن، ومعارف القرآن، نحيي ذكره ونشيع آياته في مجتمعاتنا.

إن شهر رمضان المبارك هو أفضل فرصة للقيام بمثل هذا الدور.
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإياكم للاستفادة من عطاء شهر رمضان، وأن يهلّه الله تعالى علينا بالخير والبركة والمغفرة، وأن يوفقنا وإياكم فيه لصالح الأعمال، ومقبول الطاعات.

الخطبة الثانية

نفحات شهر رمضان

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكونّن شهر رمضان عندكم كغيره من الشهور، فإن له عند الله حرمة وفضلًا على سائر الشهور»[1].

في هذا الشهر الكريم الذي جاءت الآيات والأحاديث والروايات في تبيان فضله وعظمته، بما يفوق تصور الإنسان، علينا الاهتمام باستثمار فرص الخير والرحمة والمغفرة فيه.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه لما حضر شهر رمضان: «سبحان الله ماذا تستقبلون وماذا يستقبلكم»[2]، كما ورد في حديث آخر عنه ﷺ: «لو يعلم العبد ما في رمضان لودّ أن يكون رمضان السنة»[3]، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «شهر رمضان سيد الشهور»[4]، وعنه ﷺ: «هو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره الإجابة والعتق من النار».

وهذا الإمام الصادق عليه السلام يوصي ولده إذا دخل شهر رمضان قائلًا: «فأجهدوا أنفسكم، فإن فيه تقسم الأرزاق وتكتب الآجال، وفيه يكتب وفد الله الذين يفدون

---

(١) بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٣٤٠ ح ٥.
(٢) مستدرك الوسائل ج ٧ ص ٤٢٥ ح ٨٥٨٩.
(٣) بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٣٤٦ ح١٢.
(٤)بحار الأنوار. ج ٤٠، ص ٥٤، حديث ٨٩.

إليه، وفيه ليلةٌ العملُ فيها خير من العمل في ألف شهر»[١].

على الإنسان أن يضع له برنامجًا مميزًا لهذا الشهر المميز، حتى لايكون كغيره من الشهور، فليحرص الإنسان المؤمن بأن يكون له فيه برنامجان: على المستوى الفردي، وعلى المستوى العائلي، فعلى المستوى الفردي في هذا البرنامج:

أولًا: تلاوة القرآن الكريم والدعاء والاستغفار، يقول علي عليه السلام: «عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء، فأما الدعاء فيدفع به عنكم البلاء، وأما الاستغفار فيمحي ذنوبكم»[٢].

وبحمد الله لدينا كنوز روحية من الدعاء، تركها أهل بيت النبوة، وجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كدعاء السحر، وأدعية الأيام. فكلّ لحظة من لحظات هذا الشهر، وكلّ ساعة من ساعاته، هناك دعاء من الأدعية يقرأ فيها، فعلى الإنسان الاستفادة من ذلك.

ثانيًا: المواظبة على صلاة الجماعة.

ثالثًا: صلاة الليل والنوافل المستحبة، فإذا كان الإنسان طوال السنة لديه مختلف الأشغال والأعمال، فعليه في شهر رمضان المبارك أن يجعل له برنامجًا لأداء النوافل المستحبة، وأن يسعى بالمقدار الممكن لتعويد نفسه على هذه النوافل.

رابعًا: الصدقة، «فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي الصدقة أفضل؟، قال: صدقة في رمضان»[٣]. فعلى الإنسان بذل ما يستطيع في هذا الشهر الكريم، لمختلف الأعمال الخيرية، من مساعدة للفقراء، ودعم للنشاطات الاجتماعية.

---

(١) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٣٠٥، حديث ١٣٤٨١.

(٢) الكافي. ج ٤، ص ٨٨، حديث ٧.

(٣) سنن البيهقي. ج ٤، باب الجود والإفضال في شهر رمضان، ص ٣٠٥.

خامسًا: صلة الأرحام والتواصل الاجتماعي، بأن يكون للإنسان برنامج يومي لزيارة أرحامه، وتفقد أحوالهم.

سادسًا: حضور مجالس الذكر والمعرفة، ففيها من الفوائد الروحية والاجتماعية والثقافية الشيء الكثير.

وهناك برنامج على الصعيد العائلي: بإشعار العائلة بميزة هذا الشهر على سائر الشهور، ليس بالجوانب المادية فقط، ولكن بالجوانب الروحية، وهي الأهمّ. وذلك بتدريب الأولاد على الصلاة والصيام والقراءة الجماعية للقرآن والدعاء. والزيارات العائلية والاجتماعية، بأن تشارك العائلة كلّها في الزيارة للأرحام، ولسائر أبناء المجتمع.

الخطبة الأولى

الانفتاح على الذات

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[سورة الأعراف، الآيتان:٨-٩].

في كثير من الأحيان يهتمّ الإنسان بعلاقاته مع الآخرين، ويهمل علاقته مع ذاته، مع أن هذه العلاقة تعدّ من أهم العلاقات الأساسية التي ينبغي أن يهتمّ بها.

وعندما نتحدّث عن الاهتمام بالذات، لا نقصر الحديث على الاهتمام بالبنية الجسمية، من حيث الغذاء واللباس والمسكن، وسائر الحاجات المادية والملذات. ذلك أن الجسم جزء من ذات الإنسان، لكنه الجزء المنفعل من الذات، وليس الجزء الفاعل، والجزء المتأثر لا المؤثر. ففي الإنسان ما هو فاعل ومسيِّر له، وهو الجانب الأهمّ في تكوينه الذاتي، والمقوِّم الحقيقي لذاته.

فإننا عندما نريد أن نتحدّث عن ذات الإنسان، يمكننا القول بأن الذات هي ذلك الكيان الداخلي الذي يسيِّر الجسد، وهو ما يشكّل مجموع الأفكار والقناعات التي يؤمن بها الإنسان، والأحاسيس والمشاعر التي ينطوي عليها، وما ينبثق منهما من سلوك وممارسات.

إنَّ عمْقَ الذات هو تلك القناعات والمشاعر، والجسم يتأثر بما يعيشه الإنسان من

أفكار ومشاعر جيّاشة، فهي تحركه وتسيّره.

لذلك، فإن الشريعة الإسلامية عندما توجّه الإنسان إلى الاهتمام بذاته، عليه أن يتوجّه إلى هذا الجزء من الذات.

ولكن.. كيف يهتمّ الإنسان بذاته؟

إنّ القرآن الكريم يتحدّث كثيرًا حول هذه المسألة، فيقول جلّ شأنه: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فالإنسان مسؤول عن ذاته بالدرجة الأولى، وهذه الذات هي ما يمكن وصفها بالضلال والهدى، ولم تعبر عن البنية الجسمانية للإنسان، وإنما عمّا يحرك هذه البنية ويوجهها، وهي الأفكار والمعتقدات، حيث هي ما يوصف بالضلال والهداية.

وفي آية أخرى يقول عزّ وجلّ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾[سورة الأعراف، الآيتان: ٨ – ٩].

إن الحديث عن ربح أو خسران النفس الإنسانية، في المنظور القرآني يكون بميزان الأفكار والمعتقدات، وما يوجّه السلوك، وليس بالمقياس المادي الحسي.

وفي آية ثالثة يوجّه القرآن الكريم الإنسان إلى أن يحمي نفسه بالدرجة الأولى، فيقول جلّ وعلا: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، ووقاية النفس ـ هنا ـ تكون عبر إبعادها عن مسبّبات الهلاك، وهي هنا لا تبتعد عمّا نحن بصدد بيانه من أهمّية الاهتمام بالذات، من حيث المعتقد وسلامة الفكر والسلوك.

العلاقة الصحيحة مع الذّات

العلاقة الصحيحة مع الذات يمكن تحقيقها من خلال أمورٍ عدّة، منها:

أولًا: التفرغ للذات والخلوة بها

الإنسان غالبًا ما يعيش مع الآخرين، ومع ما حوله من طبيعة. والنصوص الدينية تدفع الإنسان إلى أن يخصّص له وقتًا ينفرد فيه بذاته، فلا ينشغل بأمور أخرى. وهذا ما نجده في عبادة الاعتكاف مثلًا، حيث يمثّل التأمل والخلوة مع الذات فيها جانبًا مهمًّا. والاعتكاف من العبادات الراجحة والمستحبة التي كانت شبه مغيبة في مجتمعنا، إلى أن بادر بعض المؤمنين في السنوات الأخيرة بالتوجّه إلى إحياء هذه الشعيرة.

الإنسان الذي يعتكف، يذهب إلى المسجد، ليبقى فيه ثلاثة أيام، لا يخرج إلا للضرورة، ويكون صائمًا في النهار، منشغلًا بالعبادة والدعاء وتلاوة القرآن الكريم.

من فلسفة هذه العبادة أن الإنسان يبتعد عن الانشغالات الأخرى، ويتفرغ لذاته، وذلك حينما يكون في المسجد منقطعًا عن المنزل والناس، وهي عبادة تشبه ـ من حيث الروحية في تشريعها ـ صلاة الليل والمناجاة، اللتين هما خلوة مع الذات. فالإنسان بعد منتصف الليل، ينتصب ليقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، بعيدًا عن الناس، والاهتمامات المادية المختلفة، ليتفرغ لذاته.

كثير من الناس يأنس حينما يكون مع الآخرين، كما أن الإنسان ـ بطبيعته ـ يأنس بالملذات، لكن الأولياء حقًّا يأنسون بإقبالهم على الله ومناجاته، وهذا الأُنس في حقيقته هو تفرغ للذّات، واهتمام بها، وإحضار لها بين يدي الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: قراءة الذات وتأملها

ذات الإنسان التي تعني أفكاره وآراءه، وأحاسيسه ومشاعره، تستحقّ منه أن يتأمّل فيها ويقرأها جيّدًا، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1]، فهي دعوة إلى الإنسان لمعرفة نفسه، وقراءتها بتأمّل، إذْ على الإنسان أن يجلس مع نفسه ليعرف خباياها وزواياها المتعدّدة.

فكما أن الإنسان يشغل ذهنه وتفكيره في العديد من القضايا، عليه أن يشغل ذهنه

(١) ابن أبي جمهور الأحسائي. عوالي اللئالي، ج ٤، ص١٠٢.

بالتفكير حول أحاسيسه ومشاعره الداخلية، وصفاته النفسية.

إن علماء النفس والاجتماع ـ الآن ـ يحولون هذه القضية إلى عمل خارجي، فتجدهم في عياداتهم النفسية، يقومون بتعبئة بعض النماذج المليئة بالأسئلة حول ذات الإنسان، فيكتشفون ـ من خلالها ـ العديد من سلوكياته وخلفياتها الذهنية والنفسية، وذلك حينما يواجه الإنسان بعض الأحداث، أو تتغير عليه بعض السلوكيات اللافتة. إنها صورة من صور قراءة النفس، والله سبحانه يطلب من الإنسان أن يبادر بقراءة نفسه، وأن يجعل هذه النفس واضحة في معالمها أمام عينيه، وذلك بأن يسأل نفسه ـ كما يستفاد هذا من بعض الروايات ـ: ماذا لو مِتُّ بعد خمس دقائق من الآن؟ ما هو مصيري؟ أإلى الجنة أم إلى النار؟ إن هذا السؤال سيثير في نفسه دافعًا لوضع تصوّر عام عن شخصيته، التي على أساسها سيتحدّد مصيره.

وفي موقف آخر قد يوجه بعضنا إلى نفسه هذا السؤال: ماذا لو كان الإمام المعصوم حاضرًا وطلب مني أن أتجرد عن جميع أملاكي وبيتي، ماذا سأفعل؟ وماذا لو طلب مني أن أتقدّم إلى الجهاد والقتال، ماذا سأفعل؟، أو: ماذا لو وصلني خبر معيّن ثقيل على نفسي، كيف سأتصرف؟، علينا جميعًا أن نضع هذه الأسئلة أمام أنفسنا، فهي ستعيننا على قراءة ذواتنا.

من لا يقرؤون أنفسهم قد لا يعرفون كيف يتصرفون إذا واجهتهم بعض المشكلات، فالبعض قد ينهار لمجرّد تعرّضه لأقل هزّة، لأنه لم يُعِدَّ نفسه جيّدًا لمواجهتها، فهو لم يقرأ نفسه قبلًا، بل كان منشغلًا بأمور كثيرة، منشغلًا بالأسهم وما يجنيه من أرباحها، ولا يشغل ذهنه بما عليه من تصرّف لو هبطت قيمة هذه الأسهم فذهبت معها نصف أمواله.

بعض الناس يعيشون دائمًا حالة التبرير لأوضاعهم، وهي حالة سلبية، لا تجعل الإنسان مندفعًا نحو تطوير ذاته، أو الوقوف منها الموقف السليم، وفي ذلك يقول

تعالى: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾[سورة النجم، الآية: ٣٢]، إن مَن يبرر لنفسه دائمًا، هو في الواقع يخدع نفسه ويضرّها، إن المنهج القرآني يوصي الإنسان أن يكون مع نفسه لوّامًا: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[سورة القيامة، الآيتان: ١ ـ ٢]، ويؤيد هذا المنهج ما ورد عن رسول الله ﷺ: «حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا»[١]، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم وليلة»[٢].

ثالثًا: الجرأة في اتخاذ القرار مع الذات

وذلك بتغيير بعض طبائع الذات في عاداتها، أو بعض أفكارها، وهذا من أصعب الأمور. فمن يعتنق فكرة معينة مدّة من الزمن، من الصعب أن يغيّرها، ومن لديه سلوك وطبيعة، ربما يكون تغييرها أصعب. لكن هذا هو الامتحان الأكبر، بأن يغير الإنسان بعض طبائعه أو أفكاره، لمصلحة ذاته ومن أجلها.

وما تؤكّده النصوص الدينية هو أهمية ترويض وتهذيب النفس إلى ما يصلحها، يقول في ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وَ إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ»[٣].

كما يقول في موضع آخر: «أَعْجزُ الناس من عَجِزَ عن إصلاح نفسه»، فمن كان في نفسه خلل ويعجز عن إصلاحه، فذلك من أشدّ أنواع العجز.

وفي كلمة أخرى يقول عليه السلام: «سياسة النفس أفضل السياسات»، بمعنى: أن أفضل سياسات التعامل، هي سياسة التعامل مع النفس وإدارتها. ويقول عليه السلام: «كلما زاد علم الرجل، زادت عنايته بنفسه، وبذل في رياضتها وصلاحها جهده».

---

(١) بحار الأنوار. ج٦٧، ص٧٣.

(٢) بحار الأنوار. ج٦٨، ص٢٥٩.

(٣) نهج البلاغة. خطبة ٤٥.

تنشئة الأبناء قيميًّا وأخلاقيًّا

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[سورة لقمان، الآية:١٧].

يتحمّل الوالدان مسؤولية كبيرة في تنشئة الأبناء على القيم والمبادئ والسلوك الحسن، ذلك أن معظم الأسر تهتمّ بالتنشئة الجسمية والترفيهية لأبنائها، وتهمل التوجيه والإرشاد السلوكي والأخلاقي عند الأبناء، بخلاف التعاليم الإسلامية التي تحثّ على هذه المسألة. ويكفينا ما تعرضه الآيات المباركة في سورة لقمان، حيث تورد جملة من الوصايا اللقمانية التي وجّهها إلى ابنه، فتبدأ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[سورة لقمان، الآية: ١٣]، إلى أن تصل الآيات إلى قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[سورة لقمان، الآية: ١٧].

إن مسؤولية الأسرة في تنشئة أبنائها على القيم والمبادئ مسؤولية كبرى، ومهمّة شاقة، ولعلّ مما ييسّر عملية التربية السلوكية على الأسرة أمرين، هما:

الأول: أن تكون الأسرة قدوة للأبناء

على الأب أن يكون قدوة لأبنائه في السلوك القويم، وفي تحمّل المسؤولية تجاه القيم والمجتمع. يريد بعض الآباء أن يظهروا أمام أبنائهم بصورة خلاف ما هم عليه في

الواقع. فحينما يسافر البعض بعيدًا عن أهله، يقوم ببعض السلوكيات الخطأ، التي ينهى أبناءه عنها عندما يكون بينهم، وهذا ازدواج في الشخصية. وفي حالات أخرى، ترى البعض وهو في المنزل يدفع أبناءه إلى غرف النوم، حتى يجلس ليتابع بعض الأفلام والمسلسلات المخلّة بالآداب، متصوّرًا أنه يقوم بذلك دون مراقبة، بينما يدرك الأبناء ما يقوم به مثل هؤلاء الآباء، فالصغار لديهم درجة من الذكاء يفكرون ويتحسّسون بمختلف الأساليب والوسائل. ومما يؤسف عليه أن تأتينا رسائل من بعض الزوجات، أو من بعض الأبناء، يشتكون فيها من ربّ الأسرة بأنه يطالع بعض المشاهد الإباحية، سواء على التلفاز، أو على جهاز الحاسب الآلي، وفي بعض الأحيان على الهاتف الجوّال. في بعض الرسائل التي تأتينا على البريد الإلكتروني، تشتكي بعض الزوجات من أن زوجها يتابع هذه الأمور، ويصرف وقتًا في متابعتها، مع العلم بأن ذلك أمر محرّم.

الثاني: التوجيه والإرشاد من الصغر

ينبغي للأب أن يربي أبناءه على تحمّل المسؤولية تجاه مجتمعهم، فيربيهم على العمل التطوعي، وعلى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيما يكون له نفع عام على المجتمع. فبعض الآباء يبخلون بأبنائهم على الأعمال الاجتماعية الخيرية، فلا يريد أن يشغلهم بأمور غير الدراسة، وهذا خطأ كبير تجاه الابن، وتجاه القيم التي يؤمن الإنسان بها. فها هو لقمان يوصي ابنه بأن يكون صالحًا مصلحًا، فيقول: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، يوجّه ابنه إلى أن يكون آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، وفي وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الأخيرة يقول لابنيه الحسنين عليهما السلام: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْنًا»[1].

إن الإنسان إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وسار في هذا الطريق، تواجهه صعوبات وعوائق، عليه أن يربي أبناءه على تحمّل الصعوبات والمشكلات التي قد

(١) نهج البلاغة. خطبة ٤٧.

تواجههم. إن لقمان يوصي ابنه قائلًا: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾، فما يصيب الإنسان من مشاكل في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تحمّلها من عزم الأمور.

بعض الأسر ينتجون أبناء عاملين في خدمة الدين والمجتمع، وهم بذلك يتحمّلون المسؤولية تجاه المجتمع وتجاه الدين، مع كل الأعباء والصعوبات، ويتوارثون القيام بهذا الدور، وهذا توفيق كبير من الله. وهذا ما نقرؤه في سيرة أهل البيت ﷺ، إذ كانت حياتهم مع أسرهم في هذا الطريق الذي يتحملون فيه الأعباء، ويواجهون الصعوبات والمعاناة في سبيل خدمة الدين والأمة.

وفاة السيد عبد العزيز الحكيم

وننعى اليوم فقيدًا من العلماء والشخصيات التي خدمت الدين والأمة، وهو سليل أسرة توارثت خدمة العلم والمجتمع والدين، وهو سماحة السيد عبد العزيز الحكيم ﵀، من أبناء المرجع الراحل السيد محسن الحكيم ﵀، وهؤلاء الأبناء العشرة ثلاثة منهم فقط توفوا بصورة طبيعية، فيما البقية رحلوا عن الدين شهداء في سبيل الله.

نسأل الله تعالى له المغفرة والرحمة، وأن يلهم ذويه الصبر والسلوان، ويحفظ بقية أنجاله، والسائرين على درب الخير، والحاملين للواء القيم الإسلامية، التي تدافع عن مصالح الناس والأوطان الإسلامية، نسأل الله لهم التأييد والتسديد. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ مراجعنا وعلماءنا وعلماء الإسلام العاملين المخلصين في كلّ مكان.

أخلاق التعامل في الأسرة والمجتمع

الخطبة الأولى

مما جاء في خطبة رسول الله ﷺ عند دخول شهر رمضان: «أيها الناس، من حسّن منكم في هذا الشهر خُلقه، كان له جوازاً على الصّراط يوم تزلّ فيه الأقدام. ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه، خفّف الله عليه حسابه. ومن كفّ فيه شرّه، كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه. ومن وصل فيه رَحِمَه، وصله الله برحمته يوم يلقاه. ومن قطع فيه رَحِمَه، قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه»[1].

من عادات المؤمنين في هذا الشهر الكريم التوجّه إلى إحيائه بالعبادات، كالإقبال على تلاوة القرآن الكريم، وقراءة الأدعية، وأداء العمرة، والنوافل. وثواب هذه الأعمال العبادية أكبر في هذا الشهر من سائر الشهور.

العلاقة مع الآخر في دائرة التوجيه النبوي

يلاحظ في هذا الجزء من خطبة الرسول ﷺ زيادة الاهتمام بتفعيل العلاقات بين الناس، التي ينبغي أن يكون لها نصيب من اهتماماتنا وتوجّهاتنا خلال هذا الشهر الكريم، من باب التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بحسن الأخلاق، وليس فقط بأداء العبادات.

إن أخلاق الإنسان هي سجاياه وطبائعه، التي يدير بها حياته، ويتعامل من خلالها

(١) وسائل الشيعة. ج١٠، ص٣١٤، حديث ١٣٤٩٤.

مع الناس.

والكثير من الأفراد يقعون تحت وطأة الاستسلام للسلوكيات التي ألفوا السير عليها، ولا يقبلون المناقشة، معللين ذلك بأن هذه طريقتهم وطبيعتهم.

وعلى ضوء ذلك نسأل:

- هل إن سلوكيات الإنسان وطرق تعامله مع الآخر ثابتة حتمية لا يمكن تغييرها؟
- هل طريقته في التعامل مع الآخرين هي المثالية بحيث لا شيء أفضل منها؟
- هل يطرح الفرد على صفحة نفسه ليسألها عن كيفية علاقته مع والديه، وزوجته، وأبنائه، وسائر أرحامه، فيسعى بعد ذلك لتصحيحها أو تطوير القاصر منها؟

لا شك أن الإنسان لديه القدرة على تغيير سلوكياته وأنماط معاشرته للناس، وإلا لو لم يكن قادرًا على ذلك لما صحّ معاقبته ومحاسبته، وأصبح لا جدوى من وضع المناهج لتعديل السلوك الإنساني.

وتحسين الخلق، ليس فقط بالانتقال من السلوك السيئ إلى الحسن، بل هو أيضًا رفع لدرجة الأخلاق إلى أفضل مستوى.

تحسين الأخلاق في شهر رمضان

ورد عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «من تطوّع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدّى فريضة من فرائض الله عزّ وجلّ، ومن أدّى فيه فريضة من فرائض الله، كان كمن أدّى سبعين فريضة من فرائض الله فيما سواه من الشهور»[1].

ليس التطوّع بأداء الصلاة ودفع الصدقة فقط، بل منه أن يتبع الإنسان سلوكًا حسنًا جديدًا في سيرته وتعامله، وبالتالي يكون كمن أدّى سبعين فريضة من فرائض الله. فإذا

---

(١) الكافي. ج٤، ص٦٦.

طوّر الإنسان في أسلوب علاقاته مع الآخرين، في رحاب هذا الشهر الكريم، وواظب عليها فيما بعد، فإنه سيخرج من هذه المدرسة الروحية التربوية بثمرة وحال جديدة، لم يكن قد تعوّد عليها، وقد يجد في بداية الأمر صعوبة في الألفة معها، لكن تصبح فيما بعد مألوفةً وعاديةً.

مبادرات يسيرة ذات قيمة عالية

- هل تعوّدت حينما تدخل بيتك أن تلقي السلام على عائلتك؟
- إن لم تكن متعوّدًا، فعوّد نفسك بالسلام على أهلك، حينما تدخل بيتك. فليس إلقاء السلام على الأجانب فقط.
- هل عوّدت نفسك شكر عائلتك وأبنائك على ما يقدّمونه من خدمات منزلية؟
- لماذا لا توجّه شكرك لزوجتك إذا قدمت لك طعامًا أو أيّ خدمة أخرى؟ فله الأثر الطيب على قلبها ونفسها.
- وكذلك الزوجة في المنزل، إذا جلب زوجها حاجيات العائلة ومستلزماتها، مع أن هذا من واجباته، لكن أن تشكره وتدعو له بطول العمر والسعة في الرزق، فإن هذا الإسلوب له تأثير كبير على الطرفين، وعلى الأبناء، الذين سيجنون ثمرة هذه العلاقات الطيبة بين الوالدين، التي من أهمّها الاعتياد على شكر من أحسن إليهم. وكذلك الإحسان إلى والديهم. هذه العادات والتجارب اليسيرة على الإنسان أن يواظب عليها؛ لأنها من الخير، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الخير عادة»[1].

تصحيح لمفهوم خطأ

ليس صحيحًا أن يبرّر الإنسان لنفسه قوله: إن هذا من طبيعتي، فماذا أصنع؟

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

الإمام علي عليه السلام يقول: «لا تسرعنّ إلى الغضب فيتسلّط عليك بالعادة»[١]، فإذا عوّدت نفسك تصبح أسيرًا لتلك العادة.

وورد عنه عليه السلام: «تخيّر لنفسك من كلّ خلقٍ أحسنه، فإن الخير عادة، وتجنب من كلّ خلق أسوأه وجاهد نفسك على تجنبه»[٢]، وعنه عليه السلام: «عوّدوا أنفسكم الحلم»[٣].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: « إذا لم تكن حليمًا فتحلّم»[٤]. حاول أن تعود نفسك على الحلم بالسيطرة على أعصابك، ولا تنفعل حينما يكون هناك ما يسيء إليك ويزعجك.

فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «عود لسانك لين الكلام وبذل السلام»[٥].

بين المجتمع الشرقي والغربي

ذات مرة أعدّت إحدى الفضائيات برنامجًا تلفزيونيًّا يطلق عليه «الكاميرا الخفية» حيث يواجهون فيه الإنسان بتصرّف استفزازي، ليروا ردة الفعل الصادرة عنه. فقاموا بإجراء تجربة رشّ الماء، وبشكل فجائي، على مجموعة من الأشخاص، الذين ينتمون لأحد المجتمعات الغربية، وإلى مجموعة أخرى تنتمي لأحد المجتمعات الشرقية، وقاموا بمقارنة ردود الفعل بين المجموعتين، فبدا الفارق واضحًا. ففي المجتمعات الغربية كانوا يبتسمون ويضحكون، ويردّدون عبارات فيها نوع من المزاح والابتهاج؛ لأنه بالتأكيد حينما يواجه الإنسان هذا التصرف فإنه ينزعج في بداية الأمر، ثم ما يلبث أن يفكر لماذا هذا التصرف؟ فهناك من يدرك أن هذا التصرف لا بُدّ وأن يكون له باعث معيّن، فلماذا الانفعال والانزعاج؟

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تحف العقول. ص٢٢٤.

(٤) الكافي. ج٢، ص١١٢.

(٥)غرر الحكم ودرر الكلم.

أما في المجتمع الشرقي، فكانت ردّة الفعل أن انطلق اللسان كالبارود، إذ ينفجر بالسّباب والشّتائم.. المسألة إذًا ترتبط بالحالة النفسية والتعوّد.

حسن الاستماع

ومن العادات التي اهتمّ الإسلام بها حسن الاستماع، فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «عوّد أذنك حسن الاستماع»، فالمشكلة التي تتكرر في الكثير من المجالس، هي قطع السامع كلام المتكلم، وإدخال حديث آخر على كلامه، وهي عادة غير جيدة، ولا تلتقي مع ما تنشده تعاليم ديننا الحنيف.

أفضل زمن لتنمية العادات الطيبة

من أهم معالم حسن الخلق في هذا الشهر الكريم صلة الرحم (من وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ومن قطع رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه).

وأول درجة من درجات صلة الرحم: منع الإساءة للزوجة، والوالدين، والأولاد، وإساءة الزوجة لزوجها.

والدرجة الثانية: الإحسان، فحسن التعامل، والعطاء لهم، والتواصل معهم، نَدَبَ إليه الدين الإسلامي، فرسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه، خفّف الله عليه حسابه»، فمن كانت لك السيطرة عليهم، كالعمّال، والخدم الذين يكونون تحت إشراف الإنسان، حيث يخفّف الضغط عليهم في أسلوب التعامل معهم، وتشير بعض التقارير إلى أن الخدم وخاصّة في المنازل يتضاعف عليهم العناء في هذا الشهر، حيث زيادة الطبخ، وإعداد الطعام، والنشاط البيتي الذي يكثر ويزداد.

الخطبة الثانية

المروءة مفهومًا وسلوكًا

سئل الامام الحسن بن علي عليه السلام عن المروءة، فقال عليه السلام: «شحّ الرجل على دينه وإصلاحه ماله وقيامه بالحقوق»[1].

نستقبل ذكرى ميلاد أبي محمد الحسن بن علي، أول نجم أضاء سماء البيت النبوي العلوي، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينتظر إنجاز وعد الله بمنحه الذرية الطاهرة الطيبة عن طريق بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام. وكان ذلك في منتصف شهر رمضان من السنة الثانية أو الثالثة للهجرة على اختلاف المؤرخين.

وتصف كتب السير والروايات مدى ابتهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وفرحه بأول أسباطه. والحمد لله فإن المؤمنين يخلّدون فرح رسول الله صلى الله عليه وآله باحتفالٍ عامٍّ، تتحول فيه مجتمعاتهم ومناطقهم إلى مهرجان كبير من الفرح والسرور، والتواصل والتهادي، وإبداء مشاعر المحبة تجاه بعضهم بعضًا.

وهناك شرائح من المسلمين في مختلف المناطق يظهرون ابتهاجهم وسرورهم بليلة النصف من رمضان، وإن كان البعض لا يدرك الأصل التاريخي لهذا الاحتفاء، ويجهل سبب نشوء هذه العادة الحسنة، إلا أن أتباع مدرسة أهل البيت يعرفون ذلك جيدًا، ويدركون أهمية تخليد ذكرى الفرحة الغامرة التي دخلت على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى قلب فاطمة وعليّ، وقلوب المسلمين جميعًا، الذين فرحوا لفرح

(١) وسائل الشيعة. ج١١، ص٤٣٥.

نبيهم، وابتهجوا لابتهاجه.

وفي رحاب هذه المناسبة نتحدّث عن نقطتين:

الأولى: الإمام الحسن ومفهوم المروءة

المروة أو المروءة، مشتقة من المرء / امرئ، أي إنسان، كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، وهذا يعني أن المروءة مشتقة من هذا المعنى، والإنسانية تعني اتصاف الإنسان بطبيعته الإنسانية الأصلية، التي تنسجم مع ميزة الإنسان على سائر المخلوقات.

والمروءة عند علماء الأخلاق هي الإنسانية، يقول أحدهم: إنها اتّصاف النفس بصفات الإنسان، التي فارق بها الحيوان البهيم. وسئل الإمام الحسن بن علي عليه السلام عن المروءة، كيف تتجسّد وتنعكس على سلوك الإنسان، فأجاب عليه السلام بأنها على ثلاث صفات:

١. **شحّ الرجل على دينه**: أن يكون حريصًا على الالتزام بدينه، ولا يتنازل عنه. والشحّ هو الحرص، ويعني الحرص على القيم والمبادئ الإسلامية، كما نحرص على مصالحنا المالية. فكما نهتم ألا نخسر في الجانب المالي، يجب أن نحرص على ألا نخسر من قيمنا ومبادئنا الإسلامية.

٢. **وإصلاحه ماله**: أي التعامل مع الثروة المالية من جهة تنميتها، والترشيد في صرفها، وهذا ما تحتاجه المجتمعات التي تعوّدت على هدر المال، والإنفاق على الكماليات دون حساب.

٣. **وقيامه بالحقوق**: أي يقوم بالحقوق التي عليه تجاه الآخرين.

الثانية: أجواء الاحتفال بمولد الإمام الحسن

من العادات الطيبة التي يمارسها مجتمعنا في مثل هذه المناسبة، أن تتحوّل إلى مهرجان كبير مفتوح، يشارك فيه الكبار والصغار. وفي مثل هذه المناسبة أصبحت

مناطقنا محلّ اهتمام من قبل الآخرين، حيث يزورونها للمشاركة في هذه المهرجانات، وللاطّلاع على طبيعة العادات الموجودة في المجتمع، في أجواء هذه الاحتفالات. وهنا أؤكد على الأمور التالية:

١. السّعي الجادّ لمنع التصرفات الطائشة، التي تصدر من بعض الجهلاء، ولا يخلو أيّ مجتمع منهم، بوضع حدٍّ لممارساتهم السيئة. وأن يستشعر كلّ فرد مسؤوليته في حماية هذه الأجواء والمناسبات الإسلامية.

٢. أن نضع الحلول والبرامج الجادّة لإرشاد هؤلاء الشباب، ونحثّهم على القيام بالأعمال الحسنة. فهم أبناء هذا المجتمع، وإن كان جهلهم، وسوء أفكارهم، أو تأثير الشلل السيئة، تدفعهم إلى مثل هذه الممارسات، فبالتوجيه والنصح ننقذهم منها، يضاف إلى ذلك تشجيعهم على الممارسات الحسنة الإيجابية.

٣. أن نرحّب بالقادمين والزائرين لمجتمعنا في مثل هذه المناسبات، ونحتفي بهم، ونتعامل مع تساؤلاتهم بمرونة، مهما كان هدفها، ونوعها، لنقدّم الصورة الناصّعة الطيبة عن مجتمعنا.

٤. فيما يرتبط بالتهادي وإعطاء الأطفال الهدايا في مثل هذه المناسبة، علينا:

- ألا نقدّم لهم الأطعمة والمشروبات التي تسيء لصحتهم.
- أن نقدّم للأطفال مع سائر الهدايا، من أطعمة ومشروبات وألعاب، بعض القصص القصيرة، التي تشجّع الأطفال للارتباط بالقراءة والمطالعة، فهذه تزيد وتنشّط الحركة الثقافية، وتزيد من التنافس على إخراج أفضل قصة أو كتاب أو قرص ممغنط لهذه المناسبة.

أرجو أن يكون هناك استفادة من هذه الفكرة الجميلة، ونسأل الله أن يبارك لنا ولجميع المسلمين والمؤمنين وأبناء البشرية جمعاء ذكرى ولادة الإمام المجتبى.

الخطبة الأولى

الإمام علي وعبادة الأحرار

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «إن قومًا عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قومًا عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قومًا عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار»[1].

وقال في مناجاته لله: «إلهي ما عبدتك خوفًا من عقابك ولا طمعًا في ثوابك ولكن وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك»[2].

ونحن نعيش ذكرى استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن علينا أن نلتفت إلى بعض زوايا العظمة في شخصيته، وأن نأخذ الدروس والعبر من سيرته، ومن أهم تلك الجوانب:

علاقته مع الله سبحانه وتعالى، فهو يضع منهاجًا لتوجّه الإنسان العبادي لربّه، وهذا المنهاج يعتمد على قاعدتين:

الأولى: قاعدة المعرفة

إذا تعرّف الإنسان إلى ربه، وعرف شيئًا من عظمته ورحمته، فإن هذه المعرفة تدفعه لعبادة الله، وتجعله مقبلًا عليها. والذين لا يعبدون الله سبحانه إما أنهم يجهلون

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ٢٣٧.

(٢) بحار الأنوار. ج٤١، ص١٤.

الله خالقهم، أو أنهم غافلون عن عظمته سبحانه وتعالى.

أمير المؤمنين علي عليه السلام يرسي هذه القاعدة، ليس من أجل أن هذه العبادة تعود بمردود على الإنسان، أو تدفع عنه ضررًا، وإنما لأن الخالق يستحقّ أن يعبد، فقوله عليه السلام: «إلهي ماعبدتك خوفًا من عقابك ولا رغبة في ثوابك» لا يعني أن عليًّا لا يخاف عقاب الله، ولا يرغب في ثوابه، وإنما يعني أن الدافع لعبادة الله بالدرجة الأولى عند علي عليه السلام هي معرفته لعظمة الله سبحانه وتعالى «ولكن وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك». ولتوضيح هذه العبارة نضرب المثل التالي:

بالنسبة لتبادل الاحترام بين الناس، هناك شخص أحترمه حتى أحصل على المزيد من عطائه، وآخر أبدي له الاحترام والتقدير حتى أدفع عن نفسي سوءه، والأذى الذي قد يصدر منه. وفي المقابل، هناك شخص أقدم له الاحترام والتقدير لا لكسب شيء من عطائه أو لدفع شيء من شرّه؛ بل لأنه يستحقّ الاحترام، حيث تتحلى نفسه بالكثير من المزايا والكمالات.

وعودة إلى عبارة أمير المؤمنين التي يلفت فيها نظرنا إلى أنه لا يجب أن نتعامل مع الله تعالى بعقلية الخوف أو الطمع، وإنما يجب أن نلتفت إلى أن الله تعالى هو أهل للعبادة والخضوع، هذا المعنى للعبادة ترجمة واضحة للقاعدة الأولى وهي قاعدة المعرفة.

القاعدة الثانية: قاعدة الشكر

الطمع والخوف يرتبطان بأمر مستقبلي، والشكر يرتبط بأمر سابق، فلو أن إنسانًا صنع لك معروفًا وأحسن إليك في الماضي فتارة:

- تقدم له الشكر على إحسانه.
- وتارة أخرى تقدم له الشكر؛ لأنك تريد أن يدوم التواصل معه من أجل استمرار

وصول إحسانه ومنفعته إليك. أمير المؤمنين عليه السلام يقول: عليك أن تشكر الله على ما أسبغ عليك من نعمه، فالمنعم يستحقّ الشكر. وقوله إن قومًا عبدوا الله رغبة، أيّ لمصلحة مستقبلية يريدونها من الله فتلك عبادة التّجار، يعطي حتى يأخذ. وإن قومًا عبدوا الله رهبة، أي: خوفًا من عذابه، وألا يعطيهم النعمة التي يريدونها، فتلك عبادة العبيد. وإن قومًا عبدوا الله شكرًا على ما أعطاهم، فتلك عبادة الأحرار.

بين عبادة وعبادة

والسؤال المهم هو: هل هناك فرق بين أن ينطلق الإنسان في عبادته من المعرفة والشكر أو ينطلق من الرغبة والخوف؟؟

والجواب على ذلك أنه نعم هناك فرق، حيث يتجلى ذلك الفرق في أن من يعبد من أجل الرغبة أو الرهبة، فإنه يكتفي بالمقدار الذي يظن أنه يحقّق له ذلك، مثل الموظف الذي يعمل بمقدار الراتب الذي يعطيه إيّاه ربّ العمل، كذلك الذي لا يصلي إلا مافرضه الله من الصلوات الخمس اليومية، طمعًا في الثواب، وتجنبًا من عقوبة ترك الصلاة فقط.

أما الإنسان الذي يصلي لأنه يرى الله أهلًا للعبادة، ويتعبّد حتى يشكر الله على ما أسدى إليه من النعم، وأفاض عليه من الخير، فإنه عاشق يخدم معشوقه تقربًا إليه، وحبًّا له. إن هذا اللون من العبادة لا تكون بمقدار أداء ما يسقط به الواجب فقط، وإنما بمقدار ما يتمكن ويستطيع، فأداء الصلاة الواجبة مع كافة مستحباتها، هي لمن يعبدون الله؛ لأنه أهل للعبادة، وشكرًا له على آلائه وفضله ونعمه، لذلك لا يكتفون بالحدّ الواجب، وإنما يطالبون أنفسهم بأقصى ما يستطيعون ويتمكّنون، وهكذا كانت عبادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

علي وعبادة العاشق لله

قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة: «أما العبادة فكان أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصومًا، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وماظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده: أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده، والسّهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيه، يمينًا وشمالًا، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته، وماظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده»[١].

أما بالنسبة للروايات التي تقول أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، فليس المقصود الرقم، بل المقصود أنه كان يصلي أكبر عدد ممكن من الركعات في اليوم والليلة، فهو توصيف للكثرة.

أما الدعاء فقد ورد عن الإمام الصادق أن أمير المؤمنين رجل دَعَّاءٌ ـ بمعني كثير الدعاء، وقد حفظ لنا التاريخ شيئًا من أدعيته الرائعة، وكيف كان يناجي الله سبحانه وتعالى. فقد نقل عن أبي الدرداء قوله: (شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات النجار[٢]، وقد اعتزل من مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل[٣]، فافتقدته وبعد عليَّ مكانه، فقلت: ألحق بمنزلة، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي، وهو يقول:

«إلهي كم من موبقة حملت عني مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا أؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك.

فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب ﵇ بعينه، فاستترت

(١) شرح بن أبي الحديد. ج١، ص٢٧.
(٢) أي شجر يتخذ من القسيّ.
(٣) بمغيلات النخل: أي النخل الكثيف.

له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبثّ والشكوى، فكان مما به الله ناجى أن قال:

«إلهي أفكر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أَخْذِكَ فتعظم عليَّ بليتي».

ثم قال: «آهٍ إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء»، ثم قال: «آهٍ من نار تنضج الأكباد والكلى، آهٍ من نار نزاعة للشوى آهٍ من غمرة من ملهبات لظىً، قال: ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حسًّا»[1].

أيها الأحبة، إننا حين نحتفي بذكرى استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن علينا أن نهتدي بسيرته، وأن نُقْبِلَ على عبادة الله تعالى وطاعته، ونحن في هذا الشهر الكريم شهر رمضان، وقد بقيت منه العشر الأواخر، التي كان رسول الله ﷺ يقبل فيها على العبادة والطاعة، لذا علينا أن نغتنم هذا الوقت، ونستفيد من هذه الفرصة، فما يدرينا أنعيش إلى عام قادم أم لا، لنكسب الفرصة، أطال الله أعمارنا جميعًا في خير وصلاح.

---

(١) بحار الأنوار ج٨٤ ص١٩٥.

التواضع في سيرة الإمام علي

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «ما تواضع إلا رفيع وما تكبر إلا وضيع»[1].

حينما ينعم الله تعالى على الإنسان بمكانة من العلم أو المال أو المنصب أو الجاه، فإن عليه تجاه هذه النعمة أن يشكر الله سبحانه وتعالى، ومن أجلى مظاهر شكر الله على النعمة التي منحها للإنسان، هي أن يتواضع للآخرين قربة إلى الله تعالى.

إن الإنسان حينما يكون واثقًا من نفسه، وعارفًا لقدر نفسه، فإنه يتواضع للآخرين، فالرفعة الحقيقية تنعكس تواضعًا بين الناس. أما الإنسان الذي يشعر من نفسه الضعف والهوان، فإنه يريد أن يعوّض ما يشعر به بالتظاهر بحالة من الرفعة بين الناس، لذلك يقول علي عليه السلام: «ما تواضع إلا رفيع»، الإنسان الرفيع في مشاعره وأحاسيسه، يتعامل مع الناس بتواضع، فلا يتعالى ولا يتكبر. بينما الإنسان الخاوي الفارغ من داخله، يحاول أن يصطنع له مكانة بالتعالي والترفع على الناس.

ونستفيد هذا الدرس من الطبيعة، حيث نرى غصن الشجر الذي لا ثمرة فيه متعاليًا، أما غصن الشجر المليء والمثقل بالثمار فنرى انحناءه وتدليه.

وهكذا هو الإنسان، إذا كان مليئًا بالثمار، وبنقاط القوة، وهو واعٍ بتلك الحالة، فإنه يكون كالغصن المتدلي، بحيث إذا ملك شيئًا عليه أن يبذله للناس ويتقرب منهم.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «عليك بالتواضع فإنه من أعظم العبادة»[١]، والتواضع ليس مفهومًا فضفاضًا، ولا فكرة خيالية،وإنما هو سلوك وطبع يتطبع به الإنسان في تعامله مع الآخرين، فيتواضع في تعامله مع زوجته ومع الوالدين والأبناء.

يتجلّى التواضع أكثر في التعامل مع من هو دونك في المكانة، وأقلّ منك علمًا ومالًا وقدرة.

وهل من الفخر التواضع أمام زعيم من الزعماء وتبجيله واحترامه؟ إن ذلك قد يكون مفروضًا على الإنسان، إنما الفضل والتواضع الحقيقي هو الاحترام للفقير والضعيف، ومن يعمل تحت إشرافك.

مشاهد وتجليات

لِنرَ كيف يتجلّى التواضع في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام عبر الأمثلة التالية:

١. تواضع أمير المؤمنين عليه السلام وتعامله مع خادمه قنبر الذي كان يحترمه، حتى إنه يذهب معه إلى السوق، فيشتري ثوبين، فيعطي قنبر الثوب الأغلى، ويقول له: أنت شاب ولك شره الشباب، فخذ هذا الثوب، ويأخذ هو الثوب الأقل قيمة، مع أنه كان في موقع الخلافة والحكم، والأهمّ من ذلك ما يتمتع به من كمالات وخصائص، لكنه لم يتعامل على أساس التعالي، بل كان يرفض ذلك من الناس أن يتعاملوا معه على هذا الأساس، وقال لهم: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ»[٢].

---

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج١٤، ص٣٠١.

(٢) نهج البلاغة خطبة ٢١٦ ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين.

٢. وعندما عاد من صفين، ومرّ بالأنبار، استقبله جماعة ومعهم دهاقينهم، فلما استقبلوه نزلوا، وجاؤوا يشتدون معه، ويسيرون أمامه وخلفه، تعظيمًا له، فالتفت إليهم أمير المؤمنين قائلًا: ماذا تصنعون؟

قالوا: هذا خلق نعظّم به الأمراء، فرفض أمير المؤمنين هذه الطريقة، وقال: «أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأمراء، فوالله ما ينتفع بهذا الأمراء، وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا له»[١].

٣. يأتي له ضيف مع ابنه، فيقدم له الطعام، وبعد انتهاء الطعام، يقوم الإمام بنفسه ليصبّ الماء على يد الضيف، فيخجل الرجل، ولكن عليًّا يلزمه بذلك، فيصبّ الماء على يد ضيفه، ولما جاء دور الولد، التفت الإمام إلى ولده محمد، وقال: صبّ الماء على يد الغلام، وقال للغلام ما يشبه الاعتذار: لأن أباك موجود فإني أميّز أباك احترامًا له، أصبّ على يده، ويصبّ ولدي على يدك، ولو لم يكن أبوك موجودًا لصببت أنا على يدك.

٤. كان متواضعًا في داره، يخدم في البيت مع عياله، وكان يخرج إلى الشارع في وضع عادي دون أبّهة، ودون موكب، كعادة ما يصاحب الزعماء أو الحكام.

٥. وقد ورد عنه ﵇ أنه كان يمشي حافيًا، ويعلّق نعليه بيده اليسرى في خمسة موارد، يوم عيد الفطر، وعيد الأضحى، ويوم الجمعة، وعند العيادة حينما يذهب لعيادة مريض، وتشييع الجنازة، ويقول: إنها مواضع لله، فأحبّ أن أكون فيها حافيًا.

إن من يتوالى عليًّا ويحبّه، فإن عليه أن يقتفي أثره في التواضع والتسامح مع الناس، القريبين والبعيدين، فإن ذلك هو سبب العلو والرفعة.

---

(١) بحار الأنوار ج١٠٠ ص٥٥.

الخطبة الأولى

المسؤولية تجاه الفقراء

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة الذريات، الآية:١٩].

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾[سورة المعارج، الآية:٢٤].

إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وتكفل بأرزاقهم، كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وهذا بشكل عام، وفيما يرتبط بالبشر، فإن الله سبحانه وتعالى أودع لهم في حنايا الكون وثناياه كنوز الخيرات والثروات، ومنحهم العقول والقدرات التي يتمكنون بها من السعي لأرزاقهم، وتحصيل ما تتقوّم به حياتهم. ورد عن علي عليه السلام: «عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ»[1]. لكن بعض البشر قد يتكاسلون عن السعي لأرزاقهم، فيعيشون حياة الفقر بسبب كسلهم وتقاعسهم عن البحث عن أرزاقهم، وعن السعي من أجل حاجاتهم.

وفي كثير من الأحيان يعيش البشر وضعًا غير عادل، لا يستطيع فيه بعضهم الوصول إلى رزقه؛ لأن هناك خللا في النظام الاجتماعي، فلا تكون الفرص متاحة، أو لا تكون متكافئة، لذا لا يصل هؤلاء الناس إلى أرزاقهم، بسبب الخلل الموجود في النظام الاجتماعي.

وفي بعض الأحيان قد يكون الإنسان عاجزًا عن السعي لرزقه، لنقص في قدراته أو

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ٩١.

لمرض، أو لتعب، أو لأيّ ظرف آخر، فيعجز عن الوصول إلى حصته من الرزق المقدر له.

إن الحالة السوية أن يسعى كلّ إنسان إلى رزقه، والرزق والخير موجودان، ولكن هناك حالات استثنائية، أبرزها الحالات الثلاث:

١. كسل الإنسان عن السعي إلى رزقه.
٢. الخلل في النظام الاجتماعي.
٣. وجود عجز عند الإنسان لخلل في جسمه أو في وضعه.

لهذه الأسباب الثلاثة، تتكون مساحة من أبناء المجتمع تعيش الفقر والحاجة؛ لأنه لا يتوفر لها ما تتقوّم به حياتها.

معالجة مشكلة الفقر

إن وجود مساحة من الفقر في أيِّ مجتمع، لها مضاعفات على حياة ذلك المجتمع، فالفقر ينتج الانحراف والإجرام، وينتج عدم الانسجام في العلاقات بين فئات المجتمع، وهذا أمر واضح، لذلك فإن الإسلام اهتمّ بمعالجة هذه المشكلة.

ففي الجانب الأول يشجّع الناس ويدفعهم، ويحرّضهم على العمل والسعي لكسب الرزق، ويعتبره جهادًا، يقول القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾[سورة الجمعة، الآية:١٠].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[1]. وهناك آيات ونصوص كثيرة، تشجّع الإنسان على العمل والسعي من أجل الرزق، وتعتبر السعي عبادة من أهم العبادات.

وفي الجانب الثاني، حينما يكون هناك خلل في النظام الاجتماعي، فإن الإسلام يحمّل قادة المجتمع وأهل الرأي والنفوذ بأن يسعوا لإقرار العدالة، حتى تكون الفرص

(١) الكافي. ج٥، ص٨٨.

متاحة ومتكافئة أمام الجميع، ومن بين حقوق الإنسان التي أقرّتها المواثيق الدولية حقّه في العمل.

وفي الجانب الثالث، حينما يكون هناك أشخاص عاجزون عن السعي والعمل، فإن للإسلام تشريعات فيما يرتبط بهذه الشريحة الثالثة والثانية، حيث يدفع القادرين من أبناء المجتمع على أن يتحمّلوا مسؤوليتهم تجاه هؤلاء العاجزين، والآية المباركة توضح ذلك حيث تقول: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[سورة الذريات، الآية:١٩].

فالإنسان القادر الذي يكسب المال، عليه أن يعرف أن المال الذي يكسبه، ليس كلّه له، وإنما فيه حصّة للمحتاجين والفقراء، حيث جعل الله سبحانه وتعالى حصّة للفقراء والمحتاجين في أموال القادرين.

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة المعارج، الآيتان: ٢٤ - ٢٥]، إن هذا الحقّ كما تشير بعض الروايات هو غير الحقوق المفروضة من الزكاة والخمس، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة أنه قال: «لكنّ الله عزّ وجلّ فرض في أموال الأغنياء حقوقًا غير الزكاة، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، فالحقّ المعلوم من غير الزكاة، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قَدْرِ وسِعَة ماله، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه إن شاء في كلّ يوم وإن شاء في كلّ جمعة وإن شاء في كلّ شهر»[١].

وهناك نصوص كثيرة تتحدّث عن هذا الجانب، وتؤكّد على أن رزق الفقراء مقرّر في كسب القادرين والأغنياء. ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ، إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ،

---

(١) الكافي. ج٣، ص٤٩٨.

وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ»[١].

إن السؤال يوم القيامة أمام الله ليس فقط عن الصلاة، هل صلّيت أم لم تصلِّ؟ صمت أم لم تصم؟ وإنما السؤال أيضًا: لماذا كان هناك فقراء جائعون؟ ولماذا لم تتحمّل المسؤولية تجاههم؟.

مفهوم الفقر

وهنا يجب أن نعرف أن مفهوم وتعريف الفقر يختلف من زمنٍ إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى. فالفقير هو الذي لا يملك مؤونة سنته مثل سائر الناس، ضمن مستوى المعيشة المتعارف، حتى وإن كان له دخل لكنه أقلّ من مستوى المعيشة في المجتمع، فإنه يعتبر فقيرًا إلى الحدِّ الذي يصل به إلى مستوى تلبية احتياجاته، ففي العروة الوثقى للسيد اليزدي رحمه الله، وهو الكتاب الفقهي المعتمد عند أكثر المراجع والفقهاء، في التعليق عليه بآرائهم وفتاواهم، يعرّف الفقير بقوله: «الفقير هو الذي لا يملك مؤونة السنة له ولعياله فعلًا أو قُوَةً. (والمؤونة شاملة لكلّ احتياجاته من دار السكن والخادم إذا كانت طبيعة الحياة تستلزم أن يكون له خادم)، ودار السكنى وفرس الركوب، والمحتاج إليه بحسب حاله... ولو كانت متعدّدة مع الحاجة إليها، (كما لو احتاج أكثر من فرس، أو أكثر من سيارة في عصرنا الحالي، والذي لا يستطيع شراء سيارة له أو لأحد أولاده مع الحاجة إليها، حتى وإن كانت متعدّدة فهذا يعدُّ فقيرًا أيضًا).

وكذلك الثياب والألبسة الصيفية والشتوية، السفرية والحضرية، ولو كانت للتجمّل، (فليس مطلوبًا من الإنسان الفقير أن يلبس ثيابًا رثّة، وإنما ينبغي أن تكون ثيابه ضمن الحال المقبولة)، وأثاث البيت من الفرش والظروف وسائر ما يحتاج إليه»[٢].

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٢٨.

(٢) محمد كاظم الطباطبائي اليزدي. العروة الوثقى،ج٣، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ، (قم المقدسة: منشورات ميثم التمار)، ص ١٩٨ – ١٩٩.

إذن، لا ينبغي أن يكون هناك فقير في المجتمع، فالحالة السّوية والعادلة أن لا يكون هناك فقير، ووجود فقراء يدلّ على وجود خلل في النظام الاجتماعي، وخلل في تحمّل الناس لمسؤولياتهم.

الفقر: مضاعفات وأخطار

إن وجود الفقراء قد يسلب المجتمع أمنه واستقراره.. أمنه الأخلاقي، وأمنه العام. لذلك على الناس في كلّ مجتمع أن يتحمّلوا مسؤوليتهم تجاه الفقراء في مجتمعاتهم.

ونعيش الآن عصرًا يرتفع فيه عدد الفقراء والجياع على مستوى العالم، حيث تشير التقارير إلى أن عدد الجياع أو المهددين بالجوع في العالم زاد على المليار نسمة، ويشير تقرير للأمم المتحدة أن الجوع أخطر مشكلة تهدّد الوجود البشري في الألفية الجديدة.

وفي عالمنا العربي الذي يبلغ تعداده أكثر من ١٤٠ مليون، تشير الإحصاءات إلى وجود أكثر من ٤٣ مليون عربي، يعانون من فقر مدقع، دون مستوى الفقر العادي.

في مثل هذه الظروف ينبغي لكلّ إنسان واعٍ أن يتحمّل مسؤوليته تجاه المحتاجين والفقراء في مجتمعه، وذلك من خلال:

أولًا: مكافحة الظروف التي تنتج الفقر، بتوفير فرص العمل، ودفع أبناء المجتمع للتأهّل من أجل العمل.

ثانيًا: معالجة الحالات القائمة للفقراء والمحتاجين، وبما أننا على أعتاب عيد الفطر المبارك فإن من الواجبات الأساسية في يوم العيد أداء زكاة الفطرة، فهي وجه من وجوه القيام بهذه المسؤولية تجاه الفقراء؛ لأن على كل إنسان مكلّف أن يدفع الفطرة عن نفسه وعمّن يعوله. وهنا لا بُدّ من الإشارة إلى ضرورة التنظيم في أداء هذه الفريضة، فالمبالغ التي يدفعها المسلمون في

يوم عيد الفطر كبيرة ضخمة، فإذا افترضنا أن المسلمين مليار ونصف أو ما يقارب ذلك، وافترضنا أن ثلثهم قادر أن يؤدي هذه الفريضة، فهذا يعني أن نصف مليار من البشر يدفعون الفطرة، وهذه الفطرة تتراوح قيمتها الآن بين ثلاثة دولارات إلى ستة دولارات، حسب اختلاف المناطق والبيئات. وهذا يعني ما يزيد على مليار ونصف دولار، إلى ثلاث مليارات، تبذل في صبيحة يوم واحد، فلو كان لها تنظيم في مختلف المجتمعات الإسلامية، لكانت أقدر على تلبية الكثير من الاحتياجات. وفي المملكة ينفق السعوديون حوالي ٢٥٠مليون ريال على زكاة الفطرة حسب بعض التقارير، وهذه المبالغ يمكنها أن تصنع شيئًا في حياة الفقراء والمحتاجين، وأن تعالج كثيرًا من مشكلات هؤلاء الفقراء بشكل أفضل.

الخطبة الثانية

في وداع شهر رمضان

ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في آخر جمعة من شهر رمضان، فلما بصر بي قال لي: «يا جابر، هذا آخر جمعة من شهر رمضان فودعه وقل: اللهم لا تجعله آخر العهد من صيامنا إياه، فإن جعلته فاجعلني مرحومًا ولا تجعلني محرومًا»[1].

حينما يصحب الإنسان إنسانًا يحبّه ويأنس له، فإنه يستوحش عند مفارقته، ولذلك حينما يودع الإنسان مسافرًا عزيزًا عليه يشعر بالحزن والكآبة عند فراقه، خاصة إذا كان لا يدري هل سيلتقيه فيما بعد أم لا. فإذا كان يعيش في بلد يواجه حالة حرب ـ مثلاً ـ، وابنه جندي يذهب إلى معارك القتال، فإنه يودّعه وهو لا يدري أيعود إليه أم لا، عندها ستكون ساعة الوداع ولحظاته بالنسبة إليه حزينة ومليئة بعاطفة الفقد والحرمان.

إننا ونحن نودع شهر رمضان إذا كنا نعرف قدره وقيمته، وإذا كنا قد أنسنا به، فإننا سنشعر بالحسرة لفراقه. إن المؤمنين يأنسون بهذا الشهر؛ لأنه يمثل أفضل فرصة لهم للقاء الله ولمناجاته، ولحطّ الذنوب، ولتجاوز العيوب، وللقرب من الله سبحانه وتعالى، وللفوز برضاه وجنته.

شهر رمضان بالنسبة للمؤمنين يعتبر ربيعًا، فهو زمن الأنس، وزمن العشق، زمن

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٠، ص٣٦٥.

الارتياح النفسي والقلبي، لذلك يشعرون بمضاضة وكآبة وهم يودّعون هذا الشهر الكريم، فالأدعية الواردة في توديع شهر رمضان ـ كدعاء الإمام زين العابدين عليه السلام ـ توجّه الإنسان المؤمن وتوقظ هذا الشعور في نفسه.. أيها المؤمن إنك تفارق زمنًا هو أعظم وأفضل الأزمنة، ولا يدري الإنسان هل سيلتقي مرة أخرى شهرَ رمضان أم لا؟ إن الآجال والأعمار بيد الله، والإنسان لا يدري هل سيلتقيه مرة أخرى أم لا؟

لهذا ينبغي أن نشعر من أعماق قلوبنا ونفوسنا بوحشة فراق هذا الشهر العظيم، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه الطويل الذي يودّع به شهر رمضان المبارك: «وَقَدْ أَقَامَ فِينَا هَذَا الشَّهْرُ مُقَامَ حَمْدٍ، وَصَحِبَنَا صُحْبَةَ مَبْرُورٍ، وَأَرْبَحَنَا أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فَارَقَنَا عِنْدَ تَمَامِ وَقْتِهِ، وَانْقِطَاعِ مُدَّتِهِ، وَوَفَاءِ عَدَدِهِ. فَنَحْنُ مُوَدِّعُوهُ وِدَاعَ مَنْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيْنَا، وَغَمَّنَا وَأَوْحَشَنَا انْصِرَافُهُ عَنَّا، وَلَزِمَنَا لَهُ الذِّمَامُ الْمَحْفُوظُ، وَالْحُرْمَةُ الْمَرْعِيَّةُ، وَالْحَقُّ الْمَقْضِيُّ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللَّهِ الْأَكْبَرَ، وَيَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَيَا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرُبَتْ فِيهِ الْآمَالُ، وَنُشِرَتْ فِيهِ الْأَعْمَالُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُودًا، وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُودًا، وَمَرْجُوٍّ آلَمَ فِرَاقُهُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ أَلِيفٍ آنَسَ مُقْبِلًا فَسَرَّ، وَأَوْحَشَ مُنْقَضِيًا فَمَضَّ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مُجَاوِرٍ رَقَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَقَلَّتْ فِيهِ الذُّنُوبُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ أَعَانَ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَصَاحِبٍ سَهَّلَ سُبُلَ الْإِحْسَانِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا أَكْثَرَ عُتَقَاءَ اللَّهِ فِيكَ، وَمَا أَسْعَدَ مَنْ رَعَى حُرْمَتَكَ بِكَ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَمْحَاكَ لِلذُّنُوبِ، وَأَسْتَرَكَ لِأَنْوَاعِ الْعُيُوبِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، وَأَهْيَبَكَ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لَا تُنَافِسُهُ الْأَيَّامُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ. السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِ الْمُصَاحَبَةِ، وَلَا ذَمِيمِ الْمُلَابَسَةِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدْتَ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَغَسَلْتَ عَنَّا دَنَسَ الْخَطِيئَاتِ..»[1] إلى آخر الدعاء الذي لا ينبغي أن يفوّت المؤمن قراءته.

---

(١) الصحيفة السجادية، دعاء رقم ٤٥.

وفيما بقي من شهر رمضان ونحن نودعه، لا يزال أمامنا متسع لمن لم يصفِّ حساباته مع الله، ومن كان يشعر بأنه لم يؤدِّ ما عليه من حقّ تجاه الله، عليه فيما بقي من شهر رمضان ألا يسمح بخروج هذا الشهر وله قِبَلَ الله ذنب أو تبعة، عليه أن يتخلّص من الذنوب والتبعات، بأن يتوب، ويقرّر التوبة، وترك ما يقوم به من أخطاء، وأن يخرج من حقوق الله التي عليه. ومن حقوق الناس، وأن يحسن إلى الناس، فها هو الإمام زين العابدين عليه السلام كما روي عنه في آخر ليلة من ليالي شهر رمضان، يجمع خدمه وغلمانه ويقرّرهم بأخطائهم وذنوبهم، ثم يتوجّه إلى الله ويقول: «ربنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد عفونا عمّن ظلمنا ـ كما أمرت ـ فاعف عنا فإنك أولى بذلك منّا ومن المأمورين». ويقبل عليهم بوجهه الشريف وقد تبلّل من دموع عينيه قائلًا لهم بعطف وحنان: «قد عفوت عنكم، فهل عفوتم عني؟ ومما كان مني من سوء ملكة، فإني مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم، جواد، عادل، محسن، متفضّل»[1].

العفو عن الناس لنيل عفو الله

على الإنسان إذا أراد عفو الله سبحانه وتعالى، أن يسعى إلى عفوه بالعفو عن الناس، قد يشعر بأن هناك من أساء إليه، من قريبين أو بعيدين، وخاصّة من الأرحام والأقرباء، أو الجيران والزملاء، هؤلاء الذين قد يكونون أساؤوا إليك، وأنت في قلبك عليهم أو على أحدهم موجدة، بادر للعفو عنهم.

هناك من الناس حينما تقول له: «اصفح عن أخيك»، «اغفر لزميلك»، يقول: «لا تدري أنت ماذا عمل»؟، ولكنك ماذا عملت أنت أيضًا تجاه الله! إنك تريد من الله أن يغفر لك ذنوبك مهما كانت كبيرة وعظيمة، وما قدر هذه الذنوب التي تتعلق بقضايا الحياة أمام الذنوب التي تريد عفو الله تعالى عنها؟

---

(١) باقر شريف القرشي. حياة الإمام زين العابدين، ج١، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص٢١٠.

يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[سورة النور، الآية:٢٢]، فمن كان يحبّ ويريد مغفرة الله وعفوه، فأفضل طريق لذلك هو العفو عمّن أساء إليه مهما كانت إساءته، تقرّب إلى الله تعالى بالعفو عمن أساء إليك، وبالصفح عن إساءته، وخاصة إذا كان من الأرحام والأقرباء، فهذا أفضل الطرق. والمبالغة في الدعاء وحدها لا تكفي، فالإمام زين العابدين عليه السلام مع أدعيته في طلب العفو والمغفرة يأتي بخدمه ويغفر لهم، ويصفح عنهم، ويحسن إليهم، طلبًا لعفو الله تعالى ورضوانه.

هذه آخر جمعة من هذا الشهر الكريم، وقد خُصّصت يومًا للقدس، لكي يتذكر المسلمون هذه المأساة والمعاناة التي يعيشها إخواننا الفلسطينيون، وهذا الانتهاك لمقدّس من مقدّساتنا الدينية، وهو المسجد الأقصى، مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأُولى القبلتين، حيث لا يزال أسيرًا بأيدي الصهاينة.

وتسمعون الأخبار هذه الأيام، كيف أن الصهاينة حتى على صعيد التسميات بدؤوا ينزعون الأسماء العربية من الأحياء والمناطق العربية، وبدأوا يصدرون قرارات أكثر جورًا تجاه الفلسطينيين.

إن المسلمين في مثل هذا اليوم عليهم أن يتذكروا الواجب والمسؤولية تجاه بيت المقدس، وتجاه المسجد الأقصى.

نسأل الله تعالى النصر للمجاهدين المقاومين في فلسطين، والعون والثبات للشعب الفلسطيني، وأن تتحمّل الأمة مسؤوليتها تجاه هذه القضية المركزية الكبرى.

الخطبة الأولى

كيف يكون الانسان مباركًا؟

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[سورة مريم، الآية:٣١]

حينما يتحدّث القرآن الكريم عن صفات الأنبياء وسمات الأولياء، فإن ذلك من أجل أن يغرس تلك القيم والصفات في نفوس الأجيال المؤمنة، التي يجب أن تقتدي بالأنبياء في أخلاقها، وصفاتها، وأن تسعى للوصول إلى أكبر قدر من الكمال، وأعلى منزلة من منازل الخير. وفي الآية الكريمة يتحدّث القرآن الكريم عمّا قاله نبي الله عيسى بن مريم، على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام متحدّثًا عن صفات عظيمة منحها الله تعالى إياه.

الإنسان المبارك

من أبرز تلك الصفات ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أن يكون الإنسان مباركًا صفة مهمّة، والبركة هي الزيادة والنماء في الخير، لذلك فإن المؤمن يدعو ويطلب من الله البركة في كلّ شيء من أمور الحياة، بركة نامية لا حدود لها.

فما معنى أن يكون الإنسان مباركًا؟

المبارك هو الذي تلازم البركة أحواله، وهو مَنْ ينتشر الخير مِنْه ويفيض على الناس.

فقد تكون بركة الإنسان محصورة في ذاته، وقد تكون متعدّية إلى غيره. ومما ورد

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قول عيسى بن مريم: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، أي جعلني نفّاعًا للناس أين اتجهت»[١].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ في تفسير هذه الآية: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، قال ﷺ فيما روي عنه: أي «معلّمًا ومؤدّبًا»[٢].

وكلا المعنيين يصبّ في هدف واحد، وهو أن الإنسان المؤمن ينبغي أن يكون بركة على من حوله في الجوانب المادية والمعنوية، بدءًا من أسرته القريبة منه، وجيرانه والمحيط حوله، ثم على الناس أجمعين.

إن بعض الناس قد تبرز لديهم حالة الخير والبركة في ظرف دون آخر، فيكون محسنًا للقريبين فقط، أو لأهل منطقته، أو لأبناء دينه ومذهبه دون الآخرين.

وقد يكون في حال حضره نافعًا للآخرين، بينما تنحسر تلك الصفة منه في حال السفر. أو حينما يكون في منصب تتأثر أخلاقه، لكن نبي الله عيسى عليه السلام تمتع بصفة البركة على الآخرين بشكل دائم، يتجاوز اختلاف الظروف والأوضاع.

أبعاد بركة المؤمن

١. **وجود المؤمن المتصل بالله في حدّ ذاته بركة على من حوله**، فالله بقدرته ورحمته، ولوجود هذا المؤمن بين الناس، يفيض على الناس من رحمته ببركة هذا المؤمن. وهناك روايات وأحاديث كثيرة تشير إلى هذا المعنى، منها ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ لَيَدْفَعُ بالمسلم الصالح عن مئة من أهل البيت من جيرانه البلاء»[٣].

كما وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٤، ص٥٣

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٨، ص ١٦٤.

القرية الفناء»[1]، إن مؤمنًا واحدًا يدفع الله به الفناء عن البلدة كلها، وهذا بُعْدٌ غيبي من أبعاد بركة الإنسان المؤمن.

٢. **أخلاقه وتعامله الحسن مع من حوله**، فيكون وجوده مريحًا لهم؛ لأن الناس يرتاحون من تعامل ذي الأخلاق الطيبة، فالمدير ذو الأخلاق الحسنة، يكون بركة على موظفيه، من خلال أخلاقه وتعامله معهم. ولذلك ورد في الأخبار أن ابتسامة المؤمن في وجه أخيه صدقة، ومقابلة المؤمنين بالبِشْر وإدخال السرور على قلوبهم جميعها مصاديق للبركة. وعلى الإنسان أن يتقصّد هذا الأمر في حياته وأحواله. وفي مقابل ذلك، فإن بعض الأشخاص، يصبح وجودهم في مؤسسة ما، أو محيط ما، سببًا للأزمات والتعقيدات والأذى لمن حولهم. وذلك بسبب سوء أخلاقهم وتعاملهم مع الآخرين.

٣. **مساعدة من حوله في أمور دينهم ودنياهم**، فيكون بركة عليهم، بأن يقدّم لهم الخير والدعم في أمور الدين والدنيا

ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كلمة جميلة في صفات شيعته، يقول فيها: «شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابّون في مودّتنا، المتوازرون في أمرنا، الذين إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروه، سلم لمن خالطوه»[2]. هكذا يجب أن يكون الشيعة في أي مكان يقطنون، يصبحون بركة على من يجاورون، بأخلاقهم، وبعطائهم، وبخدمتهم للآخرين.

نماذج للخير والبركة

نلحظ في الواقع الاجتماعي أن حيًّا سكنيًّا لا يتوفر فيه مسجد مثلًا، فإذا ما سكنه أحد الأشخاص الغيارى، فإنه يتحرك لبناء مسجد في الحيّ، فيصبح وجوده في الحيّ

---

(١) الكافي. ج٢، ص٢٤٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٦.

سببًا لبركة وجود المسجد على أهل الحيّ.

ونجد بعض الأشخاص يتحركون لتوفير الخدمات لأحيائهم ومناطقهم، فيكونون مصداقًا للبركة فيهم.

وقد سمعت من بعض أبنائنا المبتعثين للدراسة في أمريكا وغيرها، أنهم كانوا يشعرون بالغربة، ويفتقدون الأجواء الدينية والاجتماعية، لكن التحاق مبتعث جديد بمنطقة ابتعاثهم، كان سببًا لاجتماعهم، وتعرفهم إلى بعضهم بعضًا، وحصول البركات فيما بينهم.

فعلى الإنسان أن يفكر كيف يصبح مصدرًا للخير بالنسبة للآخرين، حتى يكون مصداقًا للآية الكريمة: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، وأن يبتعد عن أن يكون مصدر أذىً وإزعاج للآخرين بأيِّ شكل من الأشكال.

ابتلاء الثروة

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[سورة الفجر، الآيتان: ١٥، ١٦].

الحالة الاقتصادية التي يعيشها الإنسان، هي لون من ألوان الابتلاء في هذه الحياة، فإذا كان ثريًّا، فإن الله تعالى يبتليه ويمتحنه كيف يتعامل ويتصرف مع هذه الثروة، هل يطغى ويفسد؟ أم يؤدّي حقوق الله من ماله وثروته ويحسن التصرف في ذلك المال؟

وإذا كان وضع الإنسان الاقتصادي ضيّقًا، فإن ذلك أيضًا لون من ألوان الابتلاء، كيف يتعامل مع حالة الفقر، هل يدفعه فقره إلى الجريمة والانحراف؟ وإلى الشك في عدل الله سبحانه وتعالى وحكمته؟ أم يصبر ويحسن التعامل مع تلك الحالة؟.

إنَّ الثروة ليست دلالة على الحظوة عند الله تعالى، فمن يكون ثريًّا في هذه الدنيا لا يعني أنه قريب من الله تعالى، وأنه لمحبته له ولإكرامه له أعطاه الثروة، كما قد يتصور البعض من الناس.

والإنسان الفقير، عليه أن يعرف أن كونه فقيرًا في هذه الحياة، لا يعني حقارته ودناءته، عند الله سبحانه وتعالى. كلا، إنما هو امتحان في هذه الحياة، قد يكون بالثروة، وقد يكون بالفقر، وقد يعيش الإنسان في حياته اللونين، فيكون فقيرًا تارة، وغنيًّا أخرى، فيبتلى بالحالين، فكيف يتعامل معهما؟

الفقر الاختياري

هناك بعض الناس هم من يتحملون مسؤولية فقرهم، حيث لا يعملون ولا يجتهدون في طلب الرزق، حيث يتحملون مسؤولية ما بهم من فقر، وما كان ينبغي لهم أن يكونوا فقراء، لكنهم ظلموا أنفسهم، فأصبحوا فقراء بتقصيرهم، وإلا ففرص العمل والسعي متوفرة موجودة في هذه الحياة.

ومع الأسف الشديد نلحظ أن هناك كثيرًا من حالات الفقر الاختياري، حيث توجد عوائل تعيش الحاجة، وفيها أبناء مقتدرون على العمل لكنهم لا يعملون، وحينما تشجعهم على العمل، تجد أنهم يتأبّون عن هذا العمل، ويرفضون هذا النوع من العمل الذي يُفرض عليهم، ولا يواظبون، ولا يؤدون حقّ العمل حينما تتاح لهم فرصته بشكل أو بآخر، فهم يختارون لأنفسهم الفقر، وهم محاسبون أمام الله سبحانه وتعالى بتقصيرهم تجاه أنفسهم إلى هذه الدرجة.

الفقر الاضطراري والجزاء الأخروي

وفي المقابل هناك فقراء وجدوا أنفسهم في حالة فقر، لضعف في قدراتهم البدنية، بأن ولد أحدهم ولديه إعاقة، ولا يستطيع أن يسعى لتحصيل معيشته. أو أن المجتمع ظلمه، وعاش في مجتمع نظامه الاقتصادي تديره سياسة ظالمة، فهو يريد أن يسعى ويعمل، لكنه لا يجد فرصة أو مجالًا. هؤلاء الفقراء، عليهم أن يعرفوا أن الله سبحانه وتعالى يحبّهم، وهو رحيم بهم، وأن حالة الضيق التي يعيشونها في حياتهم الاقتصادية ابتلاء وامتحان لهم، لا ينبغي أن تتسرب إلى نفوسهم وساوس الشيطان، فيتساءلون: لماذا الآخرون عندهم الإمكانات والثروات، ونحن محرومون؟

عليهم أن يعرفوا أن هناك حكمة إلهية، وأن عليهم أن ينجحوا في هذا الامتحان.

وقد وردت نصوص كثيرة تتحدّث عن تعويض الله تعالى لهؤلاء الفقراء في الدار الآخرة. وذلك لأن الحياة الدنيا فترة محدودة، كما قال تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

﴿فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[سورة التوبة، الآية: ٣٨].

ورد في ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الفقراء ملوك أهل الجنة، والناس كلهم مشتاقون إلى الجنة، والجنة مشتاقة إلى الفقراء»[١]. إن هؤلاء عاشوا في الحياة الدنيا نكدًا وضيقًا، ولكن الله برحمته وعدله يعوّض عليهم، فيعيشون سعة في الآخرة.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن فقراء المؤمنين يتقلّبون في رياض الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا»[٢].

وهناك رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها: «إن الله عزّ وجلّ يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين، شبيهًا بالمعتذر إليهم فيقول: وعزّتي وجلالي، ما أفقرتكم في الدنيا من هَوَانٍ بكم عليَّ ولترون ما أصنع بكم اليوم»[٣] إذ قد يتندّم الإنسان وقتها، ويتمنى لو أن ثرواته في الدنيا أجلت للآخرة، والأفضل أن يسأل المؤمن ربه أن يجعله ممن يجمع الثروتين والغنائين، في الدنيا والآخرة.

وهناك رواية أخرى عنه عليه السلام: «إن الله جلّ ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: وعزّتي وجلالي ما أحوجتك في الدنيا من هوانٍ كان بك عليَّ، فارفع هذا السجف فانظر إلى ما عوضتك من الدنيا، قال: فيرفع فيقول: ما ضرّني ما منعتني مع ما عوضتني»[٤].

ونقرأ هذا الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن للمساكين دولة إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا من أطعمكم في الله لقمة، أو كساكم ثوبًا، أو سقاكم شربة، فأدخلوه الجنة»[٥].

---

(١) بحار الأنوار. ج٦٩، ص٤٩.
(٢) الكافي. ج٢، ص٢٦٠.
(٣) الكافي. ج٢، ص٢٦١.
(٤) الكافي. ج٢، ص٢٦٤.
(٥) كنز العمال. ج٦، ص٣٨٤.

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «إنه لينادي المنادي يوم القيامة: أين فقراء أمة محمد، قوموا فتصفحوا صفوف القيامة، إلا من أطعمكم فيَّ أكلة، أو أسقاكم فيَّ شربة، أو كساكم فيَّ خَلِقًا أو جديدًا، خذوا بيده فأدخلوه الجنة. فلا يزال صاحب قد تعلّق بصاحبه، وهو يقول: يا ربّ، هذا أشبعني، ويقول الآخر: يا ربّ العالمين، هذا أرواني فلا يبقى من فقراء أمة محمد ممن فعل ذلك صغير ولا كبير إلا أدخلهم الله جميعًا الجنة»[1] ومن هذا الحديث نستخلص ثلاث حقائق:

أولًا: أن الفقير ينبغي أن يعيش بمعنويات رفيعة وثقة بالله تعالى كبيرة.

ثانيًا: علينا أن لا ننظر إلى الفقراء نظرة دونية، فإن هؤلاء ستكون لهم مكانة وشأن يوم القيامة، بل حتى في الدنيا، كم من فقير قد أصبح غنيًّا؟ فلا يصحّ لنا أن نتعامل مع الناس بمنظار وضعهم الاقتصادي.

ثالثا: أن نعرف أن ما نقدّمه لهؤلاء الفقراء سيكون خيرًا لنا، ننال شفاعتهم، وننال الخير بسببهم يوم القيامة، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام إذا جاءه فقير يقول: مرحبًا بمن يحمل زادي إلى الآخرة[2].

هذه دعوة للاهتمام بالمحتاجين في مجتمعاتنا، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإيّاكم ممن يؤتون الزكاة، ويخرجون الحقوق الشرعية من أموالهم، وممن يواظبون على أداء الصدقات، وخدمة المحتاجين في المجتمع.

---

(١) كنز العمال. ج٦، ص٣٧٠.

(٢) بحار الأنوار. ج٤٦، ص٩٨.

الخطبة الأولى

إلغاء شخصية الفرد

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾[سورة الأعراف، الآية:٨٨].

تحرير شخصية الإنسان الفرد، وإنقاذه من طغيان هيمنة المجتمع على فكره وسلوكه كانت مهمة محورية لرسالات الأنبياء، ذلك أن الفرد في المجتمعات البدائية والإقطاعية، والمجتمعات التي يحكمها الاستبداد، يكون مسحوق الشخصية، مسلوب الإرادة، لا حق له في التفكير، فهناك فكر سائد شمولي، يمثل الحقيقة المطلقة، ولا حرية له في التعبير عن رأي آخر، فذلك كفر وزندقة وضلال وابتداع.

ولا فرصة أمامه للاختيار في نمط السلوك وأسلوب العيش، فهو فرد في قطيع، ونسخة مكررة عن شخصية المجتمع لا تغاير فيها. إنه ذوبان كامل ينعدم فيه أيّ شعور بالذاتية والخصوصية.

وحين يأتي نبي إلى مجتمعه، يدعو الناس إلى الله، فإن دعوته تصطدم بهذا الواقع الذي لا يجرأ فيه الأفراد على الإصغاء لرأي آخر، أو نقاش فكرة جديدة، وهنا يتجه النبي لمعالجة جذور المشكلة، وهي انسحاق شخصية الفرد، وتبعيته المطلقة للجماعة، وتجميده لعقله وإرادته.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن نضال الأنبياء، لتحرير الإنسان من

هيمنة الجماعة التي تلغي شخصيته، وتصادر إرادته.

فالنبي محمد ﷺ يوجّه دعوة مباشرة للأفراد بأن يعطوا لأنفسهم فرصة التفكير، خارج الهيمنة الجماعية، وأن ذلك كفيل بتغيير مسار حياتهم.

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[سورة سبأ، الآية: ٤٦].

وجميع الأنبياء كانوا يرفضون منطق تقليد السالفين واتّباعهم، دون إعمال للفكر والنظر ، يقول جلّ شأنه:﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[سورة الزخرف، الآية:٢٢].

ويحذِّر الله سبحانه أبناء المجتمعات البشرية من الطاعة العمياء للزعماء ومراكز القوى في المجتمع، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[سورة الأحزاب، الآية:٦٧].

إن هذه الآيات الكريمة ليست مجرد تشهير بأقوام سابقين، بل هي بيان لمنهج إلهي في تقرير حرية الإنسان، وتحفيزه لممارسة إرادته واستعمال عقله، حتى لا يقع تحت هيمنة الآخرين، واستلابهم لشخصيته.

وما كان يستجيب لدعوة الأنبياء إلا من امتلك شجاعة التمرد والرفض لتلك الهيمنة، وقرر ممارسة حقّه في التفكير والاختيار.

هكذا كان الدين في حقيقته وجوهره، دعوة تحرير لعقل الإنسان وإرادته، وسبيل خلاص من الخضوع والخنوع لغير الله تعالى.

تزوير الدين وتبرير الاستبداد

لكن المفارقة المثيرة في تاريخ الأديان هي تراجع الأمم والمجتمعات عن إنجازات عهود الأنبياء، ليعود الإنسان إلى أحضان الهيمنة الاجتماعية، ويقع في قبضة

الاستبداد من جديد، تحت عباءة الدين، وتوظيف شعاراته وعناوينه، فيتحول الدين من حافز تحرر، ونهج نضال، إلى مبرر خنوع، وأداة قمع.

كما يحكي ذلك تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ومعظم تاريخ المسلمين بعد عهد النبوة والخلافة الراشدة.

وفظائع محاكم التفتيش التي أقامتها الكنيسة في تلك العصور أشهر من أن تذكر، فقد كانت تحاسب الأفراد ليس على آرائهم الدينية المخالفة فحسب، بل على أي رأي يتبنونه في قضايا الطبيعة والحياة، فغاليلو حكم عليه لأنه قال بحركة الأرض، وبلغ عدد من صدرت ضدّهم أحكام عقوبات بسبب آرائهم أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ ألف شخص، منهم ٣٢,٠٠٠ ألفًا أعدموا حرقًا.

كما عانت المجتمعات الإسلامية في كثير من عهودها أوضاعًا شبيهة بممارسات محاكم التفتيش.

وهذه هي الحال العامة في المجتمعات التقليدية، التي لا تعترف للفرد باستقلال شخصيته، ولا تسمح له بالتمتع بالحريات الشخصية، وتريده جزءًا من قطيع، لا يشذّ عنه في رأي أو سلوك. فلا توجد شخصية مميزة للفرد، ولا خصائص يتميز بها عن الآخرين.

وكانت أنماط الحياة الاقتصادية المحدودة في المجتمعات التقليدية، تكرّس واقع الانصهار، حيث كان الاعتماد على الصيد أو الرعي أو الزراعة، وجميع أفراد القبيلة يمارسون نفس الأعمال، ويعيشون شكلًا واحدًا من الحياة الرتيبة.

سحق شخصية الإنسان

ويمكن وصف حالة الذوبان، وسحق شخصية الفرد، في تلك المجتمعات بالسّمات التالية:

١. ليس للفرد تطلّع أو هدف يصبو إليه؛ لأنه لا يرى لنفسه وجودًا مستقلًا، يدفعه

للتطلّع والطموح، فهو جزء عضوي في جماعة تسيّره دون وعي أو إرادة منه.

كما قال شاعر قبيلة (غُزيّة):

وهل أنا إلا من غُزيّة إن غوت غويت وإن ترشد غُزيّة أرشد

٢. **فكريًّا**: لا يحقّ له أن يفكر خارج إطار التفكير السائد في مجتمعه، ولا يجوز له أن يتبنى رأيًا مخالفًا.

إن عليه أن يثق بفكر الجماعة، ويعتقد بصوابيته، فهو الحقّ المطلق، وما عداه ضلال وابتداع.

وحتى في إطار التشريع الإسلامي، ومع الإقرار بمرجعية الكتاب والسنة، فإن عقلية القطيع والتبعية، وروح التعصب للجماعة، قد تسللت إلى الوسط العلمي الديني، حتى نقل عن أبي الحسن الكرخي قوله: «كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول ومنسوخ»[1].

٣. **سلوكيًّا**: يلتزم الفرد بالعادات والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع، وإن كانت كلفتها باهظة، أو لم يكن مقتنعًا بها؛ لأن استخفافه بشيء منها يعرضه للازدراء.

٤. ليست أمامه خيارات في بناء حياته، فقد يسلب حقّ اختيار شريك حياته الزوج مثلًا، ويكون القرار بيد العائلة. وهكذا سائر مجالات الحياة.

ورغم أن تطور الحياة في المجتمعات البشرية قد فرض واقعًا جديدًا، يتمتّع فيه الفرد بقدر كبير من الحريات الشخصية، إلا أن بعض المجتمعات لا تزال تصهر أفرادها بقسوة، عبر أنظمة الاستبداد السياسي، واتجاهات التزمّت الديني، وصرامة الأعراف والتقاليد الاجتماعية.

---

(١) السيد سابق. فقه السنة ج١ ص١٣.

الخطبة الأولى

الانتماء الفكري والانفتاح الاجتماعي

عن سليمان بن مهران قال: «دخلت على الإمام جعفر الصادق عليه السلام وعنده نفر من الشيعة وهو يقول: معاشر الشيعة... كونوا لنا زينًا ولا تكونوا علينا شينًا، قولوا للناس حسنًا، واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول، وقُبح القول»[1].

أرسى الإمام جعفر الصادق عليه السلام معالم مدرسة أهل البيت في الأمة، لذلك أصبح المذهب منسوبًا إليه، فيقال: المذهب الجعفري. مع أن المذهب يتشرف بالانتماء إلى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام جميعًا، لكن اشتهاره بالانتساب للإمام جعفر عليه السلام لأنه:

أولًا: عاش في حقبة بدأت فيها معالم التشكلات العقدية والفقهية في الأمة.

ثانيًا: معالم هذه المدرسة وتوجّهات هذا المذهب اتضحا أكثر للأمة بجهوده عليه السلام.

ثالثًا: لأن الظروف كانت مواتية له لنشر علومه ومعارفه، فقد عاش في وقت انشغال السلطة السياسية، حيث كانت الدولة الأموية في نهاية جبروتها وقوتها، والسلطة العباسية في ظرف النشأة والتكوّن، فاستطاع الإمام عليه السلام بوعيه وحكمته أن يستفيد من ذلك المقطع الزمني، وأن يواصل الجهد الذي قام به آباؤه، وعلى الخصوص أبوه الإمام الباقر عليه السلام.

(١) بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٥٢.

لذلك كانت له جامعة عظيمة يتحدّث عنها المؤرخون، وقد انتمى إليها ما يقرب من أربعة آلاف طالب، ممن سجّل المؤرخون عنهم أنهم رووا عن الإمام الصادق عليه السلام، كما أن أئمة المذاهب استفادوا من هذه المدرسة، وتحدّثوا عن فضل الإمام، وعمق علمه، ومعرفته.

ورد عن الحسن بن علي الوشاء الكوفي، وهو من مشايخ رواة الحديث، قوله: أدركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ تسع مئة شيخ، كلٌّ يقول: «حدّثني جعفر بن محمد»[١].

وقال المفيد في الإرشاد عن شخصية الإمام الصادق عليه السلام: «وكان أنبههم ذكرًا، وأعظمهم قدرًا، وأجلّهم في العامة والخاصة، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحدٍ من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبدالله عليه السلام، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل»[٢].

كما أن أئمة المذاهب حضروا مجالسه، وشهدوا بعمق علمه وفضله، فقد نُقل عن الإمام مالك بن أنس، إمام المذهب المالكي، أنه قال: «ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفر بن محمد، علمًا، وعبادة، وورعًا، وكان كثير الحديث، طيب المجالسة، جم الفوائد»[٣].

وكذا تحدّث أبو حنيفة إمام المذهب الحنفي عن الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: إنه

(١) رجال النجاشي ١ / ١٣٩ في ترجمة الوشاء.
(٢) الشيخ المفيد. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، (بيروت: دار المفيد)، ص١٧٩.
(٣) أسد حيدر. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد٤، ج٨، الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ، (بيروت: دار التعارف)، ص٣٧١.

أعلم الناس لأنه «أعلمهم باختلاف الناس»[١]، وورد عنه أنه قال: «لولا السنتان لهلك النعمان»[٢]، أي بهاتين السنتين اللتين حضر فيهما مجلس درس الإمام، ويريد بـ(هلك) أنه بدون هاتين السنتين ما كان ليكون لديه هذه المعرفة، وهذا العلم الذي توفر عليه.

الانفتاح الاجتماعي

من هذه المقدمة، ننطلق لنسلط الضوء على التوازن والحكمة العظيمة، التي كانت عند الإمام ﷺ، فقد ربّى أتباعه على الجمع بين قوة الانتماء الفكري، وأفق الانفتاح الاجتماعي، وهذه معادلة لا ينجح فيها الكثيرون.

إنَّ بعض الناس إذا كان انتماؤه الفكري مخالفًا للمحيط الذي يعيش فيه، فإنه يواجه تناقضًا بين الأفكار التي يؤمن بها، بحيث يكون مخالفًا فيها، أو في بعضها من حوله، وبين معاشرته ومعايشته لهؤلاء الناس. فلا يستطيع أن يوفّق بين الأمرين، وهذا يرجع للجانب النفسي والسلوكي، فإذا كان رأيه مختلفًا مع من حوله فإنه ينعزل عنهم ويبتعد، بل لعلّه يقاطعهم، ومن ثم تحصل عداوة بينه وبينهم، وهذا خطأ كبير.

إنَّ من حقّ الإنسان أن تكون له آراء، وأن تكون له أفكار يقتنع بها، ولكنه يظل جزءًا من محيطه، إذا ابتعد أو انقطع عن المحيط الذي يعيش فيه، فإن ذلك:

أولًا: يعقّد حياته، إذ أن مصالحه مرتبطة بالمحيط الذي يعيش فيه، وإذا لم يكن له علاقات جيدة مع الناس من حوله، فإن حياته تتعقّد؛ لأن هؤلاء الناس هم شركاؤه وزملاؤه وأقاربه وجيرانه.

كما أنه لا يمكن لمن يحمل فكرًا مّا، أن يعيش في جزيرة معزولة هو وجماعته، ولو

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد١، ج١، ص٥٦. وأيضًا تذكرة الحفاظ للذهبي، ج١، ص١٥٧.

(٢) عبدالحليم الجندي. الإمام جعفر الصادق، الطبعة الأولى ١٩٧٧، (القاهرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، ص٢٥٢.

فرضنا أن أتباع دين، أو أتباع مذهب، بحثوا لهم عن جزيرة خاصة بهم، وانتقلوا للعيش فيها، لا ربط لهم بالناس الآخرين.

هل سيرتاحون من مشكلة الاختلاف مع الآخر؟

إنه ومع مرور الوقت سيختلفون في داخلهم، فهل سيبحثون عن جزيرة ثانية وينفصلون عن المنشقين عنهم؟

على الإنسان ألا يربط بين قناعاته وإيمانه الفكري، وبين علاقاته مع المحيط الذي يعيش فيه، فهذا سوء تقدير، أنت كبشر تعيش مع الآخرين، وهذا ما يشير إليه الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «صلاح شأن جميع الناس التعايش»[1].

ثانيًا: إذا كانت لك مدرسة فكرية، فينبغي أن تعطي للناس انطباعًا جميلًا عن المدرسة التي تنتمي إليها، وأن توصل أفكارها للآخرين، وبانقطاعك وابتعادك عنهم، كيف ستوصل أفكار مدرستك؟ وكيف سيكون انطباعهم عنك؟ بالتأكيد سيكون انطباعًا سيئًا.

الأنبياء عليهم السلام كانوا أكثر الناس إخلاصًا لدعوتهم ولإيمانهم، لكننا لا نرى أنهم عليهم السلام قد انعزلوا، أو قاطعوا من اختلفوا معه، أو عادوا من حولهم، بل على العكس من ذلك.

نقرأ القرآن الكريم، ونرى كيف أن كلّ نبي كان يخاطب قومه، وهم مشركون وكفار، رغم ذلك يخاطبهم: ﴿يا قومي﴾، تأكيدًا على انتمائه إليهم اجتماعيًّا.

ما كان نبينا محمد صلى الله عليه وآله منفصلًا عن الناس، كان يذهب إليهم، كما في السيرة النبوية يوم كان في مكة، مع أنهم يخالفونه ويؤذونه، لكنه كان يذهب إلى أنديتهم وأسواقهم، ويعرض دعوته عليهم، ويتواصل معهم، وهكذا كان أئمة أهل البيت عليهم السلام.

الالتزام بالدين والمذهب لا يعني الانفصال عن المحيط، الذي ينفصل عن محيطه

(١) بحار الأنوار. ج ٧١، ص ١٦٧

بسبب اختلافه العقدي والفكري، لديه خلل في فكره، أو في نفسه، أو في سلوكه، لو كان سويًّا لما انفصل عن المجتمع، إلا إذا كان مضطرًا لذلك.

لهذا نرى الإمام الصادق عليه السلام الذي أرسى معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وردت عنه روايات كثيرة في تحذير أتباعه من الوقوع في فخّ العزلة والقطيعة، والابتعاد عن الناس، وكان يدعو أصحابه إلى مخالطة الناس، والتواصل معهم.

كون الإنسان يحمل فكرًا آخر، لا يعني أن يبتعد عمن حوله.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «معاشر الشيعة، كونوا لنا زينًا»، أي: أعطوا انطباعًا جيّدًا عنّا أمام الآخرين، «ولا تكونوا علينا شينًا»، ولا تعطوا انطباعًا سلبيًّا للآخرين عن المدرسة التي تنتمون إليها، والمذهب الذي تؤمنون به؛ لأن هذا التصور والانطباع السيئ ينعكس على مذهبكم، وهذا ما لا يريده الدين، ولا يريده الأئمة عليهم السلام، ويقول عليه السلام مذكرًا بقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

حسن التخاطب

في التعاطي مع المخالفين هناك مشكلة الكلام الجارح للآخرين، بعض الناس إذا كانت عنده فكرة وعقيدة، يرى أن من شجاعته في الالتزام بعقيدته، أن يقول كلامًا قاسيًا بحقّ الآخرين، دعنا جدلًا نقبل بهذا الفعل، أنت إذا قلت كلامًا قاسيًا، وجرحت مشاعرهم، أوجدت العداوة بينك وبينهم، ونفرتهم منك، فلا تستطيع استقطابهم، وهذا خلق غير سويّ.

ما هو الكلام الجارح؟ أنت تحدّده أم الآخرون يحدّدونه؟

أنت تقول كلامًا وتقول إنه حقّ، وتدّعي أنه لا يحمل أيّ قصد، لكن هذا لا يعفيك أن تراعي الآخر، هل هذا الكلام الحقّ بالنسبة لك هو حقّ بالنسبة له؟ أم أنه يجرح مشاعره؟

عندما تختلف اللغات أو اللهجات، علينا أن نتنبه لما نقول خشية أن يفهمها الطرف الآخر بسوء، أما أن تقول ما تريد ثم تبرر أنك لا تقصد ما فُهم، فهذا لا يقبله منك الآخرون، لذا على الإنسان أن يختار ما يقول، ويبتعد عن الكلام الجارح للآخرين.

عندما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «قولوا للناس حسنًا»، فهو ينقل قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كلام القرآن يؤكده الإمام عليه السلام لشيعته.

الإمام عليه السلام يقول لشيعته: «قولوا للناس حسنًا، واحفظوا ألسنتكم»، لا تندفعوا، ولا تنفعلوا في بعض المواقف، وتقولون كلامًا يسيء إلى أهل البيت، ويشين بمدرستهم، ثم يقول عليه السلام: «وكفّوها عن الفضول»، أي عن الكلام الذي لا داعي له، أو قبيح القول.

من يطّلع على سيرة الإمام الصادق عليه السلام، ويقرأ الروايات الواردة عنه، يجد عددًا كبيرًا من الروايات تؤكد على هذا الجانب، ولا أدري لماذا بعض الناس يتجاهلون هذه الروايات، ويبحثون عن رواية هنا ورواية هناك، يبرّرون بها الكلام الجارح تجاه الآخرين.

لا للخصومة بالدين

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس، فإنه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى السماء ولا تخاصموا بدينكم الناس»[1]، أيّ لا تجعل دينك سببًا للخصومة بينك وبين الناس.

لا يوجد دين أو مذهب سويّ يدعو للعداوة والتباغض، الدين الصحيح يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وليس بالسبّ والشتم واللعن.

في بعض الأحيان بعض الناس عندهم عقد وأمراض نفسية، أو قصر نظر، أو سوء

---

(١) الكافي. ج ٢، ص ٢١٣.

فهم، فيقولون الكلام الجارح، ويقولون الكلام القاسي، وهذا يحمل إساءة للدين، وإساءة للمذهب، فيقول الإمام عليه السلام: «ولا تخاصموا بدينكم»، ويقول عليه السلام في موضع آخر: «ذروا الناس، فإن الناس أخذوا عن الناس»[١].

لا شك أن الحقائق جلية واضحة عند الإمام الصادق عليه السلام، وحجته قوية، ونحن نرى أن أبا حنيفة يحضر عند الإمام لمدة سنتين، لكننا لا نجد أن الإمام يبادره بالنقاش كل يوم «أنتم قلتم ونحن نقول»، وكذلك بقية من كان يدخل على الإمام عليه السلام، إذ لم يكن هذا من آداب الإمامة.

ورد في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام رواية وكأنها قيلت لزماننا هذا، يقول عليه السلام: «ما أيسر ما رضي به الناس عنكم، كفّوا ألسنتكم عنهم»[٢].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: « اتقوا الله ولا تحملوا الناس على أكتافكم، إن الله يقول في كتابه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ »[٣].

ويقول أيضًا عليه السلام: « إياكم أن تعملوا عملًا نعيّر به، فإن ولد السوء يعير والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم إليه زينًا، ولا تكونوا عليه شينًا، صلّوا في عشائرهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم»[٤].

هكذا كانت وصايا الإمام الصادق وسيرته، وهي تؤكّد لنا هذه المعادلة، ينبغي أن يكون هناك قوة في الانتماء الفكري، بأن يتمسك المؤمن بعقيدته، وأن ينفتح اجتماعيًّا على مخالفيه.

ليس هناك تنافٍ بين الانتماء الفكري، والانفتاح الاجتماعي، إلا في نفس الإنسان

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) الكافي. ج٨، ص٣٤١.
(٣) بحار الأنوار. ج ٧١، ص ١٦١.
(٤) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٢١٩.

غير السوي، الإنسان السوي لا يجد تناقضًا في الأمر، إنما يرى في أفق الانفتاح الاجتماعي فرصة لخدمة انتمائه الفكري، وهذا ما كان الإمام عليه السلام يؤكده على أصحابه، يطالبهم بقوة الفكر والمعرفة من جانب، وعدم جرح مشاعر الآخرين من جانب آخر، والتواصل مع الآخرين من جانب ثالث، هذا هو منهج أهل البيت عليهم السلام.

اجتناب الظلم

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «من أصبح لا ينوي ظلم أحد، غفر الله له ما أذنب ذلك اليوم ما لم يسفك دمًا أو يأكل مال يتيم حرامًا»[1].

وروى عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أصبح لا يهمّ بظلم أحد، غفر الله له ما اجترم»[2].

التأكيد على اجتناب الظلم، والتحذير منه، هو من أساسيات التعاليم والتوجيهات الدينية، لأن الإنسان في هذه الحياة مطالب بمراعاة حقوق الله وحقوق الناس وحقّ الله تعالى هو توحيده وعبادته والتزام أو امره، أما حقوق الناس يُراد بها عدم الاعتداء على شيء يخصهم في الجانب المادي، أو الجانب المعنوي.

وتشير النصوص إلى أن الإنسان لو انقطع لعبادة الله سبحانه، وآمن بوحدانيته، وتفرغ لعبادته، لكنه كان يتجرّأ على النيل من حقوق الآخرين، فإن عبادته لله تعالى لن تشفع له، ولن تحجبه عن العذاب والعقوبة؛ لأن الله تعالى حذّر من الظلم في آيات كثيرة، وعلى الإنسان أن يعرف أن الظلم يتمثل حتى في القضايا اليسيرة، في علاقاته مع الآخرين، كأن تزجر إنسانًا، أو تنهره، أو تشتمه بغير حقّ، أو أن تمنع إنسانًا من

---

(١) الكافي. ج٢، ص٣٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

الوصول إلى حقّه، كل ذلك من مصاديق الظلم.

لعن الظالمين

نحن نردّد «لعن الله الظالمين»، ولكن من هم الظالمون؟ الظالم هو من اعتدى على حقّ من الحقوق، أنت إذا اعتديت على حقّ أحدٍ من أبنائك، فأنت مشمول بهذا العنوان، وإذا اعتديت على حقّ زوجتك، أو على حقّ جارك أو زميلك، فهذا ظلم يستحق اللعن من قبل الله تعالى.

في كثير من الأحيان نتصور أن الظلم هو تلك الصورة المكبرة، وأن من يظلم الناس هو القوي المتسلّط، هذه صورة مكبرة للظلم، لكن الظلم يتمظهر أيضاً في الاعتداء على حقوق الآخرين، في أيّ موقع كان، وعلى أيّ مستوى كان، لذلك على الإنسان أن يكون حذرًا من ظلم الآخرين.

وعلى الإنسان من الناحية النفسية أن يقرّر الابتعاد عن الظلم، الرواية تقول: «من أصبح لا ينوي ظلم أحد» بعض الناس منذ أن يستيقظ تدور في ذهنه نيّات ظلم للآخرين: سأعمل كذا مع فلان، وأتكلم بكذا على فلان، يصبح وفي ذهنه مشاريع ضدّ هذا، وضد ذاك، وهذا في الواقع يحرم نفسه من توفيق الله، ومن عفوه وغفرانه.

على الإنسان في صباح كل يوم، وقبل أن يخرج للناس، أن يقرّر في نفسه رعاية حقوق الآخرين، وعدم الاعتداء على شيءٍ منها، وهذا إيحاء ذاتي.

علماء النفس يتحدّثون عن العادات التي على الإنسان أن يتعوّدها، وأن يوحي إلى نفسه بها، بأن يتذكر بعض هذه التوجّهات في نفسه: قرّر في نفسك كل يوم أنك لا تسيء إلى أحد، ردّد هذا الكلام في داخل نفسك، هذا أمر مهم، وإيحاء ذاتي، يخلق أرضية تحصّن الإنسان إلى حدٍّ ما من الوقوع في خط الظلم.

التحذير من الظلم

وللإمام الصادق عليه السلام أقوال كثيرة تحذّر من الظلم:

١. **روى عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «من خاف القصاص، كفَّ عن ظلم الناس»**[1].

حينما تسيء لأحد، أو تظلمه، لا تعتقد أن المسألة قد انتهت، شاهدك أحدٌ وأنت ترتكب الظلم أم لم يشاهدك أحد، أحسّ أحدٌ بما تعمل أم لم يحسّ، يجب أن تعلم أن هناك قصاصًا في يوم القيامة، ومن خاف القصاص في الآخرة فإنه لا يظلم أحدًا من الناس.

الروايات التي تتحدّث عن القصاص كثيرة، أذكر هنا نموذجًا عن العلاقة مع الزوجة، ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «فأيّ رجل لطم امرأته لطمة، أمر الله عزّ وجلّ مالك خازن النيران فيلطمه على حرّ وجهه سبعين لطمة في نار جهنم»[2]. زوجتك معك في البيت، ولا أحد يدري عمّا فعلته بها، وهي لم تصرخ أو تشتكي لأحد، هل انتهى الموضوع؟ لا؛ لم ينته، هناك رقابة وحساب، هناك قصاص يوم القيامة، وهكذا في سائر موارد الظلم.

٢. **وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من ظلم مظلمة أخذ بها في نفسه أو في ماله أو في ولده»**[3].

من ظلم مظلمة، أي اعتدى على الآخرين، المسألة قد لا تقتصر على القصاص في يوم القيامة، وإنما في الدنيا أيضًا يكون هناك ردّ فعل وقصاص، كأن يصيبه شيء في نفسه، وقد لا يكون فوريًّا، إنما في وقت آخر، وقد لا يكون بنفس الطريقة، بل بطريقة

---

(١) الكافي. ج٢، ص٣٣٥.

(٢) مستدرك الوسائل. ج١٤، ص٢٥٠.

(٣) الكافي. ج٢، ص٣٣٢.

أخرى، فالله سبحانه يمهل ولا يهمل.

بعض الناس يتصوّر أنه حينما يتصرف في بيته، مع أبنائه أو زوجته، أو في عمله مع زملائه، أو مع من هم تحت رعايته كالخادمة في المنزل، أو السائق، يتصوّر أن الأمر تحت السيطرة، وأن لا تداعيات لتصرفاته، إن الله تعالى عادل حكيم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، ورد في تفسير الآية: أي لا تفوته مظلمة مظلوم، هناك رقابة ومتابعة.

ولعلّ سائلًا يسأل عن قول الإمام عليه السلام: «وفي ولده»، ما ذنب الأولاد؟ في الواقع هذه نتائج طبيعية؛ لأن أيّ ظلم في المجتمع، يهدّد مختلف شرائح وأفراد المجتمع، أنت حينما تظلم إنما تكرس وتشجّع الحالة العدوانية، هذه الحالة لها ارتدادات قد تصل إلى أولادك شئت أم أبيت.

٣. **وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من مظلمة أشدّ من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونًا إلا الله عزّ وجلّ»**[1].

الطرف الآخر إذا كان ضعيفًا لا يستطيع أن ينتصف لنفسه، كأن يكون موظفًا تحت إشرافك، أن تتخذ قرارات مجحفة في حقّه كمنع ترقيته، أو الإجحاف به في التقرير الذي ترفعه عن عمله، وتدّعي أن ذلك من صلاحياتك، وتعلم أنه لا يستطيع أن يفعل ضدّك شيئًا، لأنك أقوى منه، لا تعتقد ذلك؛ لأن هذا الضعيف له ربّ عادل قوي، تذّكر وأنت تكتب التقرير عنه أن الله يراقبك، وأنه قادر على أن ينتقم لهذا الضعيف منك.

فعلى الإنسان أن يكون حذرًا من أن يظلم أحدًا، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنّبنا وإياكم ظلم الآخرين.

(١) الكافي. ج٢، ص٣٣١.

الخطبة الأولى

هيمنة المجتمع وتحرير إرادة الإنسان

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآيتان: ١٢٣ – ١٢٤].

حين تكون هناك هيمنة قمعية في المجتمع فإن الإنسان يفقد جوهر إنسانيته؛ لأن جوهر الإنسان يتمثل في بعدين:

الأول: القدرة على التفكير.

الثاني: الإرادة والاختيار.

هذا هو جوهر إنسانية الإنسان، ومن دون هذين الأمرين لا يكون هناك فرق بينه وبين سائر الكائنات الأخرى.

التفكير وإرادة الاختيار هما ميزة الإنسان.

المجتمع الذي يحترم الإنسان، ويتعامل معه كإنسان، هو المجتمع الذي يعطي الفرد مجالًا في هذين البعدين، فكلما كان الإنسان أكثر قدرة على التفكير، وأكثر قدرة على اختيار البدائل، فإنه يعيش إنسانيته بشكل أفضل، وفي أيّ مجتمع تنخفض فيه

هذه القدرة والإمكانية، تنحط إنسانيته.

الآية الكريمة تتحدث عن صورة من صور المجتمع الاستبدادي، الذي يقمع حقّ الإنسان في التفكير واتخاذ القرار، هذه الحالة القمعية قد تتجلّى من خلال سلطة سياسية، وقد تتجلّى عبر قسوة عائلية، وقد تتجلّى في ظل وضع اجتماعي، يرهب الأفراد، ويسلبهم القدرة على التفكير والاختيار.

هناك جماعة رأوا أمامهم برهانًا واضحًا على وجود الله سبحانه وتعالى، فآمنوا بدعوة نبي الله موسى ﷺ، الذي جاء يدعوهم إلى الله، وهم مجموعة السحرة الذين أراد فرعون أن ينتصر بهم، ولكنهم لما رأوا الحقّ أمامهم واضحًا، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[سورة الأعراف، الآيتان:١٢١-١٢٢]، فأنكر فرعون عليهم، كيف تؤمنون وأنا لم آذن لكم؟! إنه لا يرى نفسه مهيمنًا على أجسامهم، وعلى وجودهم المادي فقط، وإنما يرى نفسه مهيمنًا حتى على عقولهم وعواطفهم.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ وهذه الروحية موجودة في ظلّ الهيمنة الطاغية، ففي المجتمعات الاستبدادية، الإنسان لاحقّ له أن يؤمن بالفكرة التي يقتنع بها، وقد تصل إلى درجة أن الإنسان لايتجرّأ على التفكير، حيث يخشى أنه إذا فكر وبحث، قد يصل إلى نتيجة مخالفة للرأي السائد، وهذا يوقعه في حرج مع السلطة السياسية، أو الهيمنة الاجتماعية، أو الحالة العائلية، لذلك يتوقف عن التفكير.

في ظل الاستبداد

إن الأفراد في المجتمعات التي تطغى عليها هذه الهيمنة يعيشون:

أولًا: امتهانًا لإنسانيتهم، فلا يعيشون كرامتهم، التي تستوجب أن يتمتعوا بالحرية في تفكيرهم.

ثانيًا: يتوقف الابداع والتطوير، ففي ظلّ الإرهاب الفكري لا يظهر مبدعون، ولا

يحصل تقدّم في المجتمع؛ لأن التطور والإبداع يحتاج إلى شعور بالحرية والأمن، إذ هناك تناسب بين تقدّم المجتمع وبين مستوى الحرية فيه. والمجتمعات التي يتمتّع أفرادها بالحريات وتمارس التطور، تكون أقرب إلى التقدم، بينما المجتمعات المقموعة تتوقف فيها مسيرة التقدم والتطور.

ثالثًا: تتعزّز حالة الظلم والفساد بسبب عدم وجود الإرادة، وعدم وجود القدرة على التفكير عند الناس.

يوم كانت المجتمعات الأوروبية تعيش عهد الإقطاع وسيطرة الكنيسة، كانت الحركة متوقفة، وكانوا يعيشون التخلف.

متى استطاع المجتمع الأوروبي أن يبدأ مسيرة التقدم؟!

حينما انطلقت حركة عصر التنوير، التي ركزت على فكرة (الفردانية)، أي إشعار الفرد بقيمته ومكانته، والتأكيد على حقوق الفرد، وعلى الحريات الشخصية، وإدانة نزعة الطغيان الاجتماعي، حتى إن بعض منظّري (عصر التنوير) اعتبر الروح الجمعية مصدر آلام البشرية، وأنها شرّ مطلق، وأنها سبب التخلّف، وتلك مبالغة لا نقبلها على إطلاقها.

حينما تجاوزوا هذه الحالة، وبدأ الفرد يشعر بقيمته، ويمارس حرية التفكير بدأت مسيرة التقدم في أوروبا.

الإسلام وتحرير إرادة الإنسان

وقبل مجيء الإسلام كان المجتمع العربي يعيش حالة مشابهة، حالة قبلية جاهلية. جاء الإسلام، وأطلق عنان الفكر عند الإنسان، وأشعره بقيمته وكرامته، لذلك انطلقت مسيرة الحضارة الإسلامية، التي سرعان ما حصل لها تراجع وانتكاسة، وذلك حينما عادت حالة الاستبداد إلى ذلك المجتمع، الذي أنقذه الله سبحانه وتعالى بالإسلام.

ومعظم عهود التاريخ الإسلامي شبيهة إلى حدٍّ ما بالأوضاع التي كان يعيشها الأوروبيون في العصور الوسطى، مع الاختلاف في بعض الجوانب؛ لأن حالة القمع الفكري، والاستبداد السياسي، وذوبان الفرد هي السّمة الأبرز.

ولا تزال هذه الرواسب موجودة في المجتمعات الإسلامية، فلا يجرؤ الإنسان فيها على التفكير، وعلى اتخاذ القرار، يخاف من عائلته، ومجتمعه، والسلطة السياسية في بلده، حواجز وظلمات بعضها فوق بعض.

الإسلام جاء حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور. وبما أن الإرهاب والقمع الفكري والاستبداد ظلمات، فقد جاء الإسلام ليخرج الناس برسالته من هذه الظلمات، فصار الإنسان يشعر بكرامته وحريته. وفيما يتعلق بمسألة الحرية، قد تحصل سلبيات بسبب المبالغة في مفهوم (الفردانية)، فالغرب يعاني من سلبيات كثيرة، حيث تحولت إلى حالة من الأنانية المفرطة، وهذا ما يجب تسليط الأضواء عليه، حيث لا إفراط ولا تفريط، ولا بُدّ من التوازن.

ظاهرة الانتحار في المجتمعات المسلمة

لماذا يلجأ بعض الشباب والفتيات إلى الانتحار في مجتمعاتنا التي لم تعرف هذه الظاهرة من قبل؟

بدأت تتسلّل وتقع حالات الانتحار، بسبب شعور الشاب وخاصة في محيط الفتيات، بانسحاق الشخصية، حيث تُعَدُّ شخصيتها مسحوقة، ولا مجال أمامها لكي تحقّق أهدافها ضمن الإطار المشروع، وهذا ما يحذر منه الدين وهو مخالف لإنسانية الإنسان.

النظافة أصالة وحضارة

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لأنس: «يا أنس، أكثر من الطهور يزيد الله في عمرك، وإن استطعت أن تكون بالليل والنهار على طهارة فافعل، فإنك تكون إذا متّ على طهارة شهيدًا»[1].

من مظاهر عظمة الإسلام أنه جاء في بيئة متخلّفة، لم تكن فيها معارف صحية، ولا مستوى حضاري، إلا أن هذا الدين جاء بتشريعات وتعاليم، لا تزال البشرية اليوم مع تطورها وتقدمها، تجدّ السير حتى تصل إلى مستوى تلك التعاليم والتشريعات، في تلك البيئة العربية، كان الناس يعيشون حياة الصحاري في الغالب، وحتى من كانوا يعيشون في المدن لم تكن الوسائل متوفرة لديهم، ولا المعارف حاصلة عندهم، لذلك كان هناك عدم اهتمام بأمر النظافة والأناقة بشكل عام.

فأن يستحمّ الإنسان اليوم هو أمر سهل، لكن في تلك الأزمنة لم يكن سهلًا، الماء لم يكن متوفرًا بهذا الشكل، وخاصة في أيام الشتاء، ولأناس يعيشون في الصحراء.

لقد فرض الإسلام على الناس الغسل والاغتسال، بحيث يشمل الماء كلّ الجسم.

وهناك أغسال واجبة فرضها الإسلام، وأغسال مستحبة، فحينما نرجع إلى الروايات حول غسل الجمعة مثلًا. بعض الفقهاء السابقين يرى وجوب غسل الجمعة،

(١) وسائل الشيعة، ج١، ص٣٧٩.

لكن المشهور أنه مستحب مؤكد.

الروايات تتحدّث أنه في عهد رسول الله ﷺ، كان الناس في المدينة يشتغلون في مزارعهم، وخاصة في أيام الصيف، فتكون هناك حالة من التعرّق، ويأتون إلى المسجد على تلك الحالة.

الرسول ﷺ أكدّ على غسل الجمعة، وبقية أنواع الأغسال الواجبة والمستحبة، بعضها ترتبط بزمان أو مكان أو حدث معيّن.

الوضوء نظافة متجددة

عدا الغسل، هناك موضوع الوضوء، الذي يعني أن يغسل الإنسان الأعضاء البارزة في جسمه، كما أمر الله سبحانه وتعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[سورة المائدة، الآية:٦] إن الوضوء للصلاة واجب، والإنسان المسلم عليه خمس فرائض في اليوم، فهو بحاجة إلى الوضوء ثلاث مرات على الأقل، إذا كان يجمع بين فريضتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، هذا إضافة إلى الوضوء المستحب الذي تتعدّد موارده.

حين تدخل المسجد يستحبّ أن تكون على وضوء، وحين تقرأ القرآن يستحبّ أن تكون على وضوء، وعند لمس آيات القرآن يجب أن تكون على وضوء، وحين تنام يستحبّ أن تكون على وضوء. هناك روايات وردت أن الإنسان الذي ينام على وضوء يعتبر في عبادة، ومنها ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لسلمان: «من بات على طُهْرٍ فكأنما أحيا الليل»[(١)]، وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «من تطهّر ثم آوى إلى فراشه، بات وفراشه كمسجده»[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار. ج ٣٩، ص٢٥٨

(٢) وسائل الشيعة، ج١، ص٣٧٨.

كما أنه يستحب الوضوء لتناول الطعام، حيث وردت روايات تدعو إلى أن يتوضأ الإنسان قبل تناول الطعام، ومنها ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «الوضوء قبل الطعام وبعده يزيدان في الرزق، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوله ينفي الفقر وآخره ينفي الهمّ»[1].

اليوم العالمي لغسل اليدين

نتحدّث هذا الحديث بمناسبة يوم عالمي، أعلن أخيرًا من قبل الأمم المتحدة، أطلقوا عليه (اليوم العالمي لغسل اليدين) وهو يوم ١٥ أكتوبر.

وطالبوا دول العالم أن تحتفل أسبوعًا كاملًا بغسل اليدين، تشجيعًا للناس على أن يتعلّموا عادة غسل اليدين. وقالوا إن كثيرًا من الأوبئة والأمراض، وخاصة بالنسبة للأطفال، تحصل بسبب عدم العناية بغسل اليدين، وهناك إحصائية تشير إلى أن خمسة آلاف طفل دون الخامسة يموتون يوميًّا في العالم نتيجة أمراض يسببها عدم غسل اليدين، وبسبب موجة مرض انفلونزا الخنازير، بدأ الاهتمام أكثر بموضوع النظافة وغسل اليدين.

وبهذه المناسبة من الجيد الإشارة إلى ملحوظة مهمة تخص المناسبات الاجتماعية، حيث نرى مثلًا مراسيم الزواج، أو مراسيم العزاء، والصفوف الطويلة، كلّ واحد يسلم على هؤلاء الذين يبارك لهم أو يعزيهم، ويقبّل كلّ واحد منهم، هذه مبالغة لا داعي لها، وخاصة مع هذه الظروف الصحية، ينبغي أن نأخذ الأمور مأخذ الجدّ.

قبل استحداث يوم عالمي لغسل اليدين، تحدث التشريع الإسلامي قبل ١٥ قرنًا عن هذا الأمر، ودعا إلى الوضوء، الذي أولى فقراته استحباب غسل اليدين قبل الشروع فيه، خاصة للإنسان المستيقظ من النوم، أو الذي أحدث حدثًا أصغر.

---

(١) الكافي. ج ٦، ص٢٩٠

ويشتمل الوضوء على غسل اليدين كاملتين الى المرافق، ويستحبّ للإنسان أن يكون دائمًا على وضوء وإن كان متوضئًا، إذ يستحبّ له أن يجدّد الوضوء، ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «الوضوء على الوضوء نور على نور»[١]، كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «من جدّد الوضوء جدّد الله له المغفرة»[٢].

استحباب غسل اليدين

هناك تأكيدات على غسل اليدين خاصة قبل الطعام وبعده، ومنها ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «من غسل يده قبل الطعام وبعده عاش في سعة وعوفي من بلوى في جسده»[٣]، وعنه عليه السلام: «اغسلوا أيديكم قبل الطعام وبعده فإنه ينفي الفقر ويزيد في العمر»[٤]، وعنه عليه السلام: «الوضوء قبل الطعام وبعده يذيبان الفقر»[٥]. وهذا كما هو واضح توجيه ديني إلى النظافة.

إن بعض الناس يستثقلون أمر النظافة، والاستحمام بالنسبة لهم عملية شاقّة، فيتحمّل العرق والروائح في جسمه بسبب ما يعتريه من حالات الكسل والخمول عن تنظيف جسمه.

هَبْ أنك تتحمّل تلك الروائح لكنك تعيش مع آخرين. لماذا تؤذي الآخرين برائحتك؟!

الحمد لله، فإن الماء متوفر والإمكانات متوفرة، وينبغي للإنسان ألا يبخل على نفسه، ويستطيع أن يحوّل نظافته وأناقته إلى عبادة، حينما ينوي اغتسالًا بأيّ مسوِّغ من المسوِّغات، مثل: دخول المسجد الذي تغتسل له قربة إلى الله تعالى، حيث تستطيع

(١) وسائل الشيعة، ج١، ص٣٧٧.
(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢، ص٢٤٠.
(٣) الكافي. ج٦، ص٢٩٠.
(٤) بحار الأنوار،ج ٦٣، ص٣٥٦.
(٥) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٣، ص٥١٠.

أن تحول غُسْلَكَ إلى غسل تكسب منه الثواب، وكذلك بالنسبة إلى الوضوء.

أخبرني بعض الإخوة العاملين في دار المسنين والعجزة، يقول إن من المشاكل الكبيرة التي نواجهها هناك أن هؤلاء في ثقافتهم وحياتهم غير متعوّدين على الاستحمام والنظافة، فيكون من الصعب إقناع أحدهم بالنظافة والاستحمام، يقول: نتحدّث معهم ونرشدهم فيردون: كنا نعيش خارج الدار وبالكاد نستحم مرّة في الشهر، والآن أنتم تريدوننا الاستحمام كلّ يومين؟!

ينبغي أن نعوّد الأطفال خاصة، وأن نتعوّد دائمًا على غسل اليدين، وعلى الوضوء، وعلى الاستفادة من هذه التعاليم والإرشادات الصحية التي يطرحها المختصون.

وهناك مسألة ترتبط بموضوع تغيير بعض العادات السلبية، مثل عادة التقبيل المبالغ فيها، إذ ورد في الروايات أن يعانق المسلم أخاه في بعض المناسبات، أما المبالغة فيها بمناسبة وبدون مناسبة، قد تسبب بعض المشاكل الصحية والمشاكل الاجتماعية.

وينبغي للإنسان أن يحمي صحته، فالإسلام كما يهتمّ بصحة الأرواح، وصحة العقول، يهتمّ بصحة الأجسام، وكما قيل: العقل السليم في الجسم السليم، وورد أيضًا عن رسول الله ﷺ: «النظافة من الإيمان»[1].

(١) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص٢٩١



الخطبة الأولى

مبرّرات الهيمنة الاجتماعية

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[سورة يونس، الآية:١٠٨].

تقوم فلسفة المجتمعات الإقطاعية والتقليدية في قمعها لشخصية الفرد على عدد من المبررات والحجج، أبرزها ما يلي:

أولًا: قصور الفرد عن إدراك المصلحة واتخاذ القرار الصائب. مما يجعله بحاجة إلى وليٍّ يسيّره، وراعٍ يصحّح توجّهاته.

إنه من المتفق عليه حاجة الفرد حين يكون صغيرًا للرعاية والولاية، لكن هذه الحالة تستصحب في المجتمعات التقليدية، حيث تستمر هيمنة الأب على الأولاد مادام حيًّا، ويكون قرار الزوجة بيد الزوج مطلقًا، وتخضع المرأة لوصاية الرجل.

ويجب على الناس طاعة شيخ القبيلة، وشيخ الدين، وشيخ الحكم، من منطلق أن (الشيوخ أبخص) ـ حسب التعبير الدارج ـ، أي أعرف بالمصلحة.

ثانيًا: الوقاية من نوازع الشر والفساد، فلو ترك الفرد وشأنه، فإنه يقع تحت تأثير الشهوات والأهواء، وتحرّكه نزعات الشرّ والفساد، فيضرّ نفسه والآخرين.

ومن أجل حمايته من نفسه، ووقاية المجتمع من شره، لا بُدّ من إحاطته بالرقابة،

وسياج الأوامر والنواهي الرادعة.

ثالثًا: تعزيز الروح الجمعية، وأولوية المصلحة العامة. حيث تواجه المجتمعات تحدّيات وأخطارًا على وجودها ومصالحها، فلا بُدّ من تعزيز الروح الجمعية، للدفاع عن الهوية والكيان، بأن يكون الأفراد جنودًا رهن إشارة قيادة المجتمع، وأن يهتمّوا بما يخدم المصلحة العامة، ويقمعوا أيّ تفكير في مصالحهم الشخصية.

إن الفرد محدود الطاقة والقدرة، وقوته في قوة مجتمعه، فعليه ألّا يفكر في بناء قوته الشخصية، بل عليه أن يذوب في إطار تعزيز قوة الجماعة.

وإذا كانت هذه المبرّرات تُساق كمسلمات في المجتمعات القديمة، فإنها الآن أصبحت حججًا واهية في المجتمعات الحديثة، بسبب تطور الحياة وتقدم وعي الإنسان ونضاله من أجل انتزاع حريته وكسب حقوقه.

الإنسان بين نقاط الضعف ومواقع القوة

إن تلك الثقافة القديمة تركز على نقاط الضعف في طبيعة الكائن البشري، وتتجاهل مواقع القوة، كما تقرّر المنهج الخطأ في التعامل مع سلبيات الطبيعة البشرية.

فقد منح الله تعالى كلّ فرد قدرة عقلية عظيمة، يعتصم بها من الجهل، وقصور المعرفة والإدراك، لذا يتوجّه إليه الخطاب الإلهي محرضًا له على التفكر والتدبر، واستعمال العقل والنظر.

إنه حين يكون صغيرًا، ليس مؤهّلًا للاستفادة من قدراته العقلية بالمستوى المطلوب، فيحتاج إلى الولاية والرعاية، ريثما تكتمل مداركه، ويتعرف طبيعة الحياة من حوله فإذا اجتاز عتبة البلوغ، أصبح مكلّفًا من الناحية الشرعية، وحين يمتلك الرشد العرفي، يكون شخصية مستقلة كاملة الاعتبار، رجلًا كان أو امرأة.

ويشير القرآن الكريم، إلى أن الله تعالى زوّد الإنسان بأدوات، يتجاوز بها قصور المعرفة والجهل، الذي يصحبه في مرحلة الطفولة، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[سورة النحل، الآية:٧٨].

إن قصور المعرفة والإدراك عند الفرد، لا يعالج باستعباده واستتباعه، وإلغاء شخصيته، بل بتوجيهه إلى عقله، وتشجيعه على التفكير والبحث، ودفعه للسعي نحو العلم والمعرفة، وفتح الآفاق والسبل أمامه.

وهذا هو منهج الأنبياء في الأصل، فهم لا يسلكون سبيل الهيمنة والسيطرة على الناس، والله تعالى لم يسمح لهم بذلك، وإنما يتحدّد دورهم في التذكير والتوجيه، وإتاحة فرصة الاختيار واتخاذ القرار.

يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[سورة الغاشية، الآيتان:٢١-٢٢].

ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[سورة الكهف، الآية:٢٩].

وهذا ما تسير عليه المجتمعات المتقدمة، التي توفّر لأبنائها فرص التعلم، ومجالات البحث، وتُطَوِّر وسائل الحصول على المعرفة وتدفّق المعلومات.

لكن المجتمعات المتخلفة تمارس تجاه أبنائها سياسة التجهيل والتعتيم، وتضع العوائق والعراقيل أمام وصول المعلومات والمعارف بيسر وسهولة للناس، ثم تبرّر الهيمنة على أبنائها بقصورهم وتدنّي مستوياتهم.

من جانب آخر، فإن النظر للإنسان من خلال ما في نفسه من ميول شهوانية، ونزعات شريرة فقط، فيه ظلم وحيف. ففي أعماق الإنسان فطرة نقية، ونزعات خيّرة، إلى جانب دواعي الشهوة والهوى، يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

وَتَقْوَاهَا﴾[سورة الشمس، الآيتان:٧-٨]، وورد عنه ﷺ أنه قال: «كلّ مولود يولد على الفطرة»[1].

فالإنسان مهيّأ للسير في طريق الخير والصلاح، كما يمكن أن ينزلق إلى طريق الشر والفساد، يقول تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[سورة الإنسان، الآية:٣].

وللبيئة التي تحيط بالإنسان دور مؤثر في اختياره لأحد الاتجاهين.

والمطلوب هو توفير البيئة الصالحة، والتربية المناسبة، ونشر القيم الفاضلة، وبثّ الدعوة إلى الخير، وتنمية دوافع الصلاح في نفس الإنسان، وتحذيره من عواقب الفساد والانحراف.

أما شلّ إرادة الإنسان، ومصادرة قراره، وإلغاء شخصيته لضمان سيره في طريق الخير والصلاح، فذلك امتهان لإنسانيته، وخلاف لحكمة الله تعالى في خلق الحياة الدنيا كدار ابتلاء وامتحان.

الروح الجمعية، كيف تتحقق؟

ولعلّ أهمّ مبرّر يطرحه دعاة الهيمنة الاجتماعية، وأهمّ شعار يرفعونه، هو تعزيز الروح الجمعية، وأولوية المصلحة العامة.

ولا شك أن الشعور بالحاجة إلى انتماء اجتماعي، هو من أقوى المشاعر المتجذّرة في نفس الإنسان، فهو يوفّر له الإحساس بالقوة والأمن، كما أن عضويته في المجتمع تساعده في تسيير شؤون الحياة ومواجهة مشاكلها.

ولا شك أيضًا أن قوة المجتمع تتحقّق بتضامن أفراده، واهتمامهم بالمصالح العليا لمجتمعهم.

ويظهر من تاريخ البشرية القديم والحديث، أن هناك رؤيتين في الوصول إلى هذه

---

(١) صحيح البخاري. ج١ ص٣٣٧ حديث ١٣٨٥. الكافي ج ٢ ص١٣.

الغاية والهدف:

الرؤية الأولى تبالغ في التقليل من شأن الفرد، وتدعو إلى إذابته وصهره في بوتقة المجتمع، ليسلم قياده، ويكبت رغباته، ويكبح جماح فكره، خضوعًا للإرادة الجمعية، والتزامًا بتوجيهاتها.

وتلك هي سمة المجتمعات الإقطاعية والتقليدية التي يسودها الاستبداد الشمولي، وتشاركها هذه النظرة المدرسة الماركسية الشيوعية في التاريخ الحديث.

ورغم أن عنوان هذه الرؤية وشعارها هو الجماعة والأمة، والمصلحة العامة، إلا أنها غالبًا ما أنتجت واقعًا مباينًا ومناقضًا لهذا العنوان، في تاريخ البشرية القديم والحديث، حيث تؤدّي إلى هيمنة أفراد أو طبقة من الناس على مقاليد الأمور، ليتحكّموا في مصير الأمة والشعب، وليتّخذوا ما شاؤوا من القرارات التي تخدم مصالحهم الخاصة، وتلبي رغباتهم، في المزيد من التسلط والاستئثار.

كما نقرأ ذلك في تاريخ العصور الأوربية الوسطى، ومعظم تاريخ السلاطين المسلمين، وفي سيرة ستالين، وهتلر، وعيدي أمين، وصدام حسين، وأمثالهم من طغاة هذا العصر، الذين رفعوا شعارات القومية والوطنية، وحكموا باسم الشعب والجماهير.

أما الرؤية الثانية فهي تهتم بإعلاء شأن الفرد، وتدعو إلى احترام خصوصياته الشخصية، وحماية حقوقه المنبعثة من طبيعته الإنسانية، وترى أن قوة المجتمع تتحقّق بقوة أفراده، وتوافقهم على عقد ونظام اجتماعي، لإدارة شؤونهم العامة.

في ظلّ هذه الرؤية، يتمتع الفرد بحرية التفكير والتعبير عن الرأي، واتخاذ القرار في شؤونه الخاصة، وما يختاره لنفسه من أسلوب حياة ونمط سلوك.

ويشترك مع سائر أفراد محيطه الاجتماعي، في صياغة قوانين وأنظمة الحياة العامة، وفي تقرير الأهداف العليا للمجتمع.

وأعتقد أن المجتمعات الإيمانية التي اتّبعت تعاليم الأنبياء في التاريخ القديم، كانت تأخذ بهذه الرؤية، وتعمل وفقها، قبل أن يصيبها الانحراف والفساد، بتسلّط من زوّروا وزيّفوا تعاليم الأديان.

كما أن المجتمعات الحديثة في الدول المتقدمة، تنتمي إلى هذه الرؤية، فقوة أمريكا هدف وشعار لمواطنيها، وتعزيز الروح الوطنية منهج بارز، يزداد تألقه وتجلّيه أمام التحدّيات التي تواجههم، كما حصل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م.

وكذلك الحال في سائر الدول الغربية، التي سعت مجتمعاتها للتوفيق بين ممارسة الحقوق الفردية والحريات الشخصية، وبين تعزيز الروح المجتمعية الوطنية، وخدمة المصالح العامة.

ويقتضي التنويه، أن الإشادة بالتوجّه العام لهذه المجتمعات المتقدمة، لا يعني الإشادة بكلّ التفاصيل والجوانب، ففي داخل تلك المجتمعات نفسها أخذٌ وردٌّ، ومعارضةٌ ونقدٌ، للكثير من السياسات والممارسات.

الخطبة الأولى

سقوط جدار برلين وإقامة الحواجز بين الشعوب الإسلامية

﴿يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[سورة الحجرات، الآية:١٣].

لا جدال أن القرآن يمثل كتاب الحياة، لكلّ من اهتمّ بنصوصه وآياته الشريفة، بحيث تثار دفائن عقله، فيسعى للنهل من رحيق الذكر الحكيم، ويستبصر بالنور المبين، فتستقيم وجهته، وتتوازن حياته مع غايته الوجودية.

ويتّجه الخطاب القرآني ضمن مسارين:

الأول: لتشكيل الأمة المسلمة، حيث القرآن دستور لها، وتشريع وتنظيم لحياتها، وغاية الآيات القرآنية هي توضيح وتبيين البناء المفاهيمي والعقيدي للأمة، وأحكام الدين والعبادات فيه، وكل ما يرتبط بشؤون حياة الأمة المسلمة.

الثاني: يتوجّه فيه القرآن إلى البشرية جمعاء، من منطلق أن القرآن هداية لجميع البشر، ونفع وخير لكلّ الناس، حيث هناك آيات تتحدث عن تشريعات ومفاهيم تنظم حياة البشر كبشر، سواء آمنوا بهذا الدين أم لم يؤمنوا، على تنوّع أديانهم وأعراقهم، يوجّههم القرآن إلى كيفية إدارة وتنظيم الحياة.

إلى جانب الآيات التي تتحدّث عن أحكام العبادات، وعن التشريعات الخاصة

بمجتمع المسلمين، آيات قرآنية تتوجّه بالخطاب إلى البشرية جمعاء.

على سبيل المثال، حينما يتحدّث الله سبحانه وتعالى عن العدل فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأِحْسَانِ﴾[سورة النحل، الآية:٩٠]، **هذا لا يخصّ مجتمعًا دون مجتمع**، ولا أهل دين بخصوصهم، فالعدل والإحسان شريعة إنسانية، يحتاجها البشر جميعًا. وحينما يتحدّث القرآن الكريم عن توجيه الناس كيف يتعاملون مع أكلهم وشربهم يقول عزّ من قائل: ﴿وكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾[سورة الأعراف، الآية:٣١] **هذا أيضا لا يخص** المسلمين فقط.

لهذا نجد الخطاب القرآني في عدة آيات عامًّا شاملًا لكلّ أبناء البشر، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[سورة الأعراف، الآية:٨٥، سورة هود، الآية:٨٥، سورة الشعراء، الآية:١٨٣] إلى سائر الآيات القرآنية التي تهتمّ بالشأن الإنساني العام...

ومنها هذه الآية الكريمة:﴿يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

التعارف الإنساني

من دلائل روعة النص القرآني، أنه يتوجّه بالخطاب لكلّ الناس فيقول تعالى: ﴿يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾. إن هذه الآية تخاطب الناس لتبصّرهم بسنة من سنن الخليقة، وأن التنوع ينبغي أن يشكل دافعًا إيجابيًّا نحو الانفتاح بين الناس من أجل التعارف...

إذ لا مناص من أن كلّ شريحة من شرائح المجتمع البشري ذات خصوصية معينة، ولكن ليس من الحكمة الانغلاق عن بقية الشرائح والفئات...

إن النداء القرآني لأبناء البشر هو للانفتاح على بعضهم، وهو تأسيس للتعارف، الذي من خلاله تُثرى تجارب كلّ أمة من خلال الأمم الأخرى، وكلّ مجتمع من المجتمعات الأخرى. فالتعارف هو تفاعل معرفي بين الأمم، تتعرف كل أمة أوضاع

الأمم الأخرى، مما يفيد تجاربها.

والتعارف السليم هو أن تأخذ الأمة الإيجابيات، وتتلافى السّلبيات، بالإضافة لبعد آخر في التعارف، هو تعاون الجميع لاكتشاف المواقع الواحدة، والمصالح المشتركة بينهم كبشر.

السقوط في الانغلاق

لماذا يختار البعض من الناس حالة الانغلاق ومقاطعة الآخرين؟

إنه سؤال حسّاس بامتياز، حيث هناك في الواقع الإنساني من يفصل ذاته أو جهته، بوضع الحواجز والجدران بينه وبين الآخرين من أمثاله من بني البشر، هذه الجدران والحواجز قد تكون مادية، وقد تكون معنوية...

ما منشأ انغلاق الإنسان عن أخيه الإنسان وابتعاده عنه، بإقامة حواجز فاصلة؟

يبدو أن منشأ ظاهرة الانغلاق تعود لسببين أساسيين:

الأول: نفسي ذاتي، وقد يكون لتأثير تربويّ، في غالب الأحيان، مما يخلق لدى الإنسان ما يعرف بالنزوع العدواني ضدّ الآخر. وهو صورة من صور اضطراب الشخصية، مما يفقد التوازن لدى الشخص، ويعطّل آفاق النجاح الاجتماعي، هذا السبب قد يبرز مع توفر المؤثرات، من قبيل تحوّل اجتماعي أو صراع إرادات...

الثاني: بيئي اجتماعي، يعني أن الانتماء الإيديولوجي لجهة معينة في المجتمع (حزب، إثنية، دين، مذهب) قد تشكّل حاجزًا أمام انفتاح الشخص على جهات أخرى..

لا غرو أن نجد في العديد من الآيات القرآنية، التحذير الإلهي لأبناء البشر من الشيطان وكلّ النوازع الشريرة، التي تعتبر الأساس لإقامة الحواجز وصنع العداوات

فيما بين الناس، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٩١]. إن هذه إرادة شيطانية في الغالب، ينقلها إلى عالم الفعل أشخاص أو فئات من الناس، من أجل مصالحهم الذاتية أو الفئوية، ليصنعوا الحواجز بين الناس.

بعض الأشخاص، زعيم جماعة مثلًا، من أجل بسط هيمنته على هذه الجماعة، يصدر بيانًا يمنع التواصل أو الانفتاح (مع/ على) الجماعات الأخرى، خشية اطّلاع جماعته على ما عند تلك الجماعات من إيجابيات. وذلك إرضاءً لنزعة التسلط والزعامة المتحكمة في نفسه، حتى يبقى هو محور الولاء، ومصدر الفكر والمعلومات، وهذه النزعة هي نتاج خشية هذا المتزعم للجماعة، من أن انفتاح جماعته على غيره قد يقلّل من قيمته وموقعيته عندهم، كما قد يفتح المجال لنفوذ الآخرين إليهم، فيحاول تحصينهم بمنعهم عن الانفتاح على الآخرين...!

في بعض الأحيان، قد تكون جهة تكريس الانغلاق، دولة، أو قيادة دينية أو حزبية فئوية، مهمّاتها الأساسية صناعة الحواجز بين الناس وإقامة الجدر.

ولعلّ مشكلة الغالبية من الناس هي غياب الوعي بهذه الحقيقة.

نحن نعيش في مكان واحد وهناك جدار يفصل أحياء عن بعضها، لو تساءل الناس: لماذا هذا الجدار؟ لماذا هذا الحاجز؟ لماذا لا ننفتح على أهل الحيّ الآخر ونتواصل معهم؟

إذا انتشر هذا الوعي وعادت سلطة العقل، سيكتشف الجميع أن هذا الجدار مضرّ بالطرفين، وأن من مصلحة الحيين، الجماعتين، أن ينفتحوا على بعضهم بعضًا.

بالمختصر المفيد، هذا الجدار وهذا الحاجز، أقامته مصالح معينة لأشخاص ولفئة محدّدة، إذا وعى الناس ذلك، وكانت لديهم إرادة، فإن الجدار سوف يتحطّم.

هناك من يسمع جماعته تحذّره من الانفتاح على الآخرين، فتعمل على خلق حاجز معنوي لديه، من خلال تشويه سمعة الطرف الآخر، لكن البعض من الأشخاص

يعودون إلى عقولهم بطرح السؤال التالي على أنفسهم:

لماذا أقاطع هؤلاء وأبتعد عنهم؟ لماذا لا أتعرف على ما عندهم؟

فيبدأ بانتفاضة وعي، ويكسر هذا الحاجز، فيرى أنه قد حرم نفسه في الفترة الماضية من الانفتاح على الآخر، والاستفادة من إيجابياته...

في الحياة، على طول التاريخ الإنساني إلى زمننا المعاصر، ومن مختلف الأديان والمذاهب والاتجاهات، هناك أشخاص سجّلوا انطباعات حول الانتقال من ضيق الانغلاق إلى سعة الانفتاح على جماعات أخرى، قد ترتسم في الأذهان انطباعات وتصورات مسبقة عن الجهات الأخرى، لكن ما إن تحدث ثورة على الانغلاق ويحصل الانفتاح، تتغيّر انطباعاتهم، ولسان حال الواحد منهم: ما كنت أتصوّر أن هؤلاء هكذا!

السؤال المنهجي الذي من واجب كل إنسان طرحه على نفسه:

لماذا أقبل الانغلاق والابتعاد عن الآخر بلا وعي ولا مبرر عقلائي؟

ولذلك، على الناس الواعين في كلّ المجتمعات أن يعرفوا أن وجود أيّ حاجز بينهم وبين أحدٍ من أبناء البشر، سواءً كان الحاجز ماديًّا أو معنويًّا، فإنه ليس في الصالح العام، وإنما هناك جهات تستفيد من هذه الحواجز والجدران...

جدار برلين

منذ ١٩٩٠م، بعد عودة الوحدة رسميًّا بين الدولتين الألمانيتين، يحتفل الغربيون كل عام في ٣ تشرين الأول/ أكتوبر بذكرى سقوط جدار برلين، المدينة الألمانية أو التي تعرف بـ «عاصمة الرايش الألماني»، بسبب صراع ونزاع حصل بين المعسكرين الشرقي والغربي، تقسّمت ألمانيا إلى بلدين، ألمانيا الغربية، وألمانيا الشرقية. فبعد الحرب العالمية الثانية، كانت برلين مدينة موحّدة، فيها قسم يخضع لألمانيا الغربية، والقسم الآخر يخضع لألمانيا الشرقية، وكان الناس من كلا الجهتين يذهبون إلى

الجهة الأخرى، ولم تكن هناك حواجز. لكن القيادة السياسية في الطرفين وبتوجيه من المعسكرين الحاكمين في العالم، قررتا إقامة جدار، والبداية كانت من ألمانيا الشرقية، التي كانت ضمن الفلك الشيوعي، الاتحاد السوفييتي السابق.

في ١٣ آب/ أغسطس ١٩٦١م قررت ألمانيا الديمقراطية التابعة للمعسكر الشرقي، حماية نفسها ببناء الجدار وسط برلين، من أجل أن يفصلوا بين الناس، فبنوا جدارًا يفصل حيين من مدينة واحدة، دون أيّ مبرر، إلا لتحقيق تلك المصالح السياسية. حيث استمرّت حكومة المعسكر الشرقي في إطلاق النار على كلّ من يحاول اختراق الجدار، وكان طوله اثنين وأربعين كلم، وكان ارتفاعه يتراوح بين ٣ أمتار ونصف أو أربعة أمتار ونصف، وركّبت عليه أنابيب وأسلاك شائكة وغيرها من المتاريس، وحواجز بلغ طولها ١٦٠كلم، كلّ ذلك من أجل أن يمنع الناس داخل المدينة التي كانت مدينة واحدة أن يتواصلوا مع بعضهم.

سقوط الجدار

لكن حينما نضج الوعي في نفوس الناس الألمان، وبخاصة من أهالي برلين الغربية والشرقية، هَبُّوا بأنفسهم، وبمبادرات من الأفراد والجماعات، حيث كانت ثمرة لانتشار الوعي والتطلّع للحرية وللوحدة، هدم ذلك الجدار وكان سقوط جدار برلين إعلانًا لعالم جديد، وبداية لانتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين، وبالتالي سقوط المعسكر الشرقي، وسقوط الاتحاد السوفييتي.

في يوم التاسع من تشرين الثاني ٢٠٠٩م احتفل الألمان، واحتفلت أوروبا، بالذكرى العشرين لسقوط ذلك الجدار، الذي كان يفصل بين الناس من أبناء المدينة الواحدة.

هذا الاحتفال جاء احتفالًا ضخمًا، شارك فيه ٣٠ رئيس دولة، ورغم أن الرئيس الأمريكي «باراك أوباما» لم يكن حاضرًا، إلا أنه وجه كلمة للمحتفلين، وتحدّث فيها

عن التغييرات التي حصلت في العالم بعد سقوط هذا الجدار، وكيف توالت التغييرات.

مستشارة ألمانيا، «أنجيلا ميركل»، وهي من أصل شرقي، من ألمانيا الشرقية، فما ما كان أحد يتصور أن ألمانيا تحكمها امرأة من الشرق؛ لأن الجهة الشرقية من ألمانيا كانت أكثر حرمانًا، وأكثر تخلّفًا، ولكن امرأة منحدرة من تلك المنطقة تأتي وتحكم ألمانيا، هذا من التغيرات والتطورات التي أشار الرئيس الأمريكي إليها، فقال: قلائل منّا كانوا يتوقّعون أن ألمانيا الموحّدة ستقودها يومًا امرأة أتت من ألمانيا الشرقية سابقًا.

بل ما كنّا نتوقّع أن حليف ألمانيا الأمريكي، سيقوده ذات يوم رجل من أصول أفريقية، فهذا من التغيرات الكبيرة التي حصلت في العالم، تغيرات عمقها وسرّها، تهاوي الحواجز بين الناس، فما الفرق بين إنسان من أصول أفريقية، وإنسان من أصول بيضاء أوروبية؟ كلهم بشر، ما الفرق بين إنسان يؤمن بهذه الفكرة، وآخر يؤمن بتلك الفكرة؟ هذه الحواجز في حياة الناس مصطنعة ومختلقة.

ماذا عن المسلمين؟

الغربيون يحتفلون بسقوط الحواجز والجدران، والعالم الاسلامي هناك من يسعى فيه لإقامة الجدران والحواجز!!! إن المقاربة بين الواقع الغربي وما يتحلّى به من سيرورة التغيرات نحو وعي الانفتاح والتعاون والعيش المشترك، مع واقع العالم الإسلامي المبتلى بثقافة إقامة الجدران والحواجز، تكشف عمق الفارق بين العالمين. الغريب في الأمر أن المجتمع الغربي متنوّع لدرجة لا حدّ لها، لكن الوحدة رغم ذلك تزداد حضورًا يومًا بعد يوم...!

أما نحن، فنعيش ما يبعث على الفتنة والانقسام، ولا يزال البعض من أبناء هذه الأمة يعيشون حالة الجهل، وتدفعهم بعض المصالح الفئوية من أجل تعزيز الحواجز في واقع حياة المسلمين...

كم بلدٍ من بلاد المسلمين يعاني الآن ويلات الفتن والحروب، وهو معرض

للتمزيق وللانقسام؟ هذه الصومال لم تقم فيها بعد للدولة قائمة، هناك محاولة قيام دولة في الصومال، لكن لا يزال بين الصوماليين وبين استقرار الدولة شوط كبير بعيد. وهناك محاولات للتقسيم في السودان، وهناك الفتنة المشؤومة التي تجري في اليمن، إنه وضع يمني مقلق لا تبقى آثاره في حدوده، إنما ستجرّ بلدانًا أخرى معها، وستورط سائر البلدان، في مناطق عديدة من العالم الإسلامي، كلّ هذا التشتت والتمزق، رغم غنى مجتمعاتنا بأسباب الوحدة والوئام، (ثقافة وتاريخًا ودينًا ومصيرًا...).

لماذا الآخر الغربي يتوحّد، بينما نحن نمعن في التمزيق والانقسام والانغلاق، زِدْ على ذلك ما نراه من صنع أجواء طائفية في مختلف البلدان، كلّما حصل حادث في بلد، هبّ سماسرة التشدّد والتطرّف لنشر سموم الطائفية، وتدفق هائل من الموج الإعلامي الموهوب في صناعة الحواجز والسدود بين الناس، ونشر الكراهية والعداوة والبغضاء.

هناك حديث وارد عن رسول الله ﷺ رواه زيد بن أرقم وورد في مختلف المصادر، ومنها سنن أبي داوود، يقول: كان رسول الله ﷺ يقول دبر كلّ صلاة: «اللهم ربّنا وربّ كلّ شيء، أنا شهيد أنك أنت الربّ وحدك لا شريك لك، اللهم ربّنا وربّ كلّ شيء، أنا شهيد أن محمدًا ﷺ عبدك ورسولك، اللهم ربّنا وربّ كلّ شيء، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة»[(١)]...

هذا هو الإسلام، وليس الانغلاق، والسدود والحواجز أو التوجهات التمزيقية المقيتة، نسأل الله تعالى أن يقي الإسلام والمسلمين شرها، إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) سنن ابي داوود. ج١، ص ٣٣٨، حديث١٥٠٨.

تقدير نعمة النوم

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[سورة الروم، الآية:٢٣].

نِعَمُ الله جلّ وعلا، لا تعد ولا تحصى، فالخليقة كلها نعمته الكبرى، والكون بكلّ آفاقه نعمة تختزن آلاءً عظيمة. والإنسان هذا المخلوق العاقل، والحامل للأمانة على وجه البسيطة، يعيش في أحضان النعم الإلهية، التي تحوطه وتغمره من كل جهة وجانب، لكنه في كثير من الأحيان يغفل عن هذه النعم، ولا يفكر في أبعادها!

نعمة النوم

ومن النّعم التي يمتنّ الله سبحانه وتعالى بها على الناس، هذه النعمة الكبيرة «نعمة النوم»؛ لأن الإنسان من خلال ممارسته لشؤون الحياة، يصيبه التعب والنصب، وَبَذْلُهُ للجهد يجعله في حاجة إلى فترة من الراحة، حتى يجدّد حيويته وقوته. فترة الراحة هذه هي النوم.

النوم حالة موجودة عند الكائنات الحية، وحده الخالق لا تأخذه سنة ولا نوم، بينما سائر الأحياء بحاجة إلى وقت من الراحة، من خلاله يتجدّد نشاط الأجسام لديهم، حتى النشاط الذهني، إذا لم ينم الإنسان، فإنه يفقد التركيز والقدرة على التفكير السليم، وقد يصاب بالانهيار العصبي أو الهلوسة، لذلك فإن من أساليب التعذيب التي يستخدمها الطغّاة والظّلمة في سجونهم، منع السجين من النوم لأيام، مما يسبب له

أذى كبيرًا يفقده التركيز الذهني، والقدرة على التماسك، لذلك فإن الإنسان عليه أن يشعر بنعمة النوم.

بعض الناس قد تعرُض لهم حالات مرضية، يصاب بشيء من الأرق، يريد أن ينام، يشعر بالحاجة إلى النوم ولكن لا يأتيه النوم، وذلك لأسباب ومشاكل نفسية يعاني منها. هذا نوع من أنواع المرض يتأذى الإنسان منه، فمن المفروض على الإنسان أن يدرك أهمية هذه النعمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في هذه الآية لاحظوا الدّقة القرآنية، صحيح أن الوقت الأفضل للنوم هو الليل، لكن القرآن لم يحصر النوم في الليل، قد يحتاج الإنسان إلى النوم في النهار، قد تكون ظروف حياة الإنسان تمنعه من النوم في الليل في بعض الأحيان.

هذه آية عظيمة من آيات الله تعالى، كيف يأتيك النوم، كيف تنام،كيف تنتبه، ماذا يكون وضع روحك وذهنك، ووضع أجهزة جسمك عند النوم؟؟؟

لا تزال أسئلة محيّرة أمام الإنسان، بعضها هناك إجابات عنها، وبعضها لم يتوصل البشر إلى إجابات عنها، لكنها تدلّ على قدرة الخالق جلّ وعلا.

النوم: حاجة أم هواية؟

الإنسان لا يستغني عن النوم، يحتاج إليه، لكن عليه أن يتحكّم في مدة النوم، حيث قلة النوم تضرّ بالإنسان على مستوى الجسم والذهن، وبالمقابل فإن كثرة النوم أيضًا تضرّ بالإنسان، تسبب له الترهّل والكسل، وتمنعه عن الاستمتاع بحياته؛ لأن النوم في حقيقته خروج من ساحة الحياة العملية، فالإنسان النائم يتعطّل نشاطه، وينفصل شعوره عمّا يحيط به، وإن كانت أجهزة الجسم الداخلية تعمل، فخلال النوم يتوقف البصر والسمع إلى حدٍّ ما، بينما القلب لا يتوقّف، والرئتان والكبد لا تتوقف، وهكذا سائر الأجهزة في داخل جسم الإنسان في حالة النوم، لكن الخالق الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، هو الذي يرعاه ويكلأه، وأجهزة الجسم تعمل بأمر من الله سبحانه وتعالى.

على الإنسان أن يحدّد وقت نومه فلا يكثر من النوم، حيث نجد بعض الناس يكون النوم عندهم مثل الهواية، النوم ليس هواية، وإنما حاجة وضرورة، بمقدار ما يحتاج جسم الإنسان.

هذه الحقيقة أشارت لها عدّة نصوص إسلامية، تحذّر الإنسان من كثرة النوم، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم وكثرة النوم، فإن كثرة النوم يدع صاحبه فقيرًا يوم القيامة»[1]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كثرة النوم مَذْهَبَةٌ للدين والدنيا»[2]. فالإنسان إذا كثر نومه يخسر في دنياه ويخسر في آخرته؛ لأن عليه أن يستفيد من حياته في خدمة سعادته الدنيوية والأخروية، فعلى الإنسان أن يحسب هذا الحساب.

الوقت الأفضل للنوم

من ناحية أخرى، تشعرنا آيات القرآن الكريم بأن الوقت الأفضل للنوم الرئيسي للإنسان هو الليل، في هذه الآية الكريمة وآيات أخرى يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[سورة يونس، الآية: ٦٧]، وقد أثبت العلم الحديث أن ساعة من النوم ينامها الإنسان في الليل أفضل من عدّة ساعات في النهار، لذلك على الإنسان أن يستفيد من وقت الليل للنوم. الله سبحانه بحكمته وبفضله جعل لنا الليل. فحينما تغيب أشعة الشمس عن الناس في أيّ مكان كانوا، يكون فيها الليل، وهذا هو الوقت المناسب لراحة الإنسان. ومن ينام في هذا الوقت يستفيد من نومه أكثر ممن ينام في النهار. نوم النهار لا يعوّض عن نوم الليل في الغالب، إلا إذا كان الإنسان مضّطرًا، وأصبح نمطًا جديدًا لحياته، ومع ذلك يشير العلماء إلى أنه قد يكون في حاجة إلى ما يعوّض عليه بعض الخسارة التي يفقدها من عدم نومه في الليل، حيث يشير العلماء إلى أن هناك هرمونًا يفرزه الإنسان، تفرزه الغدة الصنوبرية، يطلق عليه «الميلانونين»، هذا الهرمون يتوفّر في جسم الإنسان بالليل، مما

(١) الاختصاص. ص٢١٨.

(٢) الكافي. ج٥، ص٨٤.

يجعله أكثر قدرة على الاستفادة من النوم والراحة، بينما لا يتوفر مثل ذلك في النهار.

السّهر وأداء الواجبات

قد تكون هناك عند الإنسان دواعٍ للسّهر، يسهر للعبادة، للعلم، أو لخدمة الناس، بينما في بعض الأحيان، يكون هناك السّهر العبثي، الذي يضيع الإنسان فيه وقته، وهذا ما يبتلى به كثير من الناس، سهر على حساب الواجبات والالتزامات، هذا خطأ كبير، لا ينبغي للإنسان أن يسترسل فيه. حيث أفتى الفقهاء بأن الإنسان إذا سهر ونام عن صلاة الصبح، وكان يعرف أن سهره، هو سبب نومه عن صلاة الصبح، فهو مأثوم، وحرام عليه ذلك؛ لأنه تعمّد أن يفوّت الصلاة، لا يصحّ للإنسان أن يسهر بحيث يفوته أداء صلاة الصبح.

كذلك حين يسهر الإنسان فتفوته الواجبات الأخرى، الطلاب الذين يدرسون، الموظفون الذين يعملون، بعضهم يسهرون في الليل، ويخرج الصباح إلى عمله ووظيفته، ولم يكتفِ جسمه من النوم، لم يأخذ القسط المطلوب من الراحة، فيؤثر ذلك على عطائه في النهار، هناك نصيحة مهمّة جدًّا، أن يتمّ تشجيع الطلاب والأبناء، لبرمجة حياتهم على النوم المبكر، حتى يتسنّى للطالب الذهاب إلى المدرسة، بكامل نشاطه وحيويته، ونفس الأمر بالنسبة للعامل أو الموظف... لو تساءلنا بكلّ موضوعية وواقعية: لماذا عندنا ضعف في الإنتاج؟ وشحّ في الإتقان؟

الغالب من الناس يأتي إلى الدوام لكن مردودية عمله لا تكاد تلمس، مرجع ذلك ـ في بعض الأحيان ـ أن الإنسان يأتي إلى الدوام وهو غير مكتمل الراحة، لم ينم المدة الكافية في الليل، وبدنه مثقل ومجهد، بحيث ينعكس على أدائه في العمل وإتقانه له. وهذا خلل وتهاون في أداء الواجبات المناطة بالإنسان، لذا كان لزامًا على الإنسان أن ينظم حياته ويبرمجها، حتى يتمكن من معالجة هذه الإشكالات، ويحيا الاستمتاع بحياته، بشكل أفضل ويؤدّي واجباته على أكمل وجه.

الخطبة الأولى

القرض الحسن وأداء الدّين

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٨٠].

مفهوم الحقوق مفهوم واسع شامل لكلّ أبعاد الحياة، ومفهوم الأمن كذلك، حيث هو أحد مرتكزات الحياة الكريمة. فهناك تلازم بين الحقوق والأمن، فلا يمكن الحديث عن الأمن بعيدًا عن الحقوق، ولا تبقى حقوق في ظلّ الخوف والرعب. والحقوق أوسع مطلب في الثقافة الإنسانية نظرًا لتشعباتها وارتباطها الوثيق بالإنسان. كما أن الأمن كمفهوم ورد في القرآن الكريم مئات المرات في صيغ متعدّدة، ومادة «أمن» ورد منها الأمانة والإيمان، وكلا الاصطلاحين يشيران إلى الحقوق وآفاقها.

ومن أشدّ الحقوق حساسية وجدلية في الواقع الاجتماعي الحقوق المالية، حيث المال يتعلّق بالملك والكرامة والاستقرار المعيشي. من هنا ارتبط الأمن الاجتماعي بحفظ وصيانة هذا العنصر من الحقوق، وتناسب معه طرديًّا. فمع تفشّي الاعتداءات على الحقوق المالية في المجتمع تتزايد الجرائم، ويختلّ النظام الأمني الاجتماعي، وتتفاقم الأمراض النفسية، من قبيل الخوف والقلق والنكوص والاكتئاب...

إن حماية الحقوق المالية، تُعدُّ من أهمّ أسباب الاستقرار والسلم والاطمئنان الاجتماعي. فالإنسان الذي يعيش في مجتمع تُصان فيه حقوقه المالية، إلى جانب سائر الحقوق، ويأمن من الاعتداء على ممتلكاته وأمواله، لكونها مصونة محفوظة،

هذا الإنسان يعيش مطمئنًا في مجتمعه، لكن حين تكثر النزاعات والخصومات، مع تفشي الاختلافات المالية، واختلال حماية وضمان الحقوق، فإن ذلك يفقد الإنسان أمانه واطمئنانه.

صيانة الحقوق المالية

لقد شرع الإسلام تشريعات تؤكّد على حفظ الحقوق المالية وصيانتها، كما أراد أن ينشأ المجتمع تنشئة أخلاقية تجعل من أفراده ذوي حساسية مرتفعة تجاه حقوق بعضهم بعضًا، لذلك هناك باب في الفقه الإسلامي يعالج مسائل الدّين، وهو ثبوت حقّ في ذمّة إنسان لآخر.

وقد استعرض الفقهاء تفاصيل مسائل الدّين؛ لأنها كثيرة الحدوث والحصول في المجتمع، كما أن هناك عددًا كبيرًا من النصوص والأحاديث التي تتناول هذه المسألة، وعندما نراجع هذه النصوص نجد أنها:

أولًا: تحذّر الإنسان المسلم من أن يبقي في ذمته حقًّا للغير، فكلما استطاع ألا يكون في ذمّته حقّ لأحد فهو الأفضل، لهذا فإن الأحاديث والنصوص تحذّر الإنسان من أن تكون عليه ديون للآخرين، إذا اشترى عليه أن يؤدّي ثمن ما اشتراه فورًا، إذا كان مستطيعًا، إذا استأجر عليه أن يدفع الإيجار في وقته، إذا كان مستطيعًا، وهكذا إذا كان في ذمّته دّين لأحد عليه أن يؤدّي الدّين الذي عليه.

ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والدّين فإنه همٌّ بالليل وذلّ بالنهار»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «خفّفوا الدّين، فإن في خفّة الدّين زيادة العمر»[2]. وورد بالنسبة للأجير أنه ينبغي للإنسان أن يعطي الأجير أجرته قبل أن يجفّ عرقه.

(١) بحار الأنوار ج١٠٠ ص١٤١.

(٢) المصدر نفسه ص١٤٥.

فإنسان استأجرته لأداء عمل، عليك أن تعطيه أجرته بأسرع وقت ممكن، إذ ورد عن رسول الله ﷺ: «أعطوا الأجير حقّه قبل أن يجفّ عرقه»[١]، هذا هو المطلوب من الإنسان المسلم، أن يسعى ألا يكون في ذمته دّين لأحد من الناس.

إن البعض من الناس يتساهلون بخصوص الدّين، بحيث يستدين وإن لم يكن في حاجة للدّين.

أشخاص يستدينون من أجل الحصول على كماليات الحياة، وهذا خطأ كبير. أضف إلى ذلك أن الإنسان إذا استدان عليه أن يعجل بأداء الدّين، لقد ورد عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: «انظر أن تلقى الله عزّ وجلّ وليس عليك دين»[٢].

ثانيًا: من جانب آخر، فإن الإسلام يشجّع القادرين على أن يساعدوا محدودي القدرة على إدارة شؤون حياتهم بالإقراض، مع الصبر على المعسر منهم. فتشير الأحاديث إلى أن الإقراض ثوابه أكثر من الصدقة، فلو خيّر الإنسان بين أن يدفع مبلغًا صدقةً، أو أن يقرضه أحدًا، فالإقراض ثوابه أفضل عند الله.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من مسلم أقرض مسلمًا قرضًا حسنًا يريد به وجه الله إلا حسب له أجرها كحساب الصدقة حتى يرجع إليه»[٣]، أي حتى يعود إليه ماله، حساب القرض يكون عند الله أجره كأجر الصدقة.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقرض مؤمنًا قرضًا ينتظر به ميسوره، كان ماله في زكاة، وكان هو في صلاة من الملائكة، حتى يؤديه إليه»[٤].

---

(١) كنز العمال. ج٣، ص٩٠٧، حديث٩١٣٢.
(٢) الكافي ج٥ ص١٤٠.
(٣) وسائل الشيعة ج١٨ ص٣١٩.
(٤) بحار الأنوار ج١٠٠ص١٣٩.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «القرض الواحد بثمانية عشر، وإن مات احتسب بها من الزكاة»[١]، وفي وصية للإمام جعفر الصادق عليه السلام كتبها إلى أصحابه جاء فيها: «إياكم وإعسار أحدٍ من إخوانكم المسلمين، أن تعسروه بشيء يكون لكم قبله، وهو معسر، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: «ليس لمسلم أن يعسر مسلمًا، ومن أنظر معسرًا أظلّه الله يوم القيامة بظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه»»[٢].

هكذا على الإنسان أن يكون حريصًا بأن لا يبقى في ذمّته شيئًا لأحد، وإذا كان له في ذمة شخص آخر شيء من المال، وكان الآخر معسرًا، فإنه ينبغي له أن يُنظِره إلى أن يتمكن من أداء ما عليه، ورد في رواية: «يؤتى يوم القيامة بصاحب الدّين يشكو الوحشة، فإن كان له حسنات أخذ منه لصاحب الدّين وإن لم يكن له حسنات ألقي عليه من سيئات صاحب الدّين»[٣].

صندوق قرض الحسنة

في بعض المجتمعات هناك سنة حسنة، يتأسّس صندوق يطلق عليه (صندوق قرض الحسنة)، صحيح أن هناك بنوكًا تقدّم القروض. ولكن كما نعلم، فإن البنوك تأخذ فوائد على هذه القروض، ويقع الإنسان بسببها في الرّبا، وترهق الإنسان؛ لأنه يدفع فيما بعد مبلغًا كبيرًا، أرباحًا يأخذها منه البنك، فمن المناسب جدًّا أن يكون في المجتمع صناديق للقرض الحسنة. حيث تأسّست بعض الصناديق لحالات خاصة كحالات الزواج، من يريد أن يتزوّج وهو محتاج، هناك بعض الصناديق تقرضه. وإن كانت هذه الصناديق لا تزال في حالة بدائية لأنها تقرضه بجزء من حاجته، ولا تقرضه كلّ ما يحتاج لزواجه، لكنها تبقى خطوة طيبة ينبغي أن تتطور...

---

(١) وسائل الشيعة ج٩ ص٣٠١ حديث١٢٠٧١.
(٢) المصدر نفسه ج١٨ ص٣٦٦ حديث٢٣٨٦٠.
(٣) المصدر نفسه. ج١٨، ص٣١٧، حديث٢٣٧٥..

أيضًا هناك أشخاص يعانون من بعض الدّيون، وبعضهم قد يسجن بسبب الدّيون التي عليه، وبعضهم له حاجات رئيسية في حياته، تتعطّل لعدم قدرته على القيام بها، ولو وجد مساعدة أو قرضًا لتيسّرت أمور حياته...

ومما يشجّع الناس القادرين على الإقراض، هو ضمان عودة حقوقهم إليهم. المشكلة في بعض الأحيان أن القوانين لا تكون مساعدة لعودة الحقوق إلى أصحابها، والثقافة السائدة بين الناس ليست مشجّعة لهذه الحالة، بعض الأشخاص يقترض ولكنه لا يحرص على الوفاء، هذه مشكلة كبيرة، نحن نتلمّس أمثال هذه المشاكل في مشاهد عدّة:

مماطلة المستأجر

نجد بعض المستأجرين للشقق أو للمنازل، لا يؤدي الإيجار في وقته، حيث القانون في كثير من الأحيان ليس لصالح المؤجر، بل لصالح المستأجر، بحيث يحتاج المؤجر إلى رفع الشكوى للجهات الرسمية، وبذل الجهد، حتى يستطيع إلزام المستأجر بدفع الإيجار، وهذا مشكل شرعًا، إذ كيف يجوز للإنسان أن يبقى في مكان من دون رضا مالكه، وبدون أن يدفع الإيجار؟ هذا غصب، صلاته، وكل أعماله العبادية، وتصرفه، فيها إشكال شرعي، عليه أن يحسب حسابًا لذلك.

من ناحية أخرى، فإن على المؤجّرين أن يُنظِروا من كان ذو عسرة كما تقول الآية الكريمة: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، حينما تكون عائلة فقيرة، محتاجة، وحينما يكون المستأجر محدود الدخل، ينبغي للمؤجّر أن يكون متسامحًا، حين يكون الطرف الآخر محتاجًا بالفعل، أما إذا كان يلعب، ويتشاطر، فهذا بحث آخر، أما إذا رأى أنه إنسان وضعه المادي صعب، فإن له أجرًا وثوابًا كبيرًا في التسامح معه، وأن يؤجله إلى أن يتمكن، وماذا يزعج الإنسان وخاصة إذا كان مُوسِرًا، أن يكون له دّين في ذمم الآخرين؟ هذا ثواب، كأنك قد وضعت أموالك في بنك،

يعطيك نسبة كبيرة من الأرباح، إنه ثواب كبير من قبل الله سبحانه وتعالى...

أجور العمالة الأجنبية

فيما يرتبط بالعمالة الأجنبية تنشر الصحف والجرائد، ونسمع في المجتمع عن بعض العمال، كالسائق أو الخادم، أو الخادمة في البيت، الذين في الغالب الأعمّ يأتون من مجتمعات فقيرة، حيث الفقر والحاجة هي التي تدفعهم إلى أن يتغرّبوا في البلدان البعيدة عن بلادهم، ويقومون بهذه الخدمات المتعبة المجهدة، ولكن مع الأسف الشديد، بعض الناس يستغلّون هذا الخادم أو الخادمة، يرهقونهما أكثر من اللازم، وهذا لا يصحّ شرعًا؛ لأنه استغلال وهدر لكرامة الإنسان، ينبغي أن يكون العمل في الحدود المتعارفة، وضمن قوانين العمل، وضمن الاتفاق الذي حصل معه، أما إرهاقه أو إهانته والإساءة إليه، فذلك من أعظم المحرمات الشرعية، ومحلّ حديثنا إعطاؤه حقّه، وأجرته، في بعض الأحيان يبقى بعض هؤلاء لشهور لا تصل إليهم حقوقهم، مع أنهم يكدحون، وخلفهم عوائل تنتظر منهم أن يبعثوا لها نفقات حياتهم، هذا من أعظم الحرام، على الإنسان أن يكون حسّاسًا في هذا المجال...

أداء الدين وصحة العبادة

مما يناسب ذكره في السياق ذاته، ما يتعلّق بالحجّ، فإن الفقهاء يفتون أن الإنسان إذا كان مديونًا، وكان بحيث لو أدّى دينه لنقصت نفقات حجه، هنا لا يعتبر مستطيعًا، وبالتالي لا يجب عليه الحجّ، أداء الدّين هو الأولى، ولو حجّ وهو مديون في مثل هذه الصورة، فإن الفقهاء يقولون لا يسقط عنه حجّ الإسلام، وإنما عليه أن يؤدي الحجّ متى استطاع. كذلك لو كان مديونًا بالحقوق الشرعية، فإن أداء الخمس الشرعي أولى من الحجّ. عليك أن تؤدّي الخمس، فإن فضل عندك بعد الخمس ما تتمكن به من الحجّ، كان الحجّ واجبًا عليك، حيث تكون مستطيعًا، وعليك أن تؤدي الحجّ، بل إن الفقهاء يقولون إذا حان وقت أداء الدّين، وحان أجله، فإنه مقدم على الصلاة، ولو

صلّى في أول الوقت، مع مطالبة صاحب الدّين بدينه، فصلاته غير صحيحة، باطلة، ويجب أداء الحقّ المالي ثم أداء الصلاة؛ لأن الفقهاء يقولون إن الدّين الذي حان وقته يصبح مضيقًا، بينما الصلاة وقتها موسّع، تصلي بعد ساعة بالنسبة لصلاة الظهر مثلًا، فيجب عليك أولًا أن تؤدي الدّين الذي حان وقته، ثم تقوم إلى أداء الصلاة، ولو قدّم الصلاة على أداء الدّين في الوقت الموسع للصلاة، مع أن الدّين قد حان وقته فصلاته غير صحيحة شرعًا...

خطورة تضييع الحقوق المالية

يؤكد الدّين على مسألة صيانة حقوق الآخرين، وعلى الإنسان إذا كان في ذمّته دَينٌ لأحد ولم يؤده، أن يكتبه حتى يُؤدّى عنه بعد وفاته، وهو أول ما يخرج من تركة الميت بعد كفنه، قبل وصيته بأيّ شيءٍ آخر. وإذا لم يكن له مال يؤدى به دّينه، فإنه ليس على الورثة أن يدفعوا عنه، هو يحاسب ويعاقب يوم القيامة إن كان مماطلًا، إلا إذا تبرع أحد الورثة، أما إذا لم يتبرع أحد ورثته بأداء دينه وليست له تركة، فإن الورثة لا يتحمّلون الدّين عن الشخص المتوفى وهو مديون، نعم يمكن أن يدفع عنه من الزكاة ومن بيت المال.

فعلى الإنسان أن يهتمّ بهذا الأمر، ولا يتساهل في حقوق الناس، بحيث يبتعد عن الدّين قدر المستطاع، وإذا اضُطر إلى الدّين، فعليه أن يوثق ذلك الدّين، وأن يُعَجِّل في أدائه وقضائه، وإذا لم يكن قادرًا فإن على صاحب الدّين أن يوسّع عليه ويتسامح معه. نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن يخرجون من حقوق الله وحقوق الناس التي في ذمّتهم.

التحريض على الكراهية في المجتمعات العربية

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ليال»[1].

ظواهر السلوك العام في كلّ مجتمع من المجتمعات، تعكس الطبيعة النفسية لذلك المجتمع، وألوان التفكير والثقافة التي تسود بين أفراده...

فالمجتمع الذي تسوده ثقافة الالتزام بالنظام، واحترام الآخرين، ومراعاة حقوقهم، عادة ما تكون تصرفات فئاته، في المواقف وأوقات الانفعالات، وفق النظام والقانون، ووفق الأخلاق والمبادئ.

أما المجتمع الذي تنتشر فيه ثقافة التحريض على الكراهية، وتسوده حالة التشنج والتوتر، حيث المزاجية المفرطة، وثقافة الحساسية من الآخر، فإن آثارها العدوانية تظهر في أدنى مناسبة من المناسبات.

ثقافة الحروب القبليّة

كانت المجتمعات العربية في الجاهلية، بسبب طبيعة حياتها في الصحراء، وصراعها على موارد الماء والكلأ، هذه الطبيعة كانت تدفعها نحو الحروب

(١) سنن أبي داوود. ج٢، ص٤٥٨، حديث٤٩١٠..

والصراعات، وكانت القبيلة تهيئ نفسها دائمًا وأبدًا للحرب والصراع. لذلك كانت الثقافة السائدة في تلك المجتمعات، من خلال الشعراء وشيوخ القبائل، هي في الغالب نتاج خطابات تحريضية تجاه الآخر، واستثارة للمشاعر، واستنهاض للهمم للمواجهة. وهذا جليٌّ في الشعر العربي القديم، فأهمّ أغراض الشعر الجاهلي إثارة الفخر والاعتزاز، والشعور بالقوة لدى أبناء القبيلة، وتحريضهم على الآخرين، وتشجيعهم على المقاومة والحرب وأخذ الثأر.

هذه الثقافة البليدة، هي التي صقلت الشخصية القبلية عبر التاريخ، بالانطوائية والنرجسية، والحسّاسية المفرطة من الآخر، أيًّا كان، لدرجة أن كانت المعارك تنشب بين القبائل والعشائر لأدنى سبب وأتفهه. فقد تندلع معركة دامية خلال مناسبة سباق خيل مثلًا، وتستمرّ عشرات السنين، أو لإصابة ضرع بقرة يمكن أن تنشب معركة طويلة، تدوم لعقود من الزمن، كما نقرأ ذلك في أيام العرب، من حرب البسوس، وحرب داحس والغبراء وأمثالها.

هذه الثقافة كانت محور حياة العرب في الجاهلية، حتى جاء الإسلام ونسف هذه الثقافة، وسعى لتغيير هذا الأسلوب من التفكير، بحيث أثار دفينة عقول الناس، للتفكير في وعي الاحترام الإنساني، والوئام مع الآخرين، والتعاون والتعايش السلمي، وبالتأمل في آيات القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ وخطبه، خاصة في المناسبات العامة، تتجلّى هذه الحقيقة الإسلامية المشرقة والحضارية. فمثلًا عندما حجّ النبي ﷺ حجة الوداع، كانت مضامين خطبه وإرشاداته، تركّز على نشر السلم، ورعاية الحقوق، حيث قال ﷺ في خطبته بمنى: «أيها الناس، اسمعوا مني ما أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا.

أيها الناس، إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا. ألا هلّ بلغت؟ اللهم اشهد...

أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقًّا، ولكم عليهن حقًّا... فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيرًا.

أيها الناس، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ولا يحلّ لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا ترجعنّ كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب»[1].

وهناك نصوص وروايات كثيرة واردة ضمن سياق العمل من أجل إيجاد مجتمع سويّ التفكير، مشاعره مروّضة وليست مستثارة، هذه هي روح ثقافة الإسلام والمسلمين الأوائل، الذين تربوا على يدي رسول الله ﷺ، والعارفين الخلّص من التلامذة الذين التزموا نهج أئمة أهل البيت عليهم السلام، لقد عاشوا بهذه النفسية والأخلاق العظيمة.

الإمام علي يواجه ثقافة التحريض

في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يتعامل مع مناوئيه بهذه الروحية العالية، ففي الحرب التي كانت بينه وبين جيش معاوية، حيث المنطق الحربي هو منطق عدائي، وأول سلاح يستخدم ضدّ العدو هو التحريض والتأليب ضده، ولو بالكذب والافتراء، لكن نَفْسَ رسول الله ﷺ، وحكيم الإسلام، كان يرفض هذا المنطق، وتلك الثقافة الفاسدة، والنابعة من ضيق الأفق، أمير المؤمنين كان ضدّ التحريض على الكراهية، حينما سمع بعض أصحابه يسبّون أهل الشام، فقال لهم: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا

(١) تحف العقول ص٢٩.

سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَأَهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ»[1].

هكذا يمارس نهجه التثقيفي التربوي الإصلاحي، ليعلمهم كيف يدعون إلى الله وإلى سبيل الحقّ، حيث الغاية العظمى والهدف الأسمى في وعيهم ضمن هذه المواجهة كلها، عرّفها لهم ضمن أسلوب ما عرفت الإنسانية مثله إلا في سير الأنبياء والمرسلين: «وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ». في حالة الحرب يؤكد على التشبّع بثقافة الدعوة إلى السلم من خلال الدعاء، وينكر عليهم منهج التعبئة والتحريض ضدّ الآخر إلا بمقدار ما كانت تستلزمه ظروف المعركة العسكرية.

أبواق التعبئة ومنابر التحريض

مع الأسف الشديد، هذه الأمة، التي تمتلك هذا التراث الإنساني الضخم، وهذه الكنوز الروحية العظيمة، عادت مرة أخرى إلى الثقافة الجاهلية، بسبب سيطرة الحكام الظلمة، الذين ساعدوا على عودة تلك الثقافة، وعلى تفشّي تلك العادات الجاهلية، حتى تغفل الجماهير، ويتركز تسلّطهم على الشعوب. ومع الوقت استوطنت الثقافة الجاهلية بيئتنا العربية، والشنيع أن نجد بين دعاة الدين في الأمة من يناقض تعاليم الدين، فبدلًا من الدعوة إلى السلم والتعايش، والاحترام المتبادل، تجد بعضهم وكأنه ينتظر الفرصة للتحريض، لإثارة التشنج والتوتر بين الناس.

وفي هذه الأيام رأينا مشهدين صارخين:

المشهد الأول: ما حدث في الجنوب على الحدود السعودية ـ اليمنية، مما سبب ظهور أشخاص تعاملوا مع هذه الأحداث ـ ذات الطابع السياسي ـ تعاملًا تعبويًا

(١) نهج البلاغة خطبة ٢٠٦.

مذهبيًّا طائفيًّا، فبدأت تصدر البيانات، وتلقى الخطب، وتكتب المقالات التحريضية، كأن الحادث معركة طائفية مذهبية، يتواجه فيها السنة أمام الشيعة، والشيعة أمام السنة، بينما الحال أنها قضية سياسية، لها أسبابها وظروفها. نحن ضدّ العدوان من أيّ طرف على آخر، ولكن لا يعني ذلك تضليل الرأي العام، بإثارة الروح الطائفية البغيضة؛ لأن المسألة في العمق ليست مذهبية ولا طائفية.

إن البيان السيئ الذي أصدره جماعة ممن ينتسبون إلى السلك الديني في المملكة العربية السعودية (دعاة وعلماء) أكثر من أربعين شخصًا وقّعوا عليه[1]، ينضح بالكراهية والبغضاء، ويثير التشنج والتوتر بين أبناء الوطن الواحد، وأبناء الأمة الواحدة، بالإضافة للكتّاب والخطباء، من أهل فنّ استدعاء التاريخ، واستحضار الأحداث السابقة واللاحقة، وتوجيه الأمور على أنها معركة طائفية مذهبية، كلّ هذا دلالة على أن الأجواء السائدة في الأمة أجواء متشنجة، هناك صناعة للأجواء الطائفية، أصحابها ماذا ينتظرون حينما يلقون مثل هذه الخطب ويوجهون مثل هذه البيانات؟

هل فكروا في التداعيات والمضاعفات، وما يمكن أن ينتج من مثل هذه التعبئة الطائفية المذهبية؟

لا مناص من أن بعضهم يعلم ذلك ويريد ذلك، وربما البعض غافل، ذلك الذي يعلم ويريد أن تحصل تلك التداعيات؛ لأنه ينتعش بالصراعات الطائفية، ولأن شخصيته لا تتألقّ إلا في الخلافات المذهبية، أمثال هؤلاء ليس لهم مشروع على مستوى الأمة، همّهم الصراع مع هذه الطائفة أو تلك، مع هذا المذهب أو ذاك، ديدنهم السكوت والصمت أمام الصراعات والقضايا المصيرية، التي تعيشها الأمة، يسكتون عن العدوان اليومي الصهيوني على مقدّساتنا، وعلى أهالينا في فلسطين، ولكنهم ينشطون ويتحركون ويصدرون البيانات والخطابات النارية، في أيّ مناسبة للصراع

(١) www.almislim.net /node /120275 بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٤٣٠هـ

والخلاف الطائفي.

ومن الإنصاف أن نقول إن هناك أصواتًا معتدلة، كتبت في جرائدنا وفي وسائلنا الإعلامية ما يخالف هذا التوجّه، وأدانت هذا التوجّه، ونبّهت إلى خطورة مثل هذه البيانات. ونحن على هؤلاء العقلاء نراهن، وما أعتقده أن رقعة التعقل في بلادنا، وفي الأمة الإسلامية بشكل عام، رقعة واسعة، لكن المشكلة تتمثّل في عدم رفع الصوت والجهر بالرأي العقلاني، بينما أهل التطرف والتشدّد، سرعان ما تصدر لهم بيانات حول هذه الأحداث، في حين أن رواد الاعتدال والعقلاء، نادرًا ما يجمعهم بيان، حتى بدأ وكأن فئة الطائفية والتعصّب تمثّل الأغلبية في ساحة الأمة، وليس الأمر كذلك.

المشهد الآخر: ما حدث في مصر والسودان، على هامش مباريات رياضية، يجري مثلها في كلّ مكان في العالم، الفريق الجزائري يأتي ليلعب مع الفريق المصري، حتى يتأهّل أحدهما لكأس العالم، وكل العالم تابع ما حصل[١].

هل يستحقّ الأمر مثل هذه التعبئة، وكأن الشعبين يخوضان حربًا مصيرية بينهما، وكأنهم يريدون استعادة معركة حرب داحس والغبراء بين الشعبين، من خلال ما حصل من اعتداءات متبادلة، ومن تعبئة إعلامية، هي تهريج وتهييج للمشاعر. إنه أمر مدان، وهو أنموذج لحال الوعي، ومستوى العلاقات الداخلية التي تعيشها الأمة، حيث هناك من ينتظر أي فرصة لإثارة التشنج والتوتر...

هذا الواقع يئنّ من حاجته إلى الثقافة التي تؤكّد على الاعتدال، والتعقل، والسلم

(١) استضافت الخرطوم يوم الأربعاء ١٨/ ١١/ ٢٠٠٩م مباراة رياضية بين المنتخب الجزائري والمنتخب المصري في مباراة فاصلة للتأهل لكأس العالم ٢٠١٠م، وفي أعقاب فوز الفريق الجزائري، حصلت اشتباكات بين مشجعي المنتخبين، وتظاهر مصريون أمام السفارة الجزائرية في القاهرة، وأصيب فيها العشرات من رجال الأمن والمتظاهرين. واستدعت مصر سفيرها في الجزائر، واستدعت السفير الجزائري في القاهرة للاحتجاج على تعرض المصريين للإصابات في الخرطوم، كما استدعت الجزائر سفيرها من مصر، وعاش البلدان حربًا إعلامية.

الاجتماعي، والاحترام المتبادل، مع إدانة ثقافة التحريض على الكراهية، بمختلف أشكالها وألوانها، داخل المجتمع الواحد، وبين المجتمعات المختلفة، وفي المواقف المتعدّدة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح أمور المسلمين، وأن يكفّ عنا كيد الأعداء، وجهل الحمقى في داخل الأمة.

الخطبة الأولى

مناسك الحج قيمٌ ومضامينٌ

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾[سورة الحج، الآية:٣٧].

من أروع العبادات وأعظمها عبادة الحجّ، هذه العبادة المليئة بالأسرار والمضامين. فكل نُسُكٍ من مناسكها رمز لقيمة عظيمة، وإشارة لمفهوم سامٍ من المفاهيم التي جاء بها الأنبياء.

الحجّ ليس مجرد طقوس وأعمال يقوم بها الإنسان؛ إنه قيم ومفاهيم، يجب أن تتكرس في وعيه وسلوكه من خلال أداء هذه المناسك. بدءًا من السفر إليه، الذي يعني استعداد الإنسان لفراق كلّ شيء، والابتعاد عن أيّ شيء، من أجل الله سبحانه وتعالى، يخرج من بلده، ويترك أهله، ويغادر داره، ويقطع الفيافي والمسافات الطويلة، حتى يصل إلى تلك البقاع المقدّسة.

وكما نعلم، كم كان الناس يتحمّلون من المخاطر، حينما كانوا يسافرون في الماضي لأداء مناسك الحج، كانوا يأتون من كلّ فجٍّ عميق، وبعضهم يصرف أسابيع وشهورًا في السفر، مع عدم توفر الوسائل المريحة آنذاك، من أجل الوصول إلى بيت الله الحرام، وهناك الآن من يصرفون جهودًا كبيرة في الطريق لأداء الحجّ.

نحن نعيش بالقرب من بيت الله الحرام، ولا نحتاج إلى بذل جهود كبيرة من أجل الوصول إليه، وتلك نعمة من الله. لكن هناك من المسلمين في كثير من البلدان، من

يحسب السنوات الطوال في انتظار رحلة الحج، والاستعداد لها، كأندونيسيا وماليزيا وإيران وتركيا، وبلدان أخرى، فهم يبذلون جهودًا مضنية من أجل أن يصلوا إلى بيت الله الحرام.

برامج للتربية والتهذيب

وفي الحجّ، هناك مناسك ينبغي للإنسان المسلم القيام بها، لكي تنعكس على شخصيته، وتساعده على ترويض نفسه وتهذيبها، فالإنسان في الحجّ يتجرّد من كل المظاهر، بدءًا من لبسه للإحرام، وما يحمله من معنى كبير، فالناس يتفاوتون في مظاهر لباسهم وزينتهم، لاختلاف مواقعهم وقدراتهم، وحينما يأتون إلى الميقات، ويكونون على أعتاب الحرم، فإن كلّ واحد منهم يخلع عن جسمه كل تلك المظاهر، ويتجرّد منها، ويلبسون لباسًا يكاد أن يكون موحّدًا متقاربًا. هذا الأمر يحمل مضمونًا كبيرًا: كيف يتجرّد الإنسان من كلّ شيء، من أجل أن يصبح نقيًّا صافيًا، متوجّهًا إلى الله سبحانه وتعالى؟

بعده تأتي التلبية وما تعني من العزم والإصرار على الاستجابة لأمر الله تعالى وحده، دون أوامر الأهواء والشهوات، ومراكز القوى. فحينما يرفع الحاج صوته ملبيًا ـ لبيك اللهم لبيك ـ هذا النداء يمثل ميثاقًا يلتزم به الإنسان أمام الله، وبما يريده الله سبحانه وتعالى، ينبغي أن ينطلق من أعماق نفسه.

ويأتي الطواف وما فيه من رمزية التمحور حول القيم، لكي يدرّب الإنسان نفسه على أن يتحرك في حياته حول محور القيم، فلا يخرج عن دائرتها، في مختلف ممارساته وأمور حياته.

وكذلك السعي وما يربي عليه الإنسان من التحرك والسير نحو تحقيق رضا الله، وتحقيق الأهداف السامية التي أرادها الله سبحانه وتعالى، والتي لا تتحقّق بمجرد الاعتقاد في القلب، أو التمني في النفس، وإنما تحتاج إلى السعي والحركة، وإن كلف

ذلك عناءً ومشقّة، فذلك هو ما يرمز إليه نسك السعي.

والوقوف بعرفات والمزدلفة وما ينطوي عليه من تذكير للإنسان بيوم الحشر، يوم يقف الخلق أمام خالقهم، مستعدين للحساب. فعلى صعيد عرفات ومزدلفة، يقف الناس متجردين من مظاهرهم وملابسهم، إلا من الإحرام، وهم يتوجّهون إلى الله سبحانه وتعالى، يطلبون منه العفو والمغفرة والرضوان.

ورمي الجمار وما يرمز إليه من مقاومة إغراءات الشيطان، الذي يريد أن ينحرف بالإنسان عند كلّ طريق، ويغويه في كلّ سبيل، لكن الإنسان المؤمن لديه ممانعة، تتجلّى رمزيًّا في رميه لهذه الجمرات، التي تدلّ على تصميمه على رفض إغراءات الشيطان، ومقاومة كلّ أضاليله وأحابيله.

وبعد أن يرمي الحجيج جمرة العقبة، يتّجهون للتضحية، وفيها رمز عظيم؛ حيث يقدّمون أضحيتهم للفقراء والمساكين والمؤمنين، كما يعلنون بذلك عن استعدادهم للتضحية بمصالحهم الشخصية في سبيل القيم والمبادئ.

رمزية المناسك

إذن.. فكلّ نسك يحمل مضمونًا عظيمًا، إن مجمل عملية الحجّ تربط الإنسان وتشدّه إلى تاريخ المسيرة الإلهية؛ حيث يستشعر الإنسان وهو في الحج، أنه يمثل استمرارًا لتلك المسيرة، إنه يسير في ذات الطريق، فالحجّ مناسكه رمزية، وعلى المسلمين ألا يقفوا عند الممارسة الطقوسية العملية، وأن يتأملوا ويفكروا فيما تعنيه هذه المناسك، من مفاهيم ومضامين. يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ»[1].

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة، حينما تتحدّث عن الأضحية: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٧٦.

وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾، فماذا يصنع الله تعالى بطوافك أو بسعيك أو برميك للجمار أو بأضحيتك، إذا كانت مجرد ممارسات خارجية؟

المهمّ هو ما يرتكز في نفسك، وما تتربّى عليه مشاعرك وأحاسيسك، وما يتأكد في شخصيتك وحركاتك وسلوكك، فالمضامين التي في مناسك الحج هي الأهداف الأساس التي يجب أن ينتبه إليها المسلمون جميعًا.

الحجّ ووحدة الأمة

ورد في السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ في حجة الوداع خطب في الناس يوم عرفة، ومما جاء في خطبته قوله ﷺ: «يا أيها الناس، أيّ يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، ثم قال: يا أيها الناس، فأيّ شهر هذا؟ قالوا شهر حرام، ثم قال: يا أيها الناس، أيّ بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. قال: فإن الله عزّ وجلّ حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه، ألا فليبلغ شاهدكم غائبكم، لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم»، ثم رفع يديه حتى إنه ليرى بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اشهد أني قد بلغت»[1].

من أهمّ المضامين والمعاني التي تحملها فريضة الحجّ، التأكيد على وحدة الأمة، والمساواة بين أبنائها، ففي الحج تجتمع شرائح من مختلف شعوب الأمة الإسلامية، ومختلف البلدان والبقاع، على تنوّع أعراقهم، وقومياتهم، ولغاتهم، وبلدانهم، ومذاهبهم، وقبائلهم، كلّهم يجتمعون في وقت واحد، كان من الممكن أن يتاح المجال لكل إنسان أن يختار وقت حجّه، كما هو الشأن في العمرة المفردة، والزيارات والموارد المختلفة، لكن الله تعالى فرض الحجّ في أشهر معلومات، وفي

(١) بحار الأنوار، ج٧٤،ص١١٩.

أيام محدّدة، حتى يجتمع كلّ هؤلاء الناس في وقت واحد، وفي مكان واحد، وبلباس واحد، ويقومون بنسك واحد.

هل هناك وحدة في أمة من الأمم يمكن أن تتجلى بأكثر من هذه المظاهر؟ إن الطائفين حول البيت الحرام يطوفون بجانب بعضهم بعضًا، يلتفت الإنسان فيجد على يمينه وعلى شماله وأمامه وخلفه، أناسًا من بقاع شتى، وقوميات وأعراق مختلفة، تجمعهم هذه الفريضة، وهذه البقعة، وهذا النسك العظيم، ويتساوون في لباس موحد. ليس هناك وقت خاص لطواف الأغنياء مثلًا، ولا لسعي العلماء دون غيرهم، الجميع يطوفون معًا، ويسعون معًا، ويرمون الجمار معًا.

هذا يؤكد وحدة الأمة والمساواة بين أبنائها، فما أحوجنا إلى التأمل في هذا المضمون العظيم للحج، وأمتنا تعاني من التمزق والتشرذم، والخلافات القومية والطائفية والقبلية والسياسية، في مناطق وبقاع مختلفة؟

ماذا نريد أكثر من هذا الدين لكي يوحّد بيننا؟

هناك اختلافات وتباينات جانبية، لكنها كعبة واحدة، قبلة واحدة، نسك واحد، وقت واحد، مكان واحد، لباس واحد، فماذا نريد أكثر من هذه المظاهر من أجل أن نتأكد من وحدتنا؟

تحتاج الأمة إلى تأكيد هذا الجانب في حياتها، وأن يعيش الجميع حياة المساواة، أين هؤلاء المكفّرون الذين يكفّرون هذا، ويحكمون بشرك وفسق وضلال ذاك؟

إن الجميع يطوفون حول بيت واحد، ويلبّون إلها واحدًا، هذا الإنسان الذي يهتف أمامك وأنت تسمعه (لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك)، كيف تحكم عليه بالشرك؟ لأن له فكرة تختلف عن فكرتك، أو رأيًا فقهيًّا يختلف عن رأيك؟ إنه يقرّ بالتوحيد، ويؤكد نفي الشرك، فكيف يحقّ لأحدٍ أن يتهمه بالشرك؟

إننا في حاجة إلى أن نؤكد هذا المضمون، وهذه القيمة العليا، قيمة الوحدة في الأمة.

السلم والأمن في الحج

إن المضمون الثاني هو ما يحمله الحجّ من معاني السلم والأمن؛ حيث يعيش الناس أجواء سلم وأمن من بعضهم بعضًا، أراد الله تعالى أن يكون الحرم آمنا ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾. لذلك أجمع فقهاء المسلمين على حرمة الحرم، وعلى عدم جواز التعدّي فيه، حتى على من يستحق القصاص، أو إقامة الحدّ، أو التعزير. فمن عمل جريمة يستحق بها شيئًا من ذلك، ثم لجأ إلى الحرم، لا يجوز للحاكم الشرعي أن يقيم الحدّ عليه في الحرم، مع أنه مستحقّ للحدِّ، وذلك احترامًا لهذه البقعة، ومن أجل أن تكون أنموذجًا للأمن والسلم الاجتماعي.

ومن محظورات الإحرام الفسوق؛ ويعني الكذب أو السبّ أو المفاخرة؛ إذ لا يجوز للحاجّ أن يكذب على أحد، أو يسبه، أو يتفاخر عليه؛ أي أن يتباهى بجاهه، بماله، بنسبه، بقصد الحطّ من الآخرين.

وكذلك الجدل، والحلف بالله تعالى، ولبس السلاح، وحمل السلاح من محظورات الإحرام، كلّ ذلك من أجل أن يعيش المسلمون حالة الأمن والسلم فيما بينهم.

لكن، ومع الأسف الشديد، هذه الأمة التي تؤكّد فريضة الحجّ فيها على حالة الأمن والسلم، تعيش أسوأ حالٍ من الاحتراب والاقتتال الداخلي، لعلّه لا توجد أمة من الأمم تعاني من الاحتراب الداخلي. كما تعانيه هذه الأمة، التي قال نبيها محمد ﷺ في خطبته بالحج: «إن الله عّز وجلّ حرّم عليكم دماءكم وأموالكم، وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه»[1].

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٤، ص١١٩.

أين واقع الأمة من رسالة الحج؟

لو أحصينا عدد القتلى، ومن انتهكت حرمته من المسلمين على أيدي الأعداء، في مقابل القتلى من المعارك والحروب في داخل الأمة، لما تساوت الأرقام، فضحايانا من خلافاتنا الداخلية أكثر بأضعاف مضاعفة.

هذه المعارك التي تدور في الصومال وأفغانستان وباكستان والعراق واليمن، مع من؟ ما يحدث هو بين مسلم ومسلم، بل بين حركات إسلامية انشقت عن بعضها، وأصبحوا يقاتلون بعضهم بعضًا. صحيح أن هناك عدوانًا من قبل القوات الأجنبية في بعض تلك الدول، لكن عدد الضحايا الأكبر هو من التفجيرات التي تستهدف المراكز والأسواق ودور العبادة،

صحيح أن هناك من يحركها ويدعمها من الخارج، لكن لا يصحّ أن نضع كلّ مشاكلنا على مشاجب الآخرين، لو لم يكن لدينا الاستعداد والأرضية المناسبة، لما استطاع الآخرون أن ينفذوا من خلالنا، كما يقول الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية:٤٧].

إن ما يحدث في أكثر من موقع من بلاد المسلمين، لهو أمر مؤسف، وتناقض صريح مع مضامين ومفاهيم فريضة الحج، وما يجب أن يتربّى عليه المسلمون من خلال مناسك الحج.

الخطبة الأولى

كارثة جدّة ومواجهة الفساد

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٠٥].

من التوجّهات الإيجابية في العالم، تأسيس منظمات تهتمّ بالقضايا الإنسانية العامة، التي تتجاوز البلدان والأعراق والأديان، ومن تلك المنظّمات المهمة، منظمة الشفافية الدولية، هذه المنظمة تعنى بشأن إنساني مهمّ، وهو مراقبة الفساد في المؤسّسات الحكومية والعامة، على مستوى العالم. كل دولة فيها حكومة، ولهذه الحكومة أجهزة ومؤسّسات، بعض البلدان يستشري فيها الفساد ضمن المؤسّسات الرسمية؛ لأن المسؤول له صلاحيات، وتحت تصرفه إمكانات، فيستغلّ السلطة كمسؤول، ويعيث في الأرض فسادًا. فيأخذ ما ليس له بحقّ، يحوز الامتيازات لشخصه، ولمن يحابيه على حساب مصالح الناس.

هذه المنظمة معنية بمراقبة هذا النوع من النشاط الإجرامي، وهي مؤسسة أهلية غير حكومية.

ومنذ سنة ١٩٩٥ تُصدر تقريرًا سنويًا ضمن مقاييس معينة، تراقب مستوى الفساد في الدول والحكومات، ومؤسّسات القطاع العام.

آخر تقرير لهذه المنظمة لسنة ٢٠٠٩م يتحدث عن نيوزلندا، باعتبارها في المرتبة الأولى من دول العالم التي تواجه الفساد على المستوى الرسمي. ليس لأن الناس

هناك ورعون أتقياء، ولكن لأن هناك إجراءات رادعة.

جاءت نيوزلندا في المرتبة الأولى، وبعدها عدد من الدول، منها: الدنمارك وسنغافورة والسويد وسويسرا وفنلندا وهولندا واستراليا، ثم كندا وأيرلندا. أما الدول العشر الأولى بالنسبة للعالم العربي، تاتي دولة قطر، كأول دولة عربية وجاءت في المرتبة الثانية والعشرين.

وجاءت بلادنا (السعودية) في المرتبة الثالثة والستين، هذا التقرير هو تقرير دولي، لكن مما يؤسف عليه أن البلدان الإسلامية وخاصّة مثل بلادنا التي هي مهد الإسلام، وفيها اهتمام رسمي وشعبي بشعائر الدين، ولعلّه لا يوجد بلد في العالم فيه اهتمام بالمظاهر والشعائر الدينية كما هي الحال في المملكة، لكن هناك مستوى فظيع من الفساد في القطاع العام، وفي الأجهزة الرسمية.

كارثة السيول كشفت الستار

الأحداث الأخيرة المفجعة التي حصلت في جدة بسبب كارثة السيول بتاريخ ٢٠٠٩/١١/٢٥م، كشفت الستار أكثر عن هذا الفساد، وما صدور الأمر الملكي بمحاسبة الجهات المقصّرة، إلا ليوجّه الأنظار إلى ما تعانيه البلاد من فساد مستشرٍ.

هذا الدين الذي تركز آياته وأحكامه ضد الفساد، كيف يستشري الفساد في المجتمع الذي يعتنق هذا الدين !!

يعتصر الألم قلوبنا ونحن نتابع مأساة إخواننا المتضرّرين من كارثة السيول في جدّة، حيث قضى منهم العشرات غرقًا، وأصيب المئآت، وتهدّمت البيوت، وتحطّمت سيارات، وتلفت ممتلكات، وتشرّدت عوائل كثيرة، نسأل الله تعالى الرحمة لمن اختارهم إلى جواره، وقد ورد أن من مات غرقًا له ثواب الشهداء، ونسأله تعالى أن يمنّ بالشفاء على المصابين، وأن يخلف ويعوّض على جميع المتضرّرين.

وواجبنا أن نقف متضامنين مواسين لإخواننا في جدّة، بمدّ يد العون لهم عبر الجمعيات الخيرية، والمبادرات التطوعية، التي يجب ان تشارك فيها كلّ المناطق والشرائح، وأهيب بأبناء منطقتنا أن يكونوا في طليعة المبادرين، فهذا واجب إنساني ديني وطني.

أما موضوع الفساد فهناك العديد من النقاط للحديث عنه:

فساد الأفراد والفساد الرسمي

مشكلتنا على الصعيد الديني هو الاهتمام بالفساد على المستوى الفردي السلوكي فقط. فالعلماء والخطباء، والمؤسّسات الدينية القائمة في بلادنا، تهتم بمواجهة الفساد على المستوى الفردي! فالحديث عن امرأة تبرجت، أو شاب خالف الأحكام الشرعية لاختلائه بامرأة أجنبية، طبعًا هذا حرام لا نقبله، ولا نقول بالتهاون فيه، لكن ليس صحيحًا أن تنحصر مواجهة الفساد والمنكر في هذه المجالات الفردية، فإن الفساد المالي في المجال العام، وسوء استغلال السلطة هو الفساد الأكبر، الذي تنتج منه انحرافات كثيرة.

فلماذا لا يتحدّث عن ذلك الخطباء والعلماء، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمؤسسات الدينية؟ لماذا لا تهتم بهذا النوع من الفساد وهو الفساد الأكبر؟ القرآن الكريم يتحدث عن فساد السلطة بشكل أساس، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[سورة البقرة، الاية:٢٠٥].

أين الرقابة والمحاسبة؟

ينبغي أن تكون هناك رقابة صارمة شديدة، فلا يكفي أن يعين شخص مسؤول على قطاع مهمّ، أو على منطقة، أو على شأن من شؤون الناس ويُترك، إن وجود أجهزة

رقابية أمر مهمّ لا غنى عنه.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عهده لمالك الأشتر يقول له: «ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَارًا، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ»، ثم يقول عليه السلام: «ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ»[١].

التجسّس حرام في الإسلام، لكن من المستثنيات التجسّس على العمال والموظفين في شؤون وظيفتهم.

ويضيف عليه السلام: «وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَة اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ».

يقول الإمام عليه السلام إن هذا الموظف الذي يخون الأمانة ينبغي أن يعاقب حتى في بدنه، فلو أن شابًّا ارتكب جرمًا أخلاقيًّا فإنه يعاقب، لكن الذي اختلس من مؤسسة رسمية أولى بالجلد من هذا الشاب، الإمام عليه السلام يقول: «فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ»، وهو ما يعني أن الموظف الخائن للأمانة ينبغي التشهير به وليس التبرير له، والتغطية على خيانته، ولفلفة الأمر.

نرى هذا الكيان الغاصب إسرائيل، كيف أن رئيس الوزراء يستدعى للمحاسبة، حينما يتّهم بفساد على مبلغ مالي محدود، ونحن كمسلمين أولى بمثل هذه القوانين والأنظمة من غيرنا، فلا بُدّ من مضاعفة الرقابة ومضاعفة المحاسبة للمسؤولين.

---

(١) نهج البلاغة. كتابه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها، كتاب٥٣.

الإعلام وفضح الفساد

فتح المجال للإعلام لكي يأخذ دوره ومداه أمْرٌ مُهمٌّ، فالإعلام سلطة مفيدة لإصلاح شؤون الناس، وإصلاح شؤون البلد، حينما تمارس النقد والاعتراض، فليفسح المجال أمام وسائل الإعلام، حتى تسلط الأضواء على النواقص، وعلى الفساد.

وأخيرًا: فإن على المواطنين أن يقوموا بدورهم، فلا يصح للمواطن أن يسكت على الفساد الذي يراه، فضلًا عن أن يشترك فيه. وقد أصبح الفساد في كثير من الدوائر وكأنه هو النظام، وهو الأصل، يدخل الموظف إلى هذه الدائرة أو المؤسّسة ببراءته، وبعد مدة قليلة يطلب منه أن يوقّع على تقارير زائفة، ومعاملات مخالفة للقانون، وشيئًا فشيئًا يندمج، ويصبح جزءًا من مافيا الفساد في تلك المؤسّسة التي يدخل فيها.

ينبغي أن يكون ما حصل في جدّة منعطفًا جديدًا في البلد. لأن ما حصل يمكن أن يتكرر، وهو مرشّح للتكرر في أيّ منطقة أخرى؛ لأن أسباب الفساد موجودة في مختلف المناطق، فهل نحتاج إلى كوارث في هذه المنطقة وتلك حتى نكتشف حجم الفساد الذي يحصل في بلادنا؟

على كل واحد منا أن يتقي الله في المسؤوليات التي يتحمّلها في أيّ موقع، المعلم في المدرسة، والطبيب في المستشفى، والموظف في أيّ مؤسسة حكومية، هو مؤتمن على أرواح ومصالح الناس.

الاحترام المتبادل للمقدّسات الدينية

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾
[سورة الحج، الآية: ٤٠].

المجتمع البشري مجتمع تتدافع فيه الإرادات، وذلك هو مقتضى حكمة الله سبحانه وتعالى؛ لأن إمكانات القوة موزعة بين أبناء البشر، لا يستفرد بها أحد دون أحد، فقد تتفاوت مستويات القوة، لكن كلّ بشر خلقه الله سبحانه وتعالى، أتاح له فرصة الدفاع عن مصالحه بشكل أو بآخر.

وكلّ شخص بإمكانه أن يمارس قدرته في حدود الحقوق المشروعة له، ولا يصحّ له أن يتعدّى، ولو لم تكن حالة المدافعة في المجتمع البشري، لاستطاعت الإرادة الظالمة الباغية أن تسيطر على المجتمع إلى ما لا نهاية.

الآية الكريمة تتحدّث عن حماية المواقع والمؤسّسات الدينية، إذ قد تحاول جهة شريرة ظالمة أن تمنع أو تنسف مؤسّسة دينية لجهة أخرى. وهنا ينبغي للجهة الأخرى ألا تستسلم، وأن تدافع عن حقّها، وعن مؤسّساتها الدينية، وفق ما تتيح لها الظروف، ووفق ما يخدم مصلحتها.

الصوامع جمع صومعة، وهي المكان المنعزل المرتفع، الذي كان يقيمه العباد والزهاد ابتعادًا عن الناس خارج المدينة.

(البِيَع) المقصود منها أماكن العبادة للمسيحيين التي يطلق عليها كنائس، و(صلوات) يقال: إن المقصود منها معابد اليهود.

ثم يذكر الله تعالى المساجد، بعد أن يذكر المؤسّسات الدينية للأديان الأخرى، فيذكر المؤسّسة الدينية للمسلمين: ﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

بعض المفسرين يرى أن الضمير (فيها) يعود على المساجد فقط، والرأي الآخر أن ضمير (فيها) يعود على كل تلك المواقع، فإذا كانت هناك أشياء معطوفه على بعضها، ثم جاءت صفة، ينبغي أن تكون الصفة شاملة لكل تلك المعطوفات. وهذا هو التفسير الأرجح؛ لأن هذه المؤسّسات الدينية كلّها يذكر فيها اسم الله، كلّ دين بحسب طقوسه وتعاليمه.

هذه الآية الكريمة فيها إيحاء حول احترام وأهمية أماكن العبادة لجميع الأديان، ولهذا في الحروب والمعارك بين المسلمين وغيرهم، لم يجز الإسلام للمسلمين المقاتلين أن يهدموا معابد الآخرين، وإنما تبقى حتى لو كانت حالة حرب؛ لأن الأماكن الدينية لها حرمتها وقداستها عند أصحابها، وينبغي أن تكرس حرمة الأماكن الدينية، وأن يكون هناك احترام متبادل بين أهل الأديان.

أما إذا اعتدى أهل دين على معابد أهل دين آخر، فهذا يشجّعهم على ردّ العدوان بنفس الطريقة، وهكذا تنتهك حرمة المقدّسات.

مآذن المساجد في سويسرا

نشير إلى هذه النقطة ونحن نبدي أسفنا لما حصل خلال هذا الأسبوع المنصرم في سويسرا، حيث إنه جرى استفتاء للناس حول حرية إقامة المآذن على المساجد الإسلامية. إذ يشار إلى أن عدد سكان سويسرا يبلغ ٧ مليون نسمة، وفيهم من المسلمين ٣٠٠ ألف إلى ٤٠٠ ألف مسلم، وهؤلاء المسلمون المتواجدون في سويسرا، جاؤوا من مناطق مختلفة، من البوسنة، وتركيا، ومناطق أخرى، وأقاموا بهذا البلد، وأصبحوا بهذا الحجم.

سويسرا يوجد فيها حوالي ٢٠٠ مسجد للمسلمين، وجميعها فيها مآذن. إلا أن

هناك جهات يمينية متطرفة، كان يزعجها قيام المآذن للمساجد الإسلامية، باعتبارها رمزًا ومظهرًا لوجود هذا الدين، ووجود أتباع هذه الديانة. وبسبب التعبئة ضد الإسلام، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، دعت تلك الجهات اليمينية إلى أن يجري استفتاء للشعب السويسري: هل يوافقون على بناء المآذن في المساجد الإسلامية أم لا؟

الاستفتاء ليس على بناء المساجد، إنما على بناء المآذن، وهو استفتاء خطأ؛ لأنه لا يجوز الاستفتاء على الحقوق الأساسية لبني البشر، فحرية الدين والعقيدة من الحقوق الأساسية.

وسويسرا من البلدان المعروفة باحترامها لحقوق الإنسان، وباحترامها الاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية. ومع أن الحكومة السويسرية عارضت إجراء الاستفتاء، لكن هذه الجهات اليمينية استطاعت أن تأخذ الموافقة من أغلب أعضاء البرلمان، وأن يُجرى الاستفتاء، وكانت نتيجة الاستفتاء أن ٥ , ٥٧٪ من أبناء الشعب السويسري تبنّوا حظر المآذن، وهذا يعتبر خلاف حقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية، ويساعد على تأجيج الصراعات الثقافية والدينية في العالم.

العالم يجب أن يتجّه للسلام وللأمن والاستقرار بين شعوبه وأممه، لذلك نأمل أن تكون هناك جهود لإعادة النظر في هذا القرار.

موقف مشرّف للكنيسة

والجدير بالذكر أن الأساقفة المسيحيين في سويسرا، أصدروا بيانًا يندددون فيه بهذا الإجراء، ورفضوا حظر بناء المآذن، والفاتيكان أصدر بيانًا يرفض حظر بناء المآذن، وهذا شيء إيجابي: أن المؤسّسة الدينية المسيحية تدافع عن حرية المؤسّسة الدينية الإسلامية، بغضّ النظر عن التحليلات والتفسيرات، هذا موقف إيجابي وهذا ما ينبغي أن يكون.

فلو رأينا أن أتباع دين آخر يُظلمون وتُنتهك حقوقهم، لا يصحّ لنا أن نسكت، بحجة

أن أولئك من غير ديننا. من الخطأ السكوت على انتهاكات كهذه؛ لأن الظلم غير مقبول على أتباع أيّ دين، والانتقاص من حقّ أي أحد غير مقبول.

في العالم الإسلامي حصلت ضجّة ضد هذا القرار، ونأمل أن تأخذ المنحى الإيجابي، وليس المنحى السلبي، الذي يؤجّج المشاعر، وإنما يجب أن تأخذ المنحى السياسي والقانوني داخل سويسرا.

ماذا عن مساجد المذهب الآخر؟

في نفس الوقت، علينا أن نتأمل في داخلنا نحن الذين نحتجّ على منع بناء المآذن في سويسرا للمسلمين، وهم أقلية يمثلون حوالي ٥٪، ولكننا نريد أن يتمتعوا بحقوقهم الدينية الكاملة، ألا نخجل من أنفسنا أننا في بلداننا كمسلمين عندما تختلف مذاهبنا نجور على بعضنا بعضا؟ في بلادنا الإسلامية التي تستنكر على السويسريين هذا الاستفتاء الذي يمنع قيام المآذن وليس المساجد، هناك منع لبناء المساجد لأتباع المذاهب الأخرى، وفي بلادنا هناك إغلاق لمصليات أناس يصلّون حسب مذهبهم، مع الأسف الشديد هذا ما يحصل في بلادنا في مدينة الخبر، ويحصل بين فترة وأخرى أن يمنع قيام حسينيات أو مصليات!!

ألا نخجل من أنفسنا أن نحتجّ على السويسريين لماذا منعوا بناء المآذن لمن يشكلون ٥٪، ونقبل لأنفسنا أن نمنع المؤسّسات الدينية ونغلق بعض المصليات لا لشيء إلا لاختلاف مذهبي، لمواطنين يشكلون نسبة لا تقل عن ١٥٪، وسواءً كانوا أقل أو أكثر، لكنهم مواطنون مسلمون، يريدون أن يصلوا في بلد يدعو إلى إقامة الصلاة، وتبني حكومته المساجد في مختلف أنحاء العالم، والمذهب الرسمي فيه يرى أن صلاة الجماعة واجبة، ومع ذلك يُمنع الناس في بعض الأماكن أن يقيموا الصلاة جماعة في بيوتهم، وفي مصلّيات لهم. هذا أمر مستفظع، ولا يجوز أن نكيل بمكيالين، وأن نحتج على هذا الاستفتاء في سويسرا، بينما نحن نمارس في بلداننا ما هو أفظع وأسوأ.



العنف والإرهاب في بلاد المسلمين

﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[سورة الحشر، الآية: ١٤].

أن تتعدّد الآراء والتوجّهات، وتتنوع الطوائف ضمن المجتمع الواحد، فذلك شيء طبيعي؛ لأن هناك انتماءات فرعية في أتباع كل دين، وعند أهل كل وطن، انتماءات عرقية وقومية، وانتماءات قبلية ومذهبية، وتوجّهات سياسية.

أمر طبيعي في المجتمع البشري أن يكون هناك تنوع في الاتجاهات والانتماءات، وعلى أساس ذلك تختلف التوجّهات وتتضارب المصالح، ومن حقّ كل فئة أن تدافع عن مصالحها، وأن تسعى إلى أكبر قدر من المكاسب، لكن هذا الاختلاف ينبغي أن ينضبط في حدود الإطار السلمي، أما إذا انزلق المجتمع إلى ساحة الحرب، واستخدم لغة العنف، فذلك دمار للمجتمع كله.

إدارة الصراعات بين العنف والسياسة

نرى المجتمعات المتقدّمة يختلفون في انتماءاتهم الدينية والقومية والعرقية، وفي اتجاهاتهم السياسية، وفي مصالحهم المختلفة، لكنهم يديرون صراعاتهم في الإطار السلمي، ولا ينزلقون إلى هاوية العنف والاحتراب، كانوا كذلك في الماضي، فأوروبا كانت شعوبها تعاني من الاحتراب والاقتتال، وآخر جولة عنيفة كانت في الحرب

العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، وأعقبتها بعض الاحترابات الصغيرة، لكنهم بشكل عام دخلوا مرحلة جديدة مرحلة (إدارة صراعاتهم في الإطار السلمي)، لذلك يعيشون حالة الاستقرار، وتتوفر لديهم فرص التنمية والتقدّم، أما المجتمعات التي تنزلق إلى ساحة الاحتراب، فإنها تفقد الاستقرار، حيث يُسلب من الناس الأمن، وتنعدم فرص التقدم والتنمية.

إن العقل يوجّه الناس لكي يديروا صراعاتهم واختلافاتهم في الإطار السلمي، وإذا وجدنا مجتمعًا يدير اختلافاته بالعنف والحرب، فهذا يعني غياب العقل عن ذلك المجتمع، إن الله سبحانه وتعالى يقول في صفة أحد المجتمعات اليهودية آنذاك، بأنهم ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يستخدمون القوة الشديدة فيما بينهم، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾، حيث لهم عنوان واحد، فهم يهود، لكن ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾، ليست هناك مصلحة مشتركة توحّدهم، ثم يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾، فنسب حالة استخدام العنف الداخلي لعدم التعقّل، لم يقل: ذلك بأنهم قوم لا يؤمنون، أو لا يعبدون وإنما قال: ﴿قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾؛ لأن انزلاق المجتمع إلى هاوية الاقتتال والاحتراب الداخلي، يعني غياب العقل، ﴿لا يَعْقِلُونَ﴾ بمعنى لا يستخدمون عقولهم؛ لأن أيّ مجتمع يستعمل العقل لاينزلق إلى هذه الهاوية.

انزلاق المجتمعات الإسلامية إلى العنف

هذه الصفة إنما يذكرها القرآن الكريم في ذلك المجتمع، من أجل تحذير المجتمعات الإسلامية، حتى لا تقع فيما وقعت فيه المجتمعات السابقة، ومع الأسف الشديد، فإن كثيرًا من مجتمعاتنا الإسلامية انزلقت إلى هذه الهاوية، في كلّ يوم نستقبل في وسائل الإعلام أخبارًا فظيعة، عن تفجير هنا، وقتل هناك، وقصف في مكان آخر، حتى أصبحت لغة الحرب، ومشاهد القتل والدمار، وكأنها ملازمة لأخبار العالم الإسلامي.

باكستان، هذا البلد الذي انفصل عن الهند، من أجل أن يكون دولة إسلامية مستقلة، هذه الدولة لا تزال تعاني من حالات مرعبة من العنف، تفجير يستهدف مصلّين يصلون صلاة الفجر، فيأتي انتحاري ويفجّر نفسه في المسجد. إن هذا الانتحاري يفترض أنه تابع لجهة دينية إسلامية، تقاتل من أجل تحكيم الإسلام، أهذا هو الإسلام؟! يفجّرون مؤسّسات مدنية ! يفجّرون أسواقًا! الضحايا من الأبرياء المدنيين في باكستان خلال العامين من عام ٢٠٠٧ إلى ٢٠٠٩ جاوزت ٢٦٠٠ قتيل.

يقتلون بعضهم بعضًا، تخرج بيانات الحكومة بعدد قتلى المجموعات المسلحة، وتخرج بيانات الطرف الآخر أننا فجّرنا وقتلنا كذا عدد من أتباع الدولة والحكومة، والطرفان من أهل بلد واحد، ومن أهل دين واحد، أهذا عقل؟! أم جنون؟!

وفي البلدان الأخرى، نجد مثل أفغانستان خلال هذه السنة أكثر من ١٥٠٠ مدني، غير العسكريين، قتلوا في حالات الاحتراب القائمة. من هؤلاء القتلى؟! إنهم من أبناء البلد من المسلمين.

أما الصومال وما أدراك ما يجري في الصومال؟ خلال هاتين السنتين كان عدد القتلى كما تشير الإحصاءات أكثر من ١٨ ألف مدني، وتشرّد مليون ونصف إنسان!

بالله عليك، هؤلاء الذين يديرون هذه المعارك والحروب، أليس لهم عقل؟! أليس لهم ضمير؟! أليس لهم دين؟!

حركات إسلامية تتقاتل فيما بينها، وتكون النتيجة هكذا، وقد رأى العالم الانفجار المؤلم الذي حصل في الصومال في الأسبوع الماضي[1]، يعقد اجتماع لتكريم طلبة متخرجين من دراستهم، ويحصل انفجار يودي بحياة أولئك الناس، من وزراء وطلاب

(١) قتل ستة اشخاص بينهم ثلاثة وزراء في الحكومة الصومالية الانتقالية، هم: وزير الصحة ووزير التعليم ووزير التعليم العالي، إضافة إلى صحافيين في تفجير انتحاري استهدف فندقًا في مقديشو بتاريخ ٣ ديسمبر ٢٠٠٩م. ووقع الانفجار صباحًا في فندق شامو حيث كان وزراء الحكومة مجتمعين في حفل لتوزيع شهادات على طلاب، أدى الى مقتل ما لا يقل عن ستة أشخاص.

وصحفيين، بأيّ مبرر تحصل مثل هذه الانفجارات ومثل هذه الأعمال؟!

وكذلك ما حصل ويحصل في العراق، كلّما تفاءل الناس في العراق، وتفاءل أبناء الدول المجاورة؛ لأن أحداث العراق تؤثر على ما حولها، يأتي من يذكرنا بأن نزعة الجنون ما تزال قائمة ومستمرة، كالانفجارات الأخيرة التي حصلت وحصدت العشرات من القتلى والجرحى والتدمير، لمصلحة من يتم ذلك؟!!

الانفجار الأخير في بغداد كان ضحاياه أكثر من ١٣٠ قتيلًا، وأكثر من ٤٢٠ جريحًا، وبعضهم أصيب بإعاقات تستمر معه طول حياته[1].

وسبق أن رأينا ما حصل في الحرب الأهلية اللبنانية، التي كانت حصيلتها ١٥٠ ألف قتيل في هذا البلد الصغير! وفي الجزائر أيضًا أكثر من ٦٠ ألف قتيل في الصراع مع الجماعات المسلحة. لماذا تسود لغة العنف؟! ولماذا يتم اللجوء إلى الحرب والقوة لمعالجة الخلافات والصراعات؟!

عوامل وأسباب العنف

هناك أسباب لانتشار العنف في بلاد المسلمين، ومن أبرزها:

١. استخدام الدولة للعنف، حيث يسبب ردّ فعل، فبعض الدول وخاصة التي تحكمها أنظمة جاؤوا بانقلابات عسكرية، استخدموا لغة القتل، وعلّقوا المشانق، ومارسوا التنكيل والتعذيب في السجون والمعتقلات، وحينما تستخدم الدولة لغة العنف، فإنها تكرّس ثقافة العنف، وتدفع إلى ردّ فعل عنيف، وهذا ما حصل في عدد من البلدان العربية والإسلامية.

٢. الانسداد السياسي، حينما يتاح المجال أمام الناس لكي يديروا اختلافاتهم

---

(١) ارتفع عدد القتلى جراء التفجيرات الخمسة التي شهدتها العاصمة العراقية بغداد الثلاثاء ٥ يناير ٢٠١٠م إلى ١٣٠ قتيلا، فيما بلغ عدد الجرحى أكثر من ٤٢٠ جريحا، وفق تصريحات وزارة الداخلية العراقية.

عبر الأُطر السياسية، من خلال الأحزاب، والانتخابات، والإعلام الحر، فهذا يشكل الأفق المفتوح أمام الناس، كما هي الحال في الدول المتقدمة، حيث يديرون اختلافاتهم في الإطار السياسي، فكلّ أصحاب فكر ورأي يشكّلون لهم حزبًا ليقنعوا الناس ببرامجهم ورؤاهم، فيوصلون ممثليهم إلى البرلمان.

الناس في تلك المجتمعات يجدون أمامهم فرصًا، ومجالات لإدارة اختلافاتهم وصراعاتهم، وللدفاع عن مصالحهم، ولتثبيت توجّهاتهم، لكن في أكثر البلدان العربية والإسلامية تكون الآفاق مسدودة، ويرى الناس أن لهم حقًّا، ويعلمون كيف يصلون إلى حقهم؟!

ليست هناك تشريعات تنظم المعارضة والمطالبة السلمية في الكثير من البلدان. فيصاب الناس بحالة من اليأس، ويندفع بعضهم نحو العنف؛ لأنه يرى نفسه مظلومًا وصاحب حقّ، ولا يستطيع أخذ حقّه، فيندفع بهذا الاتجاه. طبعًا هذا لايبرر هذه التوجّهات، ولكن نقول: إن الانسداد السياسي عامل من عوامل لجوء البعض الى العنف وإلى السلاح، بينما في البلدان الديموقراطية التي يتمتع الناس فيها بحريات العمل السياسي والثقافي والإعلامي والاجتماعي، يجد الناس مجالًا وآفاقًا لتحقيق مطالبهم، ولإدارة خلافاتهم وصراعاتهم.

٣. الفكر المتطرف، إن وجود فكر متطرف إقصائي، كما هو ملاحظ في بعض الأحزاب والثقافات اليسارية، التي سادت المنطقة العربية في الخمسينيات والستينيات، وما كان يصاحبها من توجهات ذات عناوين ثورية، تدفع نحو العنف والصدام، ونحو العمل غير السلمي. وقد نشأت اتجاهات إسلامية تتبنّى هذه التوجهات الفكرية المتشددة، وهو ما لا يصح السكوت عنه، إن انتشار الأفكار المتطرفة، تنمو وتترعرع، وتعطى الفرصة في مناهج التعليم، وعلى المنابر الدينية الرسمية، من شأنها في أيّ لحظة من اللحظات أن تمارس العنف، وتدمر البلد والمجتمع، لذلك ينبغي أن تكون هناك يقظة

وانتباه، فلا مانع من حرية الفكر، ولكن الفكر الذي يدعو إلى العنف، الذي يكفّر الطرف الآخر، ويقوم على إقصاء الآخر، هذا فكر خطير، ويجب التصدي له.

٤. الدعم الخارجي، فالقوى المستكبرة الطامعة، لا تريد لهذه الأمة أن تعيش عهود التنمية والتقدم، لذلك يشجّعون الحروب والصراعات في داخلها، ويتعجّب الإنسان كيف تحصل هذه الفئات على السلاح؟!كيف تحصل على المال؟! أناس يختبئون في الكهوف، يديرون معركتهم من وراء الستار، لكنهم لا يشكون من حاجة مالية، ولا يفقدون السلاح. من يمولهم؟! من يوصل لهم السلاح؟!

لا بُدّ وأن هناك جهات داخلية وخارجية تدعم مثل هذه التوجّهات في البلدان الإسلامية، هذا الدّعم هو الذي يشجّع التوجّه نحو العنف.

حركة الكتاب مؤشر المعرفة والتقدم

﴿نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[سورة القلم، الآية:١].

إن رواج أيّ سلعة وأيّ بضاعة، يكشف عن مدى حاجة الناس إليها، واهتمامهم بها، حينما نرى أن الطلب قد اشتدّ في السوق على سلعة ما، فهذا يكشف عن حاجة الناس لها، أما إذا رأينا تلك البضاعة كاسدة، لا أحد يقبل عليها، فذلك يعني استغناء الناس عنها وقلة رغبتهم فيها.

إن العالم يقيس تقدّم مجتمعاته نحو العلم والمعرفة بمدى رواج الكتاب وأدوات المعرفة. فالمجتمع الذي يشعر بقيمة العلم، ويتحسّس الحاجة إلى المعرفة، يقبل على أدواتها، وتكون مطلوبة لأبنائه. أما المجتمع الذي لايهتمّ بالمعرفة، بل يهتم باللذات والشهوات، فإن وسائل المعرفة سوقها كاسدة فيه. من هنا تتم المقارنة بين مدى إقبال الناس على الكماليات والاهتمامات المادية، وإقبالهم على مصادر المعرفة والثقافة.

المعرفة مقام أعلى

نحن ننتمي إلى دين يقدّس المعرفة، ويعطيها المقام الأعلى.

إن أول مانزل من الوحي﴿اِقْرَأْ﴾ أمر بالقراءة. وهذه السورة الكريمة التي تلونا منها الآية الأولى، سميت بأداة رئيسة من أدوات المعرفة هي القلم، فالله تعالى يقسم بـ ﴿الْقَلَمِ﴾، فالقلم الآن شيء متداول، لكن عند نزول القرآن الكريم كان عدد من

يحسنون الكتابة في مجتمع مكة آحادًا، عشرة أو أكثر، في ذلك الوقت تنزل سورة من القرآن عنوانها القلم، وفي مطلع هذه السورة يقسم الله تعالى بالحرف ﴿نْ﴾، والحرف أداة من أدوات المعرفة، ونقلها وإيصالها، والقلم أداة الكتابة، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يعني الكتاب. إنه تعالى يقسم بالحرف، وبالقلم، وبالكتاب، من أجل أن يبني هذه الأمة على أساس الاهتمام بالعلم والمعرفة.

الكتاب قيمة حضارية

لذلك نجد النصوص الكثيرة التي تؤكد على الاهتمام بالكتاب كمصدر للمعرفة، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قيدوا العلم. قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته»[١].

وورد عن المفضل ابن عمر قوله: قال أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: «اكتب وبثّ علمك في إخوانك، فإن متّ فورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج ما يأنسون فيه إلا بكتبهم»[٢].

وعن داوود بن القاسم الجعفري قال: «عرضت على أبي محمد العسكري عليه السلام كتاب يوم وليلة ليونس، فقال لي: تصنيف من هذا؟ قلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين، فقال: أعطاه الله بكلّ حرف نورًا يوم القيامة».[٣].

هكذا نجد في تراثنا الديني، ما يشجّع حركة الكتاب وإنتاجه ونشره، لكن المؤسف جدًّا أن الكتاب أصبح سلعة بائرة في الكثير من مجتمعاتنا. ففي عالمنا العربي أرقام انتشار الكتاب مخجلة، إذ تشير إحصائية إلى أن العدد الإجمالي لمنشورات الوطن العربي من الكتب خلال العام ٢٠٠٧ هو ٢٧ ألف و٨٠٩ كتابًا فقط!!

في البلدان المتقدمة، تطبع الكتب بعشرات ومئآت الألوف.

---

(١) مستدرك سفينة البحار. ج ٩، ص٢٨

(٢) بحار الأنوار. ج ٢، ص١٥٠

(٣) وسائل الشيعة. ج ٢٧، ص١٠٢

أما معدّل النسخ المطبوعة من الكتاب العربي لا يزال يتراوح بين ٣ آلاف إلى ٥آلاف نسخة في المتوسط العام، وهذه الكمية على قلّتها هل تنفد؟!هل تقتنى؟! أحد الأدباء في القطيف، وهو الشاعر الأديب عبد الوهاب المجمّر ﵀، توفي في حادث حريق، احترق بيته وعياله، ولم يسلم إلا ديوانه المخطوط، ثم طبع هذا الديوان، وكانت المأساة في انتشار هذا الديوان، يذكر من أشرف على طباعته، ونشره الأديب السيد عدنان العوامي، يقول: صرنا نبيع النسخة بريال واحد، (والدرزن) ـ أي اثنا عشر نسخة ـ بعشرة ريالات، مع أن الكمية المطبوعة منه ألفا نسخة فقط!!

كتب كثيرة مخطوطة في العالم العربي لم تطبع، وكيف تطبع إذا لم يكن للكتاب سوق؟! من يطبع الكتاب يتورّط بانتشاره!

يقدّر الباحثون عدد المخطوطات العربية، بين ثلاثة وأربعة ملايين مخطوط، موزعة في أنحاء العالم، عدا ما تلف ونُهب وضاع.

صناعة الكتاب في المجتمعات المتقدمة

في المجتمعات الأخرى صناعة الكتاب تجارة، المؤلف في تلك المجتمعات يربح من التأليف، هناك عدد كبير من المؤلفين يتفرغون للتأليف، ويعيشون على فوائد نشر كتبهم، ولكن لو أن إنسانًا في مجتمعاتنا العربية أراد يعيش على الكتب، فإنه قد يموت من الجوع. قرأت خبرًا نشرته وسائل الإعلام، إذ أعلن مدير مكتبة الإسكندرية في مصر بتاريخ ١٢ ذي الحجة ١٤٣٠هـ الموافق ٣٠ نوفمبر٢٠٠٩م أن فرنسا أهدت مكتبة الإسكندرية نصف مليون كتاب باللغة الفرنسية في صفقة واحدة، ومكتبة الإسكندرية كانت عدد الكتب فيها ٦٥٠ألف كتاب، يعني ما يقارب ٤٥٪ من الكتب التي أصبحت تشكّل المكتبة، والأهمّ من ذلك، أن هذه الكتب كلها صادرة بين عامي ١٩٩٦ وعام٢٠٠٦ خلال ١٠سنوات، يعني في كلّ سنة صدر في فرنسا ٥٠ألف كتاب، بينما في العالم العربي صدر سنة ٢٠٠٧م (٢٧٨٠٩) كتابًا وفي فرنسا وحدها كلّ سنة ٥٠ألف كتاب!!.

وهناك تقرير نشرته إحدى الصحف يقول: إن الطفل الدانماركي، يستعير ما معدّله ٣٥ كتابًا سنويًّا، ونشر أحد الكتّاب مقالة يقول فيها: «عندما دخلت لأول مرة إحدى المكتبات في سنغافورة، لم أستطع أن أواصل تقدمي بين الصفوف لشدة الازدحام. ظننت في البداية أن هناك حدثا ما داخل المكتبة، ثم اكتشفت بعد أن تعودت ارتياد تلك المكتبة أن الوضع هكذا على الدوام، حيث يفد الناس من جميع الأعمار ومن مختلف الأعراق والطوائف على المكتبات العامة والخاصة في سنغافورة، إما بحثاً عن كتاب أو مشاركة في نشاط ثقافي (بسيط)»[١].

لنقترب أكثر من واقعنا، ففي منطقتنا نشطت الحركة الفكرية والأدبية والثقافية، وهذا مما يجب أن نفخر به، لكننا بحاجة إلى أن ندعم هذه الحركة، وذلك بالإقبال على الكتاب، ودعمه ونشره.

لو أننا دعمنا الكتاب وشجّعنا نشره، لاستطعنا أن ننشط الحركة الثقافية أكثر في بلدنا. ونحن هنا لن نتحدّث عن دور الدولة، وأنه ينبغي أن تكون هناك ميزانية لدعم النشر والتأليف، ويبدو أن هناك ميزانية في وزارة الإعلام، وفي بعض المؤسّسات، لكن هذه الميزانية التي تخصّص لطبع الكتب والاقتناء منها لا تصل لمختلف المؤلفين، ومختلف المناطق، هناك تعقيدات ومحسوبيات، ومعادلات معينة.

نحو دور أهلي لنشر الكتاب

أريد التحدّث عن دور الناس، ورجال الأعمال، إذ ينبغي أن يكون لهم دور في دعم طبع الكتب، وأن تكون عندنا أوقاف لطباعة الكتب، ولنشر العلم والمعرفة. هذه الأوقاف الموجودة، ينبغي أن نفعّل دورها في نشر الكتب، وخاصة في المناسبات الدينية، نحن على أعتاب موسم عظيم هو موسم المحرم، حيث نحتفي بذكرى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فكم من الأموال تصرف في هذا الموسم؟! فنجد في كلّ

---

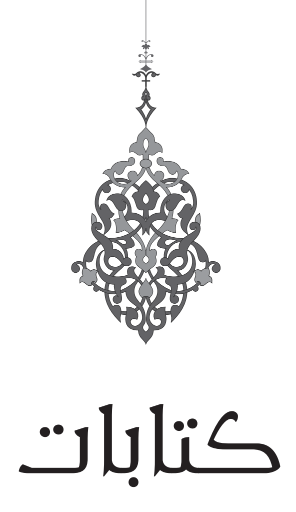
(١) مقال لياسر حارب بعنوان (من يقرأ الكتب ومن يقرأ الفنجان) http: //yhareb.com /wp /?p=٢٩٧

حسينية فيها خطيب أو أكثر، وفيها نفقات لمختلف الأمور، وبدلاً من ذلك لو أن كلّ حسينية ومأتم خَصَّص جزءًا من مصاريفه لطبع كتاب عن الإمام الحسين، وطبع كتاب عن أهل البيت، هل هذا أقلّ فائدة وثوابًا من الإطعام؟!

لماذا لا نوزع الكتاب وهو غذاء الروح والعقل، والخطاب هنا ليس ضد الإطعام، ولكن المبالغة فيه، وإهمال الجوانب الأخرى، يحتاج إلى دراسة واهتمام، وإذا لم يكن المأتم يتبنّى طبع كتاب، ليشترِ كمية من كتاب، لو أن كلّ مأتم اشترى ألفًا أو خمسة آلاف نسخة من كتاب من الكتب، فإن ذلك يقوّي حركة الكتاب في المجتمع. كذلك في مناسبات الزواج، لماذا لا نوزع كتابًا؟ نحن الذين نصرف على ضيافة الزواج المبالغة الكبيرة، لماذا لا نرصد مبلغًا لطباعة مطوية أو كتيب حول الزواج، وحول العلاقات الاجتماعية، علينا أن نعمل من أجل ترويج الكتاب ونشره، وأساسًا هو أمر مهم لربّ كلّ عائلة، أن يجعل له ميزانية للكتاب.

ينبغي أن نحمل هذا الهمّ وأن نشجع حركة الكتاب والثقافة والمعرفة.





كتابات



تقديم كتاب:

أعلام من أسرتي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

تبرز وسائل الاعلام المختلفة والمنتشرة الكثير من الأشخاص والشخصيات وتتحدّث عن حياتهم ونشاطاتهم وإنجازاتهم، لكن ذلك يقتصر غالبًا على رجالات السياسة والمال والرياضة والفن.

أما الحديث عن الأتقياء المؤمنين الذين يكرسون حياتهم لتهذيب أنفسهم ولرعاية أسرهم وتنشئة أبنائهم على الخير والصلاح والذين يتحلون بمكارم الأخلاق وجميل الصفات، ويقومون بخدمة دينهم ومجتمعهم...

هؤلاء الأشخاص عادةً ما لا تتحدث عنهم وسائل الإعلام ولا تبرزهم وهم بطبعهم لا يفتشون عن الدعاية والإعلام ولا يحبذونها، ويرون أن ما يقومون به واجب إنساني ووظيفة شرعية يبتغون عليها الأجر والثواب من الخالق جلّ وعلا.

لكن إبراز هؤلاء الأشخاص الطيبين الناجحين في حياتهم العائلية والاجتماعية له فوائد ومنافع عديدة:

- فهو تعظيم وتعزيز للقيم والمثل السامية التي اتّشحوا بها.
- كما هو أداء لحقّ التكريم لهم والتخليد لسيرتهم الطيبة.

---

(١) تأليف: علي المحمد علي.

■ وأيضًا ليكونوا قدوات ونماذج لأبناء وطنهم ومجتمعهم.

من هذا المنطلق سررت بتوجُّه الأخ الكريم علي المحمد علي للكتابة عن رجالات أسرته، وهي أسرة طيبة عريقة ورجالاتها أخيار صالحون.

وقد أنجبت العديد من ذوي الفضيلة والإصلاح الذين خدموا الدين والمجتمع بجهودهم الخيرة المشكورة.

والأخ الكريم المؤلف الأستاذ علي المحمد علي عرفته شابًّا مؤمنًا يقظًا واعيًا يهتمّ بمجالسة العلماء والفضلاء ليقتبس من معارفهم ويقتني كتب العلم والأدب ليرتشف من نميرها.

وكتاباته هذه بشائر خير بمستقبل واعد، أرجو له المزيد من التوفيق والتقدّم، وأن يكون أنموذجًا وقدوة لسائر شباب الوطن لينخرطوا في سلك روّاد المعرفة وعشاق الأدب والطامحين للفضيلة والمجد، وفق الله الجميع للخير والصلاح والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

القطيف ١٢/ ١٠/ ١٤٢٠هـ

المرجعية والمجتمع: الإمام الشيرازي نموذجًا[1]

غالبًا ما ينحصر عطاء المرجعيات الدينية للمجتمعات الشيعية في بعدين رئيسين:

الأول: العطاء العلمي التخصّصي في مجال الفقه وأصوله والعلوم الوثيقة الصلة بهما عبر التدريس، وكتابة البحوث، ورعاية الحوزة العلمية، لتربية طلاب العلوم الدينية الذين يفدون إلى الحوزة من مختلف المجتمعات الشيعية. مما يعني أن جميع العلماء في مناطق الشيعة إنما يتربون ويتأهلون علميًّا برعاية المرجعية الدينية.

الثاني: تقديم الفتاوى الشرعية وما يحتاجه المكلفون من مسائل دينية في أحكام العبادات والمعاملات، حيث يحرّر كلّ مرجع ديني آراءه وفتاواه ضمن كتاب يطلق عليه (رسالة عملية).

وغالبًا ما تكون الفتاوى متقاربة بين المراجع، إلا في نسبة قليلة من المسائل، لذلك يكتفي العديد منهم، بالتعليق على فتاوى مرجع سابق، في موارد اختلافه معه، وتبني نفس رسالته العملية كما هي الحال بالنسبة لـ (العروة الوثقى) التي وضعها المرجع الديني السيد محمد كاظم اليزدي (١٢٤٧-١٣٣٧هـ)، رسالةً عمليةً تشتمل على فتاواه لمقلديه، ثم تعاقب العلماء بتعليقاتهم عليها، وقبلها كانت رسالة (نجاة العباد)

---

(١) مقدمة لكتاب (معالم مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف)، تأليف: جهاد بن عبد الإله الخنيزي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، (بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة، دار الواحة).

محلّ تعليقات المراجع، التي أصبحت في عهد المرجع الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني، تحت عنوان (وسيلة النجاة) وتبنّاها بعده مراجع آخرون.

وفي الفترة الأخيرة تبنّى العديد من المراجع الرسالة العملية المشتملة على فتاوى المرجع الديني السيد محسن الحكيم (١٣٠٦-١٣٩٠هـ) (منهاج الصالحين) مع دمج التعليق بالمتن.

بهذين البعدين يتمثّل عطاء أغلب المراجع الدينيين للمجتمعات الشيعية، لكن عددًا محدودًا من المراجع كان يجمع إلى هذين الأمرين ممارسة دور اجتماعي سياسي، أو الاهتمام بالمجال الفكري الثقافي.

وعادة ما يحصل ذلك في مركز الثقل الشيعي كالعراق وإيران، أما الأطراف وبقية المناطق الشيعية، فهي، وإن كان جمهورها مقلدًا للمرجعيات المركزية، وخاصة في الفترات الأخيرة، بعد غياب المراجع المحليين، إلا أن دور المرجعية وتأثيرها في أوضاعهم السياسية والاجتماعية والثقافية محدود، وذلك لطبيعة الظروف السياسية، وعدم امتلاك المرجعية لمؤسّسات وأجهزة إدارية.

نعم، قد تكون هناك تأثيرات عامة غير مباشرة ناتجة عن تواصل هذه المرجعيات مع بعض الوكلاء، أو تفاعل نخبة من الجمهور مع آرائهم ومواقفهم.

لكن مرجعية الإمام السيد محمد الشيرازي تكاد تكون متميزة على هذا الصعيد، في التفاعل والتعاطي مع جمهور المقلدين في مناطقهم المختلفة، إذا استثنينا مرجعية الإمام الخميني من خلال ما أُتيح له من فرص التخاطب العام مع جماهير الأمة، بعد قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وما توفّر له من نفوذ وتعاطف شعبي كبير.

تجربة رائدة

تمثّل مرجعية الإمام الشيرازي تجربة رائدة، ينبغي دراستها والاستفادة منها بتلافي

الثغرات وتطوير الإيجابيات، لتشكل منهجًا في العلاقة بين المرجعية وجمهور المقلدين في الأطراف والمناطق المختلفة، من أجل تفعيل هذه العلاقة، وتوظيفها في خدمة الحالة الدينية والمعيشية لهذه المجتمعات، وإخراجها من حالة الارتباط المحدود بأخذ الفتاوى ودفع الحقوق الشرعية.

ومن خلال معايشتي لهذه التجربة يمكنني الحديث عن بعض معالمها:

تربية الكفاءات العملية

تهتمّ الحوزات العلمية تحت إشراف المراجع بتربية الكفاءات العلمية المتخصّصة في الفقه وأصوله، دون أن يصحب ذلك برنامج لتربية الكفاءات العملية، بل ولا العلمية في سائر جوانب المعرفة كالتفسير والتاريخ والاجتماع، والاقتصاد وما أشبه، مما له وثيق صلة وارتباط بالفكر والتشريع الإسلامي.

والطاقات التي قد تنمو في هذه المجالات تعتمد على التثقيف الذاتي، والمبادرة الشخصية، وليس ضمن برنامج عام مقرّر.

لذلك تظلّ الغالبية من طلاب الحوزات العلمية لا تمتلك كفاءات عملية تعينها على أداء رسالة التبليغ وقيادة المجتمع، كالخطابة والكتابة والإدارة. والبعض قد لا يكون له اهتمام وإلمام بالثقافة العامة المساعدة على التخاطب مع الجمهور في مستوياته المختلفة.

وقد حصلت في الفترة الأخيرة محاولات لتطوير برامج الحوزة بهذا الاتجاه، وخاصة في حوزة قم العلمية التي يؤمّل منها معالجة هذا النقص الخطير.

كان الإمام الشيرازي من المهتمين جدًّا بهذا الجانب، فهو يشجع كلّ طالب علم في حوزته على الخطابة والتأليف والتأسيس والعمل الاجتماعي، وحين كنت منتسبًا لمدرسة الرسول الأعظم التي أنشأها سماحته للدراسة العلمية في الكويت، كانت له

محاضرة أسبوعية عصر كلّ خميس، خاصّة بطلاب العلوم الدينية، كلّها دفع وتوجيه وتشجيع على تحمّل المسؤولية، باستعراض الأخطار التي تحيط بالأمة، وذكر تجارب الآخرين وأساليبهم في العمل، وتأكيد الثقة بالنفس، ومعالجة الإشكالات التي قد يواجهها العاملون في المجتمع.

كانت تلك المحاضرات كبرنامج تربوي، ومنهج عملي، ووقود نتزوّد منه الهمّة والنشاط والفاعلية والصمود.

وإلى جانب تلك المحاضرات، كان في حوزة الإمام الشيرازي دروس لتعليم الخطابة والكتابة، وتكليف بمهام اجتماعية وتبليغية، وقد تطوّرت هذه الدروس فيما بعد ضمن حوزة القائم في طهران، التي أنشأها تلميذه آية الله السيد محمد تقي المدرسي برعاية وتشجيع من الإمام الشيرازي.

بهذه المنهجية، أصبح أغلب المتخرّجين في مدرسة الإمام الشيرازي أصحاب كفاءات عملية بين كاتب وخطيب وصحفي وإداري وما أشبه.

وقد يكون ذلك عند بعضهم على حساب تقدّم المستوى العلمي التخصّصي، في الفقه وأصوله. لكن الإمام الشيرازي كان يرى أولوية جانب الكفاءات العملية في هذه المرحلة من حياة الأمة، على أساس أن الاهتمام العلمي له روّاده والمتوجهون له بشكل طبيعي في الحوزات، والفراغ والنقص هو في الجانب العملي الحركي.

التثقيف والتوعية الجماهيرية

ليس من عادة مراجع الشيعة أن يتخاطبوا مع الجمهور بشكل مباشر عبر الخطابة أو الكتابة، وإنما يُلقون أبحاثهم العلمية التخصّصية في الفقه والأصول، التي يطلق عليها (بحث الخارج)، على نخبة الطلبة من ذوي المستوى العلمي المتقدّم، وكتاباتهم تنحصر في هذا المجال.

ويقتصر تخاطبهم مع الجمهور في حدود الإجابة عن الأسئلة والاستفتاءات المقدمة إليهم شفهيًّا أو كتبيًّا.

وقد يكون من أسباب ذلك ما يلي:

١. أن أغلب المراجع في حوزة النجف العلمية لغتهم الأمّ هي الفارسية أو التركية، والحديث باللغة العربية للجمهور ليس ميسورًا لأكثرهم.

٢. ممارستهم الدائمة للغة العلمية بمصطلحاتها وعباراتها صعّبت عليهم استخدام لغة الخطاب العام.

٣. تحفّظهم ومراعاتهم للظروف السياسية، حيث كانوا يبتعدون عن إبداء أي موقف أو رأي في الشأن العام.

٤. وجود رؤية في الوسط الحوزوي تدفع للاستغراق العلمي، والعزوف عن الانشغال بالناس، والنظر إلى الممارسات الاجتماعية كالخطابة والكتابة، باعتبارها لا تليق بالرتب العلمية المتقدمة.

٥. والعامل الأهمّ هو عدم وجود مشروع اجتماعي يتبنّاه المرجع فيتخاطب مع الجمهور من خلاله.

لهذه الأسباب، وربما لعوامل أخرى، قلّ أن تجد لمرجع ديني اهتمام بالتخاطب المباشر مع الجمهور. ومن تلك القلّة كان الإمام الشيخ محمد الخالصي الذي كان يقيم الجمعة في الكاظمية ويُلقي خطبتيها، إضافة إلى إلقاء الخطب والمحاضرات في مختلف المناسبات، وإصدار الكتب والنشرات التثقيفية العامة.

وكذلك الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذي كانت له خطابات جماهيرية، وكتابات توعوية عامة.

كما أن موقعية الإمام الخميني في قيادة الثورة والحركة الجماهيرية في إيران

جعلته من أكثر المراجع تخاطبًا مع الجمهور، بالتحدّث إلى الناس مباشرة، وعبر وسائل الإعلام، وبإصدار البيانات، واللقاء بمختلف الشرائح والمستويات.

ومن بين المراجع المعاصرين تميّز الإمام الشيرازي باهتمامه بالتخاطب الدائم مع الجمهور، ففي كربلاء، وحيث انطلق بنشاطه ومرجعيته، كانت له خطابات كثيرة شبه يومية، ولقاءات مكثفة مع مختلف الطبقات الاجتماعية. وفي الكويت طوال فترة وجوده حوالي تسع سنوات، كان يلقي خطابًا عامًّا ليليًّا في تفسير القرآن، إضافة إلى خطابه الأسبوعي كلّ جمعة في المسجد. وفي قم، كان له برنامج دائم في إلقاء الخطب على الوفود والمجموعات التي تزوره، من داخل وخارج إيران.

و في بعض الفترات كان يلقي المحاضرات دون حضور جمهور لتسجل بالفيديو والكاسيت وتنشر بين الناس، فكتابه (السبيل إلى إنهاض المسلمين) مثلًا كان في الأصل خمسين محاضرة ألقاها بهذه الطريقة.

ويعرف كلّ من زاره من الناس كيف أنه يستثمر كلّ لحظة في مجلسه للتوجيه والإرشاد والتوعية والتثقيف، ويتكلّم مع كلّ زائر بحسب مستواه، وضمن موقعيته، وظروف بلده.

وعلى مستوى الكتابة والتأليف، فإنه إلى جانب كتاباته العلمية التخصّصية، حيث صنّف أكبر موسوعة فقهية في (١٥٠) مجلدًا وكتب دورة في أصول الفقه، وشرحًا على كفاية الأصول، ورسائل الشيخ الأنصاري، والمكاسب، ومنظومة السبزواري، وتفسيرًا للقرآن الكريم، وتوضيحًا لنهج البلاغة، وشرحًا للصحيفة السجادية، وغير ذلك من الكتابات العلمية.. إلى جانب ذلك أصدر كمية كبيرة من الكتب التوعوية التثقيفية الموجّهة إلى جماهير الأمة، تقدّر بالمئات، بين كراسات صغيرة، ومجلّدات كبيرة، بعضها موجّه للنخب المثقفة، وبعضها يخاطب الناشئين والعاديين، كسلسلة قصص الأنبياء، وسلسلة الفرائض الإسلامية، وسلسلة التعريف بالشيعة..

ومنهجيته في الكتابة تعتمد الوضوح وبساطة التعبير، دون تكلّف أو تنميق، وكثافة الاستشهاد بالنصوص الدينية من آيات وروايات، وحشد القصص والأمثلة الواقعية.

وما كان اهتمامه يقتصر على تأليف الكتب وطبعها، بل كان يهتمّ بالتوزيع والنشر، فلا يزوره أحد إلا ويقدّم له مجموعة من الكتب، ويشجّع من حوله على التوزيع والنشر الدائم للكتب، وخاصة في المناسبات، حيث كان يأمر بتوزيع آلاف الكتب على الزائرين للإمام الحسين في كربلاء أيام المناسبات، كما يجتهد في إيصال أكبر قدر من الكتب التوجيهية للتوزيع على الحجيج، وكذلك أيام عاشوراء وسائر المناسبات.

وفلسفة السيد الشيرازي في الاهتمام بنشر الكتاب هي حاجة جمهور الأمة إلى الوعي، وضعف الاندفاع الذاتي من قبل الناس لتحصيل الكتاب، فلا بُدّ من توفيره وبذله لجميع الناس لضمان أعلى نسبة ممكنة من القارئين والمستفيدين.

وقد تربّى تلامذته وأتباعه على هذه المنهجية، فأحدثت مدرسته موجًا ثقافيًا فاعلًا في أوساط الأمة، حتى إنه يمكن القول إن جماعة السيد الشيرازي هم أنشط جهة في مجال العمل الفكري الثقافي، من خلال كثرة مطبوعاتهم كتبًا ومجلات، وكثافة نشرهم وتوزيعهم في مختلف المناطق والبقاع.

المأسسة والعمل المؤسّساتي

ينظر الإمام الشيرازي إلى جمهور الناس بكثير من التفاؤل والثقة، فالناس عنده طيبون، يختزنون في أعماقهم الولاء لدينهم، والاستعداد لعمل الخير وخدمة الدين. وعندهم إمكانات وطاقات هائلة، لكنهم بحاجة إلى الوعي الصحيح، والقيادة المخلصة الفاعلة.

ويرفض التصوّرات السائدة في بعض الأوساط من التقليل من شأن الناس، وانعدام الثقة بهم، وضعف الاعتماد عليهم، باعتبارهم عوامّ جهلة، لا يستجيبون ولا يبذلون ولا يثبتون.

ويستشهد لنظرته الإيجابية بالكثير من النصوص والروايات، والقصص والشواهد، التي تحكي عمّا حققته قيادات دينية وسياسية من إنجازات ضخمة، وأعمال كبيرة، عن طريق كسب الجمهور، وتفعيل حركته. ويتساءل سماحته دائمًا: كيف يستطيع الآخرون من ذوي الأفكار المخالفة أن يحرّكوا جمهورنا، ويستقطبوه، ويدفعوه إلى الحركة والبذل بينما نعجز نحن المتدينيين عن ذلك؟

إن الإشكال قد يكون فينا وليس في الناس، فعلينا أن نغيّر نظرتنا، ونجدّد أساليب عملنا، وأن تتّسع صدورنا لتحمّل المشاكل والعقبات، وسنرى بعد ذلك تجاوب الناس معنا، وإقبالهم علينا، والتفافهم حولنا.

ويؤكد الإمام الشيرازي أن نقطة البدء والانطلاق هي المأسسة، لتشكل نواة للحركة والعمل، تحت اسم هيئة أو لجنة أو أيّ عنوان آخر، فالإنسان بمفرده لا يستطيع أن يحقق شيئًا مُهِمًّا؛ لأن العمل الفردي محدود مبتور، والبديل هو العمل المؤسّساتي، فالفرد ينتهي أو يتراجع، بينما المؤسّسة تبقى وتتواصل.

ضمن هذا السياق قدّم الإمام الشيرازي رؤية شرعية تأصيلية لانبثاق التنظيمات والحركات، وأقام الكثير من المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية، وشجّع تلامذته وأتباعه على تشكيل الهيئات والتجمعات والمراكز في مختلف المجالات السياسية والثقافية، وفي مختلف البلدان والمناطق.

لأنها تشكل أُطرًا لاستيعاب الطاقات وتفعيلها، ولأنها تصبح بؤرًا ومحاور في وسط الجمهور، وجسورًا بين المرجعية الدينية والناس.

هذه أبرز قنوات التعاطي والتفاعل التي شقّها الإمام الشيرازي لانفتاح مرجعيته على الجمهور، ولتوظيف موقعيته مرجعًا دينيًّا في مشروع نهضة الأمة، ورفع مستواها العام.

دراسة رائدة

ومنطقة القطيف هي من المناطق التي تفاعلت مع مرجعية الإمام الشيرازي، حيث اتّسعت رقعة مقلّديه في مجتمعها، خلال ربع قرن من الزمن، كانت هي الأهمّ في تاريخ المنطقة ثقافيًّا واجتماعيًّا.

وقد انفتحت مرجعيته على هذه المنطقة عبر القنوات الثلاث السابقة، فتخرج في مدرسته مجموعة من الكفاءات والطاقات العلمية والعملية من أبناء المنطقة، من الشباب والشابات، بين عالم وخطيب وكاتب وإداري ورجال سياسة وإعلام.

ولأن سماحته كان مقيمًا في الكويت قرب المنطقة، فقد كانت كتاباته ومحاضراته تتوالى على المنطقة، لتؤسّس لوعي دينيّ رساليّ، يدفع نحو الفاعلية والنشاط، ويتطلّع نحو الإصلاح والتغيير.

كما تشكلت بتشجيعه وتوجيهه العديد من اللجان والمؤسّسات الدينية والثقافية والاجتماعية.

هذا الامتداد لمرجعية الإمام الشيرازي وانعكاساته على مجتمع المنطقة، هو موضوع بحث هذه الدراسة القيّمة التي أنجزها الأخ الأستاذ جهاد عبد الإله الخنيزي رعاه الله. وهو شاب طموح، وطاقة واعدة، وفكر منفتح، يعيش هموم مجتمعه، ويسعى لخدمة دينه ووطنه.

وتشكّل هذه الدراسة التفاتة مُهِمَّة إلى بحث الحالة الدينية والثقافية في المجتمع بحثا ميدانيًّا ورصد الظواهر والاتجاهات الأساسية ضمنها. وأملي أن تشجع هذه المحاولة الرائدة مثقفين آخرين لبحث سائر الجوانب والظواهر الاجتماعية الثقافية.

ومن ميزات هذه الدراسة أنها تأتي من خارج دائرة أتباع السيد الشيرازي ومقلّديه حسب التصنيف الاجتماعي، مما يعطيها مصداقية أكثر، ويبعدها عن مسار امتداح الذات، والإعلام الفئوي.

وقد أختلف مع الأستاذ جهاد في بعض النقاط والاستنتاجات، لكنّي أقدّر جهده المعرفي، وإنصافه وجرأته في طرح ما يؤمن به من أفكار، إثراءً للساحة الثقافية، وتشجيعًا على حرية التفكير والبحث.

وفقه الله تعالى للمزيد من العطاء والتقدم وكثّر في شباب مجتمعنا أمثاله.

حسن الصفار

٢٤/ ١١/ ١٤٢٢هـ

بين يدي الصحيفة السجادية[1]

التخاطب مع أصحاب القوة والسلطة في المجتمع ليس أمرًا ميسورًا لكلّ أحد، حيث تحيط بهم فئة محدودة من ذويهم وأعوانهم وأهل القدرة والجاه لديهم، بينما يتعذّر على الأشخاص العاديين الاقتراب منهم والتخاطب معهم.

لكن أبواب الاقتراب والتخاطب مع خالق الكون، والمهيمن على كلّ قدرة وقوة فيه، مشرعة مفتوحة أمام جميع الخلق، كبيرهم وصغيرهم، غنيّهم وفقيرهم، قويّهم وضعيفهم.

حيث لا حواجز تحول بين الإنسان وربه، ولا حجب تمنعه عن التقدم إليه.

بل إن الله سبحانه وتعالى يدعو عباده للاقتراب منه، والتخاطب معه، ويرغّبهم في ذلك، ويشجّعهم عليه.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[سورة البقرة: الآية ١٨٦]، ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[سورة غافر: الآية٦٠]، وورد عن رسول الله أنه قال: (إذا قال العبد: يارب يارب. قال الله: لبيك عبدي سل تُعطَ)[2].

---

(١) مقدمة للطبعة الأولى من صحيفة زين العابدين التي طبعت في المملكة العربية السعودية بتصريح رسمي من وزارة الإعلام. الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ (القطيف: أطياف للنشر والتوزيع).

(٢) كنز العمال. حديث رقم٣١٣٢.

وجاء عن الإمام علي: «واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتكفّل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يُلْجِئْكَ إلى من يشفع لك إليه»[١].

وقد يتساءل المرء عن فلسفة الدعاء ومدى أهميته، فالله تعالى يعلم ما يدور في نفس العبد، ويعرف خلجات أحاسيسه ومشاعره، ويدرك أحواله وحاجاته، فلماذا الدعاء إذًا؟ وهل هناك ضرورة لتقديم الطلبات والحاجات شفاهة باللسان أمام الله تعالى؟

نعم. إن الله تعالى يريد أن يُعبد، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[سورة الذاريات: الآية ٥٦]. والدعاء من أهم مظاهر العبودية لله تعالى، حيث ينطوي على الإيمان بقدرته وهيمنته، ويجسد التطلّع إلى رحمته ولطفه، ويعبّر عن الإقرار بالحاجة والافتقار إليه، لذلك ورد في الحديث: «الدعاء مخ العبادة»[٢].

كما أن الدعاء يوثق الصلة بالله تعالى في نفس الإنسان، ويرفع معنوياته أمام المشكلات والضغوط، ويلهمه الأمل والقدرة على مواجهة التحدّيات، حين يشعر بالقرب من خالق الحياة، ومدبر الأمور، وحين يطمئنّ قلبه بذكر الله وسعة رحمته.

ولكن كيف يخاطب العبد ربه؟

وبأيّ لغة يتحدّث؟

وما هو أسلوب التعبير عن المشاعر تجاه الله؟

وما هي طريقة تقديم الحاجات والطلبات بين يدي الخالق جلّ وعلا؟

لا شك أن ما يخرج من قلب الإنسان بعفوية وصدق حين ينفتح على ربه، ويتجه

---

(١) نهج البلاغة. كتاب رقم ٣١.

(٢) سنن الترمذي. ج٤، ح٣٣٧١، طبعة دار الكتب العلمية.

بكلّه إليه، هو أفضل أسلوب وطريقة في التخاطب مع الله تعالى.

وهنا تتفاوت درجات الصدق وصفاء القلب عند بني البشر، ويتفاوت مستوى التوجّه الحقيقي إلى الله تعالى من شخص لآخر، فكلما كان الإنسان أكثر معرفة بعظمة خالقه، وأشدّ انقطاعًا إليه، كان أفق انفتاحه على الله تعالى أكبر وأوسع، فينعكس ذلك على نوع وكيفية دعائه ومناجاته لله سبحانه.

لذلك تجد أولياء الله العظام من الأنبياء والأئمة والأصفياء، الذين حازوا أعلى درجات الصدق والإخلاص، تمتاز الأدعية المأثورة عنهم بخصائص فريدة، وعلامات مائزة، تكاد تهديك إلى مصدرها وأصلها، وأنها انطلقت من قلب مشعّ بنور الله تعالى، متّصل بهداه.

وتمثل أدعية الصحيفة السجادية المأثورة عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن على بن أبي طالب نموذجًا مشرقًا على هذا الصعيد.

فهي صحائف ثمينة، تناقلتها أيدي العلماء عبر التاريخ، وتوارثتها أجيال المؤمنين جيلًا بعد جيل، لتصل إلينا بإسناد معتبر، وقد قام أحد الباحثين المعاصرين، هو العلامة السيد محمد باقر بن السيد مرتضى الموحّد الأبطحي الأصفهاني، بدراسة مفصلة لأسانيد هذه الصحيفة المباركة، وإجازات روايتها، ضمن طبقات الرواة المتسلسلة والمتصلة من الإمام علي بن الحسين إلى عصرنا الحاضر، ورتبها بعد ذلك على شكل شجرة، تتضح فيها أسماء الرواة وعددهم في كلّ طبقة من الطبقات[١].

إن الأدعية التي تضمنتها هذه الصحيفة المباركة تمثل مدرسة تربوية عظيمة، تعرّف الإنسان جوانب عظمة الخالق جلّ وعلا، وتوثّق صلته به، وتزرع في قلبه الأمل في رحمته، والرجاء لعفوه، والخوف والرهبة من معصيته وغضبه، كما تنمّي في نفس

---

(١) الصحيفة السجادية الجامعة. بإشراف السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي الأصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي، قم ١٤١١هـ.

الإنسان التطلّع والطموح لمكارم الأخلاق ومعالي الصفات، وتجذب بعض أدعية هذه الصحيفة المباركة نظر الإنسان وتشدّ مشاعره نحو نماذج الخير وشخصيات الطهر والكمال في التاريخ البشري، عبر الصلاة عليهم والدعاء لهم، كأنبياء الله العظام، وأصحابهم وأتباعهم الكرام، والأولياء الصالحين، لتذكّر الإنسان بدورهم وفضلهم على المجتمعات البشرية، ولتربط الإنسان بسيرتهم وهديهم.

وفيها أدعية تلفت انتباه الإنسان إلى الأوقات الفاضلة المباركة، ليهتمّ باستثمارها ونيل نفحات الرحمة والبركة الإلهية فيها، كشهر رمضان المبارك، وأيام الأعياد، وكذلك مختلف مقاطع الزمن ومناطقه، كأدعية الصباح والمساء، وسائر الأوقات.

وبعض الأدعية تعنى بتذكير الإنسان بحقوق الآخرين عليه، وواجب حسن المعاشرة لهم، كالدعاء للوالدين والأولاد والجيران والمدافعين عن حدود الوطن (أهل الثغور).

وهكذا، فإن أدعية هذه الصحيفة المباركة ليست مجرد ابتهال ومناجاة، بل هي في ذات الوقت كنز علم ومعرفة، ومدرسة تربية وإصلاح.

وليس مستغربًا أن تكون لهذه الأدعية هذه القيمة العظيمة، والعطاء الكبير، فهي صادرة عن إمام عظيم، وعارف كبير، هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي جسّد في حياته الانقطاع إلى الله، والإقبال على عبادته وطاعته، حتى عرفه الناس بـ (السجّاد) لكثرة وطول سجوده لله تعالى، وكنّوه (زين العابدين) لكمال شخصيته في مختلف الأبعاد.

ويسعدني أن أقدّم لأبناء وطني وأبناء الأمة هذه الطبعة الجديدة من (الصحيفة السجادية) مع المقدمة الرائعة التي كتبها الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله، فهي، على اختصارها، تقدّم رؤية رائعة عن مضامين هذه الصحيفة، وعن سيرة الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

وإكمالًا للفائدة، ألحقنا بها نصّ رسالة الحقوق للإمام زين العابدين علي بن الحسين، وهي من أوائل النصوص الإسلامية الشاملة حول حقوق الإنسان وواجباته تجاه الله وأبناء مجتمعه.

أرجو أن يُسهم نشر هذه الصحيفة في تعزيز القيم الدينية ومكارم الأخلاق، وفي توثيق صلة أبناء الأمة بنبيهم الكريم وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٦ ذو القعدة ١٤٢٧هـ

٢٧ نوفمبر ٢٠٠٦م



تقديم:

الموسوعة الشعرية المهدوية[1]

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الإمام المهدي قضية إسلامية كبرى تناولتها مئات الأحاديث والروايات والأخبار إن لم تكن ألوفًا.

وهو عنوان عريض لمستقبل الأمة الواعد، حيث سيتحقّق على يديه إظهار الإسلام فعليًّا على الدين كلّه.

وهو تجسيد لتطلّع الإنسانية عبر تاريخها الطويل لحياة العدل والأمن والرخاء؛ لأنه سيملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا.

فمن الطبيعي إذن أن تنشغل العقول والنفوس بموضوع الإمام المهدي، وأن يأخذ مساحة كبيرة وحيّزًا واسعًا من عالم الفكر والثقافة والأدب.

فقد أفاض في نقل أخباره المحدّثون والرواة، وناقش تفاصيل الاعتقاد به الباحثون وعلماء الكلام، كما تغنّى بإشراقة طلعته البهية الشعراء والأدباء.

ولأن الحديث عن الإمام المهدي يعني الحديث عن الألم الموجع الذي تعانيه البشرية من الظلم والفساد، حيث يكون دواؤه وإزالته على يديه الكريمتين، ويعني

---

(١) الحاج عبد القادر الشيخ علي أبو المكارم. الموسوعة الشعرية المهدوية، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، (بيروت: دار العلوم).

التطلّع إلى الأمل المشرق الذي سينبثق فجره من ظهوره المرتقب، لذلك فالحديث عن الإمام المهدي هو الذي يفجّر قرائح الشعراء، ويخصب خيال الأدباء؛ لأن الشعر والأدب في جوهره تعبير عن المشاعر والأحاسيس، والألم والأمل هما رافدا تلك المشاعر، وباعثا تلك الأحاسيس.

من هنا تبارى الشعراء في ساحة هذا الإمام العظيم، وتسابقوا على حلبة ميدان قدسه، يعرضون أمامه ملفات الألم، ويستنهضونه لتحقيق الأمل.

وفي الحقيقة، فإن هؤلاء الشعراء لا يعبّرون عن مشاعر ذواتهم فقط في إبداعاتهم المهدوية، وإنما هم لسان البشرية كلّها في التعبير عن أوجاع الآلام وتطلّعات الآمال.

وحين يقرأ الإنسان المسلم شيئًا من الأدب المهدوي، أو يصغي له، يجد في نفسه تفاعلًا عميقًا، وتجاوبًا مرهفًا مع وقع كلّ تفعيلة في النص الأدبي، ومع كلّ فكرة في مضامينه.

وقد وفّق الله أخانا العزيز، وصديقنا الحبيب، صاحب الأخلاق الكريمة، والولاء الصادق للنبي وآل بيته الطاهرين الحاج عبد القادر بن الشيخ علي آل أبي المكارم، ليقوم بمهمّة جمع ما جادت به قرائح الشعراء في ذكر الإمام المهدي ﷺ، بعد أن حالفه التوفيق في جمع المدائح النبوية ، الذي صدر موسوعةً أدبيةً في تسعة عشر مجلدًا أخذت موقعها في مكتبة الثقافة والأدب.

فهنيئًا لأبي عدنان هذا التوفيق الإلهي الكبير، فمن خدمة خاتم الأنبياء إلى خدمة خاتم الأوصياء، أرجو لموسوعته هذه النجاح، وأن يجد فيها الأدباء وعشاق الإمام المهدي المنتظرون لظهوره بلهفة وشوق، أن يجدوا فيها جميعًا ما يرفع معنوياتهم، ويشعل جذوة الأمل والحبّ في نفوسهم، ويزيدهم إيمانًا وثقة بمعتقدهم، وولاءً وإخلاصًا لإمامهم المهدي المنتظر، حتى تقرّ أَعْيننا وأعينهم بالنظر إلى غرّته الشريفة وطلعته الرشيدة.

وأجزل الله لأبي عدنان خير الجزاء والثواب على ما بذل من جهود في جمع هذه القصائد والتراجم، وتقبّل منه بأعلى درجات القبول.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار
٩جمادى الآخرة١٤٢٨هـ
٢٤ يونيو٢٠٠٧م



أخلاقنا ومهمّة توحيد الأمّة[1]

يثير هذا البحث القيِّم (أخلاقنا ومهمة توحيد الأمة) الذي قدّمه الأخ الكريم المهندس مراد غريبي، للمؤتمر الذي انعقد في المنامة عاصمة مملكة البحرين بتاريخ ٥-٦ ذو القعدة ١٤٢٩هـ، تحت عنوان (أخلاقنا بين النظرية والسلوك)، يثير مسألة في غاية الأهمية، وهي دور الأخلاق في العلاقات الداخلية بين قوى الأمة وشرائحها المختلفة في اتجاهاتها المذهبية والسياسية.

إن واقع التنافر والصراع الذي تعيشه ساحة الأمة، على صعيد التنوع السياسي والمذهبي واقع مؤلم مرير، يدفع كلّ غيور على الدين، وكلّ حريص على مصلحة الأمة، إلى التفكير والعمل من أجل تجاوز هذا المأزق الخطير، ولتصل المجتمعات الإسلامية إلى حال الاستقرار، وإدارة الاختلافات الداخلية بروح حضارية خلاّقة، أسوة ببقية الأمم المتقدمة في العالم.

وقد اتّجه أكثر المهتمين بمعالجة موضوع الخلافات الداخلية بين المذاهب والمدارس العقدية والفقهية، نحو منهج الجدل والحوار في مسائل الخلاف، ليدلي كلّ طرف بحجته وبرهانه على ما يذهب إليه، في مقابل الطرف الآخر.

وصرف كثير من علماء الأمة القسط الأكبر من أعمارهم وجهودهم في سبيل الانتصار

---

(١) تأليف المهندس موراد غريبي/ الجزائر.

لمذاهبهم ومدارسهم الكلامية والفقهية.

ولا تزال المحابر تمدّ أقلام الباحثين والكتاب في مجال الخلافات المذهبية، بعرض الأدلة والحجج، لتصويب هذه الجهة وتخطئة الجهة الأخرى.

ومع تطور وسائل الإعلام والاتصالات، اتّسع المجال أكثر، وتكثفت جهود الحوار والجدل المذهبي عبر الفضائيات وعلى الشبكة العنكبوتية، حيث أنشئت مواقع متخصّصة، وافتتحت غرف محادثات (بالتوك) معنية بالجدل والتبشير المذهبي.

ولا يمكن تجاهل العامل السياسي في إذكاء معارك الخلاف والجدل المذهبي، ولكن هل هذا هو ما تحتاجه الأمة؟ وإلى أين سيؤدّي بنا هذا الصراع والجدل المحتدم؟

يرى البعض أن هذا الحوار والجدل ضروري ليتعرف كلّ طرف ما عند الطرف الآخر، ولتتّضح الحقائق، فيتبين ما يوافق الكتاب والسنة وما يخالفهما، فهما المرجع والحكم الذي يجب أن يخضع لهما الجميع، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

لكن القضية أعمق وأعقد من أن تنحصر في البعد العلمي، حتى نراهن على حلّها بالبحث والمناظرة والجدال.

فالمشكلة ليست في اختلاف الآراء، ولا في تعدد المذاهب والمدارس والاتجاهات، فتلك طبيعة بشرية لا يمكن تجاوزها، ولا ترفضها العقيدة والشريعة الإسلامية، بل تستوعبها وترشّدها، حيث أقرّت حرية الرأي، وفتحت باب الاجتهاد، وشرّعت حق الاختلاف، فالمجتهد مأجور وإن أخطأ، ما دام طالبًا للحقّ ملتزمًا بضوابط الاجتهاد وقواعده.

لقد أقرّ رسول الله ﷺ اختلاف الرأي والاجتهاد بين أصحابه، كما هو موقفه من اختلافهم في أداء صلاة العصر في غزوة بني قريظة، حين أمرهم بأن لا يصلي أحد منهم إلا في بني قريظة، فالتزم بعضهم بحرفية النّص، وأخّر أداء الصلاة خارج الوقت حتى يصلي، بينما بادر آخرون لأدائها في وقتها متأوّلين لأمر رسول الله ﷺ، فلم يعنّف رسول الله ﷺ أحد الطرفين، ولم يغضبه اختلاف اجتهادهما.

واختلف الصحابة بعد رسول الله ﷺ في مسائل عقدية وفقهية وسياسية، وتعدّدت الاتجاهات السياسية والفكرية في عهد الصحابة، ثم تكرّست وتمظهرت أكثر في عهد التابعين، واستمرت حالة التنوع الفكري والفقهي والسياسي في تاريخ الأمة.

إنه ليس مطلوبًا أن تتحد الآراء وتتوافق الأفكار في تفاصيل الشؤون الدينية والحياتية، فذلك أمر غير ممكن لتعارضه مع طبيعة البشر، وما منحهم الله تعالى من قدرة على التفكير، تنتج تنوّعًا وتعدّدًا في الآراء، لتفاوت المستويات واختلاف البيئات، وتضارب المصالح.

لكن المشكلة تكمن في منهج التعامل مع الاختلاف، وأسلوب إدارته، وهنا يأتي دور المسالة الأخلاقية، التي تناولها بحث المهندس مراد غريبي حفظه الله.

إن الصراع والتنافر المذهبي بواقعه المرعب الخطير يكشف عن أزمة أخلاقية عميقة تعاني منها ساحة الأمة، ولا بدّ من وضع خريطة طريق، للعبور من مأزق هذه الأزمة.

خريطة الطريق هذه، كما يراها الباحث، وأنا أتّفق معه في ذلك، يجب أن تنبثق من وعي أخلاقي حضاري، نجد أُسسه ومعالمه في آيات الذكر الحكيم، وهدي السنة النبوية الشريفة، وتجارب عقلاء البشر.

وأدعو القارئ الكريم للتمعّن في هذا البحث الجادّ الشيّق، الذي يقدّمه الأستاذ غريبي، جزاه الله خير الجزاء على ما بذل فيه من جهد، ووفقه الله تعالى للمزيد من العطاء في خدمة الدين والأمة، فما أحوج الساحة لأمثاله من الشباب الواعين المنفتحين، الذين يحملون هموم الأمة، ويعملون من أجل نهضتها وتقدمها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٢٠ محرم ١٤٣٠هـ

١٧ يناير ٢٠٠٩م



تقديم كتاب:

في الطريق إلى الألفة الإسلامية[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

حين أطلق المفكر الأمريكي صامويل هنتنقتون، الأستاذ بجامعة هارفارد، مقولته التي نشرها في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية في صيف ١٩٩٣م عن صدام الحضارات، انبرى له عقلاء العالم من مختلف الحضارات، ومن بينهم مفكرون أمريكيون وغربيون، ليردّوا مقولته، وليرفعوا شعار حوار الحضارات، ويدعوا أبناء البشرية للتعارف فيما بينهم، والتعاون من أجل مصلحة الإنسان، وإعمار الأرض.

وكان صوت علماء الإسلام ومفكّري المسلمين في طليعة الأصوات الناقدة والرافضة لمقولة صدام الحضارات، انطلاقًا من مبادئ الإسلام الداعية إلى السلم العالمي، والاعتراف بالتنوع في المجتمع الإنساني، على مستوى الأعراق والقبائل والأديان والأفكار، وأن ذلك يجب أن يكون دافعًا إلى التعاون في المشتركات وما يفيد جميع البشر، ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وإلى التعارف والحوار بالتي هي أحسن في موارد التمايز والخلاف، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

---

(١) عبد الفتاح بن صالح قُديش اليافعي، في الطريق إلى الألفة الإسلامية، (دمشق، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون).

لكن في الوقت الذي يرفض فيه علماء الإسلام صدام الحضارات، ويفخرون بأن دينهم وقرآنهم قد دعا إلى حوار الحضارات، نجد في داخل الأمة من يبشّر بصدام المذاهب، ويرفض الحوار والتقارب بين أبناء الأمة التي نصّ القرآن الكريم على وحدتها، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

إن من المؤلم حقًّا أن ترتفع أصوات الداعين إلى الخصام المذهبي، وأن تندلع معارك الاحتراب الطائفي في أكثر من بلدٍ إسلامي، بينما تواجه الأمة أخطر التحديات والظروف.

من هنا تبرز أهمية هذا البحث الذي خطّته أنامل الأخ الفاضل الشيخ عبدالفتاح بن صالح قُديش اليافعي حفظه الله تعالى. تحت عنوان (في الطريق إلى الإلفة الإسلامية).

إنه بحث علميّ نموذجي ينبئ عن إخلاص عميق لوحدة الأمة، ووعي دقيق بمقاصد الشريعة، وأحوال الواقع المعاش.

لقد شعرت بسعادة بالغة وأنا أتابع قراءة صفحات هذا البحث القيّم، وحمدت الله تعالى على وجود مثل هذه الرؤية بين أبناء الأمة، ودعوت للمؤلف بالمزيد من التوفيق في خدمة الإسلام والأمة.

أسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الجهد، وأن ينفع به، ليشكل زخمًا جديدًا دافعًا نحو الألفة والتقارب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

القطيف ـ المملكة العربية السعودية

٩ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٤ فبراير ٢٠٠٩م

السهلاني وشخصيته الأخلاقية

صدر كتاب: سماحة آية الله العَلم الشيخ محمد جواد السهلاني (طاب ثراه): نشأة ومنجزات و ذكريات، تأليف: الشيخ ليث السهلاني.

وقد ضمّ نبذة من سيرة الشيخ السهلاني رحمه الله وشيئًا عن شعره وبعض قصائده، وكلمات العزاء والتأبين التي قيلت في حقّه، بالإضافة إلى ملحق بالصور للتشييع والتأبين.

وقد وردت كلمة سماحة الشيخ حسن الصفار في الصفحة ٢٧٠ بعنوان: السهلاني وشخصيته الأخلاقية.. هذا نصها:

الشيخ السهلاني وشخصيته الأخلاقية

على صعيد مكارم الأخلاق، لدينا تراث ضخم، وثروة عظيمة من المعارف، تفيض بها آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة الشريفة، ومشاهد السيرة النبوية، وسيرة الأئمة الطاهرين. وبإمكاننا أن نفاخر كلّ الأمم والحضارات بما نمتلك من مخزون قيمي وأخلاقي عميق.

ولا غرو في ذلك، فعنوان ديننا إكمال صرح البناء الأخلاقي للبشرية، حسبما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

لكن التحدّي الأكبر أمامنا هو تجسيد تلك القيم والأخلاق في حياتنا العملية، على

الصعيدين الفردي والاجتماعي.

من هنا تبرز قيمة القدوات الأخلاقية، والنماذج القيمية، وأقصد بها أولئك الأشخاص الذين يعيشون بيننا، ويواجهون ما نواجه من مشاكل الحياة، ويتعرضون إلى ما نتعرض له من مغرياتها، فيلتزمون بالقيم، ويتمسكون بالمبادئ، ويتحلّون بمكارم الأخلاق.

إن وجود شخصيات كهذه بين الناس هو أفضل وسيلة لترويج القيم، والدعوة للمبادئ، والحث على مكارم الأخلاق.

حيث يقدّمون بسيرتهم نموذجًا دافعًا للنفوس نحو الخير، مقنعًا للعقول بإمكانية الترجمة الفعلية للمثل والقيم، وبذلك يكونون حجة على الناس، ودعاة إلى الفضيلة بغير ألسنتهم، بل بأفعالهم قبل أقوالهم، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم».

ومن تلك القدوات الصالحة، والنماذج الخيّرة، التي أكرمني الله تعالى بالتعرف إليها، شخصية فقيدنا الراحل العلامة الحجة الشيخ محمد جواد السهلاني أعلى الله مقامه.

كان يطرق سمعي ذكره، وكنت أقرأ عن أدبه وفضله، وأتطلّع للقياه والتعرف إليه، حتى يسّر الله تعالى ذلك حينما جاورت مقام السيدة زينب في راوية دمشق، في ثمانينيات القرن الميلادي المنصرم، وهناك تعرّفت إلى شخصيته الكريمة عن قرب، فرأيت فيه مثالًا للمهابة، والسماحة، والتواضع، ورحابة الصدر، والكرم، وحسن الضيافة، وسائر خصال الخير والأدب ومكارم الأخلاق.

كان ذا طلعة بهية، ومحيًّا باسم، يعلوه الوقار والسكينة، يستقطب البعيد بلطفه، ويغمر القريب بتواضعه، يعبّر عن مشاعره بعفوية دون تكلف.

وقلَّ أن تجد شخصًا في مثل سنّه ومكانته الاجتماعية والأدبية، يُغدق الثناء والمدح، ويمنح التشجيع والتقدير، لكلّ ذي كفاءة وطموح، حتى وإن كان ناشئًا أو

في بداية الطريق، وإذا ما جُمع شعره، فستكون في ديوانه مساحة كبيرة للتقاريض التي نظمها في الإشادة بشخصيات أو مؤلفات أو مؤسّسات.

مما يكشف عن طيب قلبه، وحبه للآخرين، وتشجيعه للطاقات والكفاءات.

كانت الساحة حوله تعجّ بالصراعات والخلافات السياسية والفكرية والاجتماعية، لكنه نأى بنفسه عن أيّ خلاف أو صراع، حيث اتّسع قلبه للجميع، وتسامى عن الخوض والتورط في تلك المنزلقات، بل كان يسعى لرأب الصدع وإصلاح ذات البين، وتوجيه الجهود نحو إنقاذ الوطن والأمة. فكان يتواصل مع كلّ الأطراف بمختلف اتجاهاتهم، دون تحيّز لفئة أو بخس لحقّ فئة أخرى.

ورغم ما كانت تنطوي عليه نفسه من هموم وآلام، بسبب ما عاناه من جور النظام الصدامي الزائل، عليه وعلى عموم الشعب والوطن العراقي، إلا أنه كان مصداقًا لقول أمير المؤمنين علي: «المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه»، فهو يرفع معنويات من حوله، ويدخل السرور على قلوب مجالسيه، ويبعث الأمل والتفاؤل بالمستقبل في نفوسهم، فحديثه شيّق عذب، تطرّزه قوافي الشعر، وطرائف الأدب، ونكات المرح، وقصص التجارب.

حقًّا، لقد فقدنا به أبًا حنونًا، وقلبًا كبيرًا، ووجهًا مشرقًا، كان شخصية أخلاقية نموذجية بامتياز، تغمده الله بواسع رحمته، وحفظ الله أبناءه البررة الصالحين، الذين أحسن تربيتهم، فأصبحوا امتدادًا لمسيرته، وقرة عين له في الدنيا والآخرة إن شاء الله، رعاهم الله وزادهم توفيقًا. والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

١٧ صفر ١٤٣٠هـ

١٢ فبراير ٢٠٠٩م



تقديم كتاب:

رسالة في الطهارة من الذنوب[1]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله الطاهرين، وبعد:

من موقع الغيرة والحرص على مستقبل الجيل الصاعد ينطلق كاتب هذا البحث الأستاذ الفاضل طاهر بن علي الخلف حفظه الله، فهو ابن بارّ لمجتمعه، مهتمّ بمستقبل أبنائه، يلاحظ ويتأمّل واقع المجتمع، فيرصد موارد الضعف والخلل، وتستوقفه الظواهر السلبية في السلوك والممارسات، وخاصة في أوساط شريحة الشباب، فلا يرضى لنفسه أن يمرّ على تلك الحالات مرور الكرام، ويأخذ منها موقف اللامبالاة. فذلك ما لا يسمح له به التزامه الديني، وشعوره بالمسؤولية.

فالمؤمن الصادق في إيمانه يجد نفسه معنيًّا بأوضاع مجتمعه، مهتمًا بالتفكير في مستقبله.

ومن أجل اتخاذ الموقف المسؤول تجاه ظواهر الانحراف السلوكي، لا بُدّ من الدراسة للأسباب والجذور، في أبعادها المختلفة، ثم الاجتهاد في تقديم أساليب العلاج والمواجهة.

وهذا ما قام به المؤلف الكريم، فقد دفعته غيرته على الدين والمجتمع إلى التفكير

(١) تأليف الأستاذ طاهر بن علي الخلف/ الأحساء ـ الطرف.

في وقاية أبناء الأمة من الانزلاق في مهاوي الذنوب والمعاصي والموبقات.

ولأنه معلم للمرحلة الثانوية يتعاطى مع شريحة من الطلاب في مرحلة المراهقة، وهي أخطر المراحل وأدقّها، لذلك تكونت لديه من واقع الملاحظة والمعايشة، تصورات وانطباعات عن خلفيات الظواهر السلوكية المنحرفة، كما تشكّلت لديه من وحي ثقافته الدينية، رؤية حول برامج الخلاص والإنقاذ من براثن المعاصي والذنوب.

لقد اطّلعت على صفحات هذا الكتاب الجميل، فوجدت سطورها تفيض بالولاء للدين، والإخلاص لأبناء المجتمع، تحشد النصوص الدينية الهادية، وتستشهد بنتائج البحوث العلمية والتربوية، وتلامس واقع شباب العصر.

جزى الله المؤلف الكريم خير الجزاء، وأثابه على ما بذل من جهد كبير، وجعله الله في موقع الفائدة والنفع، وكثّر في أبناء الوطن أمثاله، من الواعين المبادرين.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٢٧ صفر ١٤٣٠هـ

٢٢ فبراير ٢٠٠٩م

تقديم كتاب:

المباهلة[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

الولاء للنبي محمد وعترته الطاهرة قديم عريق في نفوس أبناء هجر، منذ دخولهم الطوعي في الإسلام، في السنة السادسة للهجرة، وحيث أقيمت في الأحساء ثاني جمعة في الإسلام بعد المدينة المنورة، في مسجد جواثى.

فقد لمعت في تاريخ مدرسة أهل البيت أسماء بارزة لامعة من رجالات هجر، كرشيد الهجري وزيد بن صوحان وأخيه صعصعة بن صوحان العبدي، وخلاس بن عمر الهجري، وسفيان بن مصعب ويحي بن بلال.

والولاء لأهل البيت في الأحساء ليس مجرد انتماءٍ عاطفيّ يُتوارث، بل هو التزام عقدي مؤسّس على العلم والمعرفة، ومن أجلى شواهد ذلك تواصل مسيرة العلم والعلماء الشيعة، التي لم تنقطع في تاريخ هجر، وكذلك التراث العلمي والثقافي الذي أنتجه أعلام وأدباء هذه المنطقة الطيبة، من مؤلفات الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي (٨٩٧هـ) إلى الثروة الضخمة من الكتب والرسائل التي خلّفها الشيخ أحمد بن زين الدين (١٢٤١هـ) إلى أبحاث الشيخ محمد أبو خمسين (١٤١٣هـ) وصولًا إلى النتاج

(١) تأليف الأستاذ طاهر بن علي الخلف.

العلمي والمعرفي الرائع للدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي حفظه الله.

مرورًا بالكثير من العلماء والباحثين والأدباء من أبناء هجر ممن أثروا المكتبة الإسلامية بعطائهم الوفير.

ويطيب لي هنا أن أشيد بالحراك الثقافي والأدبي في أوساط جيل الشباب المعاصر في الأحساء، حيث برز منهم أدباء ومثقفون سجّلوا حضورهم المشرق على المستوى الوطني والعالمي.

وبين يدي القارئ الكريم بحث كتبه أحد شباب الأحساء النابهين، ممن تشرّبوا الولاء للنبي وعترته الطاهرة، ثم عزّزوا هذا الولاء الذي رضعوه ونشأوا عليه بالوعي والمعرفة.

يتناول الأستاذ الفاضل طاهر بن علي الخلف في كتابه القيّم قصة (المباهلة) التي خلّدها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[سورة آل عمران:الآية٦١]. وسجّلها كلّ كتّاب السيرة النبوية الشريفة، وروت تفاصيلها الأحاديث والروايات في المصادر المعتمدة لدى المسلمين.

وقد بذل الكاتب جهده للتأمل في أبعاد هذه القضية ودلالاتها على مقام العترة الطاهرة، وما يفيده النص القرآني من أن عليًّا نفس رسول الله ﷺ، وأن الصديقة الزهراء هي التي تمثل نساء الأمة، دون أيٍّ من زوجات النبي ﷺ، وأن الحسنين أبناء رسول الله ﷺ.

واعتمد الكاتب على مختلف المصادر من كتب التفسير والحديث وعلم الكلام، منتقيًا منها ما يعطي للقارئ صورة واضحة جلية عن ذلك المشهد العظيم في موقف المباهلة، مركّزًا على بعض الزوايا واللقطات المهمة من تلك الصورة، من أجل تعزيز

الولاء للعترة الطاهرة، صلوات الله وسلامه عليها.

فشكرًا للأخ الفاضل على ما بذل من جهد، ووفّقه الله تعالى للمزيد من العطاء في خدمة الدين والمجتمع، وضاعف له من الأجر والثواب.

والحمدلله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٢٨ صفر ١٤٣٠هـ

٢٣ فبراير ٢٠٠٩م



عبد الغني السنان ثروة المشاعر الإنسانية[1]

تظهر آثار الثروة المادية على رجال المال رفاهية وبذخًا، وبما يدور على ألسنتهم عن فرص الاستثمار، وأحوال الأرصدة، وحسابات الأسهم والبنوك.

كما تعكس أحاديث العلماء والأدباء درجات مستوياتهم المعرفية، واهتماماتهم العلمية والأدبية.

أما في محضر أبي عادل، فإنك ترى على قسمات وجهه، وفي ثنايا حديثه، وأجواء مجلسه، آثار ثروة عظيمة هائلة انطوت عليها شخصيته، وتراكمت في وجدانه، هي ثروة المشاعر الإنسانية.

أبو عادل نال طرفًا من ثروة المال بجدّه وكفاءته، إنه ليس من أصحاب رؤوس الأموال، لكن الله قد أنعم عليه بخير.

وهو ليس بعيدًا عن أجواء الثقافة والأدب، فقد شارك في المناسبات والمنتديات الأدبية من نعومة أظفاره، وكان حريصًا على القراءة، ومواكبة تطور المعرفة والأدب، في جميع مراحل حياته.

---

(١) جاءت هذه الكلمة ضمن كتاب (المروءة والإنسان) الذي صدر بمناسبة تأبينه، ص١٩. والفقيد ولد بمدينة القطيف عام ١٣٤٧هـ، وهو عضو مؤسس لإدارة التأمينات الاجتماعية، وعين مديرًا لها عام ١٩٧٩م حتى تقاعد في ١٩٩٠م، مثّل المملكة العربية السعودية لمدة ١٥ عامًا لدى منظمة العمل الدولي، ومنظمة العمل العربي.

لكن ما يمتاز به أبو عادل هو ما حباه الله تعالى به من عمق المشاعر الإنسانية الفياضة.

وقلّ أن تجد مثله في مستوى وحجم ثروته الإنسانية.

إنه يحبّ الناس من أعماق قلبه، ويغدق حبّه على الصغير والكبير، والغني والفقير.

وتشعر بصدق محبته للآخرين، حيث لا يشوبها طمع ولا رجاء.

يفيض أدبًا واحترامًا لكلّ من يقابله، وخاصة إذا زاره في مجلسه، يُعرب لكلّ زائر عن سروره بزيارته، وأنه يشعر بسعادة بالغة للقائه، وهو بذلك لا يتكلّف ولا يتملّق، وإنما يعكس مشاعر حقيقية تجيش في نفسه.

إنه لا يذكر أحدًا بسوء، ويتلمّس الأعذار لمن يرى منه خطأ، ويشيد بكلّ فاعل خير من الناس، ويتحدث عن مآثر الآخرين ومبادراتهم بفخر واعتزاز.

يدافع دموعه حين يسمع حاجة فقير، أو معاناة صاحب مشكلة، يقصده الفقراء والمحتاجون فلا يردّ سائلًا ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

ويطلب من أصدقائه بإلحاح أن يخبروه عن أيّ فرصة للمشاركة في عمل خير.

يبذل جاهه لأبناء مجتمعه ولكلّ الناس، وسيرته يوم كان على رأس عمله في أرامكو، تشعّ بسطور الإحسان والخدمة لكلّ من تعرف إليه وتعاطى معه، وحتى بعد أن تقاعد عن العمل، كان يستثمر ماله من محبة وتقدير في أوساط مسؤولي شركة أرامكو، لمساعدة من يطلب منه أيّ دعم ومساندة، للحصول على فرصة عمل، أو لنيل ترقية، أو لحلّ مشكلة.

لقد تعرفت في حياتي إلى كثير من أهل الخير والعطاء، لكنني لم أجد ـ إلا نادرًا ـ مثل هذا الرجل، في غنى مشاعره الإنسانية، التي كانت تتجلّى في صدق حبّه للناس، واحترامه لهم، وسعادته بخدمة أيّ أحد منهم.

رحمك الله يا أبا عادل، ولن أنسى ما حييت إن شاء الله ذكرك الطيب، ولن تغيب عن مخيلتي صور فضلك ومشاهد إحسانك. وسأعود بين وقت وآخر لقراءة رسائلك الرقيقة، التي كانت تلهمني الكثير من معاني الوفاء والإخلاص، وتعينني على مواجهة حالات الجفاء والجفاف. وهنيئًا لك ما قدّمت عليه من نتائج عملك الصالح عند الله تعالى.

أسأل الله أن يجمعني معك يوم القيامة في زمرة محمد وآله الطاهرين.

حسن الصفار

١٦ / ٧ / ٢٠٠٩م

٢٣/ ٧/ ١٤٣٠هـ



٧ مجتمعاتنا وأوطاننا مستهدفة في وحدتها واستقرارها وأمنها[1]

أبدى فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع تعجّبه واستغرابه من حالة التفرق والخلاف المذهبي بين السنة والشيعة، في مقاله الجميل الذي نشرته صحيفة الوطن السعودية، يوم الأربعاء ٤ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ الموافق ٢٩أبريل ٢٠٠٩م.

مع اتفاق السنة والشيعة على الإقرار بالربوبية لله تعالى، وبنبوة النبي محمد ﷺ، ومرجعية القرآن الكريم، والصلاة إلى قبلة واحدة هي الكعبة.

قائلًا: فعلى الرغم من هذه المعايير الشاملة والجامعة لشمل الأمة نجد الخلاف، ولا شك في أن هذا الأمر محلّ استغراب.

وإني لأقدر لفضيلته هذا الحرص والاهتمام بوحدة الأمة، وهذا الطرح الإيجابي الذي يتسم بروح التسامح والتفاهم.

وقد عنون فضيلته المقال بعنوان (رسالتي لكل شيعي) وكمسلم شيعي، فإني أستقبل رسالته بكل محبة وسرور، وأعلن عن تجاوبي الكامل مع أيّ مسعى يقترحه فضيلته لتجاوز حالة الخلاف والقطيعة، وخاصة بين أبناء وطننا الواحد من السنة والشيعة، وقد سبق لي أن وجّهت رسالة مفصلة للإخوة السلفيين وخاصة العلماء

(١) صحيفة الوطن. الاثنين ٩ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، ٤ مايو ٢٠٠٩م – العدد ٣١٣٩.

والدعاة منهم تحت عنوان «السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل» نشرت قسمًا منها صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٢ محرم ١٤٢٥هـ الموافق ٢٢ فبراير ٢٠٠٤م، وطبعت في كتيب، صدر عن دار الواحة في بيروت/ لبنان عام ١٤٢٥هـ.

وأرى أن ما طرحه فضيلة الشيخ المنيع يتفق مع ما كنت طرحته في تلك الرسالة، حيث ذكرت ضوابط أربعة للعلاقة المنشودة بين الطرفين:

١. الإقرار بجامعية الإسلام للطرفين.

٢. الاحترام المتبادل.

٣. اعتماد نهج الحوار في قضايا الخلاف.

٤. تفعيل التعاون في خدمة المصلحة العامة للإسلام والوطن.

وأتفق مع فضيلة الشيخ بضرورة تجاوز الاختلاف في تقويم رجالات السلف وأحداث التاريخ، فلا يُطالب السني بالقول بإمامة أهل البيت وعصمتهم، ولا يُطالب الشيعي بالقول بعدالة كلّ الصحابة. فللشيعة رأيهم في الإمامة والعصمة، وللسنة رأيهم في تنزيه وعدالة كل الصحابة، كما أن الشيعة والسنة يختلفون في مسألة التفضيل مثلًا، فيرى السنة أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، بينما يرى الشيعة أفضلية علي، ولكلٍّ مذهبه ورأيه، ولديه أدلته وبراهينه. ويمكن للعلماء من الطرفين أن يتحاوروا حول مثل هذه المواضيع في أجواء علمية موضوعية، بعيدًا عن التعبئة والتهريج، لكن من ضرورات التعايش، مراعاة الاحترام المتبادل، فلا يصحّ ولا يجوز الإساءة إلى أيٍّ من الرموز المحترمة عند كلٍّ من الطرفين.

وأودّ الإضاءة هنا على موقع التعجب والاستغراب لدى فضيلة الشيخ المنيع من وجود الخلاف والافتراق، فكما قيل: إذا عرف السبب بطل العجب. وأعتقد أن هناك أسبابًا للخلاف والافتراق لا بدّ من تشخيصها لمعالجتها وتلافي آثارها، وأبرزها في نظري أمران:

الأمر الأول: فعل السياسة، فقد تقتضي إثارة الخلاف، لتحقيق بعض الأغراض، وهذا يشمل الإرادات السياسية المصلحية داخل الأمة، وخارجها.

الأمر الثاني: اتجاهات التشدّد، التي تريد فرض رأيها ولا تحتمل وجود الرأي الآخر، ولا تقبل الاعتراف به والتعامل معه، هذه الاتجاهات تثير الخلاف والتفرقة حتى داخل المذهب الواحد.

وأعتقد أن مسؤولية العلماء الحريصين على وحدة الأمة ومصلحتها، أن يوجّهوا النصيحة للجهات السياسية داخل الأمة سنة وشيعة بأن يكفّوا عن النهج الطائفي، وأن يحذّروا الجمهور المسلم من والوقوع في فخّ المؤامرات الأجنبية التي تريد تمزيق صفوف المسلمين وإشغالهم ببعضهم.

من ناحية أخرى، لا بدّ من نشر روح التسامح وثقافة الوحدة والتقريب كما أشار إلى ذلك فضيلة الشيخ المنيع في آخر مقالته.

إن مجتمعاتنا وأوطاننا مستهدفة في وحدتها واستقرارها وأمنها، ولا منعة ولا حصانة إلا بالعدل والوعي وروح التسامح، فهو ما يعزّز الوحدة، ويحمي الأمن والاستقرار.





متابعات



٧

الصفار يدعو إلى تفعيل الدور المؤسّسي لتطبيق مبادئ الإحسان في المجتمع[1]

«القطيف منير النمر»

أكدّ الشيخ حسن الصفار ضرورة تكريس مفهوم العمل المؤسسي للإحسان باعتباره إحدى أدوات المجتمع المدني التي لا يمكن الاستغناء عنها في ظروف الحياة الحالية التي تتسم بالتعقيد الاجتماعي والإداري، وطالب في ندوة حضرها مساء أول من أمس المهتمون بالشأن الاجتماعي بضرورة تأسيس لجان تطبق مبادئ الإحسان في شكل عملي.

وقال في مجلس الشيخ المبارك في قلب مدينة القطيف: «في الغرب هناك لجان عدة لفعل الخير يبادر لها أناس بمحض إرادتهم، بل ويتسابقون على ذلك، وفي بعض الجامعات، كما في أستراليا وأمريكا وغيرها، يكون هناك قسم لتسجيل أسماء المتطوعين الراغبين بعمل صداقة مع الطلاب الأجانب فقط لتطوير مهارة التحدّث باللغة الإنجليزية، وهناك لجان لرعاية نشاط السباحة في أستراليا مثلًا؛ لأن السباحة تكون في المحيط وأمواجه شديدة فكثير ممن يريدون السباحة يتعرضون للغرق سيما من لا علم له بذلك كغير الأستراليين».

ورأى الصفار أن الشعوب تحتاج لصناعة الإحسان في شتّى المجالات، مشددًا على

---

(١) جريدة الرياض. السبت ٦ محرم ١٤٣٠هـ الموافق ٣ يناير ٢٠٠٩م العدد ١٤٨٠٣.

أنه نهج أخلاقي إن فقدته المجتمعات فقدت أحد أهمّ مقوماتها، وقال: «إن مجالات الإحسان عديدة، وأن المجتمع بحاجة إلى تكوين لجان ومؤسسات لتنميتها».

وقسّمت الندوة لمحاور عدة، أهمها «الإحسان شريعة أخلاقية»، معرّفًا إياه بـ «أنه مأخوذ من الحسن، وهو ضدّ القبح، والإحسان ضدّ الإساءة»، مضيفًا «له معان عدة، منها: فعل الخير أو ما ينفع الناس».

ورأى الصفار أن ما يحرك الإنسان لفعل الخير يكمن في دوافع، فـ «هي الدافع الأساس لصناعة الإحسان، إذ قد يندفع بدافع ديني أخلاقي؛ لإيمانه بالقيم الإنسانية، وقد يكون بسبب حسّه ووعيه الاجتماعي، وأخيرًا إداركه أهمية ما يعمل، والذي سوف يجني ثماره هو شخصيًّا ومجتمعه».

وعن ثمرات الإحسان، قال: «من أهم المفاهيم الأخلاقية ورودًا في القرآن الكريم مفهوم الإحسان مع ما يحوي هذا المفهوم من مشتقات»، مشير إلى ٢٠٠ آية قرآنية حول مشتقات هذه الكلمة، ومنها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. مضيفًا «لذلك كلّه فإن المحسنين عظيمة عند الله وأجرهم عظيم».

وتابع قائلًا: «إن من ثمار الإحسان حب الله للمحسنين، فالمحسنون هم أحباب الله كما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، كما أن يوم القيامة يفضل المحسنين فيه بما في ذلك من يحسن لسائر المخلوقات.

وتطرق الصفار إلى أن الإحسان يأتي من الكلمة الطيبة والرأي النافع، وأضاف: «يحتاج الناس إلى الكلمة الطيبة والرأي السديد لتقويم منهجهم في الحياة، سيما مع تطور متطلبات الحياة وتعقّدها في بعض الجوانب فإن إدارتها أصبحت صعبة وتحتاج إلى خبرة ورأي سديد، وبذل الرأي والمشورة للغير هو وجه من وجوه الإحسان، والدّال على الخير كفاعله»، ذاكرًا أمثلة حية من واقع المجتمع، وقال: «إن كثيرًا من خريجي الثانوية العامة يتخرجون منها، ولا يستطيعون اختيار التخصص المناسب لميولهم، وما تحتاجه البيئة العملية. فتخصيص لجان لتوجيههم ومساعدتهم هو

إحسان لهم وللمجتمع». وتابع «كذلك بالنسبة للوظائف، قد تكون هناك وظائف متاحة ولكن بعض الخريجين لا يعلمون عنها، فمساعدتهم بالحصول عليها والبحث لهم عن وظائف مناسبة أمر مطلوب».

وفي مجال الأعمال الحرة شدّد على أنه ليس من الصحيح أن يتمّ الاعتماد على الوظائف فقط، فـ «عمل المشاريع والمؤسّسات عوائده أكثر، بيد أن الناس بحاجة إلى ذوي الخبرة لمساعدتهم في اختيار المشروع الناجح، وكيف يتمّ إدارته، وما هو سبيل النجاح، وكلّ هذا الدعم إحسان يثاب عامله».



٧

الشيخ الصفار يدعو شيعة السعودية لكسر حالة الاقصاء[١]

لندن ـ «القدس العربي»

دعا الشيخ حسن الصفار شيعة السعودية لتسجيل حضورهم العلمي والاجتماعي والسياسي في أوطانهم، وأن يكسروا سياسة الإقصاء والتهميش التي تستهدف عزلهم وشلّ قدراتهم وإضعاف فاعليتهم.

ونوّه في حديثه الذي تعرّض فيه لأبرز مظاهر سياسة الإقصاء والتهميش التي يتعرّض لها الشيعة إلى وجود «لوبي متشدّد وجاهل يسعى ليل نهار لتكريس الفرقة وإفشال أيّ محاولة انفتاح بين مذاهب الأمة». وعرض الضغوط التي يمارسها المتشدّدون ضدّ دعاة التقارب من أتباع المذاهب الإسلامية فور بروز أيّ بادرة للتفاهم.

مشيرًا إلى الخطوات الكفيلة بإفشال هذه السياسة، وأبرزها ضرورة الانفتاح على إخواننا من أبناء المذاهب الأخرى كخيار ديني وأخلاقي، إلى جانب كونه تسجيلًا لحضور شيعي فاعل.

وحذّر الشيخ الصفار في محاضرته العاشورائية في مجلس المبارك بمدينة القطيف شرق السعودية حسبما ذكرت شبكة «راصد» الإخبارية، من خطورة التعامل مع التراث

(١) جريدة القدس العربي. نشر بتاريخ ٥/ ١/ ٢٠٠٩م.

الفكري والتاريخي بسذاجة دون تمحيصه وغربلته.

داعيًا إلى التعامل مع التراث بوعي وحذر شديدين لتعزيز الأخوة الإسلامية ومدّ جسور التواصل ولقطع الطريق أمام الأعداء.

وأكدّ على أن هناك جهات مغرضة في بلادنا كما هو حال بقية العالم الإسلامي لا تريد الأمن والاستقرار في الوطن، بل تسعى لسيادة القطيعة بين الشيعة والسنة، واصفًا سلوكها بالتخريبي الضاغط.

مستدلًا بالضغوط السلفية التي مورست قبل أشهر لإفشال التفاهم السلفي مع حزب الله في لبنان وما تمارسه ذات الجهات في الداخل السعودي من ضغوط لحجب الرأي الشيعي.

ورأى الشيخ الصفار أن كسر سياسة التهميش والعزل لا يأتي بفرض عزلة أو تهميش ذاتي وإنما بتحدّي هذه السياسة بالانفتاح وتسجيل الحضور العلمي والسياسي والاجتماعي الفاعل على مستوى الوطن والأمة.

محذّرًا من ردّات الفعل العاطفية التي تدعو لتكريس حالة العزل والتهميش.

في مقابل ذلك، حذّر الصفار من بروز خيارات متشدّدة في الوسط الشيعي كرد فعل على استمرار سياسة التهميش وتواصل ضغوطات المتطرفين على الشيعة.

٧

الشيخ الصفار: نحن بحاجة إلى حالة جمعية تشاورية لاستراتيجيات خطاب المنبر الحسيني[١]

«حسين زين الدين»

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن إحياء الليالي العاشورائية التي عمّرت أجواء المنطقة والمجتمع بشكل عام من خلال المجالس الخطابية والفعاليات المتنوعة، هي مظهر لفاعلية المجتمع الأهلي. وأنَّ هذه المناسبة وما تحمله من روح وتفاعل ولائي إيماني هو الذي جعل مثل هذا العمل مقدورًا ميسورًا وبلا كلفة، مشيرًا إلى أنَّ إقبال الناس إلى هذه المجالس والفعاليات المختلفة (التبرع بالدم، مواكب العزاء، المعارض الفنية المتعدّدة...) هو إقبال عفوي ذاتي، لا تستخدم وسائل الدعاية والإعلام للحضور والتفاعل معها، مؤكّدًا على أنَّه نشاط أهلي يشارك فيه جميع أبناء المجتمع بشكل انسيابي.

جاء ذلك ضمن حوار مفتوح حول محاضراته وما حملته من أطروحات ثقافية واجتماعية لهذا العام، مساء الأربعاء ١٧/ ١/ ١٤٣٠هـ بمكتب سماحته في القطيف.

يقول الشيخ الصفار: إنَّ هذا العام تميز بمجيء العديد من الشخصيات من خارج المنطقة من دعاة ومثقفين وناشطين من إخواننا أهل السنة؛ حيث كان تفاعلهم تفاعلًا جيّدًا ولافتًا، مشيرًا إلى إشادة الجميع بما رأوه من تنظيم وبرامج وأنشطة متنوعة،

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ٢/ ٢/ ٢٠٠٩م.

منبهرين لما وجدوه من كتب معروضة لم يروها في مناطق أخرى من حيث اجتماعها في مكان واحد وسهولة الوصول إليها.

وفي ذات السياق، أشاد سماحته بجهود واهتمام بعض الإخوة والأخوات وما قاموا به من دعوة تلك الشخصيات لزيارة المنطقة والتعرف على برامجها وأنشطتها المتنوعة، موضحًا أنَّ ما قاموا به ليس أمرًا سهلًا كما يتصوره البعض، فقد نرى مجيء شخصيات من خارج المنطقة والمجتمع إلى المجالس الحسينية، لكن لا نعرف أنَّ هناك جهودًا بذلت من أجل ترتيب مجيء وحضور تلك الشخصيات، لافتًا إلى حضور بعض الأكاديميات والمثقفات اللاتي حضرن من جدة والرياض ما كان لهن أن يحضرن لو لم يكن أحد قام بدعوتهنّ وترتيب الأمور لهنّ وعمل برامج وزيارات ولقاءات مع شخصيات اجتماعية وثقافية. داعيًا إلى مضاعفة هذه الجهود؛ لأنَّ الكثير من خارج مجتمعنا قد يتصور أنَّ المناسبة مغلقة وصعبٌ عليه الحضور في مجتمع يعيش مناسباته الخاصّة.

وحول اختياره للمواضيع، قال الشيخ الصفار: كان ذلك على أساس ما شخصته من حاجة الساحة والمجتمع ومن خلال تشاوري الثنائي، وأغلبها تصبّ في المجال الاجتماعي والنهوض بالمجتمع، وتبقى المفردات والأطروحات الجانبية محلّ نقاش، موضحًا أنَّ هذا التشخيص مع الأسف لا يزال شخصيًّا والذي عادة ما يكون مشوبًا بالنقص ونقاط الضعف.

ورأى سماحته أنَّنا بحاجة إلى أن تكون هناك حالة جمعية تشاورية يشارك المعنيون بالشأن العام في المجتمع بآرائهم في تحديد الأولويات وتقرير مفردات الخطاب التي ينبغي أن تكون في مثل هذه المناسبات والمواسم، منوّهًا إلى بعض المحاولات لجلسات تشاورية هنا وهناك، إلا أنَّها لا تزال ضمن هذا المستوى المحدود.

ويؤكّد على أنَّه لم تتشكل ـ إلى الآن ـ حالة جمعية تقوم على وضع استراتيجيات أو صنع برنامج لما ينبغي أن تكون عليه المحاضرات والخطابات.

وحول تعدّد الخطابات وتنوّعها، أرجع سماحته ذلك إلى تفاوت مستويات واهتمامات الخطباء، وإلى طبيعة الأجواء التي يعيشها كلّ خطيب، بالإضافة إلى اختلاف اهتمامات الشرائح الاجتماعية والثقافية، مضيفًا إلى أنَّ هذا الاختلاف والتنوع في الخطابات له أثر في إثراء الساحة والمجتمع.

ثم ترك سماحته المجال للحضور بالمداخلات والأسئلة، التي بدأها مدير الجلسة الأستاذ عبد الباري الدخيل بسؤال حول دور المستمع في الخطابة وتحمله المسؤولية، أجاب الشيخ الصفار بقوله: بالنسبة للمستمع ينبغي أن يكون دوره في ثلاثة مستويات:

ما قبل الاستماع، ويتمثل في التشاور الثنائي وتوجيه الخطباء نحو القضايا التي يراها مهمّة، وفي هذا الصدد أشاد سماحته بمبادرات السيد حسن العوامي لكتابته الرسائل للعلماء والخطباء قبل بداية شهر محرم من كلّ عام، يذكر فيها مرئياته وما يراه مناسبًا من المواضيع التي يجب أن تطرح وتناقش. مشيرًا إلى محاولات بعض الإخوة من الشباب في الاتصال وإبداء آرائهم حول المواضيع التي يرونها مهمّة..

أمّا المستوى الثاني: هو أثناء الاستماع، إذ ينبغي له التركيز والملاحظة، ولا يكون حضوره لمجرد البركة، ويرى الشيخ الصفار أنَّ وجود أشخاص يسجلون بعض النقاط المهمّة أثناء الخطاب في مجتمعنا قليلة، فينبغي للمستمع الواعي تسجيل الآراء والأفكار، وثم بلورتها، والنظر إليها بأفق واسع مع تطويرها، دون التركيز على الأمثلة، والانشغال بها عن جوهر الأفكار الأساسية، ودعا إلى تبني هذه الحالة والتشجيع لها.

أما الدور الثالث: ما بعد الاستماع، من خلال تحفيز وتشجيع الخطيب، وتنبيهه إلى بعض النقاط الهامة في المواضيع التي يراها جديرة بالتركيز والاهتمام، بالإضافة إلى حالة النقد من خلال توصيله بعض الملاحظات للخطيب.

وفي ردّه على مداخلة للأستاذ السيد حسن الحاجي حول غياب آليات التنفيذ لتحويل تلك المحاضرات من واقع نظري إلى عملي، قال سماحته: هذا الكلام صحيح، نحن على المنبر نتحدّث عن بعض القضايا ولا نتحدث عن آليات لتنفيذ

المشاريع والمقترحات على المستوى الاجتماعي، مبينًا سبب غياب ذلك بقوله: إنَّنا نستطيع أن نشير وندفع باتجاه بعض الآليات، أمَّا الحديث الذي يأخذ شكلًا تفصيليًا للتنفيذ والتطبيق فهذا أمر قد يصعب طرحه أمام شريحة جماهيرية عامة، ويكون ممكنًا إذا كان أمام نخبة أو شريحة معينة.

ورأى أنَّ ذكر بعض الآليات والحديث عنها قد تختلف من مكان لآخر، وقد تكون قابلة للأخذ والردّ والنقاش، كذلك وضع المجالس لدينا لا تستوعب ولا تتحمّل مثل هذه الحالة، إلا أنني أوافقك بالإشارة والدفع باتجاه آليات التنفيذ.

فيما كانت مداخلة الأستاذ زكي البحارنة حول إتاحة الفرصة بعد المحاضرة للنقاش وإبداء الآراء فيما جاء في المحاضرة، أجاب الشيخ الصفار بقوله: هذا الأمر جيد، ولكن يبدو لي أنَّ أغلب الناس خاصّة في شهر محرم مرتبطين بمختلف المجالس، ورأى أن إبقاء الناس لمدة نصف ساعة بعد انتهاء المحاضرة قد لا يكون برنامجًا ناجحًا خاصّة في شهر محرم، مضيفًا إلى أن أصحاب الحسينيات يخشون من أن تطرح أشياء لا يرونها مناسبة بالنسبة لوضعهم فتحمّلهم مسؤولية.

وقال الشيخ الصفار ردًّا على مداخلة الأستاذ إسماعيل الجنبي حول إنشاء معهد يساهم في تطوير قدرات وإمكانات الخطباء: كانت هناك مساعٍ لتحقيق ذلك لكن أوقفتنا بعض العوائق، وعلى هذا الصعيد أشار إلى بعض المبادرات في العراق ولبنان والبحرين تناولت أولويات المنبر وأساسيات الخطاب وما يهمّ المناسبة في كلّ عام، يدعى ـ قبل وبعد شهر محرم ـ كبار العلماء والخطباء والمعنيين بشؤون الفكر والمنبر الحسيني إلى مؤتمرات وندوات تقدم من خلالها التوصيات والتوجيهات، لافتًا إلى أنَّ المجال مفتوح لجميع العلماء والخطباء للحضور والمشاركة في هذه المؤتمرات.

وفي إجابته عن سؤال للأستاذ محمد المدن: هل تنقصنا قيادة في المجتمع؟ في إشارة إلى المحاضرة التي ألقاها سماحته عن الدور التغييري الذي حقّقه الإمام موسى الصدر، قال الشيخ الصفار: إنَّنا عادة ننظر إلى المجتمعات في الفصل الأخير من

كتابة تجربتها دون النظر في الفصول التي قبلها، ويرى أنَّ القيادة تفرزها التطورات والظروف في المجتمع، وأنَّ القيادة لا تصدر بمرسوم ولا يقرّرها قرار، أو أنَّ شخصًا يقرّر هو أن يكون قيادة، أو جماعة تقرّر لنفسها بأن تكون هي قيادة.

ويضيف إنَّ بروز القيادات في المجتمعات يأتي من خلال تراكم تاريخي، مشيرًا أنَّ مجتمعنا لا يملك تراكمًا تاريخيًا بحيث يبرز لنا قيادة في مجتمعنا، مبررًا ذلك بأنَّ مجتمعنا لا زال حديث عهد، ولا يوجد عندنا نشاط ثقافي سياسي تاريخي يمتدّ لأكثر من عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن، وطالب أن نعطي مجتمعنا وقتًا في بناء الكفاءات والقيادات، وأن نشجّع كلّ المبادرات والجهود التي تصرف من أجل تحقيق ذلك.

فيما كان السؤال الثاني لنفس السائل حول آراء الشيخ كاشف الغطاء، حيث بيَّن أنَّ لدى الشيخ آراءً جريئة في المسائل الفقهية والعقدية، موضّحًا أنَّه لم يكن يرى أنَّ الوقت مناسبًا لطرحها على المنبر، مفسّرًا سبب ذلك إلى أنَّ البعض يصوّر طرحك لرأي عالم كأنَّك تتبنّى هذه الآراء، لافتًا لبعض الآراء التي تؤخذ على المرجع السيد فضل الله، طرحها الشيخ كاشف الغطاء.

من جهته أشاد الأستاذ عبد الباقي البصارى بمحاضرات سماحة الشيخ الصفار واصفًا إيّاها بالمثالية بما احتوته من مواضيع قوية ربما تمت مناقشتها من قبل، لكنها في هذا العام طرحت بشكل أقوى، وقد توجت بمحاضرة الليلة العاشرة التي كانت رائعة وتعدّ بألف محاضرة، كما شكر سماحة الشيخ على حضور قضية غزة في كلّ ليالي عاشوراء برغم غيابها عند الكثير من الخطباء.

هذا وقد وافق الأستاذ حسن علي الزاير الشيخ الصفار في رؤيته حول تحويل النظرية إلى تطبيق، وقال: قد لا نحتاج إلى ألف مجلس إذا استطعنا أن نحول النظرية إلى تطبيق، فالمطلوب الكيف وليس الكمّ، وهذا ما أشار إليه الشيخ خلال بعض محاضراته.

وقد عبّر ممثلو اللجان والأنشطة الاجتماعية والثقافية المشاركون في الجلسة

عن خالص شكرهم وامتنانهم لسماحة الشيخ لإشادته بالجماعات الثقافية والفنية وبدورهم الكبير أثناء محاضراته لهذا العام، وكان من بينها جماعة الخط المستقيم لمكافحة المخدرات، وجماعة الخط العربي بالقطيف، وقطيف فريندز، وجائزة القطيف للإنجاز، إذ كان لسماحته العديد من المساهمات في تلك الجماعات. فيما عبر الشيخ الصفار عن مشاعره تجاه هذه المجاميع، ودعا المجتمع إلى احتضانها وتشجيعها والتفاعل معها لتساهم في ارتقاء المجتمع والوطن.

كما طرحت أفكار أخرى ضمن مداخلات مختلفة لا تختص مباشرة بمحاضرات سماحة الشيخ، لكنها كانت عن الموسم العاشورائي عمومًا، كضيق بعض الحسينيات على الرواد، وضعف إدارة بعضها، كما تحدّث بعض المداخلين عن مستوى وعي الحضور وتطور بعض الخطباء في الطرح والأسلوب، واستنكر آخرون ما يسمعونه من بعض الخطباء من قصص هي أقرب للخرافات والأساطير.

ولم يقتصر الحضور على الرجال، فقد كان للعنصر النسائي تواجدهم في هذا الحوار والمشاركة في إبداء آرائهنّ وملاحظاتهنّ، وعبرن عن مشاعرهنَّ وشكرهنَّ لسماحة الشيخ، وقالت إحداهن: «بالنسبة لي أنا أعتبر كلّ محاضرة من محاضرات الشيخ التي أحضرها درسًا في البرمجة النفسية والعصبية وأحرص على وجودي فيها».

وقدَّم سماحته شكره للإخوة الذين كان لهم دورٌ في مساعدته في الإعداد للمحاضرات والتسجيل والتصوير والكتابة وللقائمين على الحسينية.

٧

الشيخ الصفار يرأس الجلسة الثانية لمؤتمر عاشوراء في بيروت

بدعوة من مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر في بيروت، شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في أعمال مؤتمرها السنوي تحت عنوان «عاشوراء النص والوظيفة وإمكانيات التعبير»، حيث ترأس الجلسة الثانية صباح يوم الخميس ٣ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٢٩ يناير ٢٠٠٩م.

وقد افتتح المؤتمر مساء يوم الأربعاء في قاعة المركز الإسلامي الثقافي في مسجد الإمامين الحسنين في حارة حريك ببيروت، بمحاضرة لراعي المؤتمر العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، حضرها حشد كبير من ممثلي القيادات السياسية والطوائف والأحزاب اللبنانية، وعلماء الدين ورجال الثقافة والفكر، كما حضرت شخصيات من العراق والبحرين والكويت وسلطنة عمان والسعودية.

وتتابعت جلسات المؤتمر الثلاث في «قرية الساحة التراثية» صباح ومساء يوم الخميس، حيث ترأس الجلسة الأولى سماحة الشيخ نعيم قاسم، وترأس الجلسة الثانية سماحة الشيخ حسن الصفار، وترأس الجلسة الثالثة الدكتور وجيه فانوس.

وفي افتتاحه للجلسة الثانية تحدّث الشيخ الصفار عن ملامح النهج القرآني في الحديث عن الوقائع والأحداث التاريخية وفيما يلي نص كلمته الارتجالية:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين، نجدّد الترحيب بكم في هذه الجلسة الثانية لهذا المؤتمر الذي نرجو أن نستفيد من الأبحاث والمداخلات التي تدور فيه، واسمحوا لي أن أبدأ هذه الجلسة التي هي تحت عنوان: (عاشوراء الرمز والوظيفة) بحديث مختصر حول موضوعها:

تحدّث القرآن الكريم عن حوادث ووقائع في حياة الأمم بشكل عام، وفي حياة الأنبياء والأولياء بشكل خاص، وحدّد القرآن الكريم أهدافًا وغايات لتناوله لهذه الأحداث والوقائع، فهو ليس كتاب تاريخ، ولا سفرًا يعنى بتراجم الأعلام والشخصيات التاريخية، لكنه كما حدّد لنفسه، كتاب هداية للناس. لذلك حدّد أهدافًا لتناول تلك السير والوقائع التاريخية في حياة الأنبياء والأمم، ولعلّ من أبرز تلك الأهداف التي تحدّث عنها القرآن الكريم ما يلي:

أولًا: أخذ العبر والاستفادة من تجارب السابقين، حيث إن كلّ إنسان يأتي إلى هذه الحياة هو جديد عليها، فهو بحاجة للاستفادة من تجارب من سبقه. إذ التطور البشري قائم على تراكم التجارب في مختلف المجالات، لذلك يتحدّث القرآن الكريم عن القصص والوقائع السابقة من أجل أخذ العبر والتجربة منها، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[سورة يوسف: الآية ١١١].

ثانيًا: إثارة الفكر لمعرفة السنن الاجتماعية، ذلك أن المجتمعات الإنسانية تحكم حركتها وإيقاعاتها سنن، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[سورة فاطر: الآية ٤٣]، فلا تتقدّم أمة من الأمم عبثًا واعتباطًا، ولا تتخلف أمة من الأمم عن طريق الصدفة والاتفاق، إنما هناك معادلات وسنن تصنع واقع أيّ أمة من الأمم. لذلك حينما يتحدّث القرآن الكريم عن بعض أخبار الأمم السالفة، وعن حياة بعض الأنبياء والأولياء، إنما يريد إثارة فكر الإنسان

لمعرفة تلك السنن الاجتماعية، يقول تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة الأعراف: الآية ١٧٦].

ثالثًا: رفع المعنويات وشحذ الهمم، وذلك في البعد النفسي؛ لأن الإنسان الفرد والمجتمع تواجهه أزمات ونكسات، ومصاعب وعوائق، فيحتاج إلى معنويات رفيعة، وإلى تطلّع نفسي كبير، وإلى فضاء من الأمل والأفق الواسع، حتى يستطيع أن يواجه كل تلك المصاعب في طريق التقدّم والتحدّي في هذه الحياة. وحينما يتحدّث القرآن الكريم عن أحوال الأنبياء وقصص الأولياء، فذلك من أجل أن يعطي للإنسان المؤمن هذا الزخم من الأمل والمعنويات الرفيعة، يقول تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[سورة هود: الآية ١٢٠].

رابعًا: إبراز القدوات الصالحة: إن الحديث عن الأنبياء والأولياء والصالحين والمصلحين في التاريخ من أجل أن يكونوا قدوات لمن يأتي بعدهم من الأجيال، ولذلك يركز القرآن الكريم في حديثه عن موضع الاقتداء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام: من الآية ٩٠].

تبعًا لذلك، فإن القرآن الكريم لا يستطرد في ذكر أخبار وأحوال جميع الأمم، وفي ذكر قصص ووقائع حياة الأنبياء بشكل كامل ومفصّل. فالأنبياء والرسل عددهم كبير، إذ ورد أن عدد الأنبياء كما في بعض الروايات ١٢٤ ألف نبي، وعدد الرسل ٣١٣ رسولًا. ولكن من ذكرت قصصهم في القرآن الكريم كان عددًا محدودًا لعلّهم لا يزيدون على ٢٦ نبيًا، فلماذا لم يتحدّث القرآن الكريم عن قصص جميع الأنبياء، إنما تحدّث عن قصص بعض الأنبياء فقط؟ يقول تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[النساء: الآية ١٦٤]، كما أن القرآن الكريم حينما يتحدث عن قصص الأنبياء لا يتابعها من حيث الخوض في التفاصيل والجزئيات، إنما يبرز الدلالة الرمزية لكل قصة، ويتجه نحو الوظيفة التربوية والإرشادية التي يستفيد منها البشر، ويركّز عليها في تلك الوقائع والقصص، ولهذا حينما تجادل الناس حول بعض

تفاصيل قصة أصحاب الكهف، أمر الله نبيه أن لا يشترك معهم في هذا الجدل؛ لأنه لا تأثير له، ولا فائدة أساسية ترجى منه. لقد كانوا يتناقشون حول عدد أصحاب الكهف ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[سورة الكهف: الآية ٢٢]، هذه النقاط يمكنها أن تشكّل لنا ملامح عن منهج القرآن في التعامل مع الأحداث والوقائع التاريخية.

وكربلاء في طليعة تلك الحوادث والوقائع في تاريخنا الإسلامي، فكيف نتعامل مع هذه الحادثة؟ كيف نتعامل مع حادثة عاشوراء؟

لا بدّ لنا أن نتعامل معها ضمن هذا المنهج القرآني، بالتركيز على الوظيفة التي تريد أن تقولها لنا حادثة عاشوراء، عبر أبطال هذه الحادثة، وهذه الواقعة المهمة العظيمة، وأن نركّز على ما ترمز إليه عاشوراء، وما تريد أن تدفع الأجيال إليه. في بعض الأحيان نجد هناك تساؤلات وخاصة في مطلع كلّ عام هجري، حيث يحتفي المسلمون الشيعة على وجه الخصوص بهذه الذكرى، نجد هناك من يتساءل عن جدوى هذا الاحتفاء؟ أو من يثير بعض الإشكالات على هذا الاحتفاء، ولسنا الآن في موضع النقاش، تلك وجهة نظر، ولكلّ الحق في أن يعبر عن وجهة نظره، لكننا نرى أن الاحتفاء بهذه الذكرى والحادثة إنما يستهدف الاستفادة منها تربويًّا وتوعويًّا، والاستفادة من هذه الذكرى له جذور نابعة من اهتمام رسول الله بهذه الحادثة قبل وقوعها بخمسين عامًا، إننا لا نجد حادثة اهتمّ بها رسول الله قبل وقوعها وحدوثها كما هي الحال في اهتمامه بعاشوراء، إذ تحدّث عن بعض ما سيحدث وعن بعض ما سيقع في التاريخ المقبل لأمته، ولكنه لا يوجد أيّ نسبة بين حديثه عن تلك الأمور التي يمرّ بها مرورًا، أو يتحدّث عنها فقط في بعض الحالات المحدودة، وبين هذه الحادثة التي كان يتحدّث عنها في مرات متكررة وبتفاعل، حيث كان يبدي تفاعله مع هذه الحادثة التي لم تقع بعد.

من ناحية أخرى، نحن نجد أن بعض من يحتفون بقضية عاشوراء يركّزون على

بعض الجوانب والجزئيات والتفاصيل، ويبالغون في بعض الأمور على حساب الوظيفة الأساس لهذه القضية، وعلى حساب الدلالات الرمزية.

أيها الإخوة والأخوات، هذه الجلسة موضوعها الرئيس هو تناول عاشوراء في هذا البعد (عاشوراء الرمز والوظيفة) ويشاركنا في هذه الجلسة عدد من الباحثين والعلماء:

- سماحة الشيخ شفيق جرادي، بحثه بعنوان: (الدلالات الرمزية للثورة الحسينية).
- الأستاذ رفيق نصر الله، بحثه بعنوان: (شخصية البطل في إعلام عاشوراء).
- الأستاذ محمد محفوظ، بحثه تحت عنوان: (الوظيفة الثقافية والتربوية للثورة الحسينية).
- سماحة الشيخ نجف علي ميرزائي، وعنوان بحثه: (عاشوراء القضية الإسلامية الجامعة).

ومن الباحثين الذين شاركوا في المؤتمر بأبحاثهم: سماحة السيد محمد الترحيني، والدكتور إبراهيم بيضون، والأستاذ محمد محفوظ، والشيخ محمد سردرودي، والسيد محمد الحسيني، والشيخ شفيق جرادي، والأستاذ رفيق نصر الله، والشيخ نجف علي ميرزائي، والمخرج جواد الأسدي، والمخرج سايد كعدو، والأستاذ نايف كريم، والشيخ حسين الخشن.

لقاءات الشيخ الصفار في بيروت

وقد استقبل العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله في منزله سماحة الشيخ حسن الصفار صباح يوم الأربعاء ٢٨ يناير ٢٠٠٩م.

كما استقبل دولة رئيس مجلس النواب نبيه بري سماحة الشيخ الصفار ظهر يوم الأربعاء بقصره في عين التينة.

وزار سماحة الشيخ الصفار مجمع الإمام الصادق الثقافي صباح يوم الثلاثاء ٢٧

يناير، حيث استقبله الأستاذ حامد الخفاف، ممثل المرجع الأعلى السيد السيستاني، وأخذه في جولة على أقسام المجمع.

وزار الشيخ الصفار سماحة الشيخ غالب العسيلي لتعزيته بوفاة والده سماحة الشيخ حسين العسيلي ﵀، كما التقى سماحة السيد هاني فحص، ولبّى دعوة لزيارة مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ظهر يوم الثلاثاء ٢٧ يناير، حيث استقبله سماحة الشيخ نجف علي ميرزائي وعرض له مشاريع المركز وإنجازاته العلمية الفكرية، حيث أصدر المركز أكثر من ثمانين كتابًا ضمن أربع سلسلات:

- سلسلة الدراسات القرآنية.
- سلسلة الدراسات الحضارية.
- سلسلة الفكر الإيراني المعاصر.
- سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي.

الشيخ الصفار للمبتعثين في جامعة شمال ولاية (أيوا) بأمريكا

٧

المجتمع يتقدّم ويفخر بكفاءات أبنائه[1]

تحدّث سماحة الشيخ حسن الصفار عبر التلفون مع لقاء طلابي للمبتعثين في جامعة شمال ولاية (أيوا ـ Iowa) بمدينة «سدر فولز ـ Cedar Falls» صباح يوم السبت ٢٦ صفر ١٤٣٠هـ ٢١ فبراير ٢٠٠٩م، وهو يصادف مساء الجمعة حسب توقيتهم، وألقى محاضرة استغرقت ثلاثين دقيقة، حثّ فيها الطلاب على شكر النعمة التي يعيشون فيها، والفرصة الثمينة التي يتمتعون بها. منطلقًا من وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري: «يا أبا ذر، اغتنم خمسًا قبل خمس: صحتك قبل سقمك، وشبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك». لافتًا نظر الطلاب إلى أنهم يحظون بفرصة عظيمة يُغبطون عليها، حيث يعيشون في بيئة علمية، وتتوفر لهم إمكانات المعرفة والتعليم.

وأكّد سماحة الشيخ الصفار للطلاب أنهم يقومون بمهمة دينية في كسبهم للعلم والمعرفة، فطلب العلم الذي تحتاجه الأمة فريضة، وإحراز التقدم العلمي ضرورة لمصلحة الإسلام والأمة. وقال: إن بلادنا، والحمد لله، لا ينقصها شيء إلا توفر الكفاءات، التي تقود عملية التنمية. وإن المجتمع إنما يتقدّم ويفخر بكفاءات أبنائه، مشيدًا بنماذج من الكفاءات من أبناء المجتمع التي فرضت احترامها على المستوى الدولي: كالدكتور عبدالجليل الخليفة من الأحساء، الذي فاز أثناء دراسته في أمريكا بالمرتبة الأولى على مهندسي غرب أمريكا، وهو يتربع الآن على قيادة شركة بترولية أجنبية، وانتخب لرئاسة

---

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٢١/ ٢/ ٢٠٠٩م.

جمعية مهندسي البترول العالمية التي تضم (٧٥) ألف عضو، ليصبح بذلك أول رئيس للجمعية من قارتي آسيا وأفريقيا.

كما أشاد الشيخ الصفار بالدكتور حسام سعيد الحبيب من القطيف، وهو أخصائي جراحة المخ والأعصاب، الذي أدرجت قائمة مركيز أشهر موسوعة عالمية توثق مشاهير العالم في المجالات العلمية والإنسانية أدرجت اسمه ضمن أبرز شخصيات العالم لعام ٢٠٠٩م لقاء إنجازاته في مجال الأبحاث الطبية، التي شملت اكتشاف طريقة جديدة لإغلاق الأوعية الدموية، واكتشاف آخر يبسّط لجراحي العمود الفقري إجراء العمليات الجراحية المعقدة.

ودعا سماحة الشيخ الصفار الطلاب إلى أن يكونوا نموذجًا مشرقًا لوطنهم ومجتمعهم في التزام القيم الدينية والأخلاقية وهم يعيشون في مجتمع مفتوح.

وأن يلتقوا ويتواصلوا مع بعضهم البعض وإن اختلفت مناطقهم وآراؤهم وأمزجتهم، فهم يعيشون في مجتمع ضرب أروع الأمثلة في تجاوز الحواجز بين البشر، حين اختار رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من أصل أفريقي.

وعن إشكالية العلاقة مع الجنس الآخر، حيث يواجه المبتعثون من طلاب وطالبات حال الاختلاط في الجامعة والمجتمع الأمريكي، أجاب سماحة الشيخ الصفار بأن الإسلام لا يحرّم ولا يمنع الاختلاط بين الرجال والنساء، مع التزام الاحتشام والعفاف، والحرام هو الخلوة بين الرجل والمرأة والأجنبية، أما الاختلاط والتعامل فليس حرامًا.

لافتًا نظر الطلاب والطالبات إلى الحذر من تجاوز العلاقة العادية مع الجنس الآخر التي تفرضها طبيعة الزمالة والتعامل العام، فإن التجاوز إلى مستوى العلاقة العاطفية والمزاح والمرح يكون مدخلًا لمزالق الانحراف.

وحول مطالبة المبتعثين بزيارات العلماء والخطباء من البلاد لهم، وعدهم سماحة الشيخ بتشجيع مثل هذه المبادرات، داعيًا لهم بالنجاح والتوفيق شاكرًا للدكتور رضي المبيوق اهتمامه باحتضان الطلبة المبتعثين في الجامعة التي يدرّس فيها.

٧

الشيخ الصفار يطالب بإطلاق الموقوفين في حادثة البقيع[1]

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار خادم الحرمين الشريفين بوضع حدٍّ لممارسات التشدّد والإهانة التي يواجهها الزائرون الشيعة من المواطنين وغيرهم لمقبرة البقيع في المدينة المنورة من قبل جهات تابعة للمؤسسة الدينية الرسمية.

والتي كان آخرها التعرض لحشدٍ من نساء الشيعة الزائرات من القطيف والأحساء بالإهانة والهتك وهنّ في رحاب تلك البقعة المقدسة مساء يوم الجمعة ٢٥ صفر ١٤٣٠هـ.

وطالب بإطلاق سراح المواطنين الشيعة الموقوفين في أعقاب تلك الأحداث، ومحاسبة الجهات التي تسببت في ما حدث.

وأبدى قلقه من تلفيق التهم لأولئك الموقوفين وتبرئة المعتدين.

وأشار الشيخ الصفار إلى أن التعامل السائد مع ضيوف رسول الله وزائري البقيع ومقابر شهداء أُحُد يتنافى مع أخلاق الإسلام وحقوق الإنسان والتوجّهات التي يتبنّاها خادم الحرمين الشريفين في الحوار الوطني والإسلامي وحوار الأديان.

فغالبًا ما يواجه الزائرون هناك بالغلظة والشدّة، ويخاطبون بألفاظ نابية، وتؤخذ

---

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٩م.

من أيديهم كتب الزيارة والدعاء، وتفتعل لهم المشاكل، ويحال بعضهم على المحاكم الشرعية ليعاقبوا بالسجن بتهم ملفّقة، كما حصل ذلك مرارًا وتكرارًا لمواطنين شيعة من أهالي المدينة المنورة وأهالي الأحساء والقطيف.

مما يجعل مواسم الحجّ والعمرة والزيارة عرضة لحدوث التوترات المذهبية والطائفية، ويشوّه سمعة البلاد أمام ضيوف الرحمن الذين تبذل الحكومة جهودًا مكثفة لرعايتهم.

وتساءل الشيخ الصفار عن المستفيد من هذه التصرفات السيئة وعن تغاضي الحكومة عنها.

٧

الأحساء: الشيخ الصفار في حفل الأربعين وذكرى عودة السبايا إلى كربلاء[1]

«متابعة: صادق راضي العلي»

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار ـ حفظه الله ـ في حفل التأبين لأربعين الإمام الحسين وعودة السبايا إلى كربلاء، وذلك في حسينية الحاجي بقرية التويثير بالأحساء، مساء يوم الخميس ليلة الجمعة الموافق ٢٤/ ٠٢/ ١٤٣٠هـ ـ ١٩/ ٠٢/ ٢٠٠٩م. حيث بدأت الأمسية عند تمام الساعة الثامنة مساءً التي قدمها الأستاذ حسن العثمان، ثم تلاوة آيات من الذكر الحكيم بصوت الشاب علي الحمد، بعدها كانت كلمة الشيخ الصفار، وفيما يلي تلخيص لأهم ما ورد فيها:

افتتح سماحة الشيخ الصفار حديثه بالآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[سورة هود، الآية:١١٧]. إذ أردفها بما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام: «إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي. فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحقّ ومن ردَّ على هذا أصبر حتى يقضي الله بحكمه والله خير الحاكمين».

أكد سماحة الشيخ الصفار في مطلع حديثة أن الاحتفاء بالإمام الحسين إنما هو

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٩م.

احتفاء بقضية الإصلاح في الأمة؛ لأن الإصلاح في الأمة هو عنوان ثورة وحركة الإمام الحسين، حيث ينبغي أن لا يكون الاحتفاء بهذهِ القضية مقتصرًا على الحدود الزمنية التي حصلت فيها هذهِ القضية، فلسنا معنيين كثيرًا بتفاصيل الوضع السياسي والاجتماعي الذي عاصره الإمام الحسين وثار من أجل أصلاحه وتغييره بمقدار ما نحن معنيون بدراسة واقعنا، وكيف نستطيع أن نترجم أهداف النهضة الحسينية وتطلّعات هذهِ النهضة المباركة في واقعنا الذي نعيشه.

الإمام الحسين عليه السلام وحينما رفع لواء الإصلاح كان يريد أن يشقّ الطريق، ويريد من محبيه وأتباعه أن يسلكوا طريقه، فعندما رفع صوته في صحراء كربلاء وهو يطلب الناصر والمعين «أما من ناصر ينصرنا أما من معين يعيننا» لم يكن هذا النداء موجّهًا للقوم الحاضرين في تلك الصحراء وفي ذلك الزمن فقط، وإنما هو نداء مفتوح لكلّ الأجيال ولكلّ البلدان ولكلّ الأمم؛ لأن الحسين لم يكن شخصًا حتى تنتهي القضية بمقتله وشهادته، وإنما كان نهجًا ودربًا ورسالة، فما دام النهج قائمًا فإن صوت الحسين يتردّد في الآفاق: «أما من ناصر ينصرنا».

إننا بمقدار ما نتحدّث عن أولئك القوم الذين أصمّوا أسماعهم عن نداء الحسين ولم يلبوا نداءه وقبلوا لأنفسهم أن يشتركوا في تلك الجريمة النكراء، فإن علينا أن نعلم أننا اليوم نتعرض لنفس الامتحان، فمن يسكت اليوم على الظلم والعدوان والانحراف فإنه شبيه بمن شارك ورضي عن جريمة قتل الإمام الحسين، وعلى هذا يجب أن نتحدّث عن الإصلاح في واقعنا المعاصر كأمة وكمجتمعات.

وقسّم سماحة الشيخ حديثه حول الإصلاح إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: ضرورة الإصلاح

أكّد سماحة الشيخ الصفار في هذه النقطة على أن الإصلاح ضرورة في حياة كلّ مجتمع بشري؛ لأن المجتمع البشري تكون فيه ظواهر وممارسات تنحرف به عن الطريق المستقيم، وهذا أمر يحدث في كلّ مجتمع، كما أن جسم الإنسان يصاب

بالأمراض والأسقام، وذلك إما لأسباب ذاتيه كالأمراض الوراثية، أو لأسباب خارجية بسبب البيئة التي يعيشها الإنسان، لذلك فإن كلّ جسم معرض للمرض، وكلّ مجتمع معرض للنكسات. فلو قرأنا التاريخ فلن نجد مجتمعًا نقيًّا من الظلم وخاليًا من الفساد، وحتى أفضل المجتمعات كالمجتمعات التي كان يعيش فيها الأنبياء وخصوصًا ذلك المجتمع الذي عاشه نبينا محمد، لا تجد أحدًا يجزم أن ذلك المجتمع كان خاليًا من الانحرافات والظلم.

إذًا، وجود الانحراف والظلم والفساد أمر طبيعي وقائم في أيّ مجتمع بشري، ولكن المجتمعات تختلف في المواجهة للانحراف أو السكوت عن الانحراف، هناك مجتمعات تهتم في تصحيح أوضاعها وأمورها، وهناك مجتمعات لا تهتم بذلك.

فالآية الكريمة التي افتتحنا بها حديثنا، الله سبحانه وتعالى يقول فيها: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾. فالقرى ليس المقصود منها القرية الصغيرة، وإنما هي تعبير عن المجتمعات البشرية كلّها، فمن يسكت عن الظلم وعن الانحراف ومن أيّ مجتمع كان، فإنه يسير إلى الهاوية.

فوجود الظلم أمر طبيعي، ولكن مواجهة الظلم هو الأمر الذي ينبغي الاهتمام به، حيث إن وجود الإنسان الصالح في المجتمع لا يمنع الظلم ولا يمنع الخراب، وإنما يمنع الانحدار ويمنع مسيرة الدمار والهلاك في أيّ أمة أو مجتمع إنما هو وجود المصلحين، وليس وجود الصالحين، وهذا أمر واضح نجده حتى في جسم الإنسان عندما يفقد جهاز المناعة، فإن جسم الإنسان يصاب بالأمراض ويكون معرضًا للانتكاسات والصدمات.

وفي نهاية هذه النقطة، قال سماحة الشيخ الصفار: إن في بلداننا ومجتمعاتنا توجد مشاكل، وتوجد حالات من الظلم والفساد، وهذا أمر طبيعي، ولكن هل يوجد في كلّ مجتمع من هذه المجتمعات آليات لمواجهة هذهِ المشاكل أم هناك السكوت والخنوع، فنحن في حاجة في كلّ قرية من قرانا، وفي كلّ مدينة من مدننا، لوجود مجموعة من

الناس يتصدّون لقضايا المجتمع ويعالجون المشاكل، وهذا هو منطق القرآن ومنطق الإسلام انطلاقًا من مَبْدَأَي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المحور الثاني: مجالات الإصلاح

وقسّم سماحة الشيخ هذهِ المجالات إلى ثلاث نقاط:

١- الإصلاح الثقافي:

في هذه النقطة قال سماحة الشيخ الصفار بأن كلّ مجالات الحياة تحتاج إلى إصلاح، ونجد ذلك في المجال الفكري والمجال الثقافي، فالمجتمع توجد فيه أفكار سائدة، وفيه ثقافة معولمة. ونحن نعيش في عصر فيه انفتاح كبير غير محدود على مختلف الأفكار ووسائل الإعلام والاتصالات والمعلومات، فقد أصبح كلّ طفل من أطفالنا وعبر جهاز الكمبيوتر يطَّلع على كلّ ما هو موجود في هذا العالم، ويَطَّلع على مختلف المعلومات المتنوعة التي فيها الجيد والرديء.

فلا بدّ من وجود آلية لحماية عقول الناس وأفكارهم، وأن يرشد الحالة في الطريق الصحيح، ونجد ذلك جليًّا في حديث الإمام الحسن عندما قال: «عجبت لمن يفكر في مأكوله كيف لا يفكر في معقوله، فيجنّب بطنه ما يؤذيه ويدخل إلى عقله ما يرديه»، فنحن بحاجة إلى الإصلاح على هذا الصعيد، وأن لا نترك أبناءنا فريسة لهذهِ الأفكار والتوجّهات، ونلحظ ذلك من خلال بعض التصرفات الطائشة وبعض الممارسات المنحرفة التي ننزعج منها، ولكن يجب علينا أن نعرف أن هذه الممارسات المنحرفة نشأت من ثقافة وصلت إلى أبنائنا ونحن غافلين غير منتبهين.

وعلى جانب الإصلاح في الثقافة الدينية، قال سماحة الشيخ الصفار: علينا أن نتأكد من هذه الثقافة الدينية السائدة في أوساطنا ومجتمعاتنا؛ حتى لا يشوبها الخلل في بعض الأمور وبعض الممارسات، وهذا يدفعنا إلى الإصلاح، فقد نجد أن بعض هذهِ الثقافات تصلح لزمن معيّن ولكن ليس شرطًا أن تصلح في زمن آخر؛ لأن تطور

الحياة وتطور الزمن يحتاج إلى مواكبة فكرية، ولهذا باب الاجتهاد مفتوح حتى نستطيع مواكبة الحالة العلمية والمعرفية التي تحصل وتتطور من زمن لآخر.

٢- الإصلاح الاجتماعي:

وأكّد سماحة الشيخ الصفار في هذه النقطة على ضرورة الإصلاح الاجتماعي ومعالجة المشاكل الاجتماعية من خلال إصلاح ذات البين، وتطبيق مبدأ التعاون والألفة بين الناس، وتعزيز علاقة المحبة مع الأبناء، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم»، وهذا ينطبق أيضًا على علاقاتنا مع بعضنا بعضًا كمجتمع وكطائفة وكمذهب، فلماذا لا نستطيع أن نتعايش مع بعضنا بعضًا إذا اختلفت آراؤنا، ولماذا لا يحترم بعضنا بعضًا حينما تختلف توجّهاتنا، فعلينا أن نصلح نمط العلاقات بيننا، وأن يكون هناك توجّه للإصلاح على هذا الصعيد لأهميته في بناء المجتمع واستقرار أوضاعه.

٣- الإصلاح السياسي:

في هذهِ النقطة قال سماحة الشيخ الصفار: إننا معنيّون بالحالة السياسية من حولنا، وقد نجد انحرافًا وتقصيرًا من بعض الجهات ومن بعض الأجهزة الحكومية، فينبغي للمجتمع أن يكون يقظًا، وأن يكون طرفًا في إصلاح هذا الخلل، فالمواطنون لا يصحّ لهم أن يسكتوا عن تقصير الجهات الوظيفية الرسمية في البلد، وإنما يجب أن يكونوا عينًا رقيبة على أداء هذهِ الجهات بما يخدم مصلحة الوطن ويخدم أمن واستقرار المجتمع. ويجب أن لا نبرر تقاعسنا بأننا لا نستطيع ولا نتمكن ولا يفيد ذلك، وإنما ينبغي المبادرة والتصدي للقضايا العامة في البلد لمعالجة الفساد والخلل حتى لا يستمرّ الظلم مع مرور الزمن والوقت.

المحور الثالث: وسائل الإصلاح

وقسّم سماحة الشيخ وسائل الإصلاح إلى ثلاث نقاط:

١- الوعي:

وفي هذه النقطة قال سماحة الشيخ الصفار: يجب أن يكون هناك وعي بما يدور من حولنا، والتفكير في كلّ المجالات الموجودة بيننا، فلا يجب أن نقلّل من قدراتنا ونقول بأننا لسنا المعنيين بهذا التشخيص أو بهذا التغيير. وهذا نجده جليًّا فيما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

٢- المبادرة:

يجب المبادرة والاستجابة لضمير الواجب وعدم الاتكال على الغير، فالجميع مطالب بالإصلاح والتغيير. كما قال الإمام علي عليه السلام: «أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر» وهذا نجده في المجتمعات التي مارس الأعداء عليها الظلم والعدوان، ولكنها بادرت للتغير وبادرت للإصلاح، فكان النصر حليفها، كما هي الحال في لبنان وفي فلسطين.

٣- التعاون:

كلّ مجتمع لا يتطوّر ولا يتقدّم من دون التعاون والتكاتف، فالمجتمع يوجد فيه مجالات التطوير والإبداع، وذلك من خلال المشاركة في الجمعيات الخيرية والأندية الرياضية، وإصلاح أوضاع البيئة وحماية الأوضاع الصحية والاقتصادية للمجتمع، ويجب علينا أن لا نخنع للكسل والسكوت والرضا بالميسور، وإنما يجب التعاون والارتقاء بالمجتمع إلى أحسن الحالات، فالإمام الحسين عليه السلام حينما انطلق في ثورته كان الأفق أمامه مليئًا بالعقبات والصعوبات، ولكنه لم يتوقّف عن الحركة، ولم يتراجع عن مشروعه ونهجه، وها نحن نرى نتاج الحسين وثورته التي ظلت تصارع الزمن، وهكذا نحن يجب علينا أن نفكر على المدى البعيد، وليس في العمل الذي يكون نتاجه وقتيًا فقط، وإنما يجب أن نبني لأجيالنا ومستقبل أوطاننا وبلداننا.

وختم حديثة بالشكر الجزيل على إتاحة الفرصة له للحديث مع الأخوة الأعزاء في قرية التويثير بالأحساء التي ذكر بزياراته لها قبل أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، وعلاقته مع رجالاتها الطيبين الكرام.

وفي نهاية الأمسية، ألقى كلٌّ من الشاعرين ناجي حرابة، وحيدر العلي، قصيدتين، بمناسبة الذكرى، وبعد ذلك كان العزاء بصوت الرادود السيد ثامر الشخص.

وكان سماحة الشيخ الصفار قد قصد الأحساء صباح يوم الخميس، وزار عددًا من المجالس والشخصيات، ملبيًا لدعواتهم، حيث زار الحاج حسن الحبابي في العمران، كما زار العلامة الشيخ حسين الراضي في مكتبه في قرية (الحوطة)، ثم تناول طعام الغداء على ضيافة الأستاذ حسين بن حسن بن سلمان الحاجي، بحضور عدد من الشخصيات، وقدم له الأستاذ علي طاهر الحاجي، المدير التنفيذي لجهاز السياحة والآثار بالأحساء، هدية رمزية تمثل منظرًا رائعًا لعجائب الطبيعة في الأحساء فاز بجائزة دولية.

وأشاد الشيخ الصفار بالدور الوطني الذي تقوم به اللجنة ضمن هيئة السياحة في التعريف بمعالم هذه المنطقة، وإبراز مكانة الأحساء التاريخية والحضارية.

وعصر الخميس زار سماحته فضيلة الشيخ عبد الخالق الحاجي في قرية البطالية حيث استقبله مع عدد من شخصيات البلاد في طليعتهم فضيلة الشيخ علي المسبح.

ثم لبّى دعوة الوجيه محمد الخرس (أبو هاني) في منطقة الخرس بالهفوف، الذي جمع على شرف سماحة الشيخ نخبة من رجالات الاحساء من العلماء والوجهاء، من بينهم أصحاب الفضيلة: الشيخ عبد الأمير الخرس، والشيخ محمد جواد الخرس، والشيخ جواد الجاسم، والشيخ عادل أبو خمسين، وفي قرية التويثير أمَّ سماحة الشيخ الصفار المصلّين في المسجد الجامع لصلاتي المغرب والعشاء وشارك في مراسيم دعاء كميل.



٧

الشيخ الصفار يتحدّث في ذكرى الرسول عن كفاءة القيادة وأخلاقيات التعامل

«ماهر الصفار»

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في إحياء ذكرى وفاة الرسول الأعظم مساء يوم الاثنين ٢٨ صفر ١٤٣٠هـ الموافق٢٣ فبراير٢٠٠٩م في مسجد الإمام الحسين بمدينة صفوى، مستحضرًا سيرة النبي محمد ﷺ في إدارة شؤون الأمة والتخطيط لحماية حضارتها، فالمصيبة التي أصابت المسلمين بفقد الرسول عظيمة، فبموته انقطع وحي النبوة عن البشر، فقدت البشرية بفقده أعظم خير وبركة كان يتجسّد في شخصه وسيرته العطرة. هذه المصيبة المتجدّدة التي يعيش مرارتها المسلم في كلّ زمان تدفعنا للاتجاه إلى سيرة الرسول، وإلى نهجه، وهذا ما يحبّه ويريده منا، كما أن هذا ما يحثّ عليه القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[سورة الأحزاب، الآية:٢١].

ثم تحدث الشيخ الصفار عن القيادة، ومجالاتها وشروط نجاحها، وعن النبي القدوة، مقتبسًا أشعة ساطعة من سيرته ذاكرًا شروط نجاح القيادة التي تمثل الأمر الطبيعي في الحياة الاجتماعية البشرية، وضرورة وجود قيادة لأيّ مجموعة، تحكمها مصالح مشتركة تنسق وترشّد الخلاف بين أفرادها، وإلا فالفوضى وعدم النظام بين أفراده سيظلان هما المسيطران.

وهذا مشاهد ـ كما يقول سماحته ـ في أصغر وحدة اجتماعية، وهي العائلة، إذ لا بُدّ لها من قائد ومدبر، وهذا ما تنادي به الآية الكريمة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء، الآية:٣٤].

ثم أشار إلى ازدياد الحاجة للقيادة، كلما كبر الاجتماع البشري، فأورد مستشهدًا بما ورد عن رسول الله ﷺ في سنن أبي داؤد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم».

المحور الأول: مجالات القيادة

ثم عدّد سماحة الشيخ مجالات القيادة: فأشار إلى العائلة واللجان والجمعيات والقيادة الدينية والسياسية. وأشار إلى أبرز شرطين لنجاح أيّ قيادة في تحقيق أهدافها:

الشرط الأول: الكفاءة

حيث لا بُدّ من توفر الكفاءة في القائد ليحمل أعباء القيادة في المجال الذي يريد قيادة الناس إليه، أما فقدانها فيعني الفشل في قيادة الناس إلى ما يريده، وكما قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

بدءًا من قيادة العائلة، فالرجل الذي يقود العائلة يفترض فيه الكفاءة حتى تنجح العائلة، أما رؤية مشاهد الفشل من تفكّك ومشاكل أسرية، فأرجع سماحته أسبابها إلى ضعف في تأهيل القيادة، وأضاف بأن هذا مشاهد في قيادة الأمور المادية، فالدولة لا تسلم قيادة سيارة لشخص إلا بعد التأهيل والتعلّم والاختبار، فكيف بقيادة العائلة؟ لقد قرّرت ماليزيا عدم إجراء أيّ عقد زواج إلا بعد حصول الزوجين على دورة تأهيلية في الأمور العائلية، وبتطبيق هذا النظام انخفضت نسبة الطلاق في المجتمع الماليزي للحدود الدنيا بفعل التأهيل الأسري.

وهذا ما ينطبق على العاملين في المجالين الاجتماعي والتطوعي، فالكفاءة والتأهيل

تساعد على النجاح فيه.

ولم يغفل سماحته المجال الديني، حيث أكد أن على عالم الدين أن يكون مؤهلًا عارفًا بالدين بكلّ أبعاده، وأن يكون عالمًا بالمجتمع الذي يريد قيادته، وإلا فلن يكون مؤهلًا للنجاح لقيادة المجتمع قيادة دينية، لذلك ورد عن الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾: «العالم العارف بأهل زمانه لا تهجم عليه اللوابس»، وكذلك على الصعيد السياسي، لا بدّ أن يمتلك القائد التأهيل لقيادة الشعب لتحقيق أهدافه.

الشرط الثاني: أخلاق التعامل

إن الكفاءة وحدها دون التحلّي بأخلاق التعامل لاتكفي للنجاح؛ لأن الآخرين ربما يجهلون كفاءة القائد، وربما تتدخل الأهواء والمنافسة والمناوأة، وهنا تبرز أهمية التحلي بالأخلاق والقدرة على استيعاب المشاكل في نجاح القيادة، كما قال سبحانه وتعالى في الآية الكريمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩] التي أشارت إلى عظمة النبي ﷺ وكفاءته التي رافقتها الأخلاق العالية، وهذه من أسباب نجاحه في قيادته .

ثم أشار الشيخ الصفار إلى أن التعامل الأخلاقي يندرج في عدّة مستويات، ومنها:

المستوى العائلي: حيث شدّد سماحته أن الماديات من مأكل ومشرب لا تكفي للنجاح في قيادة العائلة مالم يصاحبه أخلاق وعطف وحنان وتجاوز عن الزّلات، مستشهدًا بما ورد عن الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ عندما سئل: ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسنًا؟ قال: «يشبعها ويكسوها، وإن جهلت غفر لها».

المستوى الديني: لو امتلك عالم الدين علوم الأولين والآخرين لما استطاع التأثير في الناس بدون الأخلاق في التعامل. وبذلك تؤكّد النصوص على اقتران العلم بالحلم، ومن ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أضيف شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم»، وأيضًا ما ورد عن الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ أنه قال: «اطلبوا العلم

وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم».

ثم انتقل سماحته إلى ما تعانيه الأمة وابتليت به من بعض الجماعات التي تمارس الدين بالغلظة والشدّة وما تسبّبت به من فتن وشرور. حيث تجاوز تشدّدها مستوى الأفكار إلى التعامل بالعنف. مُدِينًا ومستنكِرًا ما حصل في المدينة المنورة من اعتداء قامت به مجموعة من المتشدّدين يوم الجمعة ٢٥/ ٢/ ١٤٣٠هـ على الزوار الشيعة، على خلفية خلاف فقهيّ اجتهاديّ بين المسلمين حول زيارة القبور والتوسّل بالأولياء، ولكلّ إنسان الحقّ أن يؤمن بما يشاء، أما أن يتعدّى ذلك فيمارس العنف والشدّة على مخالفيه، فهذا غير مقبول. وهذا هو الحاصل للمسلمين المتلهفين المشتاقين القادمين للبقعة الطاهرة في المدينة المنورة بدل أن تكون مشعلًا لقيم الإسلام السمحاء، وهذا أكبر تشويه لصورة الإسلام والبلاد.

المحور الثاني: النبي القدوة

ذكّر الشيخ الصفار المستمعين بالهدف الأسمى من ذكر سيرة الرسول ﷺ وهو التأسي والاتباع، ثم ذكر لمحات من سيرته المباركة مستعرضًا:

احترامه للناس: حيث كان يلقي السلام حتى على الصغار، واحترامه لمخالفيه: حيث كان يقول: إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه. ردًّا على اعتراض الأصحاب على تقديره وحفاوته واستقباله لزعماء المشركين.

وأشار سماحته في نهاية حديثه أن الرسول بهذه الأخلاق دخلت محبته نفوس الناس واستطاع التأثير فيهم، وأن قيمة الأخلاق الحقيقية تظهر مع المخالفين لك، لا مع الموافقين لك، إذ لا فخر للإنسان بالتعامل الحسن مع موافقيه، وبهذه الأخلاق غرست محبة الرسول في النفوس.

جدير بالذكر أن سماحته أحيا هذه المناسبة أيضًا في مجلس حسينية المصطفى بالخويلدية في نفس الليلة.

٧

الشيخ الصفار يشارك في وفد رجالات الشيعة للقاء الملك والمسؤولين حول أحداث البقيع[1]

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الوفد الذي ضم أكثر من مئة من رجالات الشيعة، من أهالي القطيف والأحساء والمدينة المنورة، للقاء الملك والمسؤولين في الرياض، حول أحداث البقيع في المدينة المنورة.

وقد انطلق الوفد صباح يوم الأحد ٤/ ٣/ ١٤٣٠هـ الموافق ١/ ٣/ ٢٠٠٩م إلى الرياض، حيث التقى مساء يوم الأحد مساعد وزير الداخلية للشؤون الأمنية الأمير محمد بن نايف، الذي كلّفه خادم الحرمين الشريفين بلقاء الوفد، واختار الوفد الذي ينوف عددهم على المئة شخص عددًا من الشخصيات للتحدث باسمه، وكان منهم إلى جانب الشيخ الصفار الشيخ عبدالله الخنيزي، والسيد منير الخباز، والسيد هاشم السلمان، والشيخ منصور الطاهر، والدكتور السيد عدنان الشخص، وقد تناول كلّ واحد من المتحدثين جانبًا من جوانب خلفيات ووقائع وتداعيات أحداث البقيع المؤلمة.

واستمر اللقاء مع سمو الأمير محمد بن نايف أكثر من ساعتين في قاعة بمبنى وزارة الداخلية، وتخللته مداخلات من عدد من المشاركين في الوفد.

وكان التركيز في الحديث على ثلاثة محاور:

---

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠٠٩م.

١. معالجة أسباب المشكلة المتمثلة في سوء تعامل أفراد الهيئة المشرفة على مقبرة البقيع مع الزائرين الشيعة.
٢. إطلاق سراح الموقوفين ومعاقبة المعتدين الذين استخدموا القوة والعنف تجاه الزائرين.
٣. لقاء خادم الحرمين الشريفين.

وقدموا لسمو الأمير محمد بن نايف ملفًّا يحتوي تقارير وصورًا ومعلومات عن وقائع الأحداث.

كما تحدث أمامه بعض ممن شهد الأحداث، ناقلًا بعض صور الاعتداءات على الزائرين من ضرب بالسلاسل وطعن بالسكاكين.

وقد أصغى الأمير محمد بن نايف للمتحدثين ولكل المداخلات، وطرح مجموعة من الملاحظات، ووعد بمتابعة الموضوع ونقل طلبات الأهالي للملك.

وفي ظهر يوم الثلاثاء ٦/ ٣/ ١٤٣٠هـ الموافق ٣/ ٣/ ٢٠٠٩م التقى من تبقى في الرياض من الوفد (حوالي أربعين شخصًا) خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حيث صافحهم جميعًا، وتحدث عنهم الشيخ عبدالله الخنيزي في سياق المحاور السابقة، وقدّم خطاب الأهالي الذي وقعه مئات المواطنين من الأحساء والقطيف.

وبعد عودة الوفد إلى محلّ إقامته في فندق قصر الرياض جاء مستشار الملك، رئيس شؤون الموظفين في الديوان الملكي، الشيخ محمد بن سويلم للقاء الوفد في الفندق، معتذرًا لهم عن قصر وقت اللقاء لانشغال الملك بلقاء رؤساء دول ووفود رسمية، وأبلغهم قرار الملك بإطلاق سراح الموقوفين في المدينة المنورة والقطيف.

كما اتصل سمو الأمير محمد بن نايف تليفونيًا ليؤكد العفو الملكي، ويؤكد الاهتمام بمتابعة أسباب الأحداث ومعالجتها.

٧

الشيخ الصفار في استقبال الشيخ الحضري: لا بُدّ من الوقاية من تكرار ما حدث في البقيع[(١)]

«عبد الباري الدخيل»

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه في القطيف مساء الاثنين ١٢ربيع الأول١٤٣٠هـ سماحة الشيخ جواد الحضري، القادم من الأحساء للمراجعة الطبية إثر ما أصابه في ما عرف بأحداث البقيع.

وقد تحدث سماحة الشيخ الصفار مرحبًا بالضيف داعيًا الله سبحانه أن يمنّ عليه بالصحة والعافية، شاكرًا الشيخ الحضري الذي أصرّ أن يرفع التكليف ويقوم هو بزيارة الأخوة في القطيف ليطمئنهم على صحته، كما شكر سماحته الأخوة الحضور على مشاعرهم الإنسانية المتدفقة، وعلى حضورهم للاطمئنان على سلامة الشيخ جواد.

ثم تحدّث سماحة الشيخ الصفار عن الأحداث التي جرت في المدينة المنورة في الأسبوع الفائت، وعن مشاعر الأمل التي لاحت في أفق المجتمع القطيفي والأحسائي إثر تجمع وفد من علماء وأعيان المنطقة للسفر إلى الرياض ومقابلة المسؤولين لشرح ما حدث والمطالبة بإصلاح الأخطاء.

وأضاف سماحته: إن المناطق التي تعيش وحدة مذهبية كالصومال ودارفور في

---

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ١٠/ ٣/ ٢٠٠٩م.

السودان، أصابها إعصار الحرب والدمار بسبب التعصب والتشدّد، فما بالكم بالمناطق التي تعيش تنوعًا عرقيًّا أو مذهبيًّا؟ إذا أرادت الأمة أن تعيش الاستقرار والسلام فلا بُدّ لها من قبول الآخر، وبث ثقافة التسامح والمساواة، وحقوق الإنسان.

من جهته شكر الشيخ جواد الحضري الشيخ الصفار والعلماء والجمهور الحاضر وطمأنهم على سلامته، وقال: الإصابات كانت بليغة لولا حماية الله لكنت في حالة أخرى.

وأضاف: لقد أصبت بأكثر من طعنة، لكن اثنتين كانتا هما الأخطر، الأولى بالقرب من الرئة، والثانية قريبة من العمود الفقري قد تؤدي لو لامسته إلى الشلل، لكن لطف الله دفع البلاء، فله الحمد.

وأشار إلى أنه أغمي عليه بعد الضرب الذي تعرض له، لكن نُقل له أن أكثر من خمسة وعشرين رجلًا قبض عليهم متهمون بضربه.

كما ألمح إلى دور الإعلام الذي سلّط الضوء على الحادثة، فغير مسارها.

٧

الشيخ الصفار يشارك في مؤتمر الفقه الإسلامي وتحدّيات العصر[1]

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في أعمال المؤتمر الثاني للهيئة العالمية للفقه الإسلامي، الذي انعقد تحت عنوان (الفقه الإسلامي وتحدّيات العصر).

وقد انعقد المؤتمر بتاريخ ١٥-١٦ربيع الأول١٤٣٠هـ الموافق ١٢-١٣ مارس ٢٠٠٩م في مدينة اسطنبول في تركيا بمشاركة أكثر من ستين عالمًا ومفكرًا إسلاميًّا من مختلف الدول والمذاهب الإسلامية.

والهيئة العالمية للفقه الإسلامي مؤسّسة علمية مستقلة تضمّ علماء من أكثر من بلد إسلامي. وأمينها العام سماحة السيد أبو القاسم الديباجي.

وقد شارك الشيخ الصفار في المؤتمر بورقة عمل تحت عنوان (موقعية حقوق الإنسان في الفقه الإسلامي).

كما شارك في المؤتمر من المملكة العربية السعودية المستشار الشيخ محمد صالح الدحيم، قاضٍ سابق في محكمة ليث بمكة المكرمة.

وشارك في المؤتمر رئيس الوقف السني في العراق الشيخ أحمد عبد الغفور السامرائي، ورئيس الوقف الشيعي السيد صالح محمد الحيدري، وكذلك المفتي

---

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ١٤/ ٥/ ٢٠٠٩م.

الجعفري الشيخ محمد العسيران، مفتي صيدا، والسيد عبد الصاحب الخوئي، أمين عام مؤسسة الإمام الخوئي، والشيخ عبدالحليم الزهيري، مستشار رئيس الوزراء العراقي، والدكتور عبد السلام راجح من مؤسسة الشيخ كفتارو بسورية، ووفد من الحوزة العلمية في النجف الأشرف ضمّ كلًا من: الشيخ أحمد البهادلي، والسيد صادق الخرسان، والسيد عمار أبو رغيف، والسيد جعفر الحكيم، والسيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ إبراهيم النصيراوي، والشيخ هيثم السهلاني.

وشارك في المؤتمر سماحة الشيخ عيسى الخاقاني، والشيخ عبدالعظيم المهتدي، ورئيس إدارة مسلمي القوقاز، وعلماء مقيمون في أوربا إضافة إلى بعض علماء الشيعة في تركيا، والدكتور الشيخ عبداللطيف هميم أمين عام جماعة علماء ومثقفي العراق، والدكتور نصر محمد الكيلاني، الأستاذ في جامعة أم درمان الإسلامية.

المتروك استقبل الوفد الجعفري بحضور المحمد وحيدر[1]

أقام الحاج علي المتروك أمس الأول حفل عشاء على شرف المشاركين في ملتقى الوقف الجعفري بحضور سمو رئيس الوزراء الشيخ ناصر المحمد، ورجل الأعمال الحاج محمود حيدر، وعدد من قياديي الدولة وبعض من سفراء دولة الكويت والكتاب والإعلاميين.

ورحب الحاج علي المتروك بضيوفه أصحاب السماحة والفضيلة العلماء الأجلاء، معبرًّا بذلك عن وفرة مشاعره تجاههم، متمنيًا لهم طيب الإقامة في بلدهم الثاني الكويت.

ومن جانبه قال مستشار ملك البحرين الشيخ محمد علي الستري إنه وبمناسبة مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يجمعنا الحاج علي المتروك لنلتقي على الحب للحبيب المصطفى ﷺ ولإخواننا الكويتيين، ولهذا البلد المضياف المعروف بأهله ورجاله وبصدقه الحقيقي.

وأضاف الستري: إن هذا الملتقى الكريم ملتقى الوقف الجعفري الثالث جمع كوكبة ونخبة متميزة من العلماء وأصحاب الفكر ليقدموا رؤيتهم وخبرتهم في مجال المقاصد الوقفية وتأصيلها وتطويرها. وأكد الستري أن الفرد في الكويت يشعر دائمًا

---

(١) جريدة الدار الكويتية. الثلاثاء ٢٠ ربيع الاول ١٤٣٠، ١٧ مارس ٢٠٠٩ - العدد ٣٣٥.

أنه في نفق واحد يستطيع من خلاله أن ينطلق ويفكر ويبدع، مشيرًا إلى أن جميع أصحاب السماحة والفضيلة العلماء الكرام حملوا من بلادهم المختلفة رسائل حبٍّ للشعب الكويتي ولقيادته السياسية، متمنيًا لهم وللشعب الكويتي مزيدًا من التقدم والازدهار والتطور.

وأشاد الستري بدور المؤسسة العامة للوقف في الكويت في إنجاز هذه المهمات الكبيرة التي ألقيت على عاتقهم، كما شكر القائمين على إدارة الوقف الجعفري لما بذلوه من جهد كبير في التنظيم والتحضير والاستعداد لإنجاح هذا الملتقى.

محاور الملتقى

ومن جانبه قال الشيخ أحمد حسين إبراهيم، رئيس مجلس الأوقاف الجعفرية في المملكة البحرينية: إنني ولأول مرة أحضر هذا المؤتمر حيث وجدت فيه التنظيم والتنسيق، مضيفًا أن محاور المؤتمر هي ثلاثة وكلّها تصب في مقاصد الواقفين، وأن هذه المقاصد يجب أن تبحث إضافة للخروج بنتائج مرضية لتعمل على تنمية الوقف واستثماره وإرضاء الواقفين ككل، متمنيًا بأن يخرج المؤتمر بتوصيات مهمّة، كما خرجت المؤتمرات السابقة.

مشاركة شعبية

وبدوره أشار الشيخ حسن الصفار إلى أن الشيعة هم جزء من مواطني البلد، وأنه ينبغي أن يأخذوا دورهم في بناء أوطانهم سواءً في التنمية الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية. وأضاف الصفار: إن الظروف السابقة التي كان الشيعة يعيشون فيها من ناحية التهميش والإقصاء الذي تعانيه الوجودات الشيعية في كثير من البلدان والمناطق ومن ناحية أخرى الميل للانطواء والانتقاء الذي تعيشه جماعاتنا الشيعية.

وقال الصفار: إن تهميش أي جزء من أجزاء المجتمع وإقصاءه هو خسارة للوطن وللمجتمع كلّه، مشيرًا إلى أننا الآن نعيش في عصر الانفتاح، وخاصّة أننا نعتقد أن

التشيع ليس قبيلة وإنما هو رسالة، وبالتالي فعلى أبناء هذا المذهب وأبناء هذه المدرسة أن يحملوا هذه الرسالة للآخرين. وأكد الصفار: إننا بحاجة لأن نتجاوز حالة التهميش والإقصاء وحالة الانطواء، حيث إننا في ساحتنا الداخلية لدينا حذر من أيّ انفتاح ومن أيّ مؤسّسة رسمية؛ لأننا نخشى بمجرد دخول أيّ مؤسّسة رسمية أو جهة حكومية أن نفقد من خلال ذلك خصوصيتنا واستقلاليتنا.

أهلية الوقف

وأوضح الصفار: إننا لم ننجح في أن نكوِّن مؤسّساتنا الأهلية الداخلية، مشيرًا إلى أن الوقف إذا لزم أن يكون أهليًّا يجب عليه أن يكون أهليًّا وليس بالشكل الفردي. وتطرق الصفار للحديث عن أحكام الوقف للمذاهب المختلفة، قائلًا: لن تجد فوارق كثيرة بين أحكام الوقف على صعيد المسألة الفقيه مقارنة بآراء المذاهب بموضوع الوقف، وأن الخلاف الموجود هو في توجّهات الواقفين، مشيرًا إلى وجود العديد من الأوقاف في الشيعة، وأن موارد الخلاف في الوقف قليلة في المذاهب وهي ليست أكثر من الخلاف بين المذاهب. وقال الصفار: إنه لو أتيحت الفرصة للشيعة وعوملوا على قدر المساواة مع سائر شرائح المجتمع الذي يعيشون فيه لأثبتوا كم كانت وطنيتهم وحكمتهم لأوطانهم وعملهم في الإطار الرسمي.

الدخول في المؤسّسات الرسمية

وأشار الصفار إلى أن الانفتاح والدخول في المؤسّسات الرسمية لا يفقدها خصوصيتها ولا يؤثر في التزامها بأحكام مذهبها، مطالبًا إدارة الوقف الجعفري في الكويت بأن ينتجوا هذه التجربة ليكسبوا صلة المجتمع ويكونوا محلّ ثقة المرجعيات الدينية، وحتى يشجعوا تكرار هذه التجارب في المناطق الأخرى. وختم الصفار: إن المجتمع والجهات الدينية والفكرية تساعد على إنجاح هذه التجربة؛ لكي يكون الشيعة ويكون التشيع هو جزء من الحالة الإسلامية والحالة الوطنية في كلّ بلد ووطن.



٧

رئيس الوزراء التقى ضيوف ملتقى الوقف الجعفري[1]

شدّد سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ ناصر المحمد على أن الشعب الكويتي جُبِلَ على التسامح الديني واحترام كلّ الأديان السماوية والمذاهب المختلفة، مؤكّدًا أن الكويتيين طوال تاريخهم ساروا على هذا النهج، فكلّ منهم يحترم الآخر بغضّ النظر عن التوجّهات واختلاف المذاهب. وأضاف المحمد خلال حفل الاستقبال الذي أقامه علي المتروك في ديوانه لضيوف الكويت المشاركين في مؤتمر الوقف الجعفري الثالث: «إن المعيار الحقيقي هو ما يقدّمه المواطن لبلده من تضحيات، وما يساهم به في رفعة شأنه ومكانته، مشيرًا إلى أن الولاء ليس كلامًا وشعارات، بل تقديم مصلحة الكويت على ما عداها من مصالح».

وزاد بالقول: «إن الاحترام المتبادل بين النسيج الاجتماعي في الكويت من ركائز وسمات الحياة الاجتماعية في وطننا الغالي منذ نشأته، وإننا سوف نستمرّ على هذا الطريق الذي رسمه أجدادنا وآباؤنا لتظلّ الكويت أرض المحبة والتعايش، متمنيًا من الجيل المقبل أن يتمسّك بهذا النهج الذي سار عليه الكويتيون منذ قديم الزمان.

ومن جانبه، ألقى الحاج علي المتروك كلمة شكر فيها سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ ناصر المحمد وحضوره ورعايته لحفل العشاء تكريمًا لضيوف الكويت،

---

(١) جريدة القبس الكويتية. نشر بتاريخ ١٦/ ٣/ ٢٠٠٩م.

مما يدلّ على مدى المحبة والتآلف بين الحاكم والمحكوم في ظلّ القيادة السياسية الحكيمة لسمو أمير البلاد الذي يتواصل مع أبناء شعبه في كلّ المناسبات الاجتماعية والدينية، مما رسّخ مفهوم الأسرة الواحدة في بلدنا الكويت».

وقال علي المتروك: إن مشاركة هذا الجمع الطيّب من علماء ومشايخ ومفكرين لرجال الدين في الكويت، واجتماعهم هنا لهو خير رسالة على مدى تقبل الكويت وقيادتها بإقامة مثل هذه اللقاءات على أرض الكويت، مضيفًا أن الحوار أصبح مطلوبًا اليوم قبل أيّ وقت مضى، وأن لغة التسامح والإصغاء للطرف الآخر يجب أن تسود بيننا؛ لأننا جميعا نهدف إلى استقرار أوطاننا وشعوبنا، وواجب علينا أن نعزّز هذا الاستقرار ونعمة الأمان التي نعيشها بالحوار الهادف بعيدًا عن العصبية والبغضاء والطائفية.

وبعدها ألقى كلمة الوفود مستشار ملك البحرين للشؤون القضائية والدينية محمد علي الستري، معربًا عن تقديره للحكومة الكويتية على الحفاوة التي وجدوها في الكويت خلال المشاركة في أعمال مؤتمر الوقف الجعفري، مضيفًا «أن التجمع يهدف إلى تقديم رؤية في مجال المقاصد الخيرية الوقفية بهدف تأصيلها وتطويرها، وإننا في الكويت نشعر بأننا في أفق البحر ينطلق ليفكر ويبدع، وجئنا إليها نحمل رسائل الحبّ إليكم جميعًا، متمنيًا للشعب الكويتي وقيادته كلّ توفيق وازدهار».

لا للتهميش

ومن جانبه، ألقى رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار كلمة أكّد فيها أن هذا التجمع في الكويت يدلّ على أن الشيعة جزء من هذه الأوطان، ولذا يجب أن يأخذوا دورهم في بناء أوطانهم، مضيفًا أن الظروف السابقة التي كان يعيشها الشيعة كانت تغلب عليها سمتان: الأولى: التهميش والإقصاء، وهو ما كان يعانيه الشيعة في كثير من هذه البلدان والمناطق، ومن ثم الميل إلى الانطواء الذي كانت تعيشه المجتمعات الشيعية، وكلا الأمرين لا شك أنهما يضران بالأوطان؛ لأن تهميش أيِّ طرف من

المجتمع وإقصاءه خسارة للوطن، كما أن الانطواء والانكفاء يضرّ بمن يمارس هذه الحالة، خاصّة أننا نعيش في زمن الانفتاح.

وأضاف الصفار: «إننا بحاجة إلى منطقة عبور صعبة، والتصدّي للهواجس بين الطرفين، وأننا في ساحتنا الداخلية لدينا حذر من أيٍّ انفتاح مؤسسة رسمية، مشيرًا إلى أن الوقف الجعفري يرتبط بالأئمة عليهم السلام وما يرتبط بالحالة المذهبية، ولذلك عمل المسؤولون في الكويت على إنجاح هذه التجربة حتى تكون رائدة مطمئنة وتطمئنّ الحكومات من جهتها، وأنهم يعملون ضمن الإطار الرسمي، خاصّة عندما يعاملون على قدم المساواة مع سائر شرائح المجتمع الذين يعيشون فيه، فتكون رسالة تطمين للحكومات وكذلك للمجتمعات الشيعية».



60 عالمًا من السنة والشيعة أكّدوا أهمية الوحدة الإسلامية[1]

أكّد الأمين العام للهيئة العالمية للفقه الإسلامي السيد أبو القاسم الديباجي أن الإسلام، بمبادئه السامية ورسالته العالمية الخالدة وبقوته الذاتية، مؤهل لمواجهة تحدّيات كلّ العصور، مشدّدًا على أنه يجب على المسلمين أن يرتقوا بوعيهم وفهمهم لشموخ هذا الدين العظيم، وأن يتّحدوا في ظلّه كأمة واحدة.

وأضاف الديباجي خلال كلمة في افتتاحه أعمال المؤتمر الثاني للهيئة العالمية للفقه الإسلامي في إسطنبول المنعقد تحت عنوان «الاسلام وتحدّيات العصر» أنه لتحقيق الوحدة الإسلامية ومواجهة التحدّيات، فإنه يتوجّب الرجوع إلى الأصالة وفتح قنوات اتصال جديدة مع الغرب.

من جانبه أكّد الداعية حسن الصفار أن الإسلام أسّس منظومة متكاملة من المبادئ والمفاهيم والإجراءات التي تعزّز حقوق الإنسان، مشدّدًا على مبدأ المساواة بين أفراد البشر ذكورًا وإناثًا على اختلاف انتماءاتهم.

وقال الصفار: «إذا كنا كمسلمين نفخر بريادة قرآننا الكريم في إعلان حقوق الإنسان وبنموذجية الممارسة السياسية والاجتماعية الملتزمة حقوق الإنسان في العهد النبوي الشريف، فإننا يجب أن نشعر بالأسف والأسى لتخلّف معظم واقعنا

(١) جريدة الوطن الكويتية . نشر بتاريخ ١٨/ ٣/ ٢٠٠٩م.

التاريخي والحاضر عن مستوى التزام حقوق الإنسان».

وتابع الصفار: «إن تاريخنا الإسلامي السياسي في معظمه وكذلك حاضرنا ابتلي بداء استبداد انعدمت فيه المشاركة السياسية للأمة، وتقلصت الحريات العامة، وسادت لغة القمع، وتلاشت قيمة الإنسان وأهدرت حقوقه».

وأضاف: «إن هذا الواقع السيئ انعكس على الجانب الثقافي المعرفي حيث تم تجاهل وتغييب ما صدع به القرآن من إعلان حقوق الإنسان، وما ورد في السيرة النبوية، وجرى تأويل كلّ ذلك وتسييره بما يمنع تفعيله في واقع الحياة ليبقى مجرد آيات كريمة تتلى لطلب الثواب، وسيرة شريفة تحكى للتبرك والفخر».

وذكر الصفار أن العمل الاجتهادي نشاط له قواعده وأدواته، لكن المجتهد الذي يؤدي العمل الاجتهادي إنسان له خلفيته الفكرية ومشاعره الاجتماعية وليس جهازًا آليًا. واعتبر الصفار أن هناك تفاوتًا واضحًا وبونًا شاسعًا بين مستوى الاهتمام بحقوق الإنسان وبين موقعها في الفقه الإسلامي.

يذكر أن ما يربو على ٦٠ عالمًا من السنة والشيعة أكّدوا عبر مشاركتهم في مؤتمر الهيئة العالمية للفقه الإسلامي الثاني أهمية الوحدة الإسلامية وتقديم صورة مشرقة للإسلام والبعد عن التعصّب والإرهاب.

الصفار: لدينا لقاءات عمل بمسؤولي الدولة.. ورسالة مكتبنا تنمية المجتمع[1]

في خطوة غير مسبوقة على الصعيد المحلي استعرض مكتب الشيخ حسن الصفار تقريره السنوي مساء الجمعة الماضي في حفل عام حضره أكثر من ٤٠٠ شخصية شيعية من مختلف مناطق المملكة.

ويغطي التقرير مجمل أنشطة المكتب إلى جانب تحركات الشيخ الصفار على المستوى المحلي والدولي في الفترة من سبتمبر ٢٠٠٧ حتى نهاية ديسمبر ٢٠٠٨.

وقال الصفار في مستهلّ الحفل الذي أقيم على صالة الفرقدين بالقطيف وافتتح بآي من الذكر الحكيم، أن رسالة مكتبه تتلخّص في تنمية المجتمع وتعزيز موقعيته الوطنية.

ودعا في كلمته الجهات الدينية إلى تطوير دورها وأدائها تبعا للتطور الزمني وعدم الاكتفاء بممارسة أدوار تقليدية كالماضي.

مضيفًا بأن رجل الدين يجب أن يحمل برنامجًا لرسالته وأهدافه التي تتناسب مع المعطيات الزمنية الحالية، وأن تكون عينه على التطوير وتنمية المجتمع، ولم تعد مهمته فقط إدارة الأوضاع القائمة على حدّ تعبيره.

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٩م.

وخلص إلى أن الدور الأبرز لرجال الدين يكمن في توجيه طاقات المجتمع وإنهاض الناس لتحمّل مسؤولياتهم في كافة المجالات الدينية والحياتية.

واستعرض التقرير مشاركات الشيخ الصفار ولقاءاته السياسية والثقافية والدينية على المستوى المحلي والدولي.

وكشف عن أبرز اللقاءات المحلية التي شملت الملك عبد الله وولي العهد وكبار الوزراء والمسؤولين في الدولة، إلى جانب لقاء غير مسبوق جمع الشيخ الصفار بمفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ.

لافتًا إلى أن مجمل اللقاءات التي تمت مع كبار مسؤولي الدولة التي يستعرضها التقرير كانت جزءًا من برنامج عمل، ولم تكن زيارات تشريفية.

كما أورد سلسلة اللقاءات والمؤتمرات التي حضرها الصفار على المستوى الإقليمي والدولي.

وأوضح التقرير كذلك قيام العديد من رؤساء الهيئات والفعاليات الرسمية والوطنية وأصحاب الفكر والثقافة بزيارة مكتب الشيخ الصفار.

كما أشار إلى الحضور الإعلامي للشيخ الصفار عبر المقالات في الجرائد والمجلات المختلفة، وكذلك لقاءاته وحواراته مع القنوات الإذاعية والفضائية العالمية.

التقرير السنوي غير المسبوق محليًّا أوضح كذلك مجمل الواردات المالية المتمثلة في الحقوق الشرعية، التبرعات، الصدقات، الكفّارات وقضاء العبادات.

إلى جانب المصروفات التي تمثلت في المساعدات العامة، كمساعدة طلبة العلوم الدينية، الفقراء، الجمعيات والهيئات الخيرية والثقافية.

كما استعرض التقرير الأنشطة الثقافية للمكتب، التي برز من أهمها دعم المؤسسات الثقافية، وطباعة الكتب التي بلغت ١٨ كتابًا جديدًا تجاوزت عدد نسخها المئة ألف نسخة، بالإضافة إلى ترجمة عدد من الكتب الأخرى.

وعن قسم الإصلاح الاجتماعي أوضح التقرير أن المكتب يتولى دراسة المشاكل الاجتماعية والأسرية الواردة إليه بمعدل ثلاثين مشكلة شهريًّا عبر حضور المعنيين مباشرة أو استقبال شكاواهم عبر الموقع الإلكتروني.

وحول الموقع الإلكتروني للشيخ الصفار الذي تم تدشينه في عام ١٩٩٩م كأول موقع إلكتروني خاصّ بأحد علماء الدين الشيعة في السعودية أصبح خلال العام الأخير وجهة لأكثر من مئتي ألف زائر من داخل المملكة وخارجها وفقًا للإحصاءات الإلكترونية.

كما أشار التقرير إلى تأسيس القسم النسائي في مكتب الصفار كآخر أقسام المكتب التي أُسِّسَت حديثًا، ويهدف إلى الارتقاء الواعي بمستوى المرأة في كلّ الاتجاهات.

شارك في الحفل أكثر من ٤٠٠ شخصية شيعية من رجال الدين والوجهاء والشخصيات الاجتماعية والثقافية من مختلف مناطق المملكة.



يزور السيد فضل الله والشيخ النابلسي

٧ سماحة الشيخ الصفار يشارك في مؤتمر دولي عن فكر العالمين العلايلي ومغنية[١]

«محمد عبد الله المقرب»

بدعوة من هيئة الإشراف على المؤتمر الدولي في فكر العالمين الكبيرين الشيخ عبد الله العلايلي والشيخ محمد جواد مغنية والمنعقد في بيروت في ٢٤ آذار ٢٠٠٩م، شارك سماحة العلامة الشيخ حسن الصفار بورقة بحث بعنوان: «مقوّمات الشجاعة الفكرية في شخصية الشيخ محمد جواد مغنية» التي أوضح فيها متى يتكون الرأي عند الإنسان، وإلى دور القدرة العقلية الخارقة التي يتمتع بها الإنسان، كما بين أن الحاجة ماسّة إلى تشجيع صناعة الرأي، خاصّة في الأوساط العلمية والثقافية وتجاوز حالة الركود وتوارث الآراء واجترار الأفكار، وأن أهم عائق يواجه الإنسان في مجال الإبداع الفكري هو الرهبة الداخلية الناشئة من ضعف الثقة بالذات والوقوع تحت تأثير الانبهار بشخصيات أخرى ذات قداسة ونفوذ تصبح سقفًا تمنع انطلاق التفكير.

وأشار في ورقته إلى دور الاجتهاد في الدين ضمن الضوابط العلمية ودوره في اتّساع المعارف الناتجة عن الاستمرار في القراءة والمراجعة للنص والتراث الديني، مما يعني تلافي ثغرات آراء السلف واستكشاف لمعالجات النوازل الحادثة، لكن مسيرة النّمو والتقدّم في المعرفة الدينية عانت من الركود وطول التوقف في الكثير من

---

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٩م.

محطات الزمن تبعًا لواقع الأمة التي تأثرت بواقع الاستبداد السياسي وحال التخلّف الاجتماعي، مما أدّى لتوقف حركة الإبداع والتطوير والتمسك بالموروث دون تحقيق وتمحيص وإضفاء القداسة على آراء السلف وتجريم أي مخالفة لرأي المشهور.

وأشار إلى أنه حينما يتمرّد باحث على تلك الأجواء الضاغطة تتخذ بحقّه إجراءات قاسية تبدأ من التشكيك في الكفاءة العلمية إلى الاتهام في الدين وصولًا إلى إسقاط الشخصية والعزل الاجتماعي.

وأشار إلى أنه في طليعة العلماء الرواد في هذا العصر الفقيه المجدّد الشيخ محمد جواد مغنية (١٣٣٢- ١٤٠٠هـ) الذي توفرت في شخصيته درجة عالية من الشجاعة والإقدام تجاوز بها كلّ التحفظات والعوائق وتحدّى أجواء الإرهاب الفكري، وأشار إلى أن الشيخ مغنية:

- اتّجه بخطابه وبيانه إلى جمهور الأمة ليكتب للمثقفين ويؤلف للشباب ويحدث الناس بلغة واضحة بعيدًا عن أساليب التعقيد والغموض، وقلّ نظيره في أوساط الفقهاء لجهة يسر اللغة والقدرة على الإيضاح والتبيين عند تناول القضايا الفلسفية والعقدية والأبحاث التخصصية العلمية كأصول الفقه.
- الشفافية في الخطاب، التي لم تألفها الأوساط الدينية، حيث يكون العالَم الشخصي لعالم الدين في مشاعره وأحاسيسه واهتمامه ورغباته، بعيدًا عن الأضواء لا يرى الناس منه إلا مظاهر القداسة والالتزام، لكن كتابات الشيخ مغنية تظهره بشفافية أمام جمهور القراء حيث يحدّثهم عن إنجازاته وإخفاقاته ويصارحهم بمشاعره وأحاسيسه ويكشف لهم عن الكثير عن تفاصيل حياته اليومية.
- كانت شجاعته نابعة من مقوّماته الذاتية ولم تكن نتاجًا لبيئة مساعدة، أو إفرازًا لقوة منصب أو موقع.

- ثقته بذاته من أهمّ مقوّمات شجاعته الفكرية، فقد أطلق العنان لفكره، ولم يمارس القمع لنفسه في داخله، بل كان يعمل عقله ويحترم نتائج بحثه دون أن يعني ذلك الاستهانة بآراء الآخرين.
- من مقوّمات شجاعته الفكرية عشقه للعلم والمعرفة، فبالإضافة إلى الدروس الحوزوية والحضور الواعي لأبحاث الفقهاء، أفنى عمره في المطالعة والبحث، حيث قرأ حسب كلامه آلاف الكتب والمجلات في مختلف مجالات المعرفة.
- إذا تكونت له قناعة وتشكل له رأي من خلال أدوات البحث العلمي، فإنه يبادر إلى إعلانه وإظهاره بكلّ شجاعة وإقدام، وقبول النقد العلمي والاستعداد للاعتراف بالحقّ، يقول ﵀: «أما النقد، فلا أخشاه ما دمت قادرًا على الاعتراف بالحقّ والواقع».
- من مقوّمات شجاعته الفكرية قوة شخصيته في التعبير عن رأيه، جعلته يتحدّى الضغوط الداخلية ولم يكن يأبه بها ولا يكترث بصخبها، بل يتحدّث عنها بنبرة التهكم والتحدّي.
- من مقوّمات شجاعته الفكرية الزهد في المواقع والمكاسب، فلم يكن طموحه أن يكون مرجعًا للتقليد أو إمام جماعة أو قابضًا لأخماس ولا رئيس مؤسسة. وحين دخل في سلك القضاة لم يقبل أيّ مساومة مع باطل أو فساد، لذلك لم تتجاوز مدّة عمله الفعلي في القضاء إلا سنين معدودة.

هذا، وختم العلامة الشيخ حسن الصفار ورقته عن الشيخ مغنية بعبارة: «كانت حرية الرأي والموقف أولويته المطلقة، ولا قيمة دونها لأيِّ مكسب آخر».

جدير بالذكر أن المؤتمر تضمّن كلمة راعي الحفل، دولة رئيس مجلس النواب، الأستاذ نبيه بري، وكلمات كلٍّ من: سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان، ونائب الأمين العام لحزب الله، وممثل مفتي الجمهورية اللبنانية، ورئيس المجلس

الإسلامي الشيعي الأعلى، وأمين عام مجمع التقريب بين المذاهب.

هذا وقد احتوى المؤتمر على عدّة جلسات:

- الجلسة الأولى: محور الوحدة الإسلامية والتقريب، ورئيس الجلسة سماحة الشيخ محمد علي التسخيري.
- الجلسة الثانية: محور العلامة الشيخ محمد جواد مغنية، ورئيس الجلسة سماحة الشيخ محمد حسن أختري.
- الجلسة الثالثة: محور العلامة الشيح عبد الله العلايلي، ورئيس الجلسة سماحة الشيخ حسن الصفار.
- الجلسة الرابعة: محور العلامة الشيخ محمد جواد مغنية، ورئيس الجلسة الشيخ محمد يزبك.
- الجلسة الخامسة والختامية: محور العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، ورئيس الجلسة سماحة الشيخ ماهر حمود.

كما زار سماحة العلامة الشيخ حسن الصفار المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله، وسماحة العلامة الشيخ عفيف النابلسي، كما أجرى بعض اللقاءات على هامش المؤتمر مع العديد من الشخصيات العلمائية والأكاديمية المشاركة في المؤتمر.

7

الشيخ خالد المُلّا يُشِيد بتجربة الشيخ الصفار ودوره الوحدوي

أثنى الشيخ خالد الملا على دور الشيخ حسن الصفار وتجربته الوحدوية من خلال مشاركته في الحوار الوطني، ومؤلفاته المميزة في شؤون الوحدة والحوار والوطنية.

وقال الشيخ الملا في حوار بثته قناة الفيحاء[1] مؤخرًا أن: العلامة الشيخ حسن الصفار لعب دورًا كبيرًا ومميزًا في جمع كلمة المسلمين من خلال مشاركته في الحوار الوطني، وإظهار دور المواطن، وكتب كتبًا في أمور المواطنة وغيرها.

وأضاف رئيس جماعة علماء العراق فرع الجنوب (البصرة): «العلامة الصفار كتب عن الولاء الوطني، وأن ولاء الشيعة لأوطانهم التي يعيشون فيها، وهذا الكلام يدلّ على فهم واسع يتميّز به سماحة العلامة الصفار؛ لأنه كان يصرّ أن ولاءه لوطنه، لما لهذا الكلام من دور كبير في الحفاظ على اللحمة الوطنية».

وانتقد، في ختام حديثه، إعراض الإعلام عن مثل هذه الأطروحات الوحدوية، وهذه الشخصيات الفاعلة.

جاء ذلك في برنامج فضاء الحرية، الذي تبثّه قناة الفيحاء، وكان الحوار حول ما عرف بأحداث البقيع، وقد شارك في الحوار الدكتور السيد حمزة الحسن، وزيد العيسى، الباحثان السياسيان.

---

(١) يوم السبت ٢٨ فبراير ٢٠٠٩م.



٧

الشيخ الصفار في ضيافة الدكتور المحرج

زار سماحة الشيخ حسن الصفار ليلة الجمعة ١٤ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ الموافق ١٠/٤/٢٠٠٩م الدكتور الداعية الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز المحرج في الرياض، الذي استقبل سماحة الشيخ بكلّ حفاوة وترحيب، ودعا على شرفه عددًا من طلبة العلوم الشرعية الأفاضل، وبعض الإعلاميين والكتّاب، وقد دار الحديث في اللقاء عن ضرورة التواصل والحوار في قضايا الخلافات المذهبية، التي أصبحت ساحةً للإشاعات والتعبئة الطائفية المقيتة، بسبب انعدام التواصل والحوار بين العلماء والدعاة من الطرفين السنة والشيعة على المستوى الوطني.

وقد رافق سماحة الشيخ الصفار في هذه الزيارة كلٌّ من الدكتور توفيق السيف، المهندس جعفر الشايب من القطيف، المهندس حسن مرزوق النخلي، الأستاذ حسين بنجي النخلي من المدينة المنورة، الأستاذ أحمد الناصر والسيد عبد العزيز الحسن من الأحساء.

وكان الدكتور عبد الرحمن المحرج قد زار القطيف والأحساء أكثر من مرة، وتحدث في عدد من الندوات، وشارك في المجلس الحسيني ليلة عاشوراء في القطيف.

وهو داعية سلفي مهتمّ بالإصلاح الأسري، ويشارك في عدد من البرامج في التلفزيون السعودي، وفضائيات أخرى، وهو من دعاة الحوار والتقارب والتلاحم الوطني.



الصفار يدعو المرأة لمزيدٍ من الحراك الثقافي والأدبي[١]

أكّد الشيخ حسن الصفار في كلمةٍ ألقاها في ختام أعمال الورشة الأدبية التي نظمتها اللجنة الأهلية لتنمية الموارد البشرية بتاروت مساء الأربعاء ١٩ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، بضرورة مشاركة المرأة في الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية.

ومشيرًا إلى أن أيسر وأفضل الطرق للمشاركة هو العمل الفكري والمعرفي، معللًا ذلك لما للمجالات الأخرى من عوائق ومشاكل تقف في كثيرٍ من الأحيان أمام إبداع المرأة وتحقيق أمنياتها.

وموضّحًا بعد ذلك ما للكتابة من أثر فاعل في صقل الموهبة وسبب مباشر للمشاركة، قائلًا: «رأينا في المملكة كيف أن بعض السيدات حينما كتبن روايات وقصصًا تتناول همومًا وشجونًا معاصرة يعيشها الناس، كيف فتح أمامهنّ الطريق، وأصبحن نجومًا في الإعلام والمجتمع، بسبب هذه الروايات وتلك الكتابات».

ومضيفًا إلى أن احتراف المعرفة دافع لزيادة المعرفة قائلًا: «أنتنّ إن تعلمتنّ الكتابة وأجدتنّ الطرح الفكري والأدبي هذا بلا شك سوف يدفعكنّ للمزيدِ من المعرفةِ، كما أنها تعودكنّ على الممارسة، والممارسة أفضل طريق النجاح والتقدّم. والمسألة ليست مسألة نظرية محضة، قد يستفيد الإنسان في كثير من الأحيان من المقترحات

(١) شبكة التوافق الإخبارية. نشر بتاريخ ١٨/ ٤/ ٢٠٠٩م.

والأساليب والأفكار لكن يبقى على الإنسان أن يمارس والممارسة، كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: «في التجاربِ علمٌ مستحدث».

ومركّزًا على أهمية تسويق المعرفة وإيصالها للناس بطرقٍ سهلة وميسرة بعيدًا عن المترادفات اللغوية التي قد يجهلها البعض نظرًا للتحولات اللغوية التي شهدتها اللغة العربية وابتعاد أبنائها عن فهم الكثير من مدلولاتها.

وناشد سماحته جميع المثقفين والمهتمين بضرورة أن يمتلكوا أدواتٍ تساعد على إيصال المعرفة لجميع فئات الناس، وألّا تقتصر مؤلفاتهم على فئةٍ دون أخرى، فالدين الإسلامي، كما يقول، يحثّ الإنسان على العلم وتعليمه، وتمنى كذلك أن يجد أسماءً نسائية جديدة تثري العقول بطريقة سلسة سهلة، قادرة على إيصال الفكرة الواضحة.

أما مدرّب الدورة، الكاتب والإعلامي حسن آل حمادة، رأى أنه من حقّ المرأة أن تكتب وتثبت وجودها وكيانها كيفما تشاء وبأي لغة تريد، وعلى الرجل ألّا يقف موقف الوصي المحطّم لهذا الحقّ والطموح.

وأبدى آل حمادة ارتياحه الشديد لمدى إقبال المرأة لمثل هذه الدورات التي يجدها رصيدًا جديدًا يضيفه لاهتماماتها وتفوّقها على قرينها الرجل.

ومضيفًا إلى أن إقامة مثل هذه الدورات يعطي المرأة شعورًا خاصًّا في إثبات كيانها ومكانتها، فالمرأة بكل وضوح وإنصاف هي أكثر اندفاعًا من الرجل فيما يخصّ الكتابة وفيما يخصّ أمورًا أخرى كذلك.

ومؤكّدًا أن الرجل حين يعمل على استفزاز المرأة فإنها ستثبت له قدراتها الإبداعية القائمة على التميز والتفرّد في مجالات منافسة له.

يذكر أن الدورة التي أقيمت بالتعاون مع مكتب الشيخ حسن الصفار القسم النسائي بالقطيف على مدى خمس ليال حملت شعار: «لا تكن ظلًا للآخرين وأنت تكتب». التي هدفت إلى التركيز على مجموعة من المهارات الكتابية، يأتي في طليعتها فنّ كتابة المقالة مرورًا بالحوار والتقرير، إضافة لكيفية وضع خطة ناجحة لتأليف الكتاب.

٧

الشيخ الصفار يتحدّث عن مسؤولية الدولة والمجتمع في معالجة أزمة الإسكان[1]

بدعوة من جمعية تاروت الخيرية، شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في برنامج وضع حجر الأساس لمشروع الإسكان الأهلي بتاروت الذي تقوم عليه الجمعية، والاحتفاء بمؤسّس المشروع الأستاذ سلمان محمد حسن الجشي وذلك يوم الاثنين ٢٤ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠ أبريل ٢٠٠٩م في استراحة الدعلوج بتاروت.

وقد تحدّث سماحة الشيخ ضمن الحفل عن أهمية المسكن للإنسان وعما يمثله من همٍّ وحاجة أساس، ثم أعرب سماحته عن سعادته وسروره أن يعيش هذه اللحظات وهو يرى أبناء بلده يتنافسون على فعل الخير، فهذا ليس بمستغرب عليهم، وقد ربّتهم الآباء والأجداد على ذلك.

ثم تحدّث الشيخ عن أهمية السكن وأنه حاجة أساس حينما لا تتوفر فإن حياة الإنسان لا تهنأ ولا تستقر، فالسكن من ضروريات الحياة، ونحن اليوم نعيش في ظروف صعبة، صار امتلاك المنزل ضربًا من الأحلام، كيف لا وما تشير له الدراسات أن قريبًا من نصف المواطنين لا يمتلكون منازل، حيث حذّرت دراسة في مجلس الشورى من أزمة إسكان في المملكة بسبب وجود فجوة كبيرة بين العرض والطلب، وأوضحت الدراسة أن ٥٥٪ من السعوديين فقط يملكون منازل خاصة، وأن الإسكان

---

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٢/ ٤/ ٢٠٠٩م.

في المملكة يحتاج إلى ما يقارب ٢٤٠٠ مليار ريال في العشرين سنة القادمة، مع العلم بأن بعض المنازل التي يمتلكها بعض المواطنين ليست بالمساكن المناسبة.

وأضاف سماحته: إننا مطالبون أن نعمل بجدّ، وأن تتضافر جهود الدولة والقطاع الخاصّ، للتخفيف من حدّة هذا المشكل.

وعن مسؤولية الدولة، قال سماحة الشيخ: «ينبغي منح الأراضي وتوزيع المخططات في المدن والقرى على ذوي الدخل المحدود بحيث تخفف اشتعال أسعار الأراضي السكنية التي يعجز محدودو الدخل عن شرائها، كما ينبغي للدولة أن تفعّل صندوق التنمية العقارية بتسريع الإقراض وعمل سقف زمني لمدة انتظار طالبي القرض، ومنح فرص أوسع للاقتراض، وأن تقوم البلديات بتوفير الخدمات العامة (ماء وكهرباء وإسفلت) للمخططات الجديدة».

وعن مشاركة الناس في هذا المشكل، قال سماحته: «نحن أيضًا نتحمّل جزءًا من المسؤولية، فأن يكون في جزيرة تاروت وحدها ٤٥٠ أسرة محتاجة إلى مسكن مناسب، هذا غير مقبول، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من كان له دار واحتاج مؤمن إلى سكناها فمنعه إياها، قال الله عزّ وجلّ: ملائكتي، عبدي بخل على عبدي بسكنى الدنيا، وعزّتي لا يسكن جناني أبدًا»».

وختم سماحة الشيخ الصفار حديثه بشكر جمعية تاروت على جهودها المبذولة في خدمة الفقراء والمحتاجين، وشكر راعي الحفل وصاحب فكرة المشروع الأستاذ سلمان الجشي، داعيًا له بدوام التوفيق، كما قدّم شكره لوالده الحاج الوجيه محمد حسن الجشي الذي حضر الحفل.

هذا وقد شارك في الحفل رئيس مجلس الجمعية الأستاذ حسين المشور بكلمة، أعقبها كلمة أهالي تاروت، ألقاها المهندس شاكر نوح، ثم تم تكريم راعي المشروع بدرع، بعد ذلك انتقل الحضور لمكان المشروع، حيث وضع الحاج الوجيه محمد حسن الجشي حجر الأساس للمشروع.

الشيخ الصفار والدكتور المحرج يواصلان مساعي التقريب والوحدة

لا يجوز الاستسلام أمام أمواج الفتن الطائفية مهما تصاعدت، ولا يصحّ اليأس وفقدان الأمل في مسيرة التقريب والوحدة مهما تعثرت، فهناك من يعمل بإصرار وعناد على إشعال فتن الخلافات والصراعات المذهبية، لتمزيق الأمة، وزعزعة الأمن والاستقرار في أوطان المسلمين.

فلا بُدّ من تصدّي الغيارى على مصالح أمتهم وأوطانهم لمواجهة تلك المحاولات المشبوهة، ومن أجل إصلاح ذات بين المسلمين، دون يأس أو كلل.

بهذه الروح الرسالية والعزيمة الثابتة يواصل سماحة الشيخ حسن الصفار جهوده الإصلاحية الوحدوية، رغم كلّ العوائق والضغوط الداخلية والخارجية.

ومما يعزّز الأمل، ويبشّر بالخير، وجود من يتجاوب ويتفاعل مع هذه الجهود، من علماء أهل السنة والدعاة السلفيين انطلاقًا من نفس المبدأ والهدف، ومنهم فضيلة الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز المحرج، الذي زار الأحساء والقطيف أكثر من مرة، والتقى مع عدد من علماء الشيعة ومثقفيهم، وتحدّث في ندوات أقيمت لهذا الغرض، وحضر المجلس الحسيني ليلة عاشوراء ١٤٣٠هـ في القطيف، وألقى كلمة ارتجالية في الموكب الحسيني بسيهات.

ثم استضاف سماحة الشيخ الصفار في الرياض ليلة الجمعة ١٤ ربيع الآخر

١٤٣٠هـ الموافق ١٠/ ٤/ ٢٠٠٩م بحضور بعض طلبة العلم والمثقفين من السلفيين.

وحين طرح عليه بعض العلماء والدعاة السلفيين تساؤلات حول حقيقة موقف الشيعة من قضايا عقدية حسّاسة، توجه بالسؤال عنها لسماحة الشيخ الصفار، طالبًا إجابة مكتوبة واضحة، تسند دعوته إلى التقارب والتواصل مع الشيعة، ورغم أن الشيخ الصفار سبق أن أجاب عن مثل هذه التساؤلات في لقاءات تليفزيونية وصحفية، كما أن علماء الشيعة قد كتبوا حولها أبحاثًا وكتبًا مفصّلة، إلا أنه أجاب عن رسالة الدكتور المحرج، ليؤكد ما سبق أن أعلنه من آراء ومواقف.

وفيما يلي نص رسالة الدكتور المحرج، وإجابة الشيخ الصفار ننشرها تلبية لرغبة الدكتور المحرج جزاه الله خير الجزاء، ووفقه للصلاح والإصلاح.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم الشيخ حسن بن موسى الصفار وفقه الله لكلّ خير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:ـ

امتدادًا لرغبتنا في مدّ جسور التواصل بين أبناء المذهبين السني والشيعي بما يحقق وحدة كلمة المسلمين وتلاحم وطننا الغالي، أفيدكم بأنني قد تحدثت مع بعض طلبة العلم من المذهب السني وأثاروا نقاطًا أودّ منكم توضيح موقفكم وموقف جمهور علماء المذهب الشيعي المعاصرين منها ليتسنّى لي إيضاحها لهم من مصدرها، ومنها ما يلي:

١. قذف أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٢. سبّ الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

٣. تكفير الصحابة رضوان الله عليهم.

٤. موقفكم اتجاه الكتب التي ورد فيها قذف أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أو سبّ

الشيخين أو تكفير الصحابة رضوان الله عليهم.

٥. موقفكم من الأشخاص الذين يقولون بقذف عائشة رضي الله عنها أو سبّ الشيخين أو تكفير الصحابة رضوان الله عليهم..

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يستخدمنا في ما يرضيه عنّا، وأن يجعلنا سببًا في وحدة كلمة المسلمين على الحقّ، وفي سد الثغرات في وجه كلّ من يحاول تفريقنا أو سوءًا ببلادنا الغالية، حماها الله من الشرور وجميع بلاد المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلمّ تسليمًا كثيرًا.

أخوكم عبدالرحمن بن عبدالعزيز المحرج
١٤/ ١/ ١٤٣٠هـ

وقد تسلّم الشيخ الصفار الرسالة من الدكتور المحرج ليلة استضافته من قبل الدكتور السيد عدنان الشخص بتاريخ ٤ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، وفيما يلي نص إجابته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم الدكتور الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز المحرج حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكر الله لك السعي في ما تبذل من جهود طيبة لرأب الصدع بين أبناء الدين الواحد والوطن الواحد، وجزاك الله خيرًا لمبادرتك للتواصل وبناء جسور التعارف والمحبة بين مواطني هذا البلد العزيز.

وما أحوج الأمة والوطن لمثل هذه الجهود والمبادرات الكريمة في وقت يسعى فيه الأعداء لإشعال الفتن وتمزيق صفوف المسلمين، وتهديد الأمن والاستقرار في بلدانهم.

أخي الكريم،

طلبتَ في رسالتك إيضاح رأيي ورأي جمهور علماء الشيعة المعاصرين حول بعض المسائل التي يرى علماء أهل السنة والجماعة أنها مفصلية وأساسية في موضوع العلاقة بين الطرفين. وأجيب عمّا طرحت من تساؤلات على نحو الاختصار والإيجاز، علمًا بأن عددًا من علماء الشيعة قد تناولها بالبحث والتحقيق في كثير من مؤلفاتهم المطبوعة.

كما سبق لي أن أجبت عن معظمها في حوارات ومقابلات منشورة في الصحافة السعودية.

١. نعوذ بالله من القول بتكفير الصحابة، بل إن رأي جمهور علماء الشيعة هو الحكم بإسلام كلّ من نطق بالشهادتين وصلّى إلى قبلة المسلمين، فهم لا يكفّرون أحدًا من أهل القبلة، فضلًا عن صحابة رسول الله، الذين شرّفهم الله تعالى بصحبة خير خلقه، وكرّمهم بنصر دينه ورسالته.

نعم، لا يقول الشيعة بعدالة كل الصحابة كما يقول جمهور أهل السنة والجماعة، ولهم في ذلك أدلتهم، لكنهم لا يذهبون إلى تكفيرهم، والعياذ بالله.

٢. أما سؤالك عن سبّ الصحابة وخاصة الشيخين، فإن الشتم والسباب ليس من خلق المسلم ولا من خلق العاقل، وأنا أرفض وأدين سبّ الخلفاء الراشدين والصحابة، وأرى أنه ينطبق عليه أكثر من عنوان للتحريم والمنع، وقد سبق وأعلنت ذلك في مواقف متكررة.

وأجزم أن هذا هو موقف مراجع الشيعة.

٣. أما موقف علماء الشيعة من قذف أمّ المؤمنين عائشة، فإنهم يرون أن نساء نبينا محمد، بل نساء جميع الأنبياء السابقين منزهات عن الفاحشة ما ظهر منها وما بطن، ولا يجوز ولا يليق الطعن بعرض رسول الله أو عرض أحد من الأنبياء

صلوات الله عليهم أجمعين.

ونبرأ إلى الله تعالى من ذلك البهتان العظيم.

٤. صرّح كبار علماء الشيعة بالقول بصيانة القرآن عن أيّ زيادة أو نقصان، وأن الله تعالى قد تعهّد بحفظه عن أيّ تحريف، وهو المصحف المتداول بين أيدي المسلمين في الماضي والحاضر. يتلوه الشيعة والسنة ويعتمدونه مصدرًا أساسًا لدينهم إلى جانب السنة النبوية، ويقرؤون منه في صلواتهم، ويتسابقون في حفظه وتلاوته، ويدرسون تفسيره.

٥. إن القول بصيانة القرآن وعدم تحريفه، وبراءة أمّ المؤمنين عائشة من الإفك، وعدم تكفير الصحابة وسبّ الشيخين، هو القول المعتمد عند جمهور علماء الشيعة، وخلاف ذلك قول شاذّ، ولا تخلو أيّ طائفة أو جماعة من آراء شاذّة، ولا يصحّ مؤاخذة الطائفة بالآراء الفردية والشاذّة. ومن يذهب إلى شيء من تلك الآراء الشاذّة فإننا نخطئه ولا نقبل ذلك منه أبدًا.

أما الكتب التي يرد فيها مثل تلك الآراء، فإن علماء الشيعة لم يعتمدوا أيّ كتاب من كتبهم بشكل مطلق، وحتى الكتب الأربعة (الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه) ليست كلّها أحاديث صحيحة السند وقطعية الصدور عند الشيعة، بل هي مجرد مجاميع حديثية، مثل مسند الإمام أحمد وكنز العمال عند السنة. فما صحّ سنده من تلك الكتب نقبله، وما لم يصح نردّه.

فما ورد في كتب الشيعة من تلك الآراء الشاذّة التي يظهر منها القول بتحريف القرآن، أو تكفير الصحابة، أو سبّهم، أو قذف السيدة عائشة، فهو قول مردود لا نقبله.

هذا ما أمكن تحريره على وجه السرعة لفضيلتكم في الإجابة عن الأسئلة التي طرحتموها، والإجابة المفصّلة موكولة إلى الكتب الكثيرة المطبوعة التي ألفها المحققون من علماء الشيعة. وهي بحمد الله متوفرة.

وتقبلوا منّي خالص الشكر والتقدير لدوركم الإصلاحي ومسعاكم الوحدوي، جعله الله في ميزان أعمالكم وحسناتكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حسن بن موسى الصفار

٥ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ

٧

رجل الدين الشيعي الصفار يكشف عن مراسلات تعيد إحياء التفاهم المذهبي في السعودية[1]

كشف الشيخ حسن الصفار عن مراسلات وصفت بالهامة أجاب فيها عن تساؤلات عقائدية طرحها داعية سلفي معروف، ما يعيد الأمل في إحياء المباحثات المتوقفة بشأن التفاهم المذهبي في السعودية.

وتضمّنت المراسلات التي نشرها موقع الصفار على الإنترنت أجوبة على مسائل طرحها الداعية السني الشيخ عبدالرحمن المحرج وشملت: سب وتكفير الصحابة وقذف السيدة عائشة، وسلامة القرآن الكريم من التحريف. إضافة إلى الموقف من الأشخاص أو الكتب التي انطوت على الإساءة لكبار الصحابة والسيدة عائشة.

وبرّر المحرج تساؤلاته بأنها تأتي «امتدادًا لرغبتنا في مدّ جسور التواصل بين أبناء المذهبين السني والشيعي بما يحقّق وحدة كلمة المسلمين وتلاحم وطننا الغالي».

مضيفًا أن تلك التساؤلات جاءت حصيلة لحديث «مع بعض طلبة العلم من المذهب السني» الذين يرغبون في الاطّلاع على موقف جمهور علماء المذهب الشيعي المعاصرين منها.

وأجاب الشيخ الصفار عن مسألة تكفير الصحابة بأن «الشيعة لا يكفّرون أحدًا من

(١) جريدة القدس العربي ٢٤/ ٠٤/ ٢٠٠٩م.

أهل القبلة فضلًا عن صحابة رسول الله».

مستدركًا في الوقت نفسه بأن الشيعة «لا يقولون بعدالة كلّ الصحابة كما يعتقد أهل السنة». وأوضح بأن رأي جمهور علماء الشيعة «الحكم بإسلام كلّ من نطق بالشهادتين وصلّى إلى قبلة المسلمين».

كما رفض في جواب آخر سبّ الخلفاء الراشدين والصحابة، ورأى بأن ذلك «ينطبق عليه أكثر من عنوان للتحريم والمنع» جازمًا بأن ذلك هو موقف مراجع الشيعة.

وحول الموقف من قذف السيدة عائشة، قال الصفار: إن الشيعة يرون أن نساء النبي محمد ونساء جميع الأنبياء السابقين منزّهات.

مضيفًا أنه لا يجوز ولا يليق الطعن بعرض رسول الله أو عرض أحدٍ من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وأكّد على أن القول بصيانة القرآن الكريم وعدم تحريفه وبراءة أمّ المؤمنين عائشة من الإفك وعدم تكفير الصحابة وسبّ الشيخين هو القول المعتمد عند جمهور علماء الشيعة «وخلاف ذلك قول شاذّ».

موضّحًا بأنه لا يصح مؤاخذة الطائفة بالآراء الفردية والشاذة «ومن يذهب إلى شيء من تلك الآراء الشاذّة فإننا نخطئه ولا نقبل ذلك منه أبدًا».

وختم بشأن الموقف من الكتب الشيعية التي وردت فيها الآراء التي يظهر منها القول بتحريف القرآن أو تكفير الصحابة أو سبّهم أو قذف السيدة عائشة بأن «ذلك قول مردود لا نقبله».

ومثّلت المسائل الآنفة مادة خصبة للفتاوى التي يطلقها رجال دين سلفيون بحقّ الشيعة من حين لآخر.

وقال متابعون إن أجوبة الصفار التي تداولتها على نطاق واسع أوساط دينية سلفية في الرياض والقصيم أحدثت ردة فعل إيجابية دفعت الشيخ المحرج إلى دعوة الصفار

إلى الرياض الجمعة قبل الماضية.

وحضر اللقاء الذي عقد بمنزل الشيخ المحرج حشدٌ من الشخصيات الشيعية ورجال الدين السلفيين الذين أبدوا انطباعات طيبة حول ما تضمنته مراسلات المحرج والصفار.

وقالت مصادر سلفية مطّلعة أن رجل دين سلفيًّا بارزًا عرف بتشدّده ازاء المذهب الشيعي أطلق لأول مرة تصريحات إيجابية لمقرّبين منه بشأن الشيعة عندما اطّلع على تلك المراسلات التي وصفتها بالهامّة.

ونقلت تلك المصادر عنه القول: «إذا كانت هذه أقوال جمهور علماء الشيعة فهم إخواننا في الدين».

يشار إلى أن المحرج زار المناطق الشيعية في الأحساء والقطيف عدّة مرات، والتقى أبرز الشخصيات الشيعية، كما شارك في فعاليات عاشوراء الماضية عبر إلقاء كلمة أمام المعزّين الشيعة في سيهات.

وقال مراقبون إن الخطوة الأخيرة ربما تعيد إحياء الحوار الشيعي السني في السعودية وتدفع به قدمًا بعد توقّف دام سنوات بعد أن قطع شوطًا في سبيل توقيع وثيقة تفاهم تمنع الإساءة لمعتقدات الطرفين في المملكة.



شدّد على «ضرورة التزام زوار العتبات بآداب وأهداف الزيارة»

٧

رجل الدين الشيعي السعودي الصفار: الطائفية من ألوان العنصرية[1]

دعا رجل الدين السعودي الشيعي الشيخ حسن الصفار لإطلاق حملةٍ ضدّ الطائفية، ووجّه نداءه لمنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية وكلّ المؤسّسات العربية والإسلامية، مؤكّدًا أن الطائفية لونٌ من ألوان العنصرية.

وقال الصفار في تصريحات نشرها موقعه على الإنترنت: «إن خطر الطائفية التي يشهدها العالم العربي والإسلامي اليوم يختلف عنه في الماضي، فقد كانت الأمة في أوج قوّتها قديمًا، وكانت القضايا الطائفية لا تؤثر إلا كأثر الإصابة البسيطة في الجسم القوي، واليوم فإن الأمة أصبحت كالجسم الذي فقد جهاز المناعة، فأيّ إصابة قد تودي به» .

وأشاد الصفار بالموقف الإيراني في المؤتمر الدولي لمناهضة العنصرية، الذي عقد في جنيف، ووجّه اللوم إلى الموقف العربي الضعيف في مواجهة إسرائيل .

وحذّر من مواجهات جديدة مع قوات الأمن في المدينة المنورة خلال عطلة نصف الفصل الدراسي، حيث يتوقّع أن يتّجه عدد كبير من الشيعة لزيارة العتبات المقدّسة في المدينة المنوّرة .

(١) جريدة الوطن البحرينية. الخميس ٣٠ إبريل ٢٠٠٩م - العدد (١٢٣٧).

ووجّه الشيخ الصفار خطابه إلى الزائرين بأن يكونوا «حذرين يقظين كي لا يتكرر ما حصل قبل شهرين في العطلة الماضية»، مؤكّدًا على «ضرورة الالتزام بآداب وأهداف الزيارة التي يؤكد عليها أئمة أهل البيت وأن يُمثّل الشيعة الصورة المشرقة لمذهبهم».

وحول تداعيات ما حصل من أحداث في العطلة السابقة، أكّد الصفار: «أن الضرر ألحق بالجميع بدءًا بالدولة وأجهزتها المختلفة، حيث إن ما حدث أضرّ بسمعة الدولة التي تفتخر بشرف رعايتها للحرمين الشريفين، ومرورًا بالسلفيين؛ لأن الأجواء العامة في العالم الإسلامي معبأة ضدّ الأسلوب الذي يتعاملون به مع الزائرين، وهذه الحادثة جاءت لتزيد من وتيرة التشنج. وانتهاءً بالشيعة، فليس من مصلحتهم أن تكون الأجواء في بلدهم معبّأة ضدّهم، وهذه الحادثة جعلت المغرضين يتصيّدون في الماء العكر، فيعزفون على وتر الخلافات المذهبية، لتعبئة المحيط ضدّ الشيعة».

وأوضح الصفار أن المجتمع العاقل هو الذي يستفيد من التجارب التي يمرّ بها، مؤكّدًا على ضرورة الوقوف أمام ما حصل، «وعدم تكرار حصوله مرة أخرى، وأن المسؤولية تقع على الجميع، فأجهزة الدولة مطالبة بأن تكون يقظة لتلافي أيّ أخطاء قد تحصل، وعلى الجهات الدينية المشرفة على العتبات المقدّسة ترشيد أسلوب التعامل مع الزائرين، وإظهار الوجه المشرق للإنسان المسلم، وعلى أبنائنا وبناتنا الزائرين أن يكونوا واعين بالظروف التي يزورون فيها، وأن يتّجهوا للمقاصد العليا من الزيارة، وأن يضبطوا أعصابهم، فلا يستجيبون للإثارات إذا حصلت من بعض العناصر الجاهلة أو المغرضة».

٧

وفد من المنطقة الشرقية يزور مجلس الشورى بالعاصمة الرياض[1]

زار وفد من المنطقة الشرقية (الأحساء ـ الدمام ـ القطيف ـ دارين ـ عنك) مقرّ مجلس الشورى بالعاصمة الرياض، اطّلع خلال الزيارة على مرافق المجلس من قاعات وغرف تَحَكُّم ومكتبة، كما حضر الوفد الجلسة الصباحية لمجلس الشورى الذي رحب رئيس المجلس خلالها بالوفد الذي ضمّ كلًا من: الشيخ حسن الصفار، والدكتور توفيق السيف، والأستاذ سطام الخالدي، والدكتور حسين النزر، والأستاذ علي البحراني. كما التقى الوفد الذي ضمّ ٢١ شخصية ظهر نفس اليوم برئيس المجلس معالي الشيخ عبدالله بن محمد آل الشيخ لتهنئة معاليه بالمنصب الجديد، ودارت بينهم الأحاديث الودية ألقى فيها كلّ من سعادة الدكتور عبد الجليل السيف والشيخ حسن الصفار والدكتور توفيق السيف والدكتور علي الحاجي والأستاذ سطام الخالدي كلمات التهنئة والتبريك، تضمّنت تعايش أبناء المنطقة بتنوعهم المذهبي، وانسجام بعضهم بعضًا، وتحابّهم، وتواصلهم، ولحمتهم في خدمة الوطن، كما تضمّنت الكلمات اقتراحات بتوسعة صلاحيات المجلس، والاهتمام بقضايا المواطنين، واستثمار النخبة من العقول في أعضاء المجلس لخدمة المواطنين، وحلّ مشاكلهم وكيفية توفير رغد العيش لهم جميعًا في أرجاء الوطن الغالي.

---

(١) شبكة التوافق الإخبارية. نشر بتاريخ ٥/ ٥/ ٢٠٠٩م.

كما التقى الوفد إدارة الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان برئاسة الدكتور مفلح القحطاني. ودار الحديث حول شفافية التقرير الثاني للجمعية وضرورة مواصلة هذا النهج ودور الجمعية في رفع كلّ ما من شأنه تعزيز ثقة المواطن في العدل والمساواة والتمييز والحفاظ على عدم انتهاك حقّ أيٍّ مواطن أو مقيم على أرض الوطن. يذكر أن الوفد ضم أيضًا كلًا من:-

فؤاد حسن نصر الله ـ أمين العقيلي ـ فتحي البن علي ـ السيد شرف السعيدي ـ علي عباس ـ حجي النجيدي ـ محمد الجبران ـ سعيد الحبابي ـ م/ غسان بوحليقة ـ عبدالله الحصار ـ حسين السنان ـ د/ عبدالخالق عبدالحي ـ د/ عبدالعزيز الحسن ـ د/ عبدالجليل السيف ـ أحمد الناصر.

الرياض تشهد اللقاء السني الشيعي الأوسع.. وتشديد على رفض التفرقة الطائفية[1]

شهدت العاصمة السعودية الرياض مساء الثلاثاء ٢ يونيو ٢٠٠٩م انعقاد لقاء سُني شيعي موسع، هو الأول من نوعه، جمع العشرات من الشخصيات الدينية والنشطاء والأكاديميين السعوديين من الطرفين.

وشارك في اللقاء الذي اتسم بأجواء من الصراحة والشفافية بحسب مشاركين عدد من أبرز رجال الدين الشيعة والسنة.

على الجانب السني كان هناك صاحب الدعوة الشيخ عبدالرحمن المحرج والقاضي بالمحكمة الكبرى بمكة المكرمة الشيخ هاني الجبير والشيخ حمد المهيزعي والدكتور محمد الهرفي.

فيما كان الشيخ حسن الصفار والشيخ علي المحسن والشيخ يوسف المهدي على رأس المشاركين الشيعة.

حضور اللقاء الأوسع وغير المسبوق على مستوى اللقاءات السنية الشيعية في المملكة تنوعوا مناطقيًّا بين الرياض والقطيف والأحساء والدمام والقصيم ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

---

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠٠٩م.

وافتتح اللقاء الذي انعقد بإحدى استراحات الرياض بتعارف الحضور الذي قدر بأكثر من ٦٠ شخصية من الطرفين ثم كلمتين للشيخ الصفار والشيخ المحرج.

وشدّد الصفار في كلمته على أهمية تجاوز النزاعات المذهبية وعدم الانجرار وراء المهاترات العقدية وعقلية تصيّد كلّ طرف لأخطاء الطرف الآخر.

فيما دعا المحرج إلى تعزيز العلاقة بين أطياف الوطن وإلى تجاوز محاولات قطع الجسور بين السنة والشيعة في المملكة التي تعمل عليها جهات متطرفة على الجانبين.

وكان من أبرز المحاور التي شدّد عليها العديد من المشاركين رفض التفرقة الطائفية، وعدم تكفير أتباع المذاهب الأخرى، واحترام الرموز الدينية الكبيرة لدى مختلف الأطراف وتجنب الإساءة لها.

وكان ضمن المشاركين عن الجانب الشيعي الدكتور جمال الزاير، سعيد الحبابي، سعيد العمير، منسي حسون، محمد الشيوخ، صادق الرمضان، فؤاد نصر الله، علي البحراني ومطر النجيدي.

يشار إلى أن اللقاء الذي يعدّ الأحدث ضمن سلسلة اللقاءات السنية الشيعية في المملكة جاء في أعقاب مراسلات ولقاءات جرت مؤخرًا بين الشيخ الصفار والشيخ المحرج ساهمت في تخفيف وتيرة الخلاف الطائفي لدى بعض الدوائر السلفية.

التواصل والحوار ونبذ الفرقة والإساءة عناوين اتّسم بها لقاء الشيخ الصفار[1]

«حسين أحمد زين الدين»

التقى سماحة الشيخ حسن الصفار مساء الخميس ١٢/ ٦/ ١٤٣٠هـ بمكتبه بالقطيف عددًا من رجال الدين والأكاديميين والمثقفين السعوديين في إطار تعزيز قيم الحوار التسامح بين المجاميع الوطنية المختلفة.

وشدّد الجميع في مداخلاتهم على ضرورة التلاقي والتواصل بين جميع أطياف وشرائح الوطن ونبذ حالة الخلاف والتباعد من خلال عقد اللقاءات والمؤتمرات المتبادلة.

واتّسم اللقاء الذي حضره جمع من الشخصيات الدينية والثقافية من مختلف المناطق في السعودية وخارجها على هامش المهرجان الذي أقامته اللجنة الأهلية بالقطيف بالشفافية والمكاشفات الصريحة.

وافتتح اللقاء سماحة الشيخ حسن الصفار بترحيب الضيوف والتعريف بهم، وأشار في كلمته إلى أننا بحاجة إلى مؤسّسات أهلية تعنى بالشأن السياسي والفكري والوطني العام، تحمل على عاتقها محاربة الصراعات والنزاعات وتعمل على نشر

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٧/ ٦/ ٢٠٠٩م.

ثقافة التسامح والحوار.

وأضاف إلى أن الحوار الوطني الذي تبنته قيادة هذا البلد كان ينبغي أن نعتبره كالضوء الأخضر، وأن يكون محفّزًا ومشجّعًا لنا، نحن الأهالي، من أجل أن ننطلق كنخب مثقفة ورجال أعمال في نشر ثقافة التسامح والحوار، وفي تفعيل التواصل بين مختلف المناطق والمذاهب والطوائف المختلفة.

مبينًا أن الحوار بدأ بقوة إلا أنه تراجع بسبب حدوث بعض الأحداث وأخذ الحوار منحى أقلّ قوة.

ويضيف سماحته: «إن التنوع المذهبي والفكري والقبلي أمر طبيعي ولا يمكن إزالته»، واعتبره نقطة قوة المجتمع.

وأوضح أن هناك من يحاول أن يظهر البلد والوطن على أنه لون واحد تحت شعار أننا أمة واحدة وشعب واحد.

من جهة أخرى، أوضح الشيخ أجواد الفاسي من مكة المكرمة إلى أن عملية التفرقة خلقتها الجهالة والمحدودية في التفكير والمفاهيم وشايعتها بين الناس وأشاعتها وجعلتها أشياء مقدّسة.

ويكمل الفاسي حديثه، فيشير إلى أننا وضعنا أنفسنا في مواقف الحرج لتبنينا أفكارًا وآراءً نجمت عنها تعصّبات وانتماءات خلقت الفرقة والتباعد بين أطياف الوطن، لذلك انعدم الحوار وتراجع. وذكر أن سبب التراجع جاء نتيجة الثقافة التي أصبحت تعسرنا والتي استقيناها وتشربناها صغارًا وكبارًا حتى أصبحت مقدسة لا نستطيع أن نخرج منها.

ويذهب الصفار إلى أنه يتطلّب منا أن نكون أكثر تعمّقًا في فهم فلسفة الخلافات وخصوصيات الأطراف الأخرى، ولا يكون ذلك إلا بالحوار الذي يساعد على تلاشي هذا الخلاف.

فيما أوضح الدكتور عبد الحميد الأنصاري، العميد السابق لكلية الشريعة في قطر، الذي اتفق في كلامه مع الشيخ الصفار على ضرورة التواصل والحوار وعدم التراجع والبعد عن فرض السيطرة والهيمنة على الآخر. داعيًا النخب الثقافية واللجان الأهلية في المملكة أن تقوم بدورها في تكريس وإقناع الأطراف الأخرى بضرورة الحوار والتواصل.

وذكر الدكتور الأنصاري كيف أن هذه الأرض تمتاز بخاصية التسامح والتنوع وأنها مهيأة لهذا العمل ولتقبّل التعدد والتنوع ولتطوير العمل الفكري والاجتماعي. منوّهًا بتعلق الإنسان القطيفي بهذه المنطقة؛ لكونها تتّسم بعناوين التسامح والتواصل لا يجدها في أرض أخرى، على حد قوله.

فيما أشاد الأستاذ سمير برقة من مكة المكرمة بالمهرجان التي أقامته اللجنة الأهلية بالقطيف، بقوله: «إن هذه الخطوة تعدّ خطوة رائعة في تأسيس مفهوم المجتمع المدني»، مضيفًا: «إنني شخصيًا استفدت من هذا اللقاء الذي اتّسم بالتنوع والتعدد، وسوف أقوم بترجمته إلى أرض الواقع بأن أنقل الصورة الحقيقية وأرفع الخدش الإعلامي الذي أحجم في العلاقة بين مختلف المكونات الوطنية».

وكان ضمن الحضور الأستاذ محمد اليامي من نجران، والشيخ أحمد الحسين من لجنة الوسطية في الكويت، والأستاذ أحمد زيد من الكويت، والشيخ صالح الجدعان من المدينة المنورة، والدكتور زيد الفضيل، والدكتور عدنان الزهراني من جدة، والأستاذ عبد الله الزهراني، والدكتور توفيق السيف، والدكتور محمد الخنيزي، عضو مجلس الشورى، والمهندس جعفر الشايب، والدكتور عبد الله السكيري، والمهندس نبيه البراهيم، أعضاء المجلس البلدي بالقطيف، والشيخ عبد الله بن حمد بن شعلان الخالدي من أم الساهك، والأديب السيد عدنان العوامي، والأديب سعود الفرج، والشاعر فريد النمر، والشيخ محمد الصفار، والشيخ حسين الصويلح، وعدد كبير من الأدباء والمثقفين.

يشار إلى أن هذا اللقاء لم يكن هو الأول الذي يجمع أطيافًا وطنية من الشيعة والسنة، بل جاء ضمن سلسلة لقاءات عقدت في الأيام الماضية بين شخصيات من السنة والشيعة في المملكة، كان آخرها لقاء الرياض مساء الثلاثاء ٩ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ بمجلس الشيخ الداعية عبد الرحمن المحرج، الذي ضمّ حوالي ستين شخصية من الجانبين.

كتاب للشيخ الصفار الأكثر مبيعًا[1]

نشرت صحيفة «القدس العربي» اللندنية بتاريخ ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٩م، تقريرًا يبرز أكثر الكتب العربية مبيعًا، ومنها كتاب لسماحة الشيخ حسن الصفار وقد جاء التعريف كالتالي:

الكتاب: الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان

الناشر: المركز الثقافي، المغرب، ٢٠٠٥م

إن سيطرة الاستبداد السياسي على الأمة سمح بتقديم الإسلام كغطاء لأبشع أنواع القمع ومصادرة الحريات وانتهاك الحقوق في حقب طويلة من تاريخ الأمة. والأسوأ من ذلك ما فرّخه ذلك الاستبداد من ثقافة تبريرية، إذ سادت تلك الثقافة التبريرية بلونيها الديني والأدبي مدعومة بقوة الخلافة وإمكانات السلطة، مع القمع الصارم للرأي الآخر والفكر التنويري.

إن غالبية دعاة الإسلام يتخذون موقف الشك والحذر من حركة حقوق الإنسان التي تسود العالم لانطلاق هذه الحركة من مجتمعات أخرى، ولوجود اختلاف في بعض التفاصيل، وتم إقناع هؤلاء الدعاة بأن حركة الدفاع عن حقوق الإنسان تشكّل خطرًا على الإسلام والمسلمين.

---

(١) صحيفة القدس العربي. الاثنين ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٩م، العدد ٦٢١١، ص١٠..

في هذا الكتاب نقد وتأمّل في الخطاب الإسلامي المعاصر تجاه قضايا حقوق الإنسان.

جدير بالذكر أن الكتاب المذكور قد صدرت طبعته الثانية عن نفس الدار ٢٠٠٧م.

٧

عائلتا الحليمي والخويتم في المطيرفي تحتفي بالشيخ الصفار ولقاء مع فاعليات اجتماعية[1]

احتفت عائلتا الحليمي والخويتم في المطيرفي بالأحساء بسماحة الشيخ حسن الصفار الذي لبّى دعوتهما ظهر يوم الخميس ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ الموافق ١١ حزيران ٢٠٠٩م وقد حضر حفل الاحتفاء الذي أقيم في حسينية الزهراء عددٌ من علماء الدين وشخصيات المجتمع ورجال الأسرتين الكريمتين.

وألقى الأستاذ مصطفى الحليمي كلمة ترحيبية بمقدم الشيخ الصفار، وألقى الشاعر الشعبي المهندس جواد الخويتم قصيدة ترحيبية، ثم ألقى سماحة الشيخ الصفار كلمة توجيهية شكر فيها العائلتين الكريمتين على دعوتهما وحفاوتهما، وأشاد بروح التعاون والتواصل في الأسرتين، داعيًا إلى تطور المجالس العائلية، بالتركيز على بناء الكفاءات، وتشجيع الأبناء على مواصلة الدراسات العليا، وضرورة الاهتمام بالمشاريع الاقتصادية، والتكافل الاجتماعي.

ثم تناول الجميع وجبة الغداء، وممن حضر اللقاء:

الشيخ إبراهيم الحليمي، الشيخ حسين الحليمي، الشيخ عبد الخالق الحاجي، الشيخ حسن عبد الهادي أبو خمسين، الشيخ أحمد البخيتان، الشيخ علي الجزيري، السيد تاج السلمان، وأعيان أسرة الخويتم والحليمي.

---

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ١٤/ ٦/ ٢٠٠٩م.

ثم لبّى الشيخ الصفار دعوة عمدة المطيرفي السابق الوجيه الحاج واصل البخيتان لزيارة منزله يرافقه جمع من الشخصيات الاجتماعية.

كما زار الشيخ الصفار فضيلة الشيخ حسين الحليمي في منزله.

وفي مساء يوم الخميس، التقى الشيخ الصفار بجمع من الناشطين الاجتماعيين والإعلاميين في مزرعة الدكتور عبد الله الحليمي، العضو المنتخب للمجلس البلدي في الأحساء، الذي افتتح اللقاء مرحبًا بسماحة الشيخ والحاضرين داعيًا إلى استثمار فرصة اللقاء للاستفادة من توجيهات سماحته.

وألقى الكاتب الإعلامي الأستاذ عبد الله السلمان كلمة ترحيبية مشيدًا فيها بجهود الشيخ الاجتماعية والوطنية، وتحدث سماحة الشيخ الصفار عن الرسالة التي يجب أن تحملها النخبة الواعية وتعمل على تحقيقها وهي مكونة من شقين:

١. تنمية المجتمع.

٢. تعزيز موقعيته الوطنية.

وتحدث الشيخ الصفار عن ضرورة نشر ثقافة الأمل والتفاؤل التي تدفع إلى الفاعلية والعمل، ومواجهة ثقافة الإحباط أو اليأس التي تبرر التقاعس، وتثبط الهمم.

مشيرًا إلى أن وجود المشاكل والصعوبات أمر طبيعي، في كلّ المجتمعات، وأن ذلك يجب أن يدفع إلى مضاعفة الجهود، وتطوير الأساليب، وليس إلى الانكفاء واليأس.

وأشاد الشيخ الصفار بالإنجازات الطيبة التي تحققت على الصعيد الاجتماعي، وأن هناك الكثير من الفرص التي يمكن استثمارها، والموارد الشاغرة في الواقع الاجتماعي التي يجب التوجّه إليها.

ثم دار حوار ممتع مفيد بين الحاضرين وسماحته، وأعرب الجميع عن سعادتهم

باللقاء، وتفاعلهم مع الأفكار الإيجابية التي طرحت فيه.

وممن حضر اللقاء: سماحة الشيخ عبد الجليل السمين، والشيخ عبد الخالق الحاجي، والشيخ حسن عبد الهادي أبو خمسين، إضافة إلى أعضاء عدد من الجمعيات الخيرية، واللجان الاجتماعية، والمؤسسات الفنية.

وقد رافق الشيخ الصفار في زيارته للأحساء الشيخ حسين رمضان القريش، والسيد هاشم الشرفاء رئيس مهرجان الصفا للأعراس وصندوق الزواج الخيري في صفوى، والحاج علي الراشد، والحاج حسين المسكين.



الشيخ الصفار: الشاب الذي لا نحسن التعامل معه سيتمرّد[1]

«عبد الباري الدخيل»

بدعوة من مكتبة الغدير الإسلامية (قرية سند/ البحرين)، شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في المؤتمر الافتتاحي للبرنامج الصيفي الثالث الذي أقيم في مسجد الغدير بعنوان: نحو جيل ناشئ برؤى إسلامية، المقام مساء يوم السبت ٢٧/ ٦/ ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠/ ٦/ ٢٠٠٩م.

وقد جاءت كلمة سماحة الشيخ الصفار بعنوان (التأثير النفسي للتطوع على المتطوع)، بدأها بشكر القائمين على البرنامج الذي يعتبر مظهرًا من مظاهر الخدمة الاجتماعية و«اختيار العناوين يدلّ على وعي القائمين على البرنامج بالمرحلة وأهميتها»، ثم تحدّث سماحة الشيخ عن العمل التطوعي وأثره على الإنسان والمجتمع، فـ «حينما يعمل الإنسان لأجل الغير فهو الكاسب الأول، لماذا؟ لأنه يعطي للآخرين ويقطف ثمار ذلك بنفسه، والقرآن يثبت ذلك في آيات كثيرة، منها:

- ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.
- ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.
- ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾.

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٢٢/ ٦/ ٢٠٠٩م.

- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾.

وقال سماحته: الرؤى التي نأخذها من الآيات الكريمة هي أن كلّ فعل خير يكون له مردود على صاحب العمل أولًا، فـ ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ معادلة واضحة يضعها القرآن بين أيدينا.

وأضاف: إننا نعيش في حياة متطورة ونفرح بهذا التطور لما يفتحه من آفاق أمام البشر، لكن يجب أن نعلم أن لكلّ تطور سلبياته ومضاعفاته.

إننا بفرحنا بالتطور نكون كالشاب الذي يفكر في الزواج لما في الزواج من سعادة، لكنه يُفَاجَأ بعد ذلك بتبعات الزواج من مسؤوليات وأبناء.

وضرب سماحة الشيخ عدة أمثلة على ارتباط التطور بسلبيات تحدثها كوجود وسائل المواصلات التي قلصت المسافات لكن الحوادث تعكّر صفوها، وكالتطور التكنولوجي الذي سهّل الكثير من الأعمال إلا أن من مشاكلها البطالة، وكذا وجود المصانع التي تنتج التلوث، والجوالات والفضائيات والإنترنت، وفوائدها كبيرة لكن هناك استخدامًا سيئًا لها.

وتساءل: إذا كان لكلّ تطور في الحياة مضاعفات، هل نتمنى أن يقف التطور؟ هل نتمنى العودة إلى العهد القديم لكي ننجو من الحوادث والتلوث والبطالة والمواقع الإباحية والبلوتوث؟

لا أعتقد أن بيننا من يقبل ذلك، لكن السؤال الذي يجب أن يدور بيننا: كيف يمكننا التقليل من مشاكل هذا التطور؟ وكيف نسيطر على سلبياته ومضاعفاته؟

إن جلوسنا وذكرنا للمشكلة والاستغراق في ذلك لا يحلّها، بل لعلّه يزيد في التأزيم النفسي تجاهها، والخطب والمواعظ وإن كان لها دور إيجابي إلا أنها ليست كلّ الحلّ.

وقال سماحته: إن العقلاء في المجتمعات الواعية تفكر في الحلول للمشاكل ولا تنشغل بالتوصيف. إن الشاب الذي يعيش اليوم مع كثرة المؤثرات والمثيرات إن لم نجد له برنامجًا فاعلًا فإنه سيتمرّد، فالقابض على دينه كالقابض على الجمر،

كما جاء في حديث شريف. إذًا نحن بحاجة إلى أنظمة وتقنينات وجهود تبذل من أجل حلّ هذه المشاكل وهذه المضاعفات، وهنا يأتي دور المؤسّسات. إننا بحاجة إلى مؤسّسات ترعى أبناءنا وبناتنا، وتوجّههم للخير والصلاح، وتعرّفهم كيف يتعاملون مع الإنترنت، وماذا يفعلون عندما يتعرضون لمضايقات أو تحرّشات. ومؤسّسات تهتمّ بالبيئة، والصحة، وتيسير الزواج وهكذا. نحن بحاجة إلى من يتصدّى ويصرف شيئًا من وقته وجهده وماله في العمل التطوعي من أجل إنقاذ الآخرين.

وتساءل سماحته: لماذا يُقبِل الفرنسي أو الألماني أو الأمريكي على العمل التطوعي أكثر منا؟ ونحن أبناء هذا الدين العظيم الذي يقول: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ويقول: «خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله، والنفع لعباد الله».

أين نحن من العمل التطوعي؟

رجل أمريكي يذهب إلى إفريقيا فيجد أن الناس هناك لا ينتعلون أحذية، فيعود ويقرّر أن يشكّل جمعية لتوفير الأحذية للفقراء هناك، وآخر في أمريكا يقرّر أن ينشئ لجنة لمكافحة التدخين عن طريق الاتصال التليفوني وإقناع المتصل به، فينجح بإقناع ٧٠٪ من الذين اتصلوا بهم بترك التدخين، ومؤسّسة أنشئت من أجل الكشف على الموتى للتأكد من موتهم فتنقذ آلاف الحالات، أين نحن من كلّ ذلك؟ والقرآن يتلى علينا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾؟

ثم تحدّث سماحة الشيخ الصفار عن المردود الذي يستفيده الفرد من العمل التطوعي، ملخّصًا ذلك في أمور ستة:

١. الثواب العظيم من عند الله سبحانه.

٢. إثراء الحالة الإنسانية وتوفير الراحة النفسية.

٣. الوعي والخبرة الاجتماعية.

٤. صقل مواهب الفرد وقدراته.

٥. يوفر المكانة الاجتماعية (المرء حيث وضع نفسه).

٦. الانتماء إلى مجتمع القوة.

وختم الشيخ حديثه بطلب وجّهه للجميع: لكلّ هذه الأمور، أهيب بكلِّ المجتمع، وبالخصوص الشباب ذكورًا وإناثًا، أن يبحثوا عن مواقع لخدمة المجتمع، وأن يتصدّوا لسدِّ أيِّ ثغر من الثغور الاجتماعية، وأن يتكلوا على الله، فهو حسبهم.

ثم أجمل سماحة الشيخ إجابات السائلين في مداخلة واحدة تحدّث فيها عن تجربته في الانفتاح على من عرفهم الإعلام بالمهمّشين، وهم مجموعة من المفحطين، ذهب لهم سماحة الشيخ الصفار وتحدّث معهم وسمع مشاكلهم، كما تحدّث الشيخ الصفار عن مصطلح (العمل التطوعي) وطالب بعدم الأخذ بحرفيته، فالتطوع هنا لا يقصد به ما زاد عن الواجب ومنه النافلة، لكنه على الصعيد الاجتماعي يقصد به الجهد الذي يقوم به الإنسان وهو غير ملزم به، ومن دون مقابل مادي. إنه نوع من التوجّه للعمل في خدمة المجتمع دون أيّ مقابل، ونستطيع أن نسمّيه بلغة اليوم مؤسّسات المجتمع المدني. كما استنكر سماحته قلة الكتب التي تعالج الشأن التربوي، وما هو موجود لا يفي بالحاجة، كما أننا محتاجون إلى غير ذلك من الموجّهات، من أفلام ومسلسلات وكتب تخاطب الناشئة بلغتهم.

وفي ختام الحفل، قدّم الشيخ محمد علي السندي دروعًا تذكارية للمشاركين، ثم تناول الجميع العشاء.

شارك في المؤتمر كلٌّ من سماحة الشيخ محمد عمير (السعودية)، والأستاذ محمد جواد مرهون، رئيس مركز التوعية الأسري (البحرين)، وأداره الأستاذ حسين ماجد سهوان.

٧ الشيخ الصفار: علينا أن نجعل من مجتمعنا أنموذجًا مميّزًا بتشجيع الكفاءات والتكافل الاجتماعي[1]

«حسين زين الدين»

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى ضرورة إعادة فهمنا ومعرفتنا بخط أهل البيت ضمن تحدّيات العصر الذي نعيش فيه، وعدم الاقتصار على الموروث الذي تناقله الآباء والأجداد في حدود فهمهم وظروفهم التي عايشوها.

وفي كلمته التي ألقاها يوم الخميس ١٨ جمادى الآخرة١٤٣٠هـ في المطيرفي بالأحساء، قدَّم سماحته شكره لعائلتي الحليمي والخويتم على دعوتهما وحفاوتهما، مشيدًا بروح الإخوة والتعاون فيما بين الأسرتين.

وطالب الشيخ الصفار الآباء بتشجيع أبنائهم ومساعدتهم على تفجير طاقاتهم وكفاءاتهم ليخدموا بها أنفسهم ودينهم ووطنهم.

وأوضح أن من نعم الله على الإنسان أنه في أعماق كلّ واحد منا كنوز من النعم تتمثل في الطاقات والقدرات التي منحنا الله عزّ وجلّ، مضيفًا بأن التوجّه إليها يمثل لونًا من ألوان الشكر للنعم.

وذكر أن المجتمعات التي تهتم بكفاءات أبنائها وطاقاتهم إنما تقوم بإظهار هذه

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٢٣/ ٦/ ٢٠٠٩م.

النعم، وتوظيفها التوظيف الذي يخدم الفرد والمجتمع، لافتًا إلى أن تقدم الأمم وتحضرها سببه عائد لشكرهم نعم الله عليهم من خلال تسخيرها لمصلحتهم العامة.

وأشار سماحته إلى أن العلماء والمكتشفين لم يأتوا بشيء من خارج طاقاتهم وقدراتهم، إنما فعَّلوا نعمة أعطاهم الله إياهم.

وفي ذات السياق، بين الشيخ الصفار أن من النعم التي تحتاج إلى الشكر هي نعمة الولاية للنبي وأهل بيته .

وقال إنه ينبغي أن نظهر آثار هذه الولاية على سلوكنا وحياتنا بالالتزام بتعاليمهم والاقتداء بمبادئهم.

منوّهًا أنه من واجبنا تحمل المسؤولية تجاه هذه المدرسة المباركة من خلال الوعي والمعرفة لمبادئها، والالتزام بما أكّدته تعاليم أهل البيت بما ينعكس على سلوكنا وتعاملنا، وأن نجعل من مجتمعنا أنموذجًا مميزًا بالتركيز على بناء الكفاءات وتشجيع التواصل والتلاقي، محذّرًا أتباع هذه المدرسة من الممارسات الخاطئة التي قد تسبب إساءة لهذه المدرسة.

اللقاء الذي أقيم في حسينية الزهراء عليها السلام حضره عددٌ من علماء الدين وشخصيات اجتماعية ورجال الأسرتين الكريمتين، ومن أبرز الحاضرين: الشيخ إبراهيم الحليمي، الشيخ حسين الحليمي، الشيخ عبد الخالق الحاجي، الشيخ حسن عبد الهادي أبو خمسين، الشيخ أحمد البخيتان، الشيخ علي الجزيري، السيد تاج السلمان، وأعيان أسرة الخويتم والحليمي.

الشيخ الصفار يحتفي بلجنتي تكريم القطيف[1]

«حسين زين الدين»

احتفى سماحة الشيخ حسن الصفار مساء الأربعاء ١٧/ ٦/ ١٤٣٠هـ، بلجنتي: جائزة القطيف للإنجاز، ولجنة التكريم الأهلية، بمكتبه في القطيف.

الحفل الذي حضره نخبة من الشخصيات الاجتماعية والدينية، وكان من أبرزها الدكتور الشيخ محمود المظفّر، أحد أعلام النجف الأشرف، الذي كان حضوره مفاجأة سارّة، حسب تعبير الشيخ الصفار. وذكر سماحته عن المظفّر أنه محل ثقة القيادات الدينية والمرجعية في العراق، وكان أستاذًا في القانون بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

بدأ الحفل بتلاوة عطرة من القرآن الكريم بصوت المقرئ عبد الجبار الشافعي، بعده ألقى الشاعر فريد النمر قصيدة بعنوان (الحالمون) جاء فيها:

الحالمـــون وكلّهـــم أنخـــاب   عشق يرقرق كأسـه الأحباب

جـاؤوا علـى سـهد العيـون برنـة   أحلامهم نحو «القطيف» سحاب

والحانة السّكرى تـضوّع ثوبهم   شعرًا تمازج روحه الأعناب

وقال:

مـــلء العيون كما النخيل وظلّـــها   تلك «القطيــف» محبّة وكتاب

---

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٩م.

فاخشـوا رفاقي إن أسـاءت فتـنــة عــــرَضَا بسوءٍ أن يحـلّ عذاب
تــأبى الحكاية أن تـشـوّه قصّـتـي أو أن تميت غرامهــا الأغراب
تـلــك القلوب إلى البلاد فـداؤها وطنٌ يـشـاطـركم بــــه أتـراب

بعدها ألقى سماحة الشيخ حسن الصفار كلمة، شكر فيها جميع الحاضرين على استجابتهم للدعوة، وذكر في مطلع كلمته أننا نقف أمام ثلاث مفردات ترتسم في أفق هذا الحفل البهيج: الإنجاز على صعيد الفرد.. المأسسة في العمل الاجتماعي.. الشكر والتكريم كثقافة في المجتمع.

وبيّن أن إنجاز الأفراد وإبداعاتهم أصبح معيارًا من معايير تقدم الأمم والشعوب، وأن التقدم الحضاري لم يتحقّق إلا بجهود الأفراد المبدعين والمخترعين والمكتشفين، ولولاها لما قطعت البشرية هذا الشوط الطويل، ولم يتحقّق ذلك الإنجاز إلا بعامل الثقة بالذات. فجاءت فكرة جائزة القطيف للإنجاز من أجل تحفيز الأفراد في المجتمع، على أن يفجّروا طاقاتهم ومواهبهم، وأن ينجزوا شيئًا جديدًا في مختلف المجالات.

وأوضح سماحته أن هناك لونيين من التفكير: لون يذكي في نفس الإنسان التطلع إلى الإبداع والإنجاز، وعدم الوقوف عند حدود ما هو مألوف وسائد في أيّ مجالٍ من المجالات، ويكرّس في الفرد الثقة بأنه قادر على تقديم شيء للبشرية وللمجتمع، وهذا ما نحن بحاجة إليه في مجتمعنا ووطننا، مضيفًا أن الذين أنجزوا واخترعوا واكتشفوا لا يتميزون عن أيِّ إنسان آخر في تكوينهم البشري، ميزتهم الوحيدة هي في إرادتهم واجتهادهم. وهذا ما يستطيع كلّ إنسان أن يفجّره في داخل نفسه وأعماق ذاته. ولون آخر يسير عكس هذا الاتجاه.

ورأى سماحته أن مجتمعاتنا الشرقية غالبًا ما تسودها ثقافة تنحاز إلى الجمع على حساب الفرد، حتى لتسحق في ظلّ هذه الثقافة شخصية الفرد، وتحصل له حالة من الإيحاء الذاتي، بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا. وعلى المجتمع أن يتجاوز هذه الثقافة، ويعمل على تشجيع الأفراد على اكتشاف ذواتهم وعلى تفجير مواهبهم وكفاءاتهم.

ومجتمعنا كأي مجتمع إنساني يعج بالطاقات والكفاءات والمواهب التي تحتاج إلى التشجيع والتحفيز.

وحول مفردة (مأسسة العمل الاجتماعي)، أوضح سماحته ضرورة تجاوز الحالة الفردية في خدمة المجتمع والدين إلى الحالة المؤسّسية التي تساعد على تنظيم الجهود، وأنه ينبغي أن تكون لنا مؤسّسات ولجان تعمل على مستوى المحافظة والمنطقة وليس على مستوى القرية والمدينة فقط. منوّهًا إلى ما قامت به لجنة التكريم الأهلية في القطيف التي يرأس دورتها الحالية الأديب السيد عدنان العوامي من دور ريادي رائع في تكريمها لروّاد العمل الأهلي، واصفًا ذلك المهرجان بالتظاهرة الوطنية التي جمعت نخبة من أبناء الوطن من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة ونجران وجدة وغيرها، إضافة إلى بعض الضيوف الكرام من دول مجلس التعاون الخليجي.

ورأى الشيخ الصفار أنه لا زال في مجتمعنا بعض الثغور والأماكن الشاغرة في مجالات مختلفة تحتاج إلى اهتمام ورعاية، علينا التوجّه لها، وأن تتكون لها لجان ومؤسسات للاهتمام بها، بجانب تلك المؤسّسات واللجان التي تعنى بالشأن الاجتماعي والديني والثقافي، ففي المجال العلمي نحن بحاجة إلى مؤسّسة تعنى بالطلبة المبتعثين، وفي الشأن العام نحتاج إلى مؤسّسة تعنى بالمساجين وعوائلهم، وفي المجال الصحي نحتاج إلى مؤسّسة تهتم بالشأن الصحي.

وعن المفردة الثالثة (الشكر والتكريم كثقافة في المجتمع)، قال سماحته: إن المجتمع الحضاري والواعي هو الذي يشيد بالجهود والروّاد ولمن يقدّم خدمة وعطاءً لوطنه ومجتمعه. هذه الثقافة الجديدة (ثقافة الشكر والتقدير والتكريم) التي أصبحت تظهر وتبرز في مجتمعنا، هي ثقافة إسلامية حضارية. منوّهًا إلى أننا في هذا الحفل نحتفي بلجنتي: لجنة جائزة القطيف للإنجاز ولجنة التكريم الأهلية في القطيف.

وقبل ختام كلمته، أشار إلى أن هناك بعض النظرات التي ترصّد الثغرات والأخطاء في أيّ جهد وعمل، وقد تكون لذلك دوافع غير شريفة كالحسد وتصفية الحسابات، هذه

نظرة مشوّهة، تعرقل مسيرة المجتمع ولا تقدّم الشكر الواجب لمن يعمل لخير المجتمع.

فالكمال لله، وقد لا يخلو أيّ جهد بشري من خطأ أو ضعف، والدور المطلوب هو التسديد والنقد الإيجابي البنّاء، وليس التنكر والإساءة.

من جهته، ألقى رئيس لجنة القطيف للإنجاز الأستاذ سعيد الخباز كلمة شَكَرَ فيها سماحة الشيخ حسن الصفار للفتته الكريمة باستقبال أعضاء اللجنة المؤسّسة لجائزة القطيف للإنجاز في أولى دوراتها.

وقال الخباز: أظنّ ـ بل أجزم ـ بأن لمثل هذه اللفتة الكريمة بالغ الأثر الإيجابي في نفس كلّ واحد منا من أجل الاستمرار في العطاء، مقدّمًا شكره لكلّ من وقف مع الجائزة داعمًا لها ماديًّا أو معنويًّا.

وأشار في حديثه عن أصعب ما مرّت به الجائزة في بدايات تأسيسها وهو التمويل والدعم، مضيفًا إلى أن أكبر الممولين ولغاية موعد الحفل ـ لجائزة تعنى بأبناء القطيف وبناتها المنجزين ـ جاء من القصيم!

وقال: أكثر من خمسة آلاف ساعة من الاجتماعات ـ يا سيدي ـ قضاها أفراد الفريق المؤسّس، عشقًا في القطيف، وإيمانًا بأن القطيف مليئة بالطاقات التي يجب توجيهها نحو الإنتاجية، وأن جائزة القطيف للإنجاز هي أداة فاعلة في تحقيق هذا الهدف.

واختتم بسؤال أراد أن يسمعه الجميع دون لبس أو احتمالية التأويل: هل القطيف تستحقّ؟ أنا أقول.. نعم.

فيما تحدّث السيد شرف السعيدي عضو لجنة التكريم الأهلية في القطيف عن الحراك الاجتماعي ومتغيراته، فالمتتبع لحراك هذه المحافظة العزيزة فإنه يلاحظ المتغيرات الواضحة في هذا الحراك الاجتماعي والتطوعي المتميز الذي ينبع من وعي اجتماعي وحسٍّ وطني يغطي كلّ جوانب حياة الإنسان القطيفي، حتى برز لدينا عدد من الأنشطة والبرامج في شتى المجالات والصُّعد وبمشاركة جميع فئات المجتمع

من العنصرين الرجالي والنسائي على حدٍّ سواء، حتى نجم عن ذلك أسماء بارزة في العمل الاجتماعي والتطوعي.

موضّحًا أن: سعي لجنة التكريم الأهلية بالقطيف لتكريم المؤسّسات الفاعلة في المنطقة يحضره المهتمون في الشأن العام من مختلف مناطق المملكة وبعض دول الخليج، هو في حقيقته رسالة واضحة إلى هؤلاء المهتمين أن هناك من يهتمّ بأعمالهم، ويشعر بأهميته، وهي رسالة بلا شك تحمل مضامين سامية لتشجيع هذه الطاقات، وصقل هذه المواهب، ودفعها إلى الأمام، فالتكريم حافز للإبداع والعطاء.

مؤكّدًا أن الأجمل من ذلك ما نلحظه هذه الليلة من احتضان سماحة الشيخ حسن الصفار في منزله المبارك هذا الحفل التكريمي للجنة التكريم الأهلية في القطيف ولجنة القطيف للإنجاز. وهذا الاهتمام والرعاية من قبل سماحته يدلّ دلالة واضح على عمق تفكيره الإبداعي، والاهتمام الواعي بما يدور بالمحافظة من أنشطة وطنية، وكأنه يقول: «لكلّ مجتهد نصيب».

وانتهى الحفل الذي أداره الأستاذ عبد الباري الدخيل بتكريم المحُتفَى بهم.

جدير بالذكر الإشارة إلى حضور عدد كبير من الأخوات في القسم المخصص لهنّ، حيث جرى تكريم الأخوات العضوات في فريق لجنة جائزة القطيف للإنجاز من قبل مسؤولة القسم النسائي في مكتب الشيخ الصفار الأخت أمّ مصطفى.



٧ الشيخ الصفار: الأمة بحاجة لمعارف أهل البيت[١]

«حسين زين الدين»

ألقى سماحة الشيخ حسن الصفار محاضرتين بمناسبة ذكرى ميلاد الإمامين محمد الباقر وعلي الهادي ليلتي ٢١-٢٢/ ٦/ ٢٠٠٩ بدولة قطر في حسينية الدهنيم بالدوحة.

وركّز في محاضرتيه، على ثلاثة محاور: لماذا أهل البيت؟.. واجبنا تجاه أهل البيت.. قبسات من حياة الإمامين الباقر والهادي .

لماذا أهل البيت؟

أشار سماحته إلى أن وجود أهل البيت ضرورة للدين والأمة، بل البشرية جمعاء من أجل العلم والمعرفة، وليكونوا مرجعية في تبيان التشريعات والمعارف.

وقال سماحته: إن دورهم جاء مكملًا لجهد الرسول ﷺ في تبليغ وإيصال المفاهيم والقيم الإسلامية للبشرية، مبيّنًا أفضليتهم وتميزهم عن الصحابة في قدرتهم المعرفية الكاملة والشاملة لجميع التشريعات والقيم، وتجسيد تلك المفاهيم والقيم في حياتهم، وهذا مما ساعد على نشر علوم الإسلام وتشريعاته وأهدافه.

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٤/ ٧/ ٢٠٠٩م.

وأوضح الشيخ الصفار أن بعض الصحابة كانوا متفاوتين في دخولهم للإسلام من ناحية الزمن، وأن بعضهم لم تكن لهم الفرصة في مصاحبة الرسول ﷺ فترة طويلة، كما أن قدرتهم على الفهم والاستيعاب متفاوتة.

وتابع بأننا نعتقد أن أهل البيت يتميزون بقدرات أعلى وأعظم وأفضل من بقية الصحابة، لذلك كانت معرفتهم بالدين وتشريعاته أعمق وأصوب من بقية الصحابة، مؤكّدًا على أن هذا الاعتقاد يقول به الصحابة أنفسهم، وهو منقول في المصادر الإسلامية ولا ينكره أحد.

واستعرض عددًا مما أوردته كتب التاريخ في فضل أهل البيت وقدرتهم العلمية بكلّ زوايا العلم والدين، وذكرها الكثير من علماء أهل السنة، وهي أكثر من أن تُحصى. كقول الخليفة الثاني في حقِّ الإمام علي عليه السلام: «لولا علي لهلك عمر»، والكلمة المشهورة: «قضية ولا أبو حسن لها»، «مشكلة ولا أبو حسن لها». ويقول الإمام علي عليه السلام: «كان لي مدخلان على رسول الله، مدخل في الليل، ومدخل في النهار» في إشارة منه إلى تخصيص وقت لكسب العلم من الرسول، وقال: «علمني رسول الله ألف باب من العلم، يفتح لي من كلّ باب ألف باب»، وما ورد عن رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم والحكمة، فليأتها من بابها»، وقال أيضا: «أقضاكم علي بن أبي طالب»، «أعلمكم علي بن أبي طالب»، «أفقهكم علي بن أبي طالب». وابن عباس يقول: «علمي من علم علي بن أبي طالب، وعلم علي من علم رسول الله، وما علمي وعلم أصحاب محمد في علم علي إلا كالقطرة في سبعة أبحر».

وقال الشيخ الصفار: «إن هذه المعارف والعلوم التي عند أهل البيت تحتاجها الأمة».

وأضاف: إن الأمة بحاجة إلى قدوات صلبة، تلتزم بالقيم بدون مساومة، متسائلًا: «من أولئك؟» إنهم الأنبياء والأئمة الذين اصطفاهم الله والذي قال عنهم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[سورة الأحزاب، الآية:٣٣].

وفي حديثه أشار إلى بعض ما يثار من اتهام البعض للشيعة بالسباب والشتم للصحابة، مؤكّدًا على أن هذه المنهج ليس من منهج أهل البيت، مبيّنًا أن منهجهم هو «الدعوة بالحسنى»، وإن منهج السباب والشتم هو «منهج أموي».

واجبنا تجاه أهل البيت

وفي الليلة الثانية، ذكر سماحته أن أول واجب علينا تجاه أهل البيت عليهم السلام: هو إظهار المحبة والمودة والولاء القلبي لهم في الواقع المسألة حتى وإن لم نعالجها ضمن المدخل الشرعي، فإن أيّ إنسان يطَّلع على سيرة أهل البيت، يرى نفسه متيمًّا بحبّهم؛ لأنَّ النفس جُبلت على الانجذاب نحو الجمال وعشق الفضل وحبّ الخير والمعروف، وهذا أمر طبيعي.

واسترسل بقوله: إن هذه السيرة النقية والصادقة والكفاءة العالية في جميع المجالات لأهل البيت تشدّ القلوب، حتى من قبل أعدائهم الذين يشهدون بمكانتهم وسموهم، مؤكّدًا على أن مناقب أهل البيت قد رويت على ألسنة أعدائهم، كما قال الشاعر:

ومناقب شهد العدو بفضلها ... والفضل ما شهدت به الأعداء

وأشار أن سيرتهم تفرض نفسها على من اطّلع عليها وشاهدها، ليس في أوساط المسلمين فقط، وإنما حتى في أوساط المسيحيين، مستشهدًا بالشخصيتين الأدبيتين المسيحيتين: الكاتب جورج جرداق والشاعر بولس سلامة، فكتب الأول كتابه من خمس مجلدات بعنوان «صوت العدالة الإنسانية: علي ابن أبي طالب»، وهو من أروع ما كتب أدبًا وتعبيرًا باللغة العربية في هذا العصر، وكتب الثاني ملحمة شعرية سمّاها «عيد الغدير» قال فيها:

جلجل الحبُّ في المسيحي ... حتى عدّ من فرط حبّه علويّا

لا تقل شيعة هواة عليٍّ ... إن في كلّ منصفٍ شيعيّا

فـــإذا لـــم يكـــــن علـــي نبيًّـــا فلقـــد كـــــان خلقـــــه نبويّـــا
يا ســماء اشــهدي ويــا أرض قرّي واخشـــعي، إنني ذكـــرت عليّا

وتحدّث سماحته عن الواجب الثاني، وهو: الاقتداء بأهل البيت وبتعاليمهم، لافتًا أن بعض الناس يتجهون لفضائلهم ومعاجزهم وكراماتهم ويمجّدونها ويبدون إعجابهم بها دون النظر لقيمهم ومبادئهم، مؤكّدًا على أن تمجيدهم وإبداء الإعجاب ليس بديلًا عن الاقتداء بسيرتهم والالتزام بمبادئهم وقيمهم، مشيرًا أن إحياء مجالسهم تدفعنا للاقتداء بمنهجهم والاستفادة من علومهم ومعارفهم.

وعن الواجب الثالث (التعريف بأهل البيت) بيَّن سماحته أن أهل البيت ليسوا حكرًا على جماعة أو طائفة، بل هم نورٌ ينبغي أن يستفيد منه العالم كلّه وينعم بضوئه.

موضّحًا أن أعداءهم حاولوا بكلّ الوسائل والطرق إطفاء هذا النور، وطمس معالمه ومعارفه، مع محاولة إقصاء دورهم في الأمة.

ودعا سماحته الشيعة إلى أن يتحمّلوا مسؤوليتهم في مواجهة هذه السياسة، والعمل على نشر معارف أهل البيت وعلومهم بشتّى الأساليب والإمكانات الموجودة، حتى يعرف العالم سيرتهم وحياتهم، ويستفيد من نورهم وعطائهم.

ورأى سماحته أن هناك تقصيرًا كبيرًا تجاه نشر آثار ومعالم ثقافتهم في ظلّ الثروة الهائلة والأوقاف الكبيرة التي باسم أهل البيت، منبهًا إلى أنها تحتاج ـ فقط ـ إلى حسن التصرف والإدارة في شؤونها.

قبسات من حياة الإمامين

أوضح سماحته الدور الذي قام به الإمام الباقر في نشر معارف الإسلام وتربية الناس على القيم والأخلاق رغم الضغوط التي مارسها بنو أمية ضده. لافتًا إلى أن انتشار معالم مدرسة أهل البيت، بدأ في عهده بشكل موسَّع، وكان ذلك وراء تسميته بالباقر؛ لأنه بقر العلم وفجّره وكشف كنوزه.

وتحدّث الشيخ الصفار عن بعض من قبسات حياة الإمام الباقر وعن نسبه وولادته «كانت ولادته إشراقة نور، وإشعاعًا للبشرية»، وأورد سماحته بعضًا من أقواله، كقوله عليه السلام: «إني لأبغض الرجل يكون كسلانًا في أمر دنياه، فمن يكون في أمر دنياه كسلانًا، فهو عن أمور آخرته أكسل»، وقال عليه السلام: «عظموا أصحابكم ووقروهم، ولا يتجهم بعضكم بعضًا، ولا تظاهروا، ولا تحاسدوا، وكونوا مخلصين».

وعن حياة الإمام الهادي، أشار سماحته أنه تحمّل مسؤولية أعباء الإمامة في وقت عصيب، كانت السلطة العباسية في عزّ جبروتها وطغيانها ومناوأتها لأهل البيت، مضيفًا أن حياته كانت صفحة من النور والصفاء، وذكر سماحته بعضًا من أقواله، كقوله عليه السلام: «من رضي عن نفسه، كثر الساخطون عليه»، وقال عليه السلام: «أسوأ رزية تصيب الإنسان سوء خلقه»، وعنه عليه السلام: «الدنيا سوق ربح فيها قوم، وخسر فيها قوم آخرون».



٧

التكريم من أهل التكريم[١]

كرّم سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله لجنة التكريم الأهلية، وأعضاء جائزة القطيف للإنجاز، ليلة الخميس الموافق ١٠/ ٦/ ٢٠٠٩، وذلك في مكتبه بالقطيف.

وقد بدأ التكريم بقصيدة ألقاها الشاعر فريد النمر، وتحدث فيها عن ترجمة الأحلام إلى واقع، من أجل تحقيق النصر الفردي والجماعي على حدٍّ سواء، وهي مهداة للجنة التكريم الأهلية.

وبعدها ألقى سماحة الشيخ حسن الصفار كلمة، شكر فيها جميع الحاضرين، بعد أن ابتدأها بالسلام والترحيب بالجميع والصلاة على النبي ﷺ.

وبدأها الصفار بحديث عن الإمام الرضا عليه السلام قائلًا: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الخالق عزّ وجلّ»، وتناول في حديثه ثلاثة محاور، هي: الإنجاز على صعيد الفرد، والمَأْسَسَة في العمل الجماعي، وأخيرًا الشكر والتكريم كثقافة في المجتمع.

ونوّه أن تقدّم الأمم والمجتمعات بل الحضارة بأجمعها لم يتحقّق إلا بمجهودات الأفراد والمبدعين، ولولاها ما قطعت البشرية هذا الشوط الطويل، وهم يحتاجون إلى الثقة بالذات ليتقدّموا.

وأكّد الشيخ أننا نحتاج هذا النوع من الإبداع، لكننا أيضًا بحاجة إلى ثقافة تدعم

(١) شبكة التوافق الإخبارية. نشر بتاريخ ١٤/ ٧/ ٢٠٠٩م.

هذا الإبداع، وقال: إن المبدعين لا يتميزون جسمانيًّا عن غيرهم، لكن يميّزهم إرادتهم وجدّهم في العمل، وهذا يستطيع الجميع عمله، ومن هنا يأتي دور جائزة القطيف للإبداع وهو تحفيز الأفراد ليسيروا حثيثًا على جميع الصُّعد.

مذكّرًا الجميع أنها كانت فكرة رجل واحد، هو سعيد الخباز، الذي بادر إلى طرحها وتأسيس لجنة لتحول الفكرة إلى حقيقة، وقد عاش الجميع أجواء تلك الليلة الخالدة.

وتحدّث الصفار عن أن هناك نقصًا شديدًا في المؤسّسات تعنى بشؤون عدة، فينبغي لنا أن نحاول سدّ تلك الثغرات، ومن الأمثلة الجميلة للمؤسّسات هي لجنة التكريم الأهلية، التي تأسست منذ أربع سنوات فقط، لكن كان احتفالها هذا العام أشبة بتظاهرة من جميع المناطق ودول مجلس التعاون الخليجي، وقد سمع الكثير عن المستوى الراقي الذي يتميّز به مجتمعنا، والحمد لله.

ونوّه إلى أننا هنا لتكريم جائزة القطيف ولجنة التكريم الأهلية، فالمجتمع الحضاري هو من يشيد بالجهود والمبادرات ويقدم خدمة للمجتمع، وهي ثقافة إسلامية عريقة، لذلك ينبغي أن نقدم الشكر لكلّ من يقدِّم الخدمات للمجتمع.

ولم يفوِّت سماحته الترحيب بالشيخ محمود المظفر، أستاذ القانون بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وذكر أن المظفّر هو من أهل الثقة في النجف الأشرف، وقد تفاجأ من حضوره الذي زيّن المجلس.

وبعد انتهاء الصفار من كلمته ألقى كلٌّ من الأستاذ سعيد الخباز رئيس اللجنة التنفيذية لجائزة القطيف للإنجاز، وشرف السعيدي رئيس لجنة التكريم الأهلية كلمة.

وشكر الأول فيها سماحة الشيخ حسن الصفار، وشكر كلّ من دعم الجائزة، وانتقد كلّ من يلمز الجائزة، وكلّ من ينتقد بسوء. فلو كان هناك مجال للمحاباة والمجاملات لكان ابنه خريج جامعة الملك فهد للبترول والمعادن أحقّ الناس بالجائزة، فهو ومنذ تخرجه يعمل كموظف بوفيه، مع أنه خريج هندسة كمبيوتر.

وتحدّث عن أصعب ما مرت به الجائزة، وهو التمويل، معاتبًا كلّ من يمتلك فرعًا أنيقًا في شارعي القدس وأحد ولم يمتلك الثقة ليدعم الأبناء يوم تكريمهم، ومنهيًا حديثه بقوله: هل تستحق سيّدتي القطيف؟ أنا أقول: نعم.

وأما السعيدي فتحدّث عن الحراك الاجتماعي والتغيرات الواضحة عليه، وذكر أن لدينا الكثير من أسماء القيادات النسائية والرجالية اللامعة في سماء العمل الاجتماعي، وأن اللجنة تقدم رسالة واضحة بأن هناك من يكرم العمل ويقدر كلّ جهد على أرض الواقع.

وأكّد على أهمية صقل هذه المواهب والطاقات، والأجمل من هذا هو ما لاحظه من احتضان الشيخ حسن للجنة التكريم وأعضاء جائزة القطيف للإنجاز، وكأنه يقول: «لكل مجتهد نصيب»، وها نحن نرى أنه في كلّ عمل مميز نرى سماحته ناظرًا وداعمًا له، نظرة ملؤها الاحترام والتقدير، وكرّر الاثنان شكرهما لاستضافة الشيخ لهذه المؤسّسات وأمثالها.

وانتهى الحفل بتكريم كلٍّ من ساهم في هذين المؤسّستين، من أعضاء ورؤساء، وإعلاميين، وحضور بعض الشخصيات الاجتماعية البارزة.



الشيخ الصفار: على النخبة مسؤولية إنماء المجتمع وتعزيز موقعيته في محيطه(1)

«حسين زين الدين»

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار نخبة المجتمع إلى تحمّل مسؤوليتهم في تعزيز موقعية المجتمع في محيطه، وتوجيه المعرفة في صناعة الرؤية وإنضاج الوعي الاجتماعي بما يرتبط بالتحديات والمتغيرات، والمساهمة في إنماء المجتمع.

الشيخ الصفار الذي ألقى كلمة في الحفل التأبيني بمناسبة أربعين الفقيد عبد الغني السنان (أبو عادل) مساء الأربعاء ٢٢/ ٧/ ١٤٣٠هـ الموافق ١٥/ ٧/ ٢٠٠٩م في حسينية السنان بالقطيف، قال عن شخصية الفقيد: «إن في شخصية الفقيد الراحل أبي عادل جانبين: جانب الأخلاق والصفات النفسية الرفيعة، وجانب الدور الاجتماعي». واصفًا إيّاه بأنه «إنسان كامل المروءة»، مبيّنًا أنه كان يتميز بعدد من الصفات الحميدة.

وفي السياق نفسه، أشاد سماحته بدوره الاجتماعي وحسَّه الوطني مما عَزَّزَ من مكانته وموقعيته عند الآخرين، وبأن الراحل استطاع بصدقه وطيبته أن يصنع طبقة من العلاقات مع مختلف التوجّهات والأطياف عمل من خلالها على خدمة مجتمعه والرقي به، رغم أن الرجل لم يكن من كبار الأثرياء ورجال الأعمال إلا أنه بكفاءته

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠٠٩م.

وحسِّه الاجتماعي وصل إلى مواقع قيادية وتوفَّر على ثروة متوسطة، حتى أصبح «أنموذجًا مشرفًا» للمجتمع الذي ينتمي إليه.

وأشار إلى أن كلّ مجتمع تتواجد فيه شريحة «نخبة المجتمع» متميزة في مكانتها ونفوذها إما لمستوى في العلم أو المال أو المناصب الرفيعة، وتتمتع بمميزات هذه المكانة.

موضّحًا أن بعضًا من أفراد هذه النخبة يوظفون مكانتهم لخدمة المجتمع والناس، والبعض الآخر يعيشون لذواتهم أو للمقربين لهم، خشية أن يخسر مكانته إذا قدَّم خدمة لمجتمعه أو يكون ذلك على حساب موقعيته، وهو تصور خاطئ.

وبيّن أن الإنسان صاحب المكانة والمنصب الذي يعطي من نفسه لمجتمعه ويحمل همومه تتعزّز مكانته وموقعيته عند الآخرين؛ لأنهم ينظرون إليه من خلال الموقع الذي وضع نفسه فيه، وإن بدا له في بعض الأحيان أنه فقد شيئًا من موقعه حينما قدَّم للآخرين.

وكما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء حيث وضع نفسه».

ومن جهة أخرى، تحدّث سماحته عن دور النخبة ومسؤوليتها في المجتمع، لافتًا إلى اتساع رقعتها، وتقلّص المسافة بينها وبين جمهور المجتمع لارتفاع مستوى الوعي والثقافة وتوفر فرص الثروة والتقدم.

وفي ذات السياق، دعا النخب الاجتماعية المختلفة إلى المبادرة لصنع الرؤية المناسبة وإنضاج الوعي الاجتماعي العام بما يرتبط بالتحديات والمتغيرات.

وحذّر من خطورة عملية التقاعس والتواكل التي تبقي الساحة فارغة لمختلف التوجّهات والآراء التي قد تضرّ بالمجتمع أو تؤخّر مسيرته وتهدر طاقاته لغياب الرؤية الواضحة والصحيحة، لافتًا إلى أن وجود الوعي والرؤية في المجتمع أمر أساس.

وأوضح الشيخ الصفار أنه لا ينبغي أن يكون عدم تفهّم الناس وقبولهم مبررًا

للتقاعس والتواكل عما يخدم المجتمع.

ورأى أن هذا المجتمع بحاجة إلى مؤسّسات إنمائية في جميع المجالات والجوانب، مضيفًا أن على النخبة أن ترى نفسها معنية بِتشجيع الناس على قيام تلك المؤسّسات ودعمها والوقوف إلى جانبها، موضّحًا أنه ما بات الأمر الآن يتحقق بالجهود الفردية، مشيرًا إلى تجارب المجتمعات القريبة، وكيف أن العلماء والأكاديميين والمثقفين ورجال الأعمال يمارسون دورهم في مختلف المؤسّسات الاجتماعية؟

وذكر أن مجتمعنا يشكو من ضعف كبير على هذا الصعيد، إذ قلَّما تجد رجل أعمال أو عالم دين أو صاحب منصب ينضمّ إلى مؤسّسة خيرية كأن يكون رئيسًا لها أو عضوًا في مجلس إدارتها.

وعن تعزيز موقعية المجتمع في محيطه، قال الشيخ الصفار: نحن جزء من مجتمع ووطن، ينبغي أن تكون علاقاتنا مع بقية أجزاء هذا المحيط وأطيافه علاقة إيجابية تخدم الجميع والوطن، داعيًا إلى الاهتمام بهذا الشأن في بناء العلاقات الإيجابية مع المحيط الذي حولنا.

وأشار إلى أن بعض الناس قد يعيبون الانفتاح والاهتمام بتكوين العلاقات مع ذلك الطرف أو ذاك لوجود تصريح هنا أو إساءة هناك.

وتابع حديثه مشيرًا إلى أن وجود مشكلة من ذاك الطرف أو هذا الطرف لا ينبغي أن تكون مبررًا للتقاعس والانكفاء على الذات، بل ينبغي أن نتجه لتطويق تلك المشكلة وتضييقها، منبهًا إلى أن الانكفاء والانطواء يجعل الساحة مفتوحة أكثر أمام الأصوات المتطرفة.

المشاركون في الحفل

كما شارك في الحفل بكلمات وقصائد، بالإضافة إلى مشاركة سماحة الشيح الصفار، كل من: معالي المهندس/ عبدالعزيز بن محمد الحقيل، رئيس المؤسّسة العامة للخطوط

الحديدية، ومعالي الأستاذ سليمان بن سعد الحميّد، محافظ المؤسّسة العامة للتأمينات الاجتماعية، والشاعر السيد عدنان العوامي، والأستاذ حسن علي الزاير، والأستاذ/ محمد رضا نصر الله، عضو مجلس الشورى، والمهندس/ عباس رضي الشماسي رئيس جمعية القطيف الخيرية، والأستاذ/ محمد سعيد العلي، والشاعر علي عيسى المهنا، والشاعر المهندس حسن الشيخ عبدالكريم الفرج، وغيرهم. وجاءت كلمة أبناء الفقيد في ذكرى الأربعين ختامًا للحفل، للدكتور مازن عبدالغني السنان، ومما جاء فيها: أصالة عن نفسي ونيابة عن أولاد الفقيد أتقدّم بالشكر الجزيل لكلّ من وقف معنا في مصابنا وعزانا. كما أتقدّم بالشكر الجزيل لكل من ساهم وشارك في ذكرى الأربعين وللجنة المنظمة.

كما أخصّ بالشكر سماحة العلامة الشيخ الفاضل حسن الصفار على موقفه الرجولي معي عند وفاة والدي. ففي المواقف الصعبة تغربل الرجال من أنصاف الرجال، وتنجلي معادن النفوس.

وكما أشكر سماحة السيد محمد العوامي على مواصلته المستمرة للوالد أثناء مرضه.

٧

الشيخ جعفر الهلالي في ضيافة الشيخ الصفار[١]

«حسين زين الدين»

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه مساء السبت ٢٥رجب١٤٣٠هـ الخطيب الكبير الشيخ جعفر الشيخ عبد الحميد الهلالي، ودعا على شرفه عددًا من علماء الدين والأكاديميين والمثقفين ورجال الأعمال.

وتأتي زيارة الشيخ الهلالي لسماحة الشيخ الصفار الذي استقبله بحفاوة وترحاب ضمن أول زيارة له للمنطقة بعد حوالي خمسة وعشرين عامًا، لزيارة أقاربه في الأحساء حيث ينتمي إلى أسرة الهلالي الأحسائية. واصطحبه الشيخ الصفار إلى مكتبته التي تضم ما يقرب من (١٢٠٠٠) كتاب في جميع العلوم والآداب ككتب التفسير والحديث والفقه والفلسفة والأصول لجميع المذاهب.

وقال الشيخ الصفار في بداية حديثه عن الضيف: «إنه فارس من فرسان المنبر الحسيني، ورائد من روّاد الأدب الرسالي، وعلم من أعلام التحقيق والتأليف، ومثال حيٌّ من أمثلة الأخلاق والصلاح والورع والتقوى، وتلك هي العناوين البارزة في شخصية الشيخ جعفر الهلالي».

---

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٩م.

مضيفًا أنه رائد من الروّاد «المجددين للمنبر الحسيني»، ومن الأسماء اللامعة في الخطابة، مبيّنًا أن مجالسه وخطاباته في العديد من الدول العربية والإسلامية تشهد بوعيه وثقافته وتجديده في عرض سيرة أهل البيت ﷺ.

وذكر سماحته أنه من «الشعراء المعروفين والبارزين»، له ملحمة رائعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعنوان: «الملحمة العلوية» تقرب من ١٢٠٠ بيت من الشعر.

وأشار إلى أنه من «المحققين البارعين»، اشتغل لعدة عقود من الزمن على تأليف موسوعة في شعراء الإمام الحسين، طبع منها خمس مجلدات، ولا تزال بقية مجلداتها مخطوطة، في هذه الموسوعة يجد الإنسان طول باع، وسعة أفق، ودقة في التحقيق للقضايا التاريخية والأدبية.

وتابع كلامه بأنه «مثال صادق للشخصية الدينية العلمية الملتزمة بالأخلاق والصلاح والورع والتقوى»، عاش في ساحات تحتدم فيها الصراعات والنزاعات، لكن الله حفظه من التورط بشيءٍ منها، تسامى عنها، كان صديقًا للجميع، ومحبًّا لهم، ومنفتحًا عليهم، حتى نال محبتهم واحترامهم.

مبيّنًا أن ما أجمع عليه من كتب عن شخصيته أنه يعيش «تواضعًا مفرطًا»، تواضعه وبساطته هي التي جعلته لا يتبوأ الموقعية المطلوبة للبروز والشهرة مع امتلاك مقوماتها.

من جهته تحدّث الشيخ الهلالي في كلمته، مبديًا شكره للشيخ الصفار لما قدَّمه من وصف وتعريف لشخصيته بقوله: «في الواقع، إني لا أدري بماذا أردّ على أستاذنا وأخينا بما أطراني أكثر مما أنا فيه، وأرجو أن أكون مقبولًا لديه ولدى أصحاب الفضيلة والوجاهة، فإني أصغر طلاب العلوم وخدمة الإمام الحسين عليه السلام بشكل خاص».

وتناول الشيخ الهلالي في كلمته التي أجملها بالقصص والطرائف الرائعة حول سيرته الذاتية ونهجه الخطابي والتجديدي للمنبر الحسيني، وذكر أنه ولد بالعراق في

مدينة البصرة، وتعلّم فيها قبل أن ينتقل في الأربعينيات مع والده وعائلته إلى النجف الأشرف للمجاورة والدراسة، وهو ينتمي إلى أسرة محافظة ملتزمة.

بدأ دراسته في البصرة، وكانت لأجواء النجف المهيأة لاحتضان المفكرين والعلماء والأدباء الدور الأبرز في صناعة شخصيته العلمية والدينية والأخلاقية.

وقال: «إني مدين للنجف جرّاء ما نلته منها وما ناله غيري من هذه الحاضرة، ومدين لتلك الروح العلوية التي شملت المجاورين أجمع وطالبي المعرفة بشكل خاص».

وكانت الأيام التي عاشها في النجف سليمة وهادئة اتسمت بروح الإخوة بين طلاب العلوم الدينية والأدبية على حدّ قوله.

ورأى أن طالب العلم أو الخطيب لا بد أن «يعلَّم الناس بأخلاقه قبل أن يعلمهم بأقواله».

ودعا الشيخ الهلالي طلاب العلوم الدينية والخطباء إلى الاهتمام بالأدب وعلومه وحثّهم على الاطّلاع والتحقيق وتعميق العلاقة بينهم وبين الكتاب، وخاصّة تلك التي تنمّي من ملكتهم اللغوية والأدبية كي تساعدهم على ممارسة الخطابة الجيدة.

وأشار إلى أنه تعلّم فنون الخطابة على يد والده المرحوم الشيخ عبد الحميد إبراهيم الهلالي، حينما كان يصحبه في أسفاره، واصفًا علاقته بأبيه بـ«العلاقة الأخوية».

وقال إن من جملة ما يجب على الخطيب إذا أراد أن ينجح أن يكون «ملمًا بالمسائل التاريخية»، معبّرًا عن أسفه لما رآه من بعض الخطباء من ضعف في هذا الجانب.

وعبّر المداخلون عن شكرهم وتقديرهم لسماحة الشيخ الصفار لاحتفائه بسماحة الشيخ الهلالي، ولمبادراته الرائدة، كما أشادوا بشخصية الشيخ الهلالي، الذي كان لبعضهم صلة وعلاقة قديمة معه.

وقال الدكتور الشيخ محمود المظفّر، الأستاذ السابق بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، في مداخلته: يتميّز الشيخ بالجانب الأدبي والخطابي، والشيخ جعفر خريج

كلية الفقه التي أولت اهتمامًا كبيرًا بالخطابة، فكان أحد أبرز الروّاد في الخطابة الذين جمعوا بين الفكر الديني والفكر الحديث.

وعبّر الدكتور أحمد المعتوق، الأستاذ بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، عن زيارة الشيخ للقطيف بأنها «مكسب ومغنم للمجتمع»، مضيفًا بقوله: إني عرفته خطيبًا وعالمًا ومهتمًا بالجوانب الثقافية منذ خمس وخمسين سنة عندما كنا في بيت واحد بالعراق، وفي موسوعته التي رجعت إليها توًا في موضوع يتعلق بالحسين عليه السلام وبمعركة الطف، فوجدته «غزير المعرفة، واسع الاطّلاع».

وأشار الدكتور السيد عدنان الشخص، الأستاذ السابق بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، إلى أن خطاب الشيخ يتميّز بالأصالة والأسلوب المميز، وهذا ما انعكس على بحثه، ونحن بحاجة حقيقية لمثل كهذا رجال، يهتمون بالإنتاج الأصيل، ودعا إلى الاستفادة من تجربة الشيخ في كيفية الإنتاج الذي يمتاز بالأصالة.

وذكر سماحة السيد حسن النمر أن الشيخ يمتاز بالكثير من السمات الأخلاقية، ولكني أركز على صفتين بارزتين في شخصيته: صفة التواضع، والشيخ تواضع لله فرفعه وأحبّه الناس، والبعض يجد نفسه مضطرًا للتواضع لجبن فيه، لذلك يكون «تواضعه قهريًّا لا اختياريًا»، وما لمسته من الشيخ أن تواضعه كان «اختياريًا بحتًا». والصفة الأخرى هي سمة «الشجاعة»، كان للشيخ العديد من الآراء استطاع أن يجهر بها في جوٍّ غائم من المخالفة، وكان يحدوه الدليل والبرهان، ولم يكن منجرًّا وراء الرأي العام من أجل التميز والشهرة أو من أجل أن يسجل عند الناس حتى يقال في حقه «خالف تعرف».

وأعرب رجل الأعمال الحاج عبد الجبار أبو مرة عن إعجابه بأسلوب الشيخ المتميز، وقال: «إنه من سوء حظي أني لم أتعرف سابقًا على هكذا علم من الأعلام».

وفي الختام شكر سماحة الشيخ الصفار الحضور على تلبيتهم وتشريفهم بالحضور، ودعاهم لتناول وجبة العشاء على شرف الضيف الكريم.

وكان من بين الحاضرين عدد من رجالات أسرة الهلالي، وأصحاب الفضيلة: الدكتور الشيخ محمود المظفر، الشيخ فوزي السيف، الشيخ محمود السيف، السيد كامل الحسن، السيد حسن النمر، الشيخ عباس المازني، الشيخ جواد الخليفة، السيد طاهر الشميمي، الشيخ عبد الله اليوسف، الشيخ محمد سعيد الخميس، الشيخ شاكر الناصر، الشيخ محمد العمير، الشيخ أحمد القطري، الملا حسين الفضل، الشيخ سعيد الحرز، الشيخ حسين الصويلح، الشيخ محمد عبد العال، الشيخ عبد الله المسلم، الشيخ عبد الله المسكين. ومن الشخصيات الأدبية: السيد عدنان العوامي، الدكتور السيد عدنان الشخص، الدكتور أحمد الشيخ محمد تقي المعتوق، الأستاذ باقر الشماسي، الحاج عبد القادر أبو المكارم، الأستاذ حسين البزبوز، الأستاذ علي آل محمد علي، ومن رجال الأعمال: الحاج عبد الجبار بو مرة، الحاج فؤاد بو مرة، الحاج عبد الجبار الحمود، الأستاذ منصور سلمان العليو، والسيد هاشم الشرفاء، والأستاذ أمين العقيلي، والأستاذ علي البحراني وعدد من الشخصيات المختلفة.



الشيخ الصفار يدعو إلى الإكثار من المؤسّسات الاجتماعية الخيرية[1]

دعا سماحة العلامة الشيخ حسن بن موسى الصفار إلى الإكثار من افتتاح المؤسّسات الاجتماعية الخيرية لخدمة المنطقة، جاء ذلك خلال محاضرة ألقاها بالمسجد الجامع الحوطة بالعمران مساء أمس بمناسبة البدء بحملة الزواج الميسر بالعمران السادس.

وألقى سماحته محاضرة بعنوان «قوة المجتمع في تعدد مؤسّساته الاجتماعية» بحضور عدد كبير من المستمعين، وقد بدأت فعاليات اللقاء بالقرآن الكريم، رتّله القارئ عبد الستار الرضي.

ثم كلمة للأستاذ عباس الموسى ألمح خلالها إلى أهمية التعاون بين أفراد المجتمع والتعاون في المجالات الاجتماعية.

بعدها بدأ سماحة الشيخ في إلقاء محاضرته حيث تحدّث عن أهمية العمل من منطلق الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

وقال إن هناك من جسّد ما جاءت به الآية الكريمة من توجيهات على أرض الواقع، وهناك للأسف من قطع وقتًا في محاولة تفسير كلماتها وقال إن هناك دولًا كأمريكا

(١) شبكة راصد الأخبارية. نشر بتاريخ ١٧/ ٨/ ٢٠٠٩م.

وبريطانيا بها شعوب لا تنتظر أن تقوم الدولة بعمل كلّ شيء بل تُنْشِئ مؤسّسات اجتماعيه تقوم على تنفيذ مشاريع خدمية لبعضها البعض، كأن تقوم بنشر الثقافة وتقدّم المساعدات للفقراء ومؤسّسات تطوعية.

وأضاف: «نحن نتعايش مع مشاكلنا بالحديث عنها بمجالسنا ولا نفعل شيئًا على أرض الواقع لحلّها، كمشكلة الإسراف في حفلات الزفاف وتبعاتها، وكذلك الإسراف في مراسم العزاء في حالة وفاة أحد أفراد الأسرة».

وضرب أمثلة عن تلك المرأة التي أصيب ابنها خلال قطعه للطريق للذهاب للمدرسة، فهي لم تندب حظّها وتبكي بل شكّلت مجموعات من نساء الحيّ لتنظيم حركة المرور وإيقاف السيارات أثناء عبور الطلبة.

وقال: «قصة التاجر الأمريكي الذي زار إحدى الدول الإفريقية وشاهدهم يمشون حفاة فعاد ليشكّل منظمة قامت بجمع الأحذية المستعملة وتلك التي بالمصانع للأحذية التي لا تنطبق عليها المواصفات حيث تم جمع مليوني حذاء وغيرها من الأمثلة».

وأشار فضيلته إلى أن هناك بأمريكا أكثر من مليون ونصف مليون جمعية خيرية، وفي ألمانيا ٨٠٠ ألف جمعية وفرنسا ٦٠٠ جمعية، وحتى إسرائيل بها ٣٥ منظمة اجتماعية، ونحن نقرأ القرآن وغيرنا يطبقه على أرض الواقع، إضافة إلى أن بأمريكا ٩٣ مليون متطوع، وفرنسا ١٠ ملايين متطوع، وأن الخلل في فهمنا للقرآن والدين.

وذكر مقولة الإمام علي عليه السلام عندما قال: «الله الله في القرآن لا يسبقكم إلى العمل به غيركم».

وتطرّق سماحته إلى الزواج الجماعي وإلى الشباب وغلاء المهور وغيرها من الأمور الاجتماعية التي يجب أن يسهم المجتمع جميعًا في حلها.

٧

سماحة الشيخ حسن الصفار بمسجد الإمام الجواد[١]

شرفنا وشاركنا سماحة الشيخ حسن موسى الصفار حفظه الله في مسجد الإمام الجواد بمدينة سيهات يوم الاثنين / ليلة الثلاثاء ٢٦ شعبان ١٤٣٠هـ، حيث قدم فضيلة الشيخ حميد درويش إمام صلاة الجماعة بمسجد الإمام الجواد سماحة الشيخ حسن الصفار ليؤمّ المصلين جماعة.

وبعد الانتهاء من الصلاة، باشر قارئ القرآن بقراءة بعض آيات من الذكر الحكيم تلاها على مسامع الحضور الأخ الكريم أسامة الغانم، وبعدها أشار المقدم الأستاذ منصور مرهون بأن إدارة المسجد وعلى رأسهم فضيلة الشيخ حميد كانت تُهَيِّيء نفوسنا باستقبال هذا الشهر الكريم، وأشار بنبذة بسيطة عن ضيفها الكريم في هذه الليلة المباركة تستضيف هذه اللجنة علمًا من أعلام المنطقة طالما تنقّل من مناسبة إلى أخرى كالنحلة الدّؤوب، فتراه حينًا يحمل همّ مجتمعه ليبصره أرباب المسؤولية، وتراه حينًا آخر مستشارًا لمسؤوليات مفصلية، وحينًا آخر يشارك الناس أفراحهم وأتراحهم ما دام هناك جزء يسمح من وقته إنه حقيقة أحد أمراء الكلام في زمننا هذا، والخطيب المفوّه الذي طالما ارتقى المنابر الحسينية بمحاضراته وحواراته الهادفة في القنوات الفضائية وأشبع قلمه في تأليف الكتب ومختلف الموارد في العلوم الإسلامية، هو

---

(١) موقع مؤسسة الرسول الأعظم ﷺ. نشر بتاريخ ٢١/ ٨/ ٢٠٠٩م.

سماحة الشيخ حسن موسى الصفار، وقبل البدء في إلقاء كلمته الخاصة تحت عنوان: «شهر رمضان والانفتاح مع الذات» تحدّث عن أهمية وجود أهل الخير والصلاح من أئمة المساجد ودورهم في تربية الأجيال الصالحة والاستفادة منهم، كما أشاد بقوله بأن وجود إدارة في المسجد هذا مكسب كبير قيام هذا المسجد بين أظهركم ليعمروا هذا المسجد بالهدى كما وفق الله إعماره بالبناء، فبناء المساجد نعمة كبيرة حتى يستفيد الجميع من عطاء هذا المسجد المبارك ومن أجوائه الروحية العظيمة وبعدها قدم سماحته التهاني والتبريكات للحضور وللأمة الإسلامية جمعاء بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك.

نص محاضرة سماحة الشيخ حسن موسى الصفار حفظه الله بمسجد الإمام الجواد تحت عنوان:

شهر رمضان والانفتاح مع الذات

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له أبعده الله». إن إدراك شهر رمضان هو نعمة؛ لأن الأعمار والآجال بيد الله سبحانه وتعالى، وحينما يستقبل الإنسان شهر رمضان عليه أن يشكر الله على نعمة بقائه لإدراك هذا الشهر الكريم، نسأل الله أن يطيل أعمارنا وإياكم في خير وعافية وصلاح إن شاء الله.

«من أدرك هذا الشهر الكريم فلم يغفر له»: أهمّ شيء ينبغي الوصول إليه والطموح في تحققه في هذا الشهر الكريم هو هذا المطلب العظيم الكبير، غفران الله، ولذلك فإن المؤمن في كل ليلة من ليالي شهر رمضان يستحضر في نفسه هذا الهدف، كما هو مضمون الدعاء الشريف: «اللهم إن لم تكن قد غفرت لنا في ما مضى من شهر رمضان، فاغفر لنا فيما بقي منه». هذا هو أكبر هدف وأكبر طموح عند الإنسان في شهر رمضان: الوصول إلى غفران الله سبحانه وتعالى.

ماذا يعني الغفران؟

الغفران له بعدان:

البعد الأول: هو أن الله سبحانه وتعالى يسقط عن الإنسان الآثام والتبعات التي لحقته جرّاء ذنوبه وأخطائه في هذه الحياة، فكُل ابن آدم خطاء، إذ لدى الإنسان عثرات ونقاط ضعف، ونحن نعتقد بأننا مسؤولون أمام الله سبحانه وتعالى، وأن هناك رصدًا لأعمالنا الصالحة والطالحة، ولكننا قد نغفل وقد ننسى، ولكن الملائكة الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما نفعل لا يغفلون عن شيء مما يعمله الإنسان بنصّ الآية المباركة: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

كل كلمة من كلماتنا، من كلماتك، من كلمات أيّ إنسان، وكلّ عمل من الأعمال فهي مسجلة، يقول تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. ونحن الآن نعيش في عصر أصبحت فيه هذه الفكرة وهذه المسألة جلية واضحة. إن تسجيل همسات الإنسان وتحركاته ممكنة من خلال مختلف الوسائل المتطورة، حيث تحصى على الإنسان كلّ حركاته وسكناته وتُوثّق بالصوت والصورة، وهذا من المخلوق الضعيف الذي وصل إلى هذا المستوى من التقدم التقني فبالإمكان وضع أجهزة تصور وتلتقط كلّ ما يحصل في هذا المكان، بل أقمار صناعية هي التي ترصد كلّ ما يجري وكلّ ما يدور بالصوت والصورة في أبعاد ومختلف المستويات فكيف بربّ الأرباب؟ وهو الخالق سبحانه وتعالى الذي يقول: ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾.

ما يدور في نفسك وما يختزنه قلبك، كلّ ذلك مسجّل عليك، هناك تبعات للذنوب وللأخطاء، وما يعنيه غفران الله سبحانه وتعالى في البعد الأول هو إسقاط هذه التبعات وهذه الآثام وهذا الوزر عن الإنسان، وهذا مطلب عظيم؛ لأن الله سبحانه وتعالى إذا حاسبنا وإذا عاقبنا على أعمالنا فإن ذلك يعني البلاء، ولذلك نحن نطلب من الله سبحانه وتعالى أن لا يتعامل معنا حسب القانون، «اللهم عاملنا بعفوك ولا تعاملنا

بعدلك»،فإذا كان حسب القانون فمعنى ذلك الهلاك؛ لأن الإنسان من طبيعته أن تصدر منه أخطاء وسقطات، وهذا هو البعد الأول، لكن هذا البعد يرتكز على بعد آخر ويتكئ على سبب آخر في البعد الثاني.

البعد الثاني: كيف يُغفر ذنب الإنسان؟ وكيف يتجاوز الإنسان الذنب الذي يرتكبه؟

نحن نكرر دائمًا وأبدًا: «أستغفر الله ربي وأتوب إليه»، ومن الأعمال والمستحبات في شهر رمضان وفي شهر شعبان وفي كلّ وقت طلب الدعاء والاستغفار، وذلك حتى يلتفت الإنسان إلى ذنبه، وإلى الخطأ الذي يرتكبه، وإلى نقطة الضعف ويصمّم على الترك وعلى إصلاح نفسه وذاته، وهذه مسألة مهمّة جدًّا. إن الجسم يحتاج بين وقت وآخر إلى التنظيف وإلى الغسل، وإذا لم يتعهّد الإنسان بذلك فإن جسمه يكون فيه روائح نتنة، فلا بدّ وأنه بين فترة وأخرى يغسل جسمه، وثيابه التي يلحقها الغبار وتحتاج إلى الغسل، كما أن منزله يحتاج إلى الكنس والتنظيف، وعليه أن يعلم بأن نفسه أيضًا يلحقها الغبار ولكنه يجب أن يتعاهدها بالتنظيف.

كيف يطهر الإنسان نفسه؟

كي تزيل الشوائب والغبار والأوساخ التي تأتي بها لنفسك بطبيعتك البشرية وطبيعة الحياة التي تعيشها، أنت بحاجة إلى وقفات مع نفسك حتى تكتشف الخطأ وتكتشف مكان الأوساخ الموجودة في نفسك.

إنّ الواحد منّا لا يخرج للناس حتى يرى المرآة ليعكس صورته وشكله الحسن أمام الناس، وعلى الإنسان أن تكون له مرآة يرى فيها وجهه الداخلي والحقيقي والروحي، وشهر رمضان يتيح هذه الفرصة الجميلة، ذلك أن من أفضل الفرص دائمًا وأبدًا على الإنسان أن يحاسب نفسه كما ورد عن رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن تُوزنوا»، وشهر رمضان هو الوقت الأفضل والأنسب للبحث في زوايا النفس، وأهمّ شيء في هذا الشهر الكريم أن يضع الإنسان لنفسه برنامجًا لمحاسبة نفسه وللتأمل في ذاته، وأن يكون أمامه مسرد يسرد ويكتب ويسجّل

ويستحضر فيه كلّ أوضاعه على الصعيد الفكري.

ما هي الأفكار التي يؤمن بها؟ وما هي القناعات التي يحملها؟ هل هو متأكّد أن كلّ أفكاره صحيحة وصائبة؟ قد تكون أفكارك خطأ وقد تكون بعض أفكارك بعيدة عن الصواب، إذن عليك أن تعيد النظر وعليك أن تتأمل في الأفكار التي تحملها، عليك أن تتأكّد من حالاتك النفسية، إننا على صعيد الجسم لدينا فحوصات بين فترة وأخرى، حيث يُفضّل أن يذهب الإنسان ويعمل تحليلًا لدمه ويعمل فحوصات في المختبر ويقوم بعمل أشعة حتى يتأكد من أوضاع الأجهزة في جسمه، وأنها تسير بشكل طبيعي.

إنك بحاجة أيضًا إلى مختبر ـ إنك بحاجة إلى تحاليل ـ إنك بحاجة إلى أشعة للجانب الروحي وللجانب الداخلي، وأفضل وقت لذلك هو شهر رمضان الكريم، وكذلك في المجال السلوكي على كلّ إنسان أن يستحضر كل سلوكياته، كيف أتعامل مع الوالدين والأبناء والأزواج والجيران والزملاء والناس من حولي؟

على الإنسان أن يستحضر هذه الأمور ليرى مكان الخطأ، ونقطة الضعف، والزاوية التي تحتاج إلى إضاءة. أما المختبر والأشعة التي ينبغي تصنيفها على النفس، فهي عبارة عن البرامج الروحية التي يدعونا إليها الإسلام في شهر رمضان المبارك، كقراءة القرآن الكريم في كلّ يوم، فيقرأ الصائم على الأقل جزءًا من القرآن بصورة يومية.

ماذا تعني تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان؟

ليس طيّ الصفحات فحسب، وليس مجرد تلاوة الآيات باللسان، وإنّما أن تسمح لأشعة القرآن، وتسلطها على نفسك وعلى سلوكك، وأن تجري التحاليل والأشعة والفحوصات كاملة على نفسك من خلال قراءتك لآيات القرآن الكريم، وكذلك الأدعية الشريفة الواردة، فحينما تقرأ دعاء أبي حمزة الثمالي في ليالي شهر رمضان، عليك بالفعل أن تقرأ كلّ فقرة من فقرات الدعاء وأنت تتأمل في ذلك ونفسك وتطبقها على واقعك، وسائر الأدعية الواردة في شهر رمضان المبارك ومن ضمن البرامج صلاة الليل، هي فرصة أن يخلو الإنسان بنفسه بعيدًا عن الاهتمامات المادية وعن

الشهوات وعن الأهواء.

يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه وخير خلقه نبينا محمد ﷺ: ﴿وَمِنْ اللّيْلِ فَتَهَجّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودا﴾، ونحن أحوج إلى الاقتداء بسيرة رسول الله وأهل بيته، فالنافلة التي يتهجّد بها الإنسان في الليل تساعده على أن يكون في مقام محمود يحمده الله ويحمده الناس، فيكون في موقعية مرضية عند الله سبحانه وتعالى وعند الناس؛ لأن صلاة الليل تتيح للإنسان فرصة التأمل، ومراجعة الذات، وتوثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى، فإذا استطاع الإنسان من خلال شهر رمضان أن يصحّح أخطاءه الفكرية النفسية والسلوكية، يكون قد حقّق ووصل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى. أمّا اذا دخل عليه شهر رمضان وخرج عنه وهو بنفس السلوك لم يتغيّر عليه شيء من سلوكه ولم يتغير شيء من أوضاعه وحالاته النفسية، لم يتغيّر شيء من أفكاره، فهذا يعني أنه لم يصل إلى هذا المقام.

إنّنا بحاجة إلى الالتفات إلى سلوكنا، فلا نسترسل كثيرًا، إذ إن حالة الاسترسال والاستصحاب إلى ما نحن عليه هذا هو الخطأ الكبير، علينا أن نقف ونتأمّل ويكون عندنا استعداد للاعتراف بالخطأ مع أنفسنا وأمام الله ونصمّم على إصلاح وتغيير الخطأ.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم جميعًا للاستفادة من نعمة شهر رمضان المبارك ومن أجوائه الروحية العظيمة النافعة الملهمة المربية، وهذه دورة تدريبية عظيمة، وهذا مصحّ نفسي يدخله الإنسان حتى يخرج منه وقد شفي من مختلف الأوجاع والعلل.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن رحمه وغفر له وتقبّل منه وقرّبه إليه في شهر رمضان المبارك إن شاء الله، وأن يحيط بهذا المسجد البرامج الرمضانية التي تكون فيه دور في مساعدة المؤمنين المرتادين لهذا المسجد على الوصول إلى مقام غفران الله سبحانه وتعالى.

٧

الأحساء: الشيخ الصفار نجاح المجتمع في تعدّد مشاريعه[١]

«تقرير ومتابعة: صادق راضي العلي»

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار المجتمعات الإسلامية والعربية استنادًا إلى الآيات القرآنية والنصوص الإسلامية إلى السعي نحو تعزيز مكانتهم في العالم وتصحيح أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ونشر ثقافة الوعي والتطوع، من خلال التأسّي بالمجتمعات الأخرى التي تفوقت علينا عندما استفادوا من التعاليم الدينية التي أصبحت عندهم أنموذجًا وسلوكًا حينما حولوها إلى برنامج عمل ومشروع حياة.

فلا تكاد تجد بعدًا من الأبعاد أو شأنًا من الشؤون في المجتمعات الأخرى إلا وهناك جمعيات ومنظمات أهلية تهتمّ بالجوانب المختلفة في المجتمع، كمساعدة الفقراء والمساكين ونشر ثقافة الوعي والمعرفة وحماية البيئة والحدّ من الفساد الأخلاقي والاجتماعي ومعالجة مشاكل المرور والأمن. في مقابل ذلك تفتقر الساحة الإسلامية في الكثير من شؤونها إلى وجود تلك المنظمات والجمعيات مع الحاجة الملحّة لها؛ نظرًا لكونهم الأولى في تطبيق تلك المفاهيم التي جاءت بها آيات القرآن الكريم والشريعة الإسلامية.

جاءت كلمة الشيخ الصفار بعنوان: «نجاح العمل في تعدّد مشاريعه»، وذلك

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٢٩/ ٨/ ٢٠٠٩م.

في بلدة الحوطة بالأحساء ضمن برنامج الزواج الجماعي الميسّر مساء يوم الجمعة الموافق لـ ٢٣ من شهر شعبان ١٤٣٠هـ الموافق ١٤/ ٠٨/ ٢٠٠٩م بعد أن أمّ المصلين في مسجد المغيسل.

افتتح كلمته بالآية القرآنية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، وذكر بعض الأمثلة استشهادًا مع المقارنة بينها وبين مشاكلنا نحن المسلمين من اجترارنا للمشاكل في مجالسنا وأعمالنا مع كثرة الكلام حولها دون القدرة على صناعة الحلول والمعالجات المناسبة لها، وكيف أن المجتمعات الأخرى عندما تبرز مشكلة من المشاكل يسارعون إلى حلّها وعلاجها والحدّ من مدى انتشارها واستحداث الطرق والأفكار من أجل تجاوزها. بينما نبقى نحن نندب الآهات ونكثر الكلام حول المشاكل من دون القدرة على المعالجة الحقيقية لها.

وذكر الشيخ الصفار بعض الإحصائيات لبعض المنظمات والجمعيات المنتشرة في العالم، وذكر على سبيل المثال بأنه في أمريكا توجد مليون وخمسمائة وأربع عشرة ألف جمعية ومنظمة أهلية ترعى شؤونها وأوضاعها، وفي ألمانيا يوجد ثمانمائة ألف جمعية أهلية خيرية، وفي فرنسا يوجد ستمائة ألف جمعية تطوعية أهلية تهتمّ بمعالجة أوضاعها الاجتماعية والصحية، وفي بريطانيا يوجد ثلاثمائة وخمسون ألف جمعية، وفي اليابان يوجد مائة وعشرون ألف منظمة وجمعية أهلية، وفي إسرائيل هذهِ الدولة التي لا يتجاوز عدد سكانها أربعة ملايين نسمة يوجد فيها خمسة وثلاثون ألفَ جمعية تطوعية ترعى شؤونها وتنظم أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.

وتعرّض الشيخ الصفار في مجمل حديثة إلى ذكر بعض العادات الجديدة التي بدأت تنتشر في المجتمعات العربية والإسلامية إضافة إلى تلك العادات القديمة وبروز بعض الأعراف والعادات من غلاء المهور وحفلات عقد الزواج وما يصاحبها من مصاريف وتكاليف إلى المفاخرة في عمل الزينة الخاصة بسيارات المتزوجين وكثرة البذخ والإطعام في ليلة الزفاف، إضافة إلى ملابس النساء ومراسيم ليلة الدخلة.

كما تطرق الشيخ الصفار إلى ذكر بعض العادات المصاحبة لمراسيم الفواتح والعزاء من السلام على جميع الموجودين في المجلس وتعدّد وجبات الإطعام من الصباح وحتى المساء، ودعا إلى الاقتصار في السلام على أهل العزاء والحدّ من وجبات الإطعام، وصرف النظر في الأجر والثواب إلى أمور أخرى يستفيد منها المتوفى.

وتساءل الشيخ الصفار عن الأسباب التي تدفع في هذا الاتجاه، وعن سرعة انتشارها مع غلاء الأسعار والحالة الاقتصادية السيئة التي يتورّط في تبعاتها من يفكر في الزواج مستقبلًا، وعن مدى حاجة المجتمعات إلى هذه الأعراف والتقاليد.

وعلّل الشيخ الصفار في حديثه إلى أن كثيرًا من مشاكلنا ناتجة من انغماس الكثير من أبناء المجتمع في العبادات الدينية الفردية وانشغالهم في قضاء حاجاتهم الشخصية، وعدم تلمس حاجات المجتمع الفعلية مع عدم السعي إلى قضاء حاجات الناس والمجتمع، بالإضافة إلى غياب البرامج والمنظمات الأهلية التطوعية التي تسعى إلى معالجة المشاكل وإيجاد الحلول المناسبة لها. كما قال العلامة جمال الدين الأفغاني حينما سافر إلى بعض الدول الغربية وشاهد ما عندهم فقال: (رأيت الإسلام هناك والمسلمين هنا)، مشيرًا من خلال ذلك إلى غياب الاهتمامات الاجتماعية في أوطاننا وبلداننا العربية والإسلامية. وكما قال الإمام علي عليه السلام: «الله الله في القرآن لا يسبقكم إلى العمل به غيركم».

كما شارك في اللقاء الذي حضره لفيف من العلماء والوجهاء والمثقفين بالإضافة إلى سماحة الشيخ الصفار، كلٌّ من: الأستاذ عبد الستار الرضي في قراءة آيات مباركات من القرآن الكريم، والأستاذ عباس الموسى بكلمة ترحيبية أشاد فيها بنشاط الشيخ الصفار وتحركاته الاجتماعية والوطنية، وتحدّث فيها عن: الحثِّ على العملِ الاجتماعي والتواصلِ بين الناسِ والتعاونِ من أجلِ خدمةِ المجتمعِ المؤمن.

وقال: ينبغي للمجتمع ألّا ينسى ما قدّمه القائمون على الزواج الميسّر من نشاطاتٍ

سابقةٍ خدمت المجتمعَ ونشرت روحَ الوعي والشعورَ بالمسؤوليةِ بين أفراد المجتمع، وكان لهم الفضلُ في الكثيرِ من الأعمال إن لم أقل جميعِها، فالشكر لله أولًا الذي جعل هؤلاء بيننا، والشكر لهم على ما يقدّموه من أعمال تخدم مجتمعهم.

وأضاف: وليس بعيدًا عنهم ضيفُنا العزيزُ الذي تحمل عناء السفر من أجل خدمتكم، وهو رجلُ المجتمعِ بل هو روحُ المجتمعِ ونبضُهُ الذي كان وما زال أنموذجًا فريدًا في خدمةِ المجتمعِ بما يقدّمه من خدماتٍ ومساعداتٍ كثيرةٍ وجليلةٍ أصبحت مضربَ مثلٍ يحتذى به، ومطمعًا يُسعى إليه، وعملًا يُغبط عليه، إنه الشيخُ العاملُ والاجتماعي المحنَّكُ والرجلُ الدؤوبُ الذي لا يفتأُ يتحركُ هنا وهناك من أجل المجتمع، إنه سماحةُ الشيخِ حسن الصفار.

جدير بالذكر أن اللقاء جاء ضمن زيارة قام بها سماحة الشيخ الصفار للأحساء، وكان في ضيافة المهندس سعيد الخرس في الهفوف، كما تضمّن اللقاء جلسة خاصة بلجنة الزواج الميسر.

٧

تأبين السيد الحكيم في مكتب الشيخ الصفار[1]

أقام سماحة الشيخ حسن الصفار مجلسًا تأبينيًا للفقيد الراحل السيد عبد العزيز الحكيم في مكتبه بالقطيف مساء يوم السبت ليلة الأحد ٩ رمضان ١٤٣٠هـ الموافق ٣٠ أغسطس ٢٠٠٩م.

وقد حضر المجلس عدد من العلماء وحشد من المواطنين، وتحدّث الشيخ الصفار عن أسرة آل الحكيم ودورها في خدمة الإسلام والأمة على الصعيد العلمي والجهادي، حيث أشار إلى مرجعية المرجع الأعلى للشيعة في عصره السيد محسن الحكيم، والد الفقيد الراحل، ودورها الريادي كمرجعية دينية في التصدي لتيارات الإلحاد والفساد والانحراف، وفي تبني مشروع التغيير والإصلاح الإسلامي وخاصة في أوساط الشعب العراقي.

وعرض الشيخ الصفار لمواقف رجالات آل الحكيم في مواجهة الطغيان البعثي في العراق، كنضال الشهيد السيد مهدي الحكيم، الذي اغتيل في السودان، والشهيد السيد محمد باقر الحكيم الذي استشهد في تفجير إرهابي بالنجف الأشرف، وعشرات العلماء الفضلاء من آل الحكيم الذين أعدمهم الطاغية صدام، أو أذاقهم ويلات السجون والتنكيل.

---

(١) وكالة رسا للأنباء نشر بتاريخ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٩م.

وختم حديثه بالإشادة بشخصية الفقيد الراحل السيد عبد العزيز الحكيم الذي كرّس حياته في مقاومة الظلم والاستبداد، وتحمّل الكثير من الغصص والآلام، وبذل جهدًا كبيرًا في توجيه مسيرة الأحداث نحو انتزاع سيادة العراق واستقلاله من مطامع الهيمنة الأمريكية، ومن أجل حماية وحدة الشعب العراقي، وتعزيز هويته الإسلامية.

وفي ختام المجلس قرأ الخطيب الملا أحمد بن رجب تعزية حسينية.

رحم الله الفقيد الراحل، وألهم أنجاله وذويه الصبر والسلوان، وخلف على الشعب العراقي بأحسن الخلف.

٧

الشيخ الصفار في الجارودية: يدعو للفاعلية والعمل الجماعي[١]

«**عبد الباري الدخيل**»

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار المجتمع إلى تحمّل مسؤولياته في التغيير والإصلاح، ولا يتكلون على الأمنيات.

جاء ذلك خلال محاضرة ألقاها سماحته مساء السبت ٨/ ٩/ ١٤٣٠هـ في حسينية الرسول الأعظم في قرية الجارودية.

هذا، وقد تحدّث سماحة الشيخ الصفار في بداية محاضرته عن أسباب النجاح موضّحًا أن كون الدين أو المذهب هو الأفضل لا يعني بالضرورة النجاح في الحياة الاجتماعية، فنحن كمسلمين نعتقد أننا ندين بأفضل دين سماوي، أنزل الله سبحانه قوانينه على رسوله الأمين، وبالرغم من ذلك فإن الأمة الإسلامية تعيش اليوم أشدّ محنها، بعيدة عن التقدم، بل تقتات على ما يصنعه الآخرون ويطورونه.

وأضاف سماحته: الإنسان بطبعه يتمنى أن يكون الأفضل، ومن حقّه ذلك، لكن لكي يحقق هذه الأمنية لا بدّ أن يعمل وبجد ويجتهد من أجل ذلك، وإلا الأماني وحدها لا تصنع مستقبلًا.

---

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ٢/ ٩/ ٢٠٠٩م.

وقال سماحته: إن التعاون في العمل الاجتماعي من دواعي نجاحه، فنحن بحاجة إلى أن نكون يدًا واحدة في العمل، نتعاون من أجل خدمة المجتمع، وإنجاز مشاريعه.

وتساءل سماحة الشيخ الصفار: كيف يعقل أن يكون في بلدة خمسة آلاف شخص أو أكثر ويتقدّم للعمل التطوعي في الجمعية عشرة أو خمسة عشر؟

إننا يجب أن نطور العمل التطوعي، ونوليه اهتمامًا كبيرًا.

كما تحدّث سماحته عن ثقافة الكسل المنتشرة في أوساط المجتمع بدل ثقافة العمل والجدّ، وقال: إنني أتعجب من هذه الثقافة التي تسيطر على بعض أفراد مجتمعنا، ونحن نروي عن أئمتنا القصص والروايات التي تحثّ على العمل، وتبين ثواب العامل المجدّ، بل ورد عن رسول الله ﷺ: «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها».. وهذا يعني أن الثقافة التي يجب أن تكون سائدة في أوساطنا هي ثقافة العمل والمثابرة.

واستشهد الشيخ الصفار بما يحدث من جدٍّ وعمل في المجتمعات الأخرى ضاربًا مثلًا بالأسبوع الوطني الأول للزراعة التعاونية الذي أعلن في أمريكا.

وأضاف: إن الولايات المتحدة تحتفل للمرة الأولى بالأسبوع الوطني للزراعة التعاونية بعد أن حثّ توم فيلساك، وزير الزراعة الأمريكي المواطنين على الاهتمام بزراعة الخضار والفواكه في حدائق بيوتهم أو في المساحات التي تخصّصها بلديات المدن الأمريكية لاستخدامها للزراعة، في الوقت الذي تشهد فيه الولايات المتحدة أزمة مالية واقتصادية.

وقال أيضًا: إحدى الأراضي في واشنطن تحولت من جرداء قاحلة إلى خضراء معطاء، حيث كانت ملعبًا لمدرسة مهجورة في أحد الأحياء الفقيرة استصلحتها سيدتان أمريكيتان وجعلتاها مزرعة تنتج الخضار والفاكهة لتوزّع على فقراء الحي، فقد أعطت في ربيعها الأول ما يزيد على ٨٠ كغ من الفواكه والخضراوات أسبوعيًّا،

٧٥ بالمئة منها يوزع لعائلات فقيرة في واشنطن مقابل عملهم الرمزي بها ضمن برنامج لغدٍ أخضر.

وتشير التوقّعات إلى أنه في نهاية هذا العام سيكون أكثر من ٤٠ مليون أمريكي قد استغلوا حدائق منازلهم بزراعة الخضراوات بدلًا من شرائها لتوفير مبلغ ٢٠٠ دولار شهريًّا.

هذا، وقد أدار الحوار الأستاذ عبدالله حسين رمضان، وقدّم له الأستاذ محمد صالح السليمان بكلمة جاء فيها: إن سماحته غني عن التعريف، فكلّنا نعرفه منذ صحب المنبر. هو بحر زاخر بالعلم والمعرفة شطآنه هادئة ناعمة، عمقه غزير، لآلئه نادرة، يتيم الأعواد في هذه البلاد، فليتفضل سماحته لينشر علينا من روائح أزهاره العطرة ولنقطف من ثماره الحلوة المتلونة. لنستمع إلى ما يجذب الأسماع ويداعب أعماق الذات فتهفو إليه النفوس وتطمئن اليه القلوب وتضيء به العقول ويوقظ الضمائر.

دعونا في هذه اللحظة نعيش في دوحة ذات ظلال وارفة وأشجار باسقة وأنهار ناصعة على أغصان أشجارها المائسة طيور الحبّ المتنقلة بألوانها الزاهية.



الصفار للجنة التمثيل بأم الحمام: المنتمي للنشاط الحسيني يكون صالحًا مصلحًا[1]

«عبد الباري الدخيل»

بدعوة من لجنة التمثيل بأمّ الحمام، شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الحفل التكريمي الذي أقامته اللجنة للمثلين والداعمين مساء السبت ١٥/ ٩/ ١٤٣٠هـ.

بدأ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم تلاها المقرئ السيد عدنان الحجي، ثم أبيات مديح صدح بها علي محمد العاقول، وكلمة اللجنة ألقاها الأستاذ علي راضي الطلالوة، تلا ذلك عرض لأعمال اللجنة، وكلمة لسماحة الشيخ الصفار، وكلمة قناة المعارف ألقاها الأستاذ علي آل زريع، وختم الحفل بمشاركة سماحة الشيخ الصفار ورئيس اللجنة الأستاذ علي راضي الطلالوة في تكريم الممثلين والداعمين.

بدأ سماحة الشيخ حسن الصفار كلمته بتهنئة الحضور بالشهر الفضيل «أبارك لكم هذه الليالي الطيبة في هذا الشهر الفضيل» وهنأ اللجنة على جهودها الرائعة فـ «هذه الجهود نفخر بها ونفخر بمن ينتجها».

ثم وجّه سماحته كلمة لأفراد اللجنة مرحّبًا بهم ومشجّعًا لعملهم، فكان مما قال: مرحبًا بكم أيها الشباب الحسينيون، مرحبًا بكم أيها المرحومون؛ لأن الإمام الرضا

(١) موقع لبيك يا حسين. نشر بتاريخ ٨/ ٩/ ٢٠٠٩م.

ﷺ كان يكرّر «رحم الله من أحيا أمرنا»، وأنتم ـ إن شاء الله ـ مصداق لإحياء أمر أهل البيت، هنيئًا لكم هذه الجهود، ومرحبًا بهذه الروح الحسينية الوثابة.

ثم تساءل الشيخ الصفار عن سبب فشل جهود سلطات البغي والظلم طوال القرون الماضية في محو ذكر أهل البيت، وفي التعتيم على سيرتهم.

وأضاف: ما الذي جعل كل تلك المحاولات تتبخر وتصبح هباءً منثورًا؟ كم عملوا؟ وكم خططوا؟ وكم بذلوا من جهود لِمَحْوِ فكر أهل البيت ولحصار مذهبهم ومدرستهم؟ لكن تلك الجهود كلّها باءت بالفشل، والعصر اليوم يقدّم شهادة حسّية واضحة، حيث ظهرت صورة أهل البيت وظهر ذكر أهل البيت عاليًا مجلجلًا في جميع الآفاق.

مرجعًا ذلك إلى: إصرار المؤمنين طوال عصورهم وتاريخهم على أن يحيوا هذه الذكرى، وقد دفع المؤمنون الثمن غاليًا، من أرواحهم ودمائهم وأموالهم ومصالحهم، كلّ ذلك من أجل تخليد هذه النهضة الحسينية العظيمة، ولا يزال المؤمنون ثابتين على العهد، سائرين على الطريق، متمسكين بولائهم، مصرّين على إحياء هذه الذكرى العظيمة الأليمة.

عاشوراء رفض للظلم

ثم عاد سماحته وتساءل: لماذا نحيي ذكرى عاشوراء؟ ولماذا نهتم بتخليد حادثة كربلاء؟

وأجاب: إنها إدانة ورفض للظلم والاستبداد، فمأساة كربلاء إنما هي نتاج للاستبداد الذي تسلّط على الأمة، وللظلم الذي هيمن عليها، ونحن حينما نحيي ذكرى عاشوراء إنما نعلن إدانتنا لسياسة الظلم والاستبداد في كلّ زمان ومكان، الاستبداد والظلم الذي تجلّى بأبشع صوره فيما وقع على أهل البيت في كربلاء، نحن بإحيائنا لهذه المناسبة، نعلن رفضنا للظلم، وعدائنا للجور، ومقاومتنا للاستبداد في

كل زمان، وبأيّ شكلٍ من الأشكال.

عاشوراء مدرسة

وهي تذكير لنا بالسيرة الوضاءة، والقيم المشرقة التي مثلها أهل البيت، وخطّوها بدمائهم وآلامهم، وبما سكب من أرواحهم وحياتهم، في يوم عاشوراء. من هنا، فإننا نحرص على إحيائها لكي تتعزّز وتتأكّد القيم الإنسانية في نفوسنا، ولكي نقتدي بأهل البيت ونتمسك بولائهم، ولولا إحياء عاشوراء لما استمرّ خطّ التشيع، ولما استمرّت مسيرة الولاء، ولما تعزّز هذا الخط الإيماني الولائي في تاريخ الأمة، إن كلّ ذلك ببركة إحياء عاشوراء، وكلما كان الإحياء أكبر وأعظم، كانت نتائجه للأجيال المقبلة أضخم، من هنا يأتي إصرارنا على إحياء هذه الذكرى، هذا الإصرار الذي دفع أسلافنا ثمنًا باهظًا من أجله ولا يزال أبناؤهم مستعدّين لدفع أيّ ثمن.

واستشهد سماحة الشيخ الصفار على إصرار الشيعة على التمسك بقضية الإمام الحسين بما يحصل اليوم في العراق، وكيف أن المواكب تجاهلوا كلّ الاحتمالات الخطرة، مع وجود فئات تفجيرية إرهابية تستهدف المواكب والمناسبات الولائية، ولكن المؤمنين يزدادون في كلّ عام إقدامًا وتوافدًا واستجابة لنداء هذه المناسبات العظيمة، لا يبالون بالأخطار، ولا يفكرون في الاحتمالات، وإنما يدفعهم إيمانهم وولاؤهم للسير في هذا الطريق.

واستدلّ الشيخ على كون هذا المجتمع جزءًا من هذه الحالة الإيمانية الحسينية، بما شاهده من أعمال هذه اللجنة (لجنة التمثيل بأمّ الحمام) وما سمعه من نشاطها، وكيف أنها استطاعت أن تجمع الناس، وأن تحيي هذه المناسبة بالصورة والتمثيل، وبالتجسيد الذي يترك أثره البالغ في النفوس، وخاصة في نفوس الناشئة والأطفال.

وقال: إنكم بهذا الإحياء تمثلون الوفاء للأحضان التي احتضنتكم، وللصدور التي أرضعتكم، فبارك الله فيكم، وبارك الله في جهودكم.

المجتمع المتجاوب

ثم طالب سماحة الشيخ الصفار المجتمع أن يتجاوب مع هذه اللجنة ونظائرها من اللجان التي تحيي هذه المناسبة، وتخلدها بهذه الصورة المتطورة والمعبرة، بل البالغة التأثير. إننا لا يصحّ أن نقف عند مستوى الأساليب والبرامج التقليدية المألوفة، وإنما علينا ان نبدع في كلّ زمن الوسائل التي تمكننا نقل هذه القيم للأجيال الناشئة باللغة التي تفهمها، وباللغة التي تؤثر في نفوسها، نحن نعيش في عالم الإعلام، وعالم الصورة، لا يمكننا أن نتحدّث عن أحداث تاريخية بمجرد الحديث الشفهي، إننا بحاجة إلى الصورة المساعدة المعبرة، وهذا ما تسعى له هذه اللجنة الموقرة الكريمة، فعلى المجتمع أن يتجاوب، وأن يدعم ويقف إلى جانب هذا الجهد الجبار.

مسؤولية العاملين

ثم توجه الشيخ إلى الشباب العاملين ضمن اللجنة، والمتعاطفين معها، موضّحًا لهم أن انتماءهم لهذه اللجنة يحمّلهم مسؤولية إضافية، مسؤولية الالتزام أكثر بقيم الحسين عليه السلام: فما دمت تعمل في الشأن الحسيني، فعليك دائمًا أن تضع القيم والسيرة الحسينية نصب عينيك، وأن تكون بعيدًا عن الظلم والذنوب والمعاصي، حينما تنتمي إلى هذه اللجنة فهذا يعني أنك انتميت إلى معسكر الحسين، وأصبحت ضمن محيط أنصار الحسين، وعليك حينما تتعرض لوساوس الشيطان وإغراء الشهوات، أن تذكر أنك عضو في فريق الحسين، ومعسكر الحسين، وأنك شريك في إحياء ذكر الإمام الحسين. إن الشيطان يعمل أكثر على إغواء المؤمنين، كما ورد من قول الإمام الباقر عليه السلام لزرارة: «يا زرارة، إنما صمد لك الشيطان ولأصحابك، فأما الآخرين فقد فرغ منهم»، الشباب الذين يعملون في مثل هذه الأعمال والأنشطة يسعى الشيطان بجهد مضاعف لإغوائهم، حتى يحبط عملهم، ولكي يفرغ نشاطهم من محتواه، عليكم ألا تغفلوا، ففي كلّ لحظة، وأمام كل موقف، تذكر أنك عضو في هذا الفريق الحسيني، حتى تكون أنموذجًا وقدوة للآخرين.

أوقاف للأنشطة المستجدة

ثم اقترح سماحته على اللجنة وأبناء المجتمع: أن يسعوا إلى إنجاز وقف دائم لتخليد هذه الذكرى من خلال التمثيل، فلدينا أوقاف كثيرة لقراءة المأتم، وأوقاف كثيرة للإطعام في أيام عاشوراء، ولكننا بحاجة إلى أوقاف لِمثْلِ هذه الأنشطة الضرورية المستجدة، أوقاف من أجل تمثيل قضية كربلاء، لنحمي هذه اللجنة وأمثالها من الضائقة المالية، والحاجة إلى طلب الدعم، بإمكانكم أن تجعلوها على شكل أسهم، كلّ سهم بألف ريال مثلًا، اسعوا من أجل أن يكون هناك وقف دائم للجنة التمثيل، هذا الوقف سيصبح دعمًا دائمًا لهذا المشروع، إن شاء الله.

من لجنة إلى مؤسّسة

وطالب الشيخ القائمين على اللجنة أن يسعوا لتتحول اللجنة إلى مؤسّسة توعوية اجتماعية، كلّ من يشترك في هذه اللجنة، ينبغي أن يتواصلوا مع بعضهم بعضًا، وأن يتواصوا بالحقّ ويتواصوا بالصبر، على طريق الحسين. نريد من الشباب الذين يحتشدون في يوم عاشوراء، أن نراهم أيضًا في يوم الجمعة في المساجد، وأن نراهم في صلاة الجماعة، وأن نراهم متطوعين في الجمعية الخيرية، وعاملين مصلحين في أوساط شباب النادي، نريد أن نراهم في خدمة مجتمعهم، وعلينا أن نسعى أن تكون هذه الحالة عامة لكل الشباب.



٧

الصفار للعربية: تجاربي جعلتني أكثر واقعية.. وأسعى للتكامل لا للزعامة[1]

- **كوني شيعيًا لا يجعلني ذلك في مقابل وطني، وكوني سعوديًا لا يجعلني في مقابل مذهبي.**
- **كنت أفكر بصورة مثالية.. ومن لا تتطور أفكاره وآراؤه فهذا إنسان غير سوي.**
- **لا يتملّكني الشعور بأن أكون الأبرز بقدر ما يهمني التكامل لخدمة مجتمعي ووطني.**
- **من أبرز اهتماماتي تجسير العلاقة بين مجتمعي ومحيطي الوطني.**

قال الشيخ حسن الصفار إن قراءته للتجارب السياسية المختلفة جعلت منه أكثر واقعية في التعاطي مع الشأن السياسي المحلّي، ملخّصًا أبرز أهدافه الحالية في تجسير الفجوة بين المجتمع الشيعي ومحيطه الوطني.

وضمن برنامج «وجوه إسلامية» على قناة العربية الذي استضافه نهاية الأسبوع عرض الصفار لمحات من تجربته الشخصية التي تناولت آراءه في عدد من القضايا المثارة في الساحة السعودية المحلية.

وردًّا على سؤال مقدم الحلقة محمد الحسن حول ثنائية النظرة التي يجد فيها الصفار نفسه بين مواطنته السعودية وانتماءه المذهبي قال: «لست مضطرًا للانحياز إلى دائرة على حساب أخرى».

مضيفًا «أنا سعودي شيعي وشيعي سعودي.. فكوني شيعيًّا لا يجعلني في مقابل

---

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ١٥/ ٩/ ٢٠٠٩م.

وطني، وكوني سعوديًّا لا يجعلني ذلك في مقابل مذهبي».

مستشهدًا بتعدّد الانتماءات الشخصية لدى شرائح واسعة من شعوب وأعراق كثيرة في العالم.. فالأمريكي يبقى أمريكيًّا بعيدًا عن كونه من أصل أفريقي أو مسلم أو مسيحي على حدّ تعبيره.

وتطرّق الحديث الذي استمرّ على مدى أكثر من عشرين دقيقة إلى التحول السياسي في موقف الشيخ إزاء النشاط المعارض، فردَّ بالقول: «اطّلعت على تجارب الآخرين فساعدني ذلك كثيرًا في تبصر طريقي في هذه الحياة وجعلني أكون أكثر واقعية».

مضيفًا «ربما كنت أفكر بصورة مثالية.. ومن حقِّ أيِّ انسان أن يتطلّع.. ولكن على الإنسان أن يأخذ الواقع بعين الاعتبار».

وتابع بأن الإنسان الذي لا تتطور أفكاره وآراءه «فهذا إنسان غير سوي».

وأرجع الصفار حالة الإرباك الطائفي في المنطقة إلى تأثيرات خارجية أعقبت اندلاع الثورة في إيران وبروز حملة طائفية مضادة للشيعة في المملكة، بخلاف ما كان عليه التعايش المذهبي القائم في المنطقة منذ القدم.

متشدّدون يعرقلون التقارب

وحول مسيرة التقارب والحوار الوطني قال: «إن هناك جهات متطرّفة لا يروق لها أن تنجح مسيرة الحوار الوطني، ولذلك تسعى لعرقلتها.. إلى جانب المؤثرات الإقليمية والدولية كالصراع الطائفي في العراق تلقي بظلالها علينا».

وتابع بأن الجهات المتطرفة تبثّ الكراهية والبغضاء على شكل فتاوى وخطب جمعة وتصرّ على ألا تنجح مسيرة الاندماج والشراكة الوطنية، وأن يفعّل الحوار الوطني على حقيقته.

وأعرب الشيخ عن رضاه لما اعتبره شوطًا جيّدًا قطعه في سبيل التواصل من خلال اللقاءات والعلاقات مع العلماء والأدباء ورجال الأعمال في المملكة.

ولخّص الصفار اهتماماته الرئيسية في «تجسير العلاقة بين مجتمعي ومحيطي الوطني والجهات الرسمية في بلدي».

تطلّع للتكامل.. ودور الأسرة

كما ردّ بتواضع على ما وصفه مقدّم الحلقة بـ «بزوغ نجم الشيخ الصفار» بالقول: «لا يتملّكني الشعور بأن أكون الأبرز بقدر ما يهمّني خدمة مجتمعي ووطني».

مضيفًا بأنه يجد نفسه من خلال التكامل مع الجهود الأخرى في المجتمع المحلي.

وعرض اللقاء جانبًا من دور والده الراحل الحاج موسى الصفار في تشجيعه على الخطابة الدينية منذ نعومة أظفاره وحثّه على حضور مجلس أبرز العلماء القطيفيين، الراحل الشيخ فرج العمران، وإرساله لاحقًا للدراسة الدينية في العراق.

وعلق مقدم الحلقة في هذا السياق بالقول: «كان الأب موسى صاحب أكبر مشروع استثماري على خارطة الشيعة في السعودية عندما أعاد صياغة ابنه من مجرد ابن لتاجر صغير بات فيلسوفًا وعرّابًا للالتحام الشيعي السني على أرض وطن واحد».

وتناولت الحلقة هجرة الصفار للعمل السياسي في الخارج ولديه حينها بنت واحدة إلى جانب ظروف تنقله من بلد لآخر ودور أسرته وزوجته «خاتون البحارنة» في مؤازرته في عمله السياسي والدعوي.

وذكر الشيخ في هذا السياق أن السيدة البحارنة أصرّت ذات مرة على عدم تفويته فرصة المشاركة في أحد المؤتمرات الإسلامية المهمّة في الولايات المتحدة وبقيت بمفردها وسط مؤشرات على ولادة وشيكة.

وختم معدّ الحلقة بأن الصفار أنجز أهمّ مشروع تطبيقي عرفته السعودية للتقارب السني الشيعي، كما اعتبره أحد المنظرين العصريين الذين ساهموا في إخماد التطرف.



٧

الشهارين تحتفي بالشيخ حسن الصفار [١]

احتفى أهالي بلدة الشهارين بالأحساء الأربعاء الماضي بالشيخ حسن الصفار بحضور شخصيات دينية واجتماعية واستقبال أهلي لافت.

وأقامت البلدة التي ازدانت شوارعها بالافتات الترحيبية «حفل استقبال شعبي» بالشيخ الصفار الذي أمّ جموع المصلين في جامع الرسول الأعظم.

وبعد أداء صلاة العشائين، ألقى الاستاذ حسن الثواب كلمة رحّب فيها نيابة عن الأهالي «برجل الانفتاح، المفكر الإسلامي والباحث الشيخ حسن الصفار» وشكره على تلبية الدعوة وحضوره إلى قرية الشهارين.

وألقى الشاعر الأستاذ إبراهيم حسن الحسين قصيدة شعرية بعنوان «نبع قادم» أثنى فيها على جهود الشيخ ونشاطه «التي تفخر به المنطقة»، قال في مطلعها:

هَجـرٌ تُباهي الأَرْضَ والأَقْـمَـارا	جَاءَتْ تُتَوِجُ في الورى الصفّارا
يـأيــها الطود الـكـبـيـر تـحيــة	تهدى إليـــك فبارك الأشــعارا
أهلًا بمقـــدمك الكريـم ومرحـبـًا	يـا مـن زرعــت قلوبـنـا أنـوارا

كما ألقى رئيس نادي قرية الشهارين الثقافي الأستاذ حسين العريفي كلمة تعريفية عن أهمّ أنشطة وفعاليات النادي للعام المنصرم، وتحدّث عن المشاريع المستقبلية

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ٢/ ١٠/ ٢٠٠٩م.

التي ينوي النادي القيام بها.

بدوره ألقى الشيخ الصفار كلمة مختصرة شكر فيها الأهالي على هذه الحفاوة التي استقبل بها مستذكرًا قدومه إلى القرية قبل أربعة عقود وعلاقته المتميزة مع أبنائها.

وقارن الصفار في كلمته بين الأفراد والمجتمعات التي تتحرك بنشاط وفعالية، وبين الأفراد والمجتمعات التي تعيش في أجواء الخمول والكسل.

وأشار إلى أن تضييق حكومات العالم الثالث على حرية شعوبهم، ولّدت لدى الناس الاعتماد الكامل على حكوماتهم في حلّ مشاكلهم دون أن يكون للشعوب نشاط وفعالية في التحرك لحلّ مشاكلها والمطالبه بحقوقها.

وقارن بين العائلة الشرقية التي يتربى فيها الابن معتمدًا على والديه والعائله الغربية التي تربي أبنها على الاعتماد على نفسه في المطالبة بحقوقه والدفاع عنها.

وقال الصفار بأن مشكلتنا «أننا نجيد توصيف المشكلة، ولكننا لا نبحث عن حلول لها»، فترى الرجل عندما تصادفه مشكلة يدعو بالويل والثبور وعظائم الأمور، ولكنه لا يتحرّك أو يفكر في إيجاد الحلول، بل يكتفي بالصراخ والكلام وندب الحظّ.

داعيًا المجتمعات إلى التكاتف والتعاون من أجل حلّ مشاكلهم بأنفسهم والبحث عن حلولها دون انتظار من أحدٍ، خصوصًا فئة الشباب التي تتمتع بالحيويه والنشاط.

كما جدّد الصفار دعوته إلى تفعيل دور المؤسسات الاجتماعية والإكثار منها.

وبعد الحفل قام الشيخ الصفار بزيارة إلى مقرّ نادي الشهارين الثقافي واطّلع على أهمّ الأنشطة والخدمات التي يقدّمها.

وأثنى الضيف الزائر على الجهود الطيبة التي تبذلها إدارة النادي مقدّمًا لهم بعض النصائح والإرشادات.

ودعي الصفار ضمن برنامج زيارته للبلدة إلى مجلس أبناء الملا حسن الحسين في

مزرعة الصايغية.

وقدّم الحاج الوجيه أحمد الحسين، والحاج الوجيه حبيب الحسين والملا حبيب الصقر دروعًا تذكارية إلى الشيخ الصفار مقدّمين له «جزيل الشكر والعرفان على تلبيتك للدعوة متمنين منك أيها الشيخ الخلوق تكرار هذه الزيارة».

وأقيمت على شرف الصفار مأدبة عشاء «تليق بمكانة الضيف الكريم» بحضور شخصيات دينية وثقافية واجتماعية في مقدّمتهم عدد من أبرز رجال الدين في محافظة الأحساء.

وحضر اللقاء أصحاب الفضيلة السيد هاشم الشخص، والسيد محمد رضا السلمان، والسيد عبد الله العلي، إمام جامع الإمام الحسن في الهفوف، والشيخ رستم الرستم، كما حضر الشاعر الأحسائي المعروف الأستاذ ناجي الحرز، والحاج الوجيه مصطفى الحويكم وآخرون.



٧ الشيخ الصفار: ينبغي ترشيد مواكب العزاء وتقوية إيجابياتها[1]

«عبدالباري الدخيل»

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى استيعاب مجاميع الشباب المشاركة في مواكب العزاء، وتنمية قدراتهم، وإرشادهم إلى سبل الخير، وتقوية الحالة الدينية لديهم.

كما دعا سماحته إلى ترشيد المواكب والعمل على دعم الإيجابيات الناتجة عن إقامتها، وضرورة تلافي السلبيات، فهذا البرنامج الذي ينطلق من أصل ديني مذهبي، إذا ترك للأهواء والحماسة فقد يضرّ.

جاء ذلك خلال ندوة دعت لها ديوانية العكراوي بالقديح وحضرها بعض المهتمين والمثقفين.

تمظهرات العقيدة

وقد مهّد سماحة الشيخ لحديثه بمقدّمات ثلاث، تحدّث في الأولى عن حاجة العقائد إلى تمظهرات خارجية تؤكد حضور تلك العقيدة في القلب، وتشد أهل تلك العقيدة إلى عقيدتهم؛ لأن الأديان والمذاهب في الأصل معتقدات وقناعات،

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٥/ ١٠/ ٢٠٠٩م.

والمعتقدات مكانها عقل الإنسان وقلبه، أو ما يعبّر عنه بالجانب الفكري والجانب الشعوري، لكن هذه العقيدة تحتاج إلى تمظهر خارجي، وهو عبارة عن الطقوس والمراسيم الدينية أو المذهبية التي تكون في كلّ دين من الأديان، ولكلّ مذهب من المذاهب.

نحن كمسلمين لدينا عقيدة ثابتة، هذه العقيدة لها تمظهرات تكرّس تلك العقيدة على المستوى الإسلامي العام، وتتجلّى في العبادات الإسلامية، كالحج وكسائر الشعائر الإسلامية. هذه الشعائر التي فرضها الله تعالى هدفها تعزيز العقيدة في النفس، وربط الإنسان المؤمن بعقيدته حتى لا تبقى مجرد حالة نظرية ونفسية داخلية، وإنما يكون لها تمظهرات خارجية تؤكد تأثيرها على سلوك الإنسان، وقد ورد في القرآن الكريم التأكيد على تعظيم هذه الشعائر، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، الشعائر جمع شعيرة، وهي العلامة التي تدلّ على ما في داخل قلب الإنسان من قناعة وعقيدة.

إلى جانب الشعائر الإسلامية العامة التي يتفق عليها المسلمون، هناك بعض الشعائر الخاصّة المذهبية، فمذاهب أهل السنة والجماعة مثلًا لديهم توجهات صوفية، وهذه تصحبها مجموعة من المراسيم والشعائر يهتمون بها، ولعلكم تلاحظون بعض الفضائيات تنقل مشاهد من جلسات الذكر التي يقوم بها الصوفيون في العراق ومصر والمغرب وفي مختلف الأماكن.

في مدرسة أهل البيت أيضًا هناك بعض الشعائر، أو العلامات التي تدلّ على القناعات، وتعزّزها وتجعل للعقيدة حضورًا في حياة الإنسان وسيرته، ومن أبرز تلك المراسيم والشعارات هي الشعائر المرتبطة بالقضية الحسينية.

وأوضح سماحته السبب في الاهتمام بالقضية الحسينية، قائلًا: «لأن قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية مفصلية، كان الاهتمام بها قبل حدوثها، وهذا موجود في المصادر الإسلامية كافة، إذ تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله عن قضية الإمام الحسين، وبكى لما سيجري

عليه في أكثر من مشهد، وأمام أكثر من جهة. ولأن هذه القضية توضّح مدى ظلامة أهل البيت ﷺ، وتشدّ الناس عاطفيًّا إليهم، لذلك كان التأكيد من الأئمة على إحياء هذه المناسبة».

وأضاف: «في الأصل كان إحياء هذه الذكرى وهذه المناسبة حتى لا تنسى، وحتى لا تغفل؛ لأن السلطات الظالمة التي فعلت ما فعلت بأهل البيت كانت تريد التعتيم على أفعالها، وتريد ألا تذكر هذه القضية وتنشر لكي لا يفتضح زيفها، لذا قام الأئمة ﷺ بتشجيع أتباعهم على طرح قضية الإمام الحسين، وعلى إحيائها دائمًا وأبدًا».

وحول أساليب إحياء هذه القضية، قال سماحته: «نستطيع تقسيم أساليب إحياء قضية الإمام الحسين إلى قسمين: قسم منصوص ورد فيه كلام من الأئمة كالبكاء والزيارة، وقسم آخر لم يأتِ النص عليه كأسلوب، ولكنه يندرج ضمن العنوان العام، ومن جملة تلك الوسائل والأساليب التي لم يرد فيها نصّ لكنها ضمن العنوان العام: مواكب العزاء التي صارت إحدى التعبيرات والتجلّيات والمظاهر لإحياء هذه الذكرى».

الحفاظ على الهوية

وحول المقدمة الثانية، قال سماحته: إن المجتمعات التي تواجه خطر الذوبان وتعاني من حالات من القمع والكبت غالبًا ما تكون حريصة على حفظ هويتها وخصوصيتها، وتبتكر لذلك أساليب وبرامج تسمى عادات وتقاليد أو (فلكلور)، ولأن مجتمعاتنا الشيعية، وخاصة في المجتمع العربي، تعرضت لحالات من الحصار والقمع والتهميش كما هو واضح فأنتج ردّ فعل، وهو التشبث بالهوية وبالخصوصية، وذلك من أجل حماية الذات من الذوبان في المحيط ومن فقد الخصوصية، بل في بعض الأحيان تكون هناك مبالغة في الحفاظ على الهوية وعلى الخصوصية، وإن كان الهدف سليمًا.

استيعاب الطاقات

وحول الحاجة إلى وجود أُطر وبرامج لاستيعاب الطاقات والقدرات في كلِّ مجتمع، كان حديث الشيخ الصفار ضمن المقدمة الثالثة، وخصّ بالحديث الشباب؛ لأنهم يمتلكون طاقات فائضة، هذه الطاقات الفائضة عند الشباب إذا لم تفتح القنوات لها لاستيعابها بالشكل السليم تكبت، والكبت يسبب عقدًا أو تصرفًا في الطرق الخاطئة والمنحرفة، ولذلك من الضروري جدًّا أن تكون هناك برامج وأساليب ووسائل تستوعب هذه الطاقات الشبابية، وتشعرهم بذاتهم، وتدمجهم مع مجتمعهم.

وأضاف: «الشباب يرثون أفكار مجتمعهم وعقائده، ويشكلون استمرار مسيرته، لذا يجب الالتفات لهم، وتوجيه نشاطاتهم واستيعابها».

معالجة السلبيات

كما تطرق سماحة الشيخ الصفار إلى بعض السلبيات التي قد تصاحب بعض المواكب، كعدم مراعاة ظروف البيئة الخاصة، ففي بيئات شيعية أخرى كإيران ولبنان والعراق يراعون ظروفهم، ويضعون البرامج التي تناسبهم، لذا فالواجب علينا أن تكون برامجنا وأساليبنا متناسبة مع بيئتنا.

وكتحويل المواكب إلى أماكن لتفريغ الشحنات والطاقات عند الشباب فقط، وفي حدود ممارسة العزاء، وبعبارة أخرى، عدم استثمار العزاء في توجيه الشباب وبناء شخصياتهم، ففكرة العزاء للعزاء، كما كانوا يقولون: الفن للفن، هذه فكرة خاطئة، إذ لا بُدّ من الاستفادة من العزاء، ومن الشعارات التي ترفع فيه من أجل بناء الإنسان وتقدّمه، وتعمل على تعزيز القيم الدينية في نفوس الشباب، فإذا جاء الشباب للموكب، فعلى المسؤولين فيه أن يعملوا لهم برامج تثقيفية، يخدمون بها أنفسهم ومجتمعهم، ويزداد ارتباطهم بالحالة الدينية، التي تتحول من موسمية إلى دائمة.

الشيخ الصفار: يتميز مجلس الشيرازي الراحل بالنشاط والحركة[1]

«حسين زين الدين»

أشار سماحة الشيخ الصفار إلى أن فلسفة الإمام الشيرازي كانت تقوم على أساس أن الشباب لا يمكن جذبهم من خلال الكلام والحديث فقط، وإنما بتمكينهم من ممارسة أدوار فاعلة.

وبيَّن الشيخ الصفار أن الشباب هم الثروة الحقيقية لأيِّ مجتمع، موضّحًا أن عدم الاهتمام بالشباب سيجعلهم طاقات مجمّدة ومعطّلة، وهذا أقلّ ضرر قد يحصل، أما الأضرار الأشدّ فإنهم قد يصبحون فريسة للتوجّهات والتيارات المنحرفة التي تأخذ بهم إلى مجالات الإجرام والفساد أو توجّههم توجّهات منحرفة.

ودعا إلى أن يكون لنا دور، وأن نتحمّل مسؤولياتنا تجاه الشباب في توجيههم، واستيعابهم واحترامهم، وأن نشعرهم بما يمتلكون من طاقات وكفاءات وقدرات، حتى يصبحوا مصدر عطاء وخير لمصلحة مجتمعاتهم، بدل أن يكونوا قنابل موقوتة.

وأشار إلى أن النتيجة التي وصل إليها منهج الإمام الشيرازي، من الكفاءات والقدرات والطاقات في مختلف المجالات في العراق وإيران والخليج من خطباء

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ١١/ ١٠/ ٢٠٠٩م.

وعلماء ومثقفين وناشطين، حملوا قضايا مجتمعهم وأمتهم ودينهم، كان ثمرة ذلك الاهتمام بهذا الجيل وحصيلة ذلك التوجّه.

وقال الشيخ الصفار في كلمة ألقاها مساء الأربعاء ١٨/ ١٠/ ١٤٣٠هـ بمسجد العباس بالعوامية ضمن الحفل التأبيني الثامن لرحيل المرجع السيد محمد الشيرازي: تعرّفت إلى الإمام الشيرازي الراحل عندما كنت في الرابعة عشرة من العمر، حينما ذهبت إلى العراق مع والدي سنة ١٩٧٠م، وذهبت معه برفقة مجموعة من الأشخاص لزيارة بعض المراجع والعلماء في النجف الأشرف وكربلاء التي تغصّ وتعجّ مجالسهم بالعلماء وكبار السن.

موضّحًا أنه عادة ما كانت إدارات تلك المجالس تحرص على حضور أكبر عدد من العلماء الكبار؛ لأن حضورهم في المجلس يعطي هيبة ووقارًا ويدلّل على مكانة المرجع. مشيرًا إلى أن الجو العام لتلك المجالس كان يتسم بالسكون والهدوء.

ويقول الشيخ الصفار: في مجلس السيد الشيرازي لاحظت شيئًا مختلفًا عن باقي مجالس العلماء، كان أكثر الحاضرين من الشباب اليافعين من المعمّمين وغير المعمّمين، كان يعجّ بالحركة والتفاعل والنشاط، يشعرك وكأنك في «ورشة عمل».

ويضيف ما كان السيد جالسًا، ويأتيه الناس لكي يقبلوا يديه، وإنما كان ينهض قائمًا كلما جاءه شخص، صغيرًا أو كبيرًا، وكان يتحدث والآخرون يشاركونه الحديث، يأمر بكتاب لهذا، ويسأل عن هذا؟ ويشير إلى شخص بأن يتكلم مع هذا، واصفًا مجلسه «بخلية نحل».

ويشير إلى أنه كان يتجه إلى كلّ زائر من زائريه، يهتمّ به، يدنيه إليه، ويتحدّث له، يشعره بقيمته ومكانته، وخاصّة من عنصر الشباب، لافتًا إلى أن هذه الحالة لم تكن قائمة في المجالس الأخرى، وهذا ما شدني أكثر، وترك في نفسي أثرًا خاصًّا لا يشبهه أيّ أثر لمجالس العلماء والمراجع الآخرين.

ويذكر سماحته أنه: التفت السيد الشيرازي إليَّ وقال: أنت تدرس، أنت طالب علم، كان والدي معي، قال: إنه يريد أن يكون خطيبًا، فتبسمّ سماحة السيد، وقال: أنت تقرأ، تريد أن تكون خطيبًا، قلت: أسعى، قال: غدًا تأتي وتخطب في المجلس، فخرجت من المجلس وأنا أحمل عبئًا، كيف أخطب في هذا المكان؟ لكنني في اليوم الثاني حضرت وخطبت.

ويوضّح الشيخ الصفار أن سماحة السيد غمره بالكثير من التشجيع والترحيب وأهداه مجموعة من الكتب، وأوصى أحد المشايخ الموجودين في المجلس أن يهتم به فترة وجوده في كربلاء، فخرج من كربلاء وهو يحمل توجّهًا فكريًّا ونفسيًّا آخر، ومن هنا كانت بداية التواصل مع ذلك النهر العظيم.

وأشار سماحته إلى صور أخرى شاهدها في الكويت، مشيدًا بالدور الكبير الذي ترك آثاره الإمام الراحل على الساحة الكويتية أثناء تواجده فيها لسنوات؛ حيث كانت في ذلك الوقت تتصف بالركود والجمود الثقافي خاصة في أوساط الشباب،لم بكن هناك إقبال من الشباب على الدين، كانوا لا يحملون اهتمامات ثقافية، لكن السيد وجد فيهم رصيدًا للمستقبل، فأولاهم الاهتمام والرعاية، فكان في كلّ ليلة لديه درس في تفسير القرآن وشرح آياته، ويتحدّث لهم بلغتهم، وكلما جاء إليه شاب يسأله عن إخوته وأقاربه، يدعوه إلى إحضارهم في الليالي المقبلة بدل أن يأتي وحده، ويحثّهم على القراءة ويشجّعهم على الكتابة.

وقال الشيخ الصفار: أتذكر ذات مرة أن الإمام الراحل قال: إن هؤلاء التجار والكبار في السنّ، يجب أن يكونوا مظلّة لاستثمارنا في أبنائهم، فنحن لا نستطيع أن ننفتح على أبنائهم إلا إذا كانت لنا الصلة والعلاقة الجيدة معهم، ولا يستطيع الأبناء أن يبدؤوا بالعمل إلا إذا كان الآباء مشجعين لهم، وموفرين لهم الإمكانات، كان يرى أن العلاقة مع الكبار هي جسر من أجل بناء الشباب والاهتمام بهم.

واستطاع السيد ـ رحمة الله عليه ـ أن يحولها إلى ساحة عمل وإنتاج، مخلفًا جيلًا

من رجال دين وشخصيات سياسية وثقافية وكتّاب بارزين.

وقد شارك في برنامج الحفل عدد من الشعراء والمثقفين، حيث ألقى الدكتور محمد حسن آل زايد نصًّا مسرحيًّا حول شخصية المرجع الشيرازي الراحل، كما ألقى الأديب عبد الله الغاوي قصيدة بالمناسبة، وأدار الحفل الأستاذ شفيق عبد القادر أبو المكارم.

زيارة دار السيدة رقية ـ قم المقدسة[1]

تشرّفت دار السيدة رقية عليها السلام للقرآن الكريم بزيارة سماحة الشيخ حسن الصفار يوم الثلاثاء المصادف ١٤/ ١١/ ١٤٣٠هـ، حيث قام سماحته بزيارة كافة أقسام الدار فيها، بدءًا بالقسم الفني في الدار حيث اطّلع سماحته على الموقع الإلكتروني للدار والأقسام الموجودة في الموقع من برامج قرآنية ودروس ومقالات علمية، كما تفضّل سماحتة بزيارة للقاعات الدراسية في الدار التي تقام فيها البرامج التدريسية لطلاب الدار من طلاب العلوم القرآنية من حفظ ومراجعة وتعلّم المقامات وغيرها. ودعا سماحته للطلاب بأن يكونوا من أعلام القرآن وأن ينفع الله بهم الأجيال القادمة.

وقد أوصى سماحته بالتواصل مع الدور الأخرى في البلاد وجميع المؤسّسات القرآنية وتبادل الخبرات بينهم.

وفي نهاية الزيارة وجّه المشرف العام لدار السيدة رقية سؤالًا للشيخ، وهو:

ما هي قراءتكم لأوضاع الدور القرآنية والنشاطات القرآنية بشكل عام في البلاد؟

فأجاب سماحته: «في الفترة الأخيرة، بدأ النشاط القرآني يتوسّع في البلاد بعكس ما عليه في الماضي من جهود، فمثلًا في القطيف توجد (١٤) مؤسّسة قرآنية، وتم في السنوات الأخيرة إنشاء مجلس مشترك للمؤسّسات القرآنية، وفي شهر رمضان أقيمت نشاطات مشتركة بين المؤسّسات. ومع كلّ هذا لا نزال في بداية الطريق في قبال

---

(١) دار السيدة رقية لعلوم القرآن الكريم. نشر بتاريخ ١٥/ ١١/ ٢٠٠٩م.

المؤسّسات القرآنية التابعة لإخواننا أهل السنة، وفي الواقع نحتاج إلى جهد أكبر من هذا لكي يمكننا الوصول إلى مستوى أعلى من تلك المؤسّسات، في الفترة الأخيرة.

لقد وجدنا إقبالًا كبيرًا للقرآن بخلاف ما كان عليه في السابق، إذ أذكر قبل ١٢ سنة حيث كانت الاستفادة منحصرة في مدارس أهل السنة التي استفاد كثير من الشيعة بمشاركتهم في تلك المؤسّسات وحصل بعضهم على شهادات مصدَّقة من قبل المؤسّسات، فيما الآن المؤسّسات القرآنية في القطيف صارت تحت إطار الجمعية الخيرية.

وفي الختام نتمنى لكم التوفيق والسداد في خدمة القرآن الكريم».

كما سجل كلمة في سجل الزوار نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

لقد غمرتني السعادة والبهجة وأنا أتجول في أروقة وفصول هذه الدار المباركة (دار السيدة رقية لعلوم القرآن الكريم)، حيث رأيت فيها أنموذجًا للمؤسّسة التربوية الراقية من حيث اهتمامها بالمناهج في تحفيظ القرآن وتلاوته ونشر ثقافته وتعاليمه، ومن حيث رعايتها للطلاب المنتمين إليها، ومن حيث حسن وإتقان العمل الإداري فيها.

أسأل الله تعالى للقائمين عليها، وفي طليعتهم سماحة الشيخ عبدالجليل المكراني، كلّ خير وتوفيق، وأرجو أن يتفاعل المجتمع العلمي والديني مع هذه المؤسّسة ويرفدها بالإمكانات اللازمة لاستمرارها وتطوير عملها.

وفق الله الجميع للمزيد من العطاء والنشاط.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

١٤/ ١١/ ١٤٣٠هـ

الشيخ الصفار يشارك في المؤتمر العالمي للشهيدين[1]

بدعوة من اللجنة المشرفة على إقامة المؤتمر، شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في المؤتمر العالمي لتكريم الشهيدين: الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي (٧٢٤ - ٧٨٦هـ) والشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (٩١١ - ٩٦٥هـ)، الذي انعقد في الحوزة العلمية في قم المقدسة، يومي الأربعاء والخميس بتاريخ ٩-١٠ من شهر ذي القعدة ١٤٣٠هـ الموافق ٢٨-٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٩م بحضور حشدٍ من العلماء والباحثين من بلدان مختلفة.

وافتتح المؤتمر بكلمة من المرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي، وكان ختامه بكلمة من آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي.

وقُدمت للمؤتمر بحوث تناولت سيرة الشهيدين ومكانتهما العلمية وإنتاجهما المعرفي، ودورهما السياسي والاجتماعي.

وتحدّث الشيخ الصفار في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر بكلمة أشار فيها إلى تميّز سيرة الشهيدين الكبيرين بنهج الانفتاح والتواصل مع أوساط المذاهب الإسلامية السنّية على الصعيد الرسمي المتمثل في رجالات الحكم، وعلى المستوى العلمي حيث حضرا دروس كبار علماء السنة في عصرهما، كما حضر لديهما علماء سنّيون

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ١١/ ١١/ ٢٠٠٩م.

في دروسهما، ولكلٍّ منهما إجازات رواية من علماء أهل السنة.

فالشهيد الأول كان مجلسه لا يخلو من علماء الجمهور لخلطته بهم وصحبته لهم، كما ينقل السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة. وكان يروي عن نحو أربعين شيخًا منهم من علماء مكة والمدينة وبغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس.وكان، كما يقول صاحب رياض العلماء، يشتغل بتدريس كتب المخالفين ويقرئهم.

والشهيد الثاني قرأ جملة من صحيحي البخاري ومسلم على الشيخ بن طولون الدمشقي، وأجيز منه برواية الصحيحين. وكذلك قرأ من الصحيحين على الشيخ ابن أبي اللطيف المقدسي وأجيز منه إجازة عامة. وأقام في بعلبك يدرّس في المذاهب الخمسة وأصبح مرجعًا لأهلها يفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها، حتى اتهمه بعض العلماء بالميل إلى التسنن.

وأشار الشيخ الصفار إلى أن نهج الانفتاح في سيرة الشهيدين أثار غضب المتشدّدين في الجانبين؛ لأن الانفتاح يفضح اتجاهات التعصب، ومن هنا كان سعي المتشدّدين للتآمر على حياة الشهيدين وتحريض سلطات الجور عليهما حتى استشهدا بتلك الصورة المرعبة.

ودعا الشيخ الصفار إلى أن يكون إحياء ذكرى الشهيدين تكريسًا لنهجهما في غزارة الإنتاج العلمي، والانفتاح على ساحة الأمة، وأن يتحمّل علماء الأمة المخلصون مسؤوليتهم في مواجهة التعصّب والتشدّد مهما كلّف من تضحيات.

وضمن شكره لجهود الهيئة المشرفة على المؤتمر، دعا الشيخ الصفار إلى الاهتمام بإحياء ذكرى شخصيات المناطق الشيعية المختلفة، وعدم الاقتصار على شخصيات المراكز العلمية في إيران والعراق ولبنان.

واستشهد الشيخ الصفار بأسماء بعض الشخصيات التي تستحقّ التكريم كالسيد ابن معصوم المدني، والشيخ ابن أبي جمهور الاحسائي، والشيخ أحمد زين الدين، والشيخ يوسف البحراني، وعلماء آخرين من الهند وباكستان وأفغانستان وغيرها.

٧

الشيخ الصفار: يدعو نخب المجتمع للتركيز على مجالات العمل الاجتماعي[1]

«حسين زين الدين»

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار في محاضرة نظمها منتدى سيهات الاجتماعي مساء الأربعاء ٣٠/ ١١/ ١٤٣٠هـ نخب المجتمع بالتركيز على «مجالات العمل الاجتماعي الشاغرة والمعطلة».

وأشار الشيخ الصفار إلى أننا بحاجة إلى حراك فعلي، وإلى تحمل المسؤولية من قبل أبناء المجتمع بمختلف شرائحهم ومسؤولياتهم، لافتًا إلى أن في مجتمعنا تكونت مؤسّسات وانطلقت لجان متعدّدة، لكن لا تزال هناك ثغرات فارغة تحتاج إلى اهتمام ورعاية.

ودعا سماحته في محاضرة نظمها منتدى سيهات الاجتماعي مساء الأربعاء ٣٠/ ١١/ ١٤٣٠هـ نخب المجتمع بالتركيز على «مجالات العمل الاجتماعي الشاغرة والمعطلة».

وتطرّق في محاضرته إلى بعدين مهمّين من النشاط على هذا الصعيد: الأول يكمن في استكمال الخدمات الاجتماعية، والثاني المتابعة مع الجهات الرسمية أو القيام

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٩م.

بدور العلاقات الهادفة.

وذهب في حديثه عن البعد الأول بقوله: إن الاهتمام بمواجهة السلبيات السلوكية هي من بين تلك المناطق الفارغة التي هي بحاجة للتفكير في سبل معالجتها والحدِّ من انتشارها.

ورأى الشيخ الصفار أن مسألة معالجة مثل هذه الظواهر تجاوزت حالة الإرشاد والتوجيه إلى حالة البحث عن برامج عملية جمعية.

وطالب سماحته شرائح المجتمع في شتى المجالات إلى تحمّل مسؤولياتها في معالجة تلك الظواهر السلوكية السلبية في المجتمع عبر برامج تأهيلية تحمي المجتمع من مخاطر تلك الظواهر وآثارها.

ونقل الشيخ الصفار وفقًا لأحد ممن تجاوزوا مرحلة الإدمان والمشاركين ـ حاليًّا ـ في برامج مكافحة المخدّرات قوله: «إن المنطقة تشهد انتشارًا سريعًا للمخدرات لغياب وضعف الرقابة الاجتماعية ووجود الأحياء القديمة، وهذا ما ينبئ بخطورة هذه الظاهرة».

وأكّد على أنه، ومن خلال المتابعة للموضوع، اطّلع على معلومات وأرقام مذهلة إلى درجة وصلت فيها الحالة إلى «رهن الأبناء» في مجال تجارة المخدّرات.

وعن البعد الثاني «العمل العلاقاتي» أبان الصفار أننا نعاني في هذا الجانب من ضعف كبير في الاهتمام بالعلاقات من حولنا على مختلف الصُّعد الوطنية.

وقال إن نوع العلاقة مع المحيط الذي من حولنا تؤثر على واقعنا، فإذا كانت متشنجة أو معدومة ستنعكس على واقع مجتمعنا.

وأفاد الشيخ الصفار بقوله: «كلنا مستهلكون بوضعنا الداخلي» وخاصة الفئة المتدينة المنشغلة في حدود المسجد والأعمال الخيرية المعروفة وهو أمر جيد، لكن ينبغي لنا الانشغال بالعلاقات الخارجية والتواصل مع القوى الأخرى، موضّحًا أن عدم

انشغالنا بهذا الجانب سيترتب عليه أمور، منها: تشويه السمعة بين الأوساط الوطنية من أطراف أخرى.. والتعبئة الإعلامية ضد المجتمع.. وضعف المتابعة والمطالبة بالخدمات التي يحتاج إليها المجتمع.

وتساءل عن المسؤول عن تصحيح الصورة ونقل المعلومة للآخرين، إذا لم يكن هناك اهتمام بهذا الجانب؟!

وأشار إلى أن «صورتنا خارج مجتمعنا»، ينبغي أن نهتم بها؛ لأن تراكم الصور السلبية عند الآخرين يسبب مشاكل كثيرة لنا وتساعد على تشويه سمعتنا.

وذكر أن الأشخاص المتجهين بهذا الاتجاه يحتاجون إلى أن «يضحوا بأوقاتهم وشيئًا من سمعتهم بسبب وجود التنافس ووجود الأخلاق غير السوية في المجتمع».



٧

الشيخ الصفار ضمن قائمة الـ 500 الأكثر تأثيرًا في العالم الاسلامي[١]

ضمّت قائمة بالشخصيات الأكثر تأثيرًا في العالم الإسلامي اسم الشيخ حسن الصفار باعتباره زعيمًا إصلاحيًّا أحرز تقدمًا ملموسًا في العلاقة مع محيطه الديني والسياسي في السعودية.

وشملت القائمة التي أعدها البروفيسور جون اسبوزيتو والدكتور إبراهيم كالن لصالح المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية في الأردن شملت ٢٤ شخصية سعودية.

القائمة التي جاءت في ١٩٥ صفحة أشارت للشيخ الصفار باعتباره زعيمًا إصلاحيًّا سعوديًّا أحرز تقدمًا كبيرًا في التواصل مع القادة السلفيين وغيرهم من كبار المسؤولين في السعودية.

وبحسب معدّي الدراسة اكتسب دور الشيخ الصفار أهميته في خضم تصاعد التوترات الطائفية التي اجتاحت العالم الإسلامي بين السنة والشيعة إبان النزاع الطائفي في العراق.

وحلّ العاهل السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز على رأس الشخصيات الخمسين

---

(١) شبكة راصد الإخبارية. نشر بتاريخ ٢٠/ ١١/ ٢٠٠٩م

الأولى في القائمة، إلى جانب المرشد الروحي لإيران الإمام السيد علي الخامنئي، والمرجع الديني الإمام السيد علي السيستاني.

كما تضمنت قائمة الشخصيات عربيًّا زعيم حزب الله السيد حسن نصر الله فيما ضمّت من بين الشخصيات السعودية النسائية الكاتبة والناشطة الحقوقية البارزة وجيهة الحويدر.

وعلّلت الدراسة اختيار الناشطة الحويدر لكونها كاتبة وشاعرة وصحفية تعتبر من أشدّ منتقدي سياسات السعودية في ما يخصّ المرأة.

وفرضت السلطات السعودية حظرًا على مشاركة الحويدر في جميع وسائل الإعلام السعودية منذ عام ٢٠٠٣م.

وانخرطت الكاتبة من ذلك الحين في العديد من الاحتجاجات ذات الطابع الحقوقي خصوصًا فيما يتعلق بحظر قيادة النساء للسيارات.

كما ضمت القائمة كذلك مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ والشيخ سلمان العودة. فيما عدت أسامة بن لادن والشيخ سفر الحوالي والشيخ ربيع المدخلي ضمن أبرز الشخصيات السعودية المتطرفة.

الشيخ الصفار: إمام الجماعة الواعي يفعل دور المسجد الحقيقي(١)

«عبد الباري الدخيل»

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في حفل افتتاح مسجد الرسول الأعظم في بلدة الحلة وذلك يوم السبت ١٧/ ١٢/ ١٤٣٠هـ الموافق ٥/ ١٢/ ٢٠٠٩م بكلمة تناول فيها مهام المساجد ودورها في خدمة الناس.

وقد بدأ سماحة الشيخ حديثه مهنئًا ومباركًا للقائمين على المسجد ودعا لهم بالتوفيق، كما بارك للحضور ذكرى عيد الغدير، ثم تلى سماحته الآيات الكريمة:

- ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[سورة الجن، الآية ١٨].
- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية ٩٦].

متسائلًا: كيف تكون المساجد لله وبيوت للناس في آن واحد؟ وقال: إن نسبة المساجد إلى الله للتشريف، فهي بيوت الله لكنها لخدمة الناس وحاجاتهم.

(١) www.saffar.org نشر بتاريخ ٦/ ١٢/ ٢٠٠٩م.

مهام المسجد

مشيرًا إلى أن المساجد تقوم بدور مهمّ في حياة الناس، وفي مقدمة هذه المهام تأتي المهمة الروحية: فالإنسان في غمرة انشغاله المادي، في محيط مليء بالشهوات يحتاج إلى مكان يتطلّع فيه للعالم الآخر، ولعبادة الله ومناجاته، ولن يجد أفضل من المسجد مكانًا لهذا الغذاء الروحي والمعنوي، ثم تأتي المهمة الثانية وهي المهمة المعرفية، ففي المسجد يتعرف الإنسان مفاهيم الدين وقيمه وأخلاقه، والمهمة الثالثة هي المهمة الاجتماعية، ففي المسجد يلتقي الناس ويتعارفون ويتداولون الرأي في شؤونهم وشجونهم.

نجاح المهام

وأضاف سماحة الشيخ الصفار: ولكي يتمكّن المسجد من القيام بدوره على أكمل وجه، فإنه يحتاج إلى مكان مناسب، وهذا المسجد ينطبق عليه وتتحقق فيه هذه الحيثية، كما يحتاج المسجد إلى إمام يحييه بحضوره وإرشاداته، فهو روح المسجد. إننا نجد بعض المساجد فاعلة في النواحي الاجتماعية والثقافية والدينية وفي المقابل نجد مساجد تكتفي بالحدّ الأدنى من النشاط، ولو فتشنا لوجدنا أن الإمام هو السبب في ذلك، فإن كان فاهمًا لدوره الرسالي واعيًا للمسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقه وتحرك على أساسها، فإنه سيحول المسجد إلى مؤسّسة تنويرية تقوم بمهامها في إمداد المجتمع بحاجاته الروحية والمعنوية والثقافية والاجتماعية.

الشيخ اليوسف

ثم أشاد الشيخ الصفار بإمام مسجد الرسول الأعظم الشيخ عبدالله اليوسف، مشيرًا إلى أن الله وفق هذه البلدة بهذا العالم الرسالي العامل الذي تجاوزت شهرته محلته ومنطقته، فصار محلّ تقدير واحترام من قبل المثقفين والعلماء، وهو معروف بأخلاقه الكريمة وتواضعه ولغته العصرية التي أجاد عبرها مخاطبة الشباب في ما يكتبه لهم.

وذكّر سماحته الجمهور بوجوب أن يكون للمسجد برنامج فاعل يساعد على الارتقاء بالمصلين، وطالبهم بالتفاعل مع برامجه والإقبال عليها، وبالخصوص حضور الصلاة جماعة، فمنطقتنا تشكو من قلة الإقبال على صلاة الجماعة، والأعداد التي تحضر المساجد لا تناسب عدد السكان، ولا تتناسب مع تمسك هذا المجتمع بالولاء لأهل البيت. فالحضور الكثيف في المآتم ومواكب العزاء لا بدّ أن ينعكس على الحضور في المساجد التي ينبغي أن تكون عامرة بالهدى. فالأحاديث الكثيرة تذكر الثواب العظيم لمن حضر المسجد ومن صلى فيه، كالحديث الوارد: «من مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة، كان له بكل خطوة سبعون الف حسنة»، والحديث الوارد عن رسول الله الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة، وعنه : «من أدمن إلى المسجد أصاب الخصال الثمانية: آية محكمة، أو فريضة مستعملة، أو سنة قائمة، أو علم مستطرف، أو أخ مستفاد، أو كلمة تدلّه على هدى أو تردّه عن ردى».

حضر الحفل حشدٌ من العلماء والمثقفين، منهم: الشيخ يوسف المهدي، والشيخ محمود السيف، والشيخ علي الجنبي، الشيخ حسين جضر، والشيخ إسماعيل العجيان، والشيخ وسام الشملاوي، والشيخ أحمد الناصر، والخطيب الحسيني الملا أحمد البطران، والأستاذ سعيد الخباز، والأستاذ ماجد عبد العال، والأستاذ عباس الصايغ، والسيد زكي العوامي، والأستاذ رضي النغموش، وقد شارك الشيخ عبدالله اليوسف بكلمة شكر فيها الداعمين، وألقى الخطيب الملا حسن باقر كلمة الأهالي، ثم شارك سماحة الشيخ في تكريم الداعمين والمشاركين في بناء المسجد.



٧

الشيخ الصفار يلقي كلمة الداعمين لصندوق مئوية القطيف

«عبد الباري الدخيل»

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار الشباب بخلع ثوب الكسل وحمل راية الجدّ والمثابرة، كما طالب رجال الأعمال ببذل جهود أكبر في دعم المشاريع التي تؤهل الشباب على فتح شباك الأمل لحياة أفضل، ودعا إلى تفعيل القرض الحسن الذي هو أفضل وأكثر ثوابًا من الصدقة.

جاء ذلك خلال مشاركة سماحة الشيخ في اللقاء التعريفي الثاني لصندوق مئوية القطيف، حيث ألقى كلمة الداعمين مساء يوم الاثنين ٢٠/ ١٢/ ١٤٣٠هـ الموافق ٧/ ١٢/ ٢٠٠٩م على مسرح مبنى جمعية القطيف.

بدأ سماحته الحديث بالآية الكريمة: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، ثم تساءل: هل يحتاج الله إلى قرض وهو خالق الكون ومالك كل شيء؟

وأجاب: حينما نتأمل في الآية الكريمة وفي أحاديث النبي وأهل بيته وما جاء في كتب العلماء يتبين لنا أن الله سبحانه يعتبر إقراض عباد الله قرضًا له، ونستوحي ذلك من خلال الحديث عنه : «إن الله عزّ وجلّ يقول: ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا ربّ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟ قال: مرض فلان عبدي ولو عدته لوجدتني

عنده. واستسقيتك فلم تسقني، فقال: كيف وأنت ربّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان ولو سقيته لوجدت ذلك عندي. واستطعمتك فلم تطعمني، قال: كيف وأنت ربّ العالمين؟ قال: استطعمك عبدي فلم تطعمه، ولو أطعمته لوجدت ذلك عندي».

ووردت النصوص الكثيرة حول فضل الإقراض وأنه أفضل من الصدقة، كقول رسول الله ﷺ: «من أقرض مؤمنًا قرضًا ينظر به ميسورة، كان ماله في زكاة وكان هو في صلاة من الملائكة حتى يؤديه»، ولذلك فإن فتح هذا المجال أمام الناس وبالخصوص إذا كان من أجل فتح باب رزق شريف لإنسان محتاج فإنه لا محالة من المقربات إلى الله تعالى.

ثم أشار سماحته إلى فكرة تأسيس بنك الفقراء في بنغلاديش الذي أسّسه عام ١٩٨٣م البروفيسور (محمد يونس) الحاصل على جائزة نوبل عام ٢٠٠٦م، ثم تطورت فكرته في بريطانيا، حيث إنه كان يقرض ١٠ دولارات فما فوق، فكان له الدور الكبير في إنقاذ عوائل كثيرة من الفقر حتى وصل عدد المستفيدين منه أكثر من مليوني فرد، حولهم من فقراء إلى منتجين.

وأوضح الشيخ الصفار أن بعض الناس في المجتمعات العربية والغربية لا تصدق أن في هذه البلاد فقراء، فالانطباع السائد أننا شعب ثري؛ لأننا نعيش في بلد حباها الله الثروات والخيرات الكثيرة.

مشيرًا إلى أن من أهمّ أسباب الفقر قلة فرص العمل، وخاصة عندما تسود فكرة أن الوظيفة هي الأفضل، بينما من المفترض أن الفكرة التي تسود مجتمعنا هي تشجيع التوجه للمشاريع.

ثم تحدّث سماحته عن صندوق المئوية وعن الحاجة الماسة لتأسيسه للمساعدة لحلّ مشكلة البطالة التي تحتاج بالإضافة إلى صندوق المئوية إلى منظومة متكاملة لاحتواء هذه المشكلة، واستدرك: هذا الصندوق الذي يعتبر مفتاحًا لباب الأمل أمام الشباب، يحتاج إلى دعم رجال الأعمال ووقوفهم معه، ومضاعفة جهودهم من

أجل إنجاحه، فهذا زكاة لمالهم، ودعم لإصلاح المجتمع وحمايته من مفاسد الفقر والحاجة.

ثقافة العمل

وشدّد سماحة الشيخ الصفار على أن ما نحتاجه بالإضافة إلى الدعم ثقافة العمل. إننا بحاجة إلى شباب يرفعون مستوى الجدية، ويحبون العمل، تاركين الكسل وراء ظهورهم. وعندما تسود ثقافة العمل والكدح بدل ثقافة الراحة، فإن المجتمع يتقدم وتنمو فيه المشاريع الحيوية، ويكون قد سلك أولى خطوات التقدم.

وختم الشيخ كلمته بالإشادة برجل الأعمال الأستاذ سلمان الجشي على دعمه للصندوق وبمدير صندوق مئوية القطيف الأستاذ يحيى آل قريش.

هذا، وكانت كلمة سماحة الشيخ الصفار ضمن كلمات الحفل الذي بدأ بالقرآن الكريم، ثم كلمة صندوق مئوية القطيف الأستاذ/ يحيى آل قريش، وكلمة الأهالي ألقاها د/ رياض المصطفى.

جدير بالذكر أن الحفل حضره لفيف من المواطنين ومن استفاد من الصندوق ومن العلماء والوجهاء ورجال الأعمال كالأستاذ غسان النمر وعبد الرحمن الراشد والأستاذ سلمان الجشي والأستاذ جعفر الشايب والشيخ جعفر الربح والمهندس شفيق آل سيف.



لدى استقباله وفدًا لمجلس آل عصفور

الشيخ الصفار القطيفي يشيد بأجواء الألفة البحرينية[1]

أشاد الشيخ حسن الصفار القطيفي بالأجواء الفكرية والثقافية التي يتميز بها المجتمع البحريني، وصورة التكاتف والوحدة الوطنية وذلك خلال استقباله وفدًا من مجلس الحاج منصور بن إبراهيم آل عصفور خلال زيارة قام بها للمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية الذي أطلعه على ترتيبات عقد مؤتمر العلامة الشيخ حسين آل عصفور: «الرسالة والموقف» المقرر عقده في ١٥ مارس من العام المقبل ٢٠١٠.

وقال عضو الوفد عبدالكريم العصفور: إن اللقاء كان مثمرًا للغاية، حيث تباحث الوفد الزائر مع الشيخ الصفار الخطوات التحضيرية للمؤتمر، وقد أشاد الشيخ الصفار بالفكرة وبالتراث العلمي والفكري لمملكة البحرين على مرّ العصور، مؤكّدًا في الوقت ذاته تقديم كلّ دعم ممكن لإنجاح المؤتمر، معبّرًا عن سعادته الغامرة بما يتمتع به المجتمع البحريني من تكاتف ووحدة وطنية واهتمام بإحياء تراث وعطاء علماء هذا البلد الكريم.

وأطلع الوفد الشيخ الصفار على الأنشطة الفكرية والتربوية والاجتماعية والمشاريع الدينية التي ينفذها المجلس، حيث ترتكز أهداف المجلس على تعزيز العلاقات مع المؤسّسات الثقافية والعلمية والاجتماعية في البحرين والوطن العربي، وتقديم شرح

---

(١) جريدة أخبار الخليج البحرينية. السبت ١٢ ديسمبر ٢٠٠٩ - العدد ١١٥٨٦

مختصر عن جهود المجلس في تنشيط المجال الثقافي والفكري والديني والاجتماعي في مملكة البحرين.

كما التقى الوفد خلال الزيارة بالسيد حسن النمر، وتبادل معه وجهات النظر في شأن تعزيز علاقات التعاون والتواصل في المجالات الفكرية والثقافية لخدمة المجتمع الإسلامي، فيما تتواصل أنشطة اللجنة العليا في متابعة الترتيبات عبر اللجان الفرعية والتنسيق مع الجهات الرسمية في هذا الصدد.

٧

كلمة الشيخ الصفار في تكريم الدكتور محمد الحبيب بن الخوجه

صدر الجزء الخامس والعشرون من سلسلة (الاثنينية) التي ينشرها الشيخ عبد المقصود خوجة في جدة في مجلدين.

ضمّ الإصدار أعمال (الاثنينية) لعام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، وتوثيق لاثنين وعشرين جلسة من جلسات حفلات التكريم التي أقيمت فيها.

وقد ضمّ المجلد الأول (ص٢٧٨) كلمة سماحة الشيخ حسن موسى الصفار في حفل تكريم العلامة الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، التي أقيمت في ١٩/ ١/ ١٤٢٩هـ الموافق ٢٨/ ١/ ٢٠٠٨م.

هذا نص كلمة سماحة الشيخ الصفار:

أيها السيدات والسادة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

في هذا الحفل البهيج الذي يضمّ نخبة من رجالات المجتمع، وذوي الرأي والعلم والفضل، الذي ينعقد لتكريم عالم من علماء الأمة الذين أبلوا بلاءً حسنًا في الدفاع عن

قيم الإسلام، وتبيين معالمه وأحكامه، ورعاية مصالح الأمة.

بداية لا يسعني إلا التقدم بوافر الشكر والامتنان، لمؤسّس هذه الاثنينية، معالي الشيخ عبد المقصود خوجه، هذا الرجل الذي طوق الأعناق بفضله وكرمه، واهتمامه بتكريم العلماء والفضلاء وأصحاب الرأي، والمؤثرين في ساحة الأمة، فجزاه الله خير الجزاء، وأمدّ في عمره ومتّعه بالصحة والعافية.

في الحديث عن فارس هذه الاثنينية، معالي الدكتور الشيخ محمد الحبيب بن الخوجه «حفظه الله» أودّ التركيز على نقطتين:

الأولى: ترتبط بتكوين فكر ونهج هذا الشيخ الجليل.

الثانية: تتعلّق بمجمع الفقه الإسلامي، هذا الصرح الشامخ الذي كان للشيخ دور أساس في إشادته وإقامته، من خلال مثابرته، وعمله الدؤوب.

النقطة الأولى: المدرسة المقاصدية

من أجل أن نتعرف أكثر إلى شخصية شيخنا الجليل الذي نجتمع هذه الليلة في رحاب تكريمه، والإشادة بجهاده ودوره، ينبغي أن نعود إلى المدرسة التي نشأ في أحضانها ونهل منها، إنها المدرسة المقاصدية.

تتلمذ شيخنا على رجلٍ من أبرز رجالات هذه المدرسة وروّادها في هذا العصر، وهو الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ﷺ، هذا الفقيه الأصولي المفسّر، الذي اهتمّ أيّما اهتمام بهذا الموضوع الكبير الخطير (مقاصد الشريعة) الذي يعني: أن ننظر إلى أحكام الدين، ومسائل الشرع الشريف، من خلال إدراك الأهداف العظيمة والكبيرة التي أراد الدين تحقيقها في المجتمع الإسلامي والإنساني، في مقابل مدرسة أخرى، دأبت على الاهتمام بفروع المسائل الفقهية، وتناولها في بعض الأحيان، وكأنها مقطوعة عن استهدافاتها الإسلامية الكبرى.

المدرسة المقاصدية تذكّر الأمة، وتذكّر الفقهاء وطلاب العلوم الدينية بأن للإسلام

أهدافًا، وأن له رسالة، وأن أحكامه وتشريعاته تخدم تلك الرسالة والأهداف، وكما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «إِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً، فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ».

والقرآن الكريم حينما يتحدّث عن كثير من الأحكام، فإنه يردف ذكرها بذكر أهدافها وغاياتها، وهكذا ما ورد في النصوص الدينية الأخرى. لكن النظرة التجزيئية السطحية التي ابتعدت عن دراسة مقاصد الشريعة غفلت عن هذا الموضوع. ومن المثير للتأمل أن المدرسة المقاصدية انبثقت وتبلورت في المغرب، فكانت هذا الإرث المهمّ الذي أودعته وأبقته لنا الأندلس الضائعة، وكأنها كما قال أحد الباحثين مصداقًا للحديث الشريف الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به».

وقد تركت الأندلس لنا هذه الأشياء الثلاثة، ومن أبرز ما تركته لنا (علم المقاصد)، الذي كان من أبرز رواده الإمام الشاطبي رحمة الله عليه (توفي ٧٩٠هـ)، وكتابه الموافقات، هذا الكتاب الذي كان الكتاب التأسيسي لعلم المقاصد، وجاء بعده الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة، وفي نفس الوقت علال الفاسي رحمه الله لكي يجدّدا طرح هذا العلم، ويعمّقانه في الأمة.

هذه المدرسة لم تأخذ مداها بالمستوى المطلوب في المشرق العربي الإسلامي، ونحن نشعر الآن بالحاجة إلى التأكيد على أهمية هذه المدرسة، نحن بحاجة إلى تطوير علم مقاصد الشريعة. ذلك أن المقاصد الخمسة، أو الضرورات الخمس تحتاج إلى تفريع وتفصيل وتطوير، وربما إضافة مقاصد أخرى من وحي الحاجات والتحديات القائمة التي تعيشها الأمة والإنسانية، نحن بحاجة إلى تطوير علم مقاصد الشريعة، وبحاجة إلى تدريسه لأبنائنا، بدل أن يستغرق أبناؤنا في مناهج تدريس الدين في دراسة تفاصيل الأحكام الفقهية. نحن بحاجة إلى تذكير أبنائنا بمقاصد الشريعة الكبرى، ولعلّ ذلك يكون خير صيانة وحماية لهم من أن يخدعوا، أو يضللوا بالانجراف والانزلاق

في المهاوي التي وقع فيها بعض أبنائنا، تحت عنوان الاستجابة لهذا النص، أو لهذا الحكم أو ذاك، ونحن بحاجة إلى دراسة فكر علماء هذا العلم، أعني (مقاصد الشريعة).

النقطة الثانية: مجمع الفقه الإسلامي

مجمع الفقه الإسلامي، هذا الصرح الشامخ الذي يمثل آلية عملية للوحدة التي تنشدها الأمة، كلّ المسلمين والحمد لله يتطلّعون إلى وحدة هذه الأمة، ويتحدّثون عن ضرورتها، لكن طرح شعار الوحدة، والتطلع إلى الوحدة، لا يحققها ما لم تكن هناك آليات تساعد على تحقيقها عمليًّا في حياة الأمة.

مجمع الفقه الإسلامي وأمثاله هي الآليات العملية التي بإمكانها أن تساعد الأمة على تحقيق هذا التطلع العظيم. ومن ناحية أخرى، فإن مجمع الفقه الإسلامي حيث يجمع علماء، وفقهاء من مختلف المذاهب والاتجاهات والبلدان ليتيح أمامهم الفرصة ليتعرفوا إلى بعضهم بعضًا، وكما قال أحد العلماء: «المسلمون إذا تعارفوا تآلفوا». إن التباعد بينهم هو الذي يعطي الفرصة للتشويه، ولسوء الظن، وللإعلام المغرض فيما بينهم. لكنهم إذا ما التقوا وتعرفوا إلى بعضهم بعضًا عن قرب وتداولوا الرأي، فإن ذلك يساعدهم كثيرًا على التقارب، وعلى إنجاز الوحدة بينهم. وإذا اتّحد العلماء وتقاربوا، فهي الخطوة الأساس في وحدة الأمة وتقاربها.

وشيء أخير أحبّ أن أشير إليه؛ وهو أن مجمع الفقه الإسلامي يهتمّ بدراسة النوازل، والتحدّيات الجديدة، والمسائل التي تحيط بالأمة في هذا العصر، وبالتالي تنشغل الأمة، وينشغل علماؤها بقضايا عصرهم. وبلاء الأمة في التفرق والاختلاف إنما جاء من الانشغال بالماضين، وانشغالهم بأحداث التاريخ الماضي ولجاجته، هذا الانشغال هو الذي سبب الكثير من النزاعات والخلافات.

حينما ينشغل العلماء بعصرهم وبهمومهم الحاضرة يكونون قد ساهموا في الاتجاه الصحيح، وتجاوزوا أسباب الفرقة والاختلاف، لا مشكلة أن تتنوّع وتتعدّد الآراء، أو

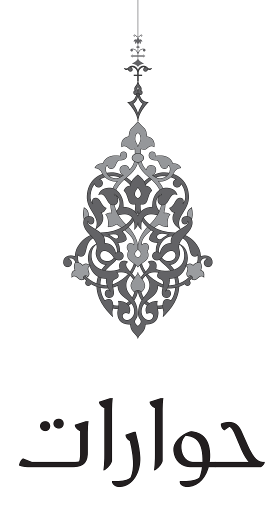
أن تختلف في تقويم أحداث تاريخية سابقة، أو رجالات من رجالات الأمة السابقين من سلفها، مع حفظ الاحترام، وعدم الإساءة فيما بينهم، فهذا أمر لا إشكال فيه، لكن لا ينبغي لنا أن ننشغل بذلك عن واقعنا المعاصر، وأن نترك التحدّيات والمشاكل، والهموم في ساحتنا، ونهرب عنها إلى الماضي. مجمع الفقه الإسلامي يعالج هذه المشكلة العلاج الصحيح؛ لأنه في الأساس متجه لمعالجة المشكلات الحاضرة.

في الختام، لقد قرأت عددًا من أبحاث شيخنا الجليل الذي نحتفي هذه الليلة بتكريمه، ورأيت أثر مدرسته المقاصدية على بحوثه، وعلى تناوله للموضوعات، كما تابعت سيرته، وعلاقته بعلماء المسلمين من مختلف المذاهب، وتشرفت بحضور بعض مؤتمرات التقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران تحت رئاسته، وكذلك جلسات الجمعية العمومية تحت رئاسة فضيلته، ورأيت في سعة صدره وأخلاقه وفضله ما يجسّد مقصدًا من مقاصد الشريعة، وهو الحفاظ على وحدة الأمة. لا شك أنه مقصد من أهمّ المقاصد، يتميّز شيخنا الجليل في علاقاته، وفي ترفّعه عن الانشغال بالخلافات الجانبية، ودعوته لمن حوله من العلماء، ولجماهير الأمة أن يترفّعوا عنها، وأن يعالجوها بروح علمية موضوعية دون استغراق، ودون إساءة، ودون أن ينشغلوا بها عن واقع عصرهم.

إنه نموذج لعالم الدين الواعي لمقاصد دينه، والواعي للتحدّيات التي تحيط بأمته، والجاد المثابر في حمل هذه المسؤولية والأمانة، جزاه الله خير الجزاء ونفعنا بعلومه وجعله ذخرًا لهذه الأمة، ولهذا الدين فيما يعتزم القيام به من مشاريع علمية واسعة.

أشكر لمعالي الشيخ عبدالمقصود خوجة تشريفي بهذه المشاركة، وأشكر لكم إصغاءكم، والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





حوارات



تداعيات الإعلام.. وتأثيراته[1]

«القطيف ـ إدريس العلي»

التقت «كلّ الناس» الرمضانية التي تصدر في مملكة البحرين بسماحة الشيخ حسن الصفار بمكتبه الكائن بالقطيف بالمملكة العربية السعودية، وقد تناولت مجلة «كلّ الناس» مع سماحة الشيخ موضوع الإعلام وآثاره على المجتمعات لا سيما في الوقت الحاضر..

□ لماذا أصبح دور الإعلام مهمًّا وضروريًّا في وقتنا الحاضر؟

■■ تأتي أهمية دور الإعلام في الوقت الحاضر، لتقدم مستوى اهتمام الإنسان بالمعرفة. فقد انتشر التعليم، وارتفعت ثقة الناس بأنفسهم، وازداد فضولهم المعرفي، يريدون أن يلاحقوا الأخبار، ويتابعوا التطورات، ويطّلعوا على مختلف القضايا.

كما أن أحداث العالم أصبحت أكثر تداخلًا، فما يحصل في أيّ بلد يؤثر على كلّ أنحاء العالم، لذا يحرص الناس على متابعة ما يجري في كلّ مكان، لإدراكهم تأثيرات ذلك على أوضاعهم بشكل أو بآخر.

وتطور وسائل الإعلام والاتصالات لجهة الدّقة والسرعة والتقنية المتطورة، كلّها أسباب للجذب والاستقطاب، لوسائل الإعلام.

---

(١) مجلة كل الناس الرمضانية عدد رقم (٤) - شهر رمضان ١٤٣٠هـ، صفحة ١٦-١٨.

لقد أصبح الإعلام قوة مؤثرة في صنع السياسات وتوجيهها، وأصبح سلاحًا فعالًا في المنافسة والصراع الفكري والسياسي والاقتصادي. ففي المجتمعات الديمقراطية أخذ الإعلام اسم السلطة الرابعة، وفي كلّ الدول والمجتمعات تستفيد الحكومات من الإعلام لتبرير سياستها، وتستفيد المعارضة لتعزيز قوتها.

□ هل لعب الإعلام دورًا في قلب الحقائق على مرّ التاريخ؟

■ ■ بالتأكيد، فإن الحكام المستبدّين عبر التاريخ، والتوجّهات الفئوية، مارست دور الوضع والكذب والافتراء، لتبرير السياسات الظالمة، وخداع الناس وتضليلهم.

كما جرى التعتيم على سيرة وعطاء القيادات الصالحة، من الأئمة والأولياء، والثائرين والمصلحين.

وما نعانيه في تاريخنا من تناقض وغبش واضطراب في نقل الأحداث والوقائع، إنما هو بسبب ذلك الدور السيئ لإعلاميي تلك العصور.

□ كيف تنظر إلى الإعلام العربي؟

■ ■ الإعلام العربي في معظمه يفقد الاستقلالية، وتوجّهه الأنظمة الحاكمة، وقلّ أن تتوفّر فرص الإعلام الحرّ، وبعض الإعلام العربي يخدم توجّهات طائفية أو فئوية، كما أن المساحة الأوسع من البث الفضائي تستهلك في البرامج العاطفية، وتعرض الأفلام الهابطة.

وهناك منابر إعلامية عربية هادفة مفيدة، تواجه التحدّيات، وتصارع الضغوط، لتكون وفيّة لقضايا الأمة، وملتزمة خدمة القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة.

□ هل كان للإعلام دورٌ في تفسّخ الشعوب أم في ارتقائها؟

■ ■ التقدّم والتطور الإعلامي نعمة كبيرة لصالح البشرية، لكنها كسائر النعم التي

أنعم الله تعالى بها على الإنسان، يمكن أن تكون وسيلة للخير، أو أداة للشر، حيث تختلف الشعوب في مدى استفادتها من الإعلام أو تضررها منه، باختلاف مستوى وعي التعامل مع هذه القوة الرهيبة المؤثرة وهي الإعلام.

فكلما اتسعت رقعة الوعي في الشعوب، كانت الاستفادة الإيجابية من الإعلام أكبر، حيث تظهر من خلاله الكفاءات والطاقات، ويكون تبادل للآراء والأفكار، وتدوير للمعلومات والأخبار، وتقدّم في الحراك السياسي والثقافي.

أما حين ينخفض مستوى الوعي، يأخذ الإعلام منحى آخر، هو التضليل والتمييع ومسخ الهويّة القيمية.

□ **الإعلام سلاح ذو حدين، ما المقصود بهذه العبارة؟**

■■ الإعلام وسيلة مهمّة جدًّا في هذا العصر، فهو الذي يصنع الرأي العام، ويؤثر في أفكار الناس وتوجّهاتهم، وينشر المعارف والثقافات، وهو أداة للتواصل بين الأمم والحضارات.

ويمكن الاستفادة من الإعلام إيجابيًا، بالتبشير بالقيم الفاضلة، وخدمة توجّهات التنمية، والمصلحة الإسلامية والوطنية، والرقي بالمستوى المعرفي والثقافي لأبناء المجتمع.

وباتجاه الأمم الأخرى، يمكن أن نوصل لهم عبر الإعلام رسالة الإسلام، ونعرفهم مبادئه الإنسانية الداعية إلى السلم والسلام، في مقابل التشويه والإساءات التي توجّهها الجهات المعادية لديننا الحنيف ولنبينا العظيم ﷺ.

وهذا هو الحدّ الإيجابي لسلاح الإعلام، الذي يتمثل في إمكان استفادتنا منه لصالح ديننا ومجتمعاتنا وأوطاننا، أما الحدّ الآخر السلبي، فهو ما نشكو منه من استغلال الأعداء للإعلام ضدنا، ومن تسخير الأنظمة الاستبدادية للإعلام من أجل مصالحها، ومن التوجّهات المنافية للأخلاق التي تروّج لها وسائل الإعلام.

□ **جيل الشباب وجيل الأطفال، هل صار ضحية الإعلام؟ ولماذا؟**

■■ لا شك أن أكثر المتأثرين سلبيًّا بالإعلام السيئ هم جيل الأطفال وجيل الشباب، والإعلام يستهدف هذين الجيلين بالدرجة الأولى.

لقد أصبح الإعلام جسرًا لنقل ونشر السلوكيات المنحرفة لأبنائنا وشبابنا، ومن أبرزها ممارسات العنف والابتذال الأخلاقي.

كان أبناؤنا يرثون سلوكيات آبائهم وعوائلهم المنبعثة من الالتزام الديني، وعادات وتقاليد الاحترام والتكافل الاجتماعي، فمجتمعنا محافظ وخاصّة في مجال العلاقة بين الجنسين.

لكن وسائل الإعلام والاتصال نقلت لأبنائنا سلوكيات التمرد، وممارسة العنف بدءًا من أفلام الكرتون الموجّهة للأطفال.

كما أن البرامج المبتذلة والأفلام الهابطة، شجّعت الشباب على تكوين العلاقات العاطفية بين الجنسين، والتواصل عبر الشبكة العنكبوتية.

ومما ساعد على نجاح الإعلام في اختراق سلوكيات أبنائنا، ضعف الاهتمام العائلي بالأبناء، بسبب انشغال الوالدين وترك الأبناء بلا احتضان ولا توجيه، فأصبحوا هدفًا سهلًا لتأثيرات الإعلام السيئة.

□ **في نظرك من يقف وراء الإعلام الهابط؟**

■■ تقف وراء الإعلام الهابط جهات مصلحية يهمها الكسب المادي؛ لأن البرامج الشهوانية، تستقطب أكثرية الناس، كما يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾.

وتشير الإحصائيات إلى الأرقام الضخمة التي يجنيها مروّجو المخدّرات، ومنتجو الأفلام الإباحية، ومديرو شبكات الدعارة والمتاجرة بالبشر....

كما أن هناك جهات سياسية دولية ومحلية، قد تسعى لنشر الميوعة والفساد في المجتمعات التي تريد الهيمنة عليها.

□ هل مستوى الإعلام الإسلامي يلبي حاجة الشعوب وارتقائها؟

■■ إن من أهم حاجات شعوبنا:

أولًا: الفهم الصحيح للدين، حيث يسود فهم قشري تقليدي على مساحات واسعة من مجتمعات الأمة، يتحوّل الدين بموجبه إلى مجرد طقوس وتقاليد، أما قيم الدين الحقيقية كالحرية والعدالة وحقوق الإنسان والمعرفة والتنمية والعمل الصالح، فهي غائبة ولا تحظى بأهمية الطقوس والشعائر الظاهرية.

ثانيًا: التنمية الشاملة، فشعوبنا في آخر القائمة في جميع كشوف التنمية، كمستوى الجامعات، ومستوى الإنتاج، ومعدل العمر، والمشاركة السياسية، ومشاركة المرأة، وحركة المعرفة وغيرها. والقوائم الوحيدة التي نأخذ فيها الأرقام الأولى هي الحروب والنزاعات الداخلية، وانتهاكات حقوق الإنسان ومستوى الأمية... وأمثالها.

ثالثًا: ثقافة التسامح، فالتنوع العرقي والقومي والديني والمذهبي في مجتمعاتنا، بدل أن يكون دافعًا للتعارف، كما هو توجيه القرآن الكريم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، أصبح سببًا للقطيعة والتباعد. وبدل أن يكون مصدرًا للإثراء كما هي الحال في واقع المجتمعات الأخرى، صار سببًا للاحتراب والصراع والنزاع.

إن على الإعلام الإسلامي أن يجتهد في خدمة هذه الحاجات الأساسية للشعوب الإسلامية في هذا العصر، وهو لا زال يعاني من قصور كبير في الاستجابة لهذه التحدّيات. بل إن بعضه يقوم بدور سلبي وتضليلي، يعزّز حالة التخلف، ويمارس الخداع السياسي لصالح أنظمة الاستبداد، ويزيّف اهتمامات الناس بإثارة الغرائز والشهوات.

☐ **كيف تنظر إلى فضائياتنا الإسلامية؟ وبماذا تنصحهم؟**

■■ فضائياتنا الإسلامية حديثة ناشئة، لا تتوفر لها الإمكانات التي تملكها الفضائيات المتقدمة، ولا مستوى الخبرة والتجربة.

وأكثر هذه الفضائيات يسودها خطاب تقليدي، فهي تنقل خطب المساجد والحسينيات، بما لا يناسب الفضاء المفتوح. كما تخدم في الغالب الاهتمامات الجزئية القشرية، كمسائل الخلاف المذهبي، وبعضها يمارس دور الشحن والتعبئة الطائفية، من الجانب السني والشيعي.

لكن عددًا قليلًا من الفضائيات الإسلامية قد شقّت طريقها بنجاح، وفي طليعتها قناة المنار الفضائية، وهي أنموذج للإعلام العصري الأصيل، حيث تبثّ قيم الدين. بلغة عصرية منفتحة، كما تستنهض أبناء الأمة لخدمة قضاياهم المصيرية كمقاومة العدوان الصهيوني، والهيمنة الأجنبية وتعزيز الوحدة الإسلامية.

☐ **ماذا تقول إلى الذين يملكون الإعلام والقائمين عليه؟**

■■ أقول لمالكي وسائل الإعلام والقائمين عليها في مجتمعاتنا الإسلامية: عليهم أن يتحمّلوا مسؤوليتهم أمام الله وأمام أوطانهم ومجتمعاتهم، فهم يملكون أهمّ فرص التأثير على عقول الناس ونفوسهم، ولهم الدور الأساس في المشاركة في صناعة الرأي العام في شعوبهم.

فعليهم أن ينطلقوا من خدمة المصالح العامة للناس، وأن لا يقدموا عليها مصالحهم الذاتية، المتمثلة في الكسب المادي، وخدمة التوجّهات السياسية.

إن مجتمعاتنا مهددة اليوم في أمنها الاجتماعي وقيمها الأخلاقية، والإحصائيات المتصاعدة لحوادث الإجرام، وانتهاك الأعراض، وانتشار المخدّرات، واستعمال العنف، والمشاكل الأسرية، هي مؤشرات خطيرة لمضاعفات التحولات التي تمرّ بها

مجتمعاتنا، فعلى وسائل الإعلام أن لا تكون معاول هدم لمنظومة القيم الأخلاقية بإثارة الشهوات وتحريض الغرائز.

كما أن أوطاننا في حاجة ماسّة لتحريك عجلة التنمية التي تأخرت وتعثّرت كثيرًا. مما وسّع رقعة الفقر، وزاد مستوى البطالة، وأضعف واقع الإنتاج.

فعلى وسائل الإعلام أن تدفع نحو الفاعلية، وتسهم في معالجة المشاكل القائمة التي تعوّق التنمية.

وعلى المستوى الاجتماعي والسياسي، يجب الابتعاد عمّا يثير الفتنة والفرقة، والتأكيد على مفهوم المواطنة والمشاركة السياسية، لتحقيق الديمقراطية والتقدم.

□ بماذا تنصح الأسر والشباب والشعوب في تلقيه الإعلام؟

■ ■ أنصح كلّ إنسان بأن يتلقى الإعلام بعقل يقظ، وإرادة واعية، فيفكر فيما يسمع ويقرأ ويشاهد، وأن لا يكون مستسلمًا لما يتلقّى، فمعظم الإعلام يخاطب العواطف، ويستغفل العقل، ليوجّه المتلقّي في الاتجاه الذي يريده منتج المادة الإعلامية، في مختلف المجالات.

إن القرآن الحكيم في عدد من آياته الكريمة، حين يذكر حاسّتي السمع والبصر كنافذتين للإنسان على معلومات الحياة يردف ذكرهما بذكر العقل، ليكون المرجعية للحكم على ما يمر عبر السمع والبصر. ومن دون ذلك يقع الإنسان في مهاوي الضلال.

جاء ذلك في خمسة موارد من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ٧٨].

وكذلك، الآية رقم ٩ من سورة السجدة، والآية ٢٦ من سورة الأحقاف، والآية ٢٣ من سورة الملك.

كما أنصح العوائل بأن تلفت أنظار أبنائها إلى طرق التعامل السليم مع الإعلام، وذلك عبر الوسائل التالية:

أولًا: أن يكون الوالدان قدوة لأبنائهم في اختيار القنوات الإعلامية، وفي التعاطي معها، مثلًا:

إن إدمان بعض الآباء والأمهات على متابعة الأفلام والمسلسلات العاطفية، يدفع بأبنائهم إلى ذات الحالة، مع فارق المرحلة من العمر، حيث يكون الأبناء في مرحلة التنشئة أو المراهقة، ما يجعل الضرر عليهم كبيرًا.

كذلك فإن استجابة الوالدين للدعايات الإعلامية عن المنتجات والسلع، يكرّس في ذهنية الأبناء حالة الثقة بما تعرضه وسائل الإعلام من الدعايات التسويقية، وهو تسويق تجاري، كما هو معلوم.

ثانيًا: ينبغي الحديث مع الأبناء عن طبيعة الوضع الإعلامي، وعن تصنيف القنوات والمصادر الإعلامية، وتوعيتهم بتوجّهاتها وأهدافها، وإرشادهم لكيفية الاستفادة منها، وتجنب مضارّها.

إن توفير الأجهزة الإعلامية والمعلوماتية للأبناء يجب أن يصحبه توجيه كافٍ للنهج السليم في التعامل معها.

ثالثًا: من المهمّ جدًّا مشاركة أفراد الأسرة في برامج المتابعات الإعلامية والمعلوماتية، فيشاهدون مع بعضهم نشرة الأخبار مثلًا، ويكون هناك مناقشة وتعليق، وكذلك الحال في مشاهدة برامج الحوارات أو الأفلام، والدخول على مواقع الإنترنت، ولو في بعض الأحيان، ليتدرب الأبناء على التفكير فيما يسمعون ويشاهدون، ولينتبهوا إلى أساليب تمرير الأفكار والمعلومات والسلوكيات غير الصحيحة.

٧

الشيخ حسن الصفار لـ«المرفأ»: جهود التواصل بدأت تؤتي ثمارها حتى في الوسط السلفي[1]

في سابقة على مستوى العلاقة الشيعية السلفية في السعودية، استضافت مجالس القطيف العاشورائية لهذا العام عددًا من الدعاة والمثقفين السلفيين، حيث حضروا جانبًا من الفعاليات وشاركوا في عدد من المجالس، عبَّروا بعدها عن انطباعات إيجابية تجاه ما سمعوه ورأوه.

وللأهمية الرمزية لهذه الخطوة باعتبار الزمان والمكان، توجهت «المرفأ» إلى رائد هذا التحرك في الانفتاح والتواصل، سماحة الشيح حسن الصفار وسألته عن الأهداف والثمار.. فأجاب مشكورًا:

عاشوراء فرصة للمتشددين!

إحياء مناسبة عاشوراء في أوساط المواطنين الشيعة في المملكة العربية السعودية، كان يشكل فرصة لتيار التشدّد السلفي للتعبئة ضد الشيعة، حيث ينشرون في كل عام منشورات يتحدّثون فيها عن بدعية الاحتفاء بهذه المناسبة، وأنها مخصصة للنيل من الصحابة، والتحريض ضدّ أهل السنة باعتبارهم متهمين بقتل الحسين من قبل الشيعة، وأنهم الجهة التي يتحفّز الشيعة لأخذ ثارات الحسين منهم.

---

(١) مجلة المرفأ. السنة الثانية، العدد ١٧، الصادر بتاريخ صفر ١٤٣٠هـ.

كما يشيعون بعض الاتهامات السخيفة وغير المعقولة، تحت عنوان (ليلة الطفية)، حيث يزعمون أن الشيعة يحولون ليلة العاشر من محرم إلى ليلة إباحية سنوية، يختلط فيها الرجال والنساء، ويطفئون الأنوار، لإعطاء الفرصة للعلاقات غير المشروعة بين الرجال والنساء.

وعلى سخافة هذه المقولة، فإنها منتشرة في الأوساط السنية المتأثرة بالتشدّد السلفي.

ثمار الانفتاح

لكن جهود الانفتاح والتواصل التي بادرت إليها النخبة الشيعية الواعية في السعودية في السنوات الأخيرة، بدأت تؤتي ثمارها والحمد لله، بتجاوب بعض العلماء والدعاة والمثقفين من السنة وحتى من الوسط السلفي، فقد زارنا في القطيف والأحساء عدد منهم، كانوا محلّ حفاوة وترحيب، وعقدت لهم جلسات تحدّثوا فيها، واستمعوا لآراء علماء الشيعة ومثقفيهم، وجرى الحوار معهم حول سبل الوحدة والتقارب الإسلامي والوطني، ومن أبرز تلك الشخصيات كان الدكتور الشيخ عوض القرني العالم والداعية السلفي المعروف، والدكتور الشيخ محمد النجيمي، وهو الآخر شخصية سلفية بارزة، والدكتور الشيخ عبد الرحمن المحرج من السلفيين، وله اهتمامات في الإصلاح الاجتماعي والأسري، وله برامج في الإذاعة السعودية، وله صلة بكبار العلماء السلفيين.

كما زارنا الدكتور الشيخ محمد عبده يماني المفكر والناشط الإسلامي، ووزير الإعلام سابقًا، والشيخ عبدالمقصود خوجة، وهو شخصية مرموقة في الحجاز، صاحب أعرق وأنشط ملتقى ثقافي أهلي في السعودية (الاثنينية). وشخصيات أخرى من الدعاة والمثقفين السنة.

وفي المقابل قدمت دعوات لشخصيات شيعية للإلقاء والحديث في منتديات

ومجالس أهل السنة في مكة وجدة والرياض والقصيم والأحساء والدمام.

ونتيجة لهذا الانفتاح والعلاقات الإيجابية التي تأسّست صار من الممكن حضور بعض الشخصيات السنية من الدعاة والمثقفين في مجالس عاشوراء، حيث بادر بعض إخوتنا وأخواتنا للاتصال بعدد من الشخصيات لدعوتهم للحضور في أيام عاشوراء.

مشاركات هذا العام

وتمت استضافة من حضر منهم ولبّى الدعوة مشكورًا من المناطق الأخرى، من الشخصيات الرجالية والنسائية، ووضع لهم برنامج لحضور بعض المجالس الحسينية، ومشاهدة بعض أنشطة مواكب العزاء الفنية والثقافية، والالتقاء مع بعض العلماء والشخصيات الشيعية في المنطقة.

هذا التواصل يكسر الكثير من الحواجز وإن لم يرض بعض المتشدّدين.

وممن أسعدنا بحضوره الدكتور عبد الرحمن المحرج ومعه بعض الشخصيات الدينية السلفية، حيث استجاب لإلقاء كلمة في موكب الإمام الحسين في مدينة سيهات.

وكذلك عدد من الأكاديميات والمثقفات من جدة والرياض.

وهناك شخصيات سنية من أهالي المنطقة شاركت بالحضور في بعض المجالس، كالدكتور محمد علي الهرفي، الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والكاتب الصحفي اللامع الأستاذ نجيب الزامل وآخرين.

ولا شك أن هذا المستوى من التواصل هو درجة متقدّمة في الانفتاح والتقارب، يكسر الكثير من الحواجز، ويحقق التعارف المباشر، ليرى إخواننا أهل السنة واقع إخوانهم الشيعة، ويطّلعوا على برامجهم في إحياء مناسبة عاشوراء، بعيدًا عن التشويه والتضليل.

وقد أبدى من حضر منهم في مجالسنا إعجابه بمستوى الخطاب المنبري الذي يؤكد على القيم الدينية، ويدعو إلى الوحدة الإسلامية والوطنية.

نأمل أن يستمر هذا المستوى من التواصل، وأن يتطور لما يخدم تطلع المصلحين نحو الوحدة والتقارب.

بالطبع، فإن المتشدّدين في الجانبين السني والشيعي قد لا يرضيهم مثل هذه الخطوات، لذلك تشنّ الآن حملة ضارية في بعض المواقع الإلكترونية السلفية ضد حضور هذه الشخصيات إلى مجالس عاشوراء وتشويه سمعتهم وتأليب الرأي العام عليهم.

كما أن بعض المتشدّدين الشيعة يدفعون إلى بعض الممارسات والطروحات الحادّة التي تنفّر إخواننا أهل السنة من الحضور والتقارب، وتعطي الفرصة للغلاة السلفيين في تشويه سمعة المذهب والطائفة.

المحتويات